المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة

(٢٠١هـ - ٨٩٧هـ) / (٨١٧م - ١٤٩٢م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

مقدم من الطالبة
إيمان بنت دخيل الله العصيمي

إشراف سعادة الأستاذة الدكتورة
وفاء عبد الله المزروع

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان أجمعين، أما بعد..

فالبحث هو رصد للعلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس منذ بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة (٢٠١هـ ــ ٨٩٧هـ/٨١٧م ــ ١٤٩٢م)، ودراسة مراحل تطورها،مع دراسة سبل التبادل العلمي بينهما والعوامل المؤثرة فيه سلباً وإيجاباً، وكذلك إبراز لمظاهر العلاقات العلمية، ورصد أهم التأثيرات الأندلسية في العلوم بمدينة فاس. وقد تمت الدراسة من خلال تمهيد، وثلاثة فصول كما يلي:

التمهيد: العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس قبيل مدة الدراسة.

الفصل الأول: سبل التبادل العلمي بين الأندلس ومدينة فاس والعوامل المؤثرة فيه: واشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سبل التبادل العلمي بين الأندلس ومدينة فاس: واشتملت الدراسة على (الرحلة في طلب العلم، الهجرة والانتقال، السفارات، التجارة).

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في التبادل العلمي بين الأندلس ومدينة فاس: وتناولت الدراسة (العوامل السياسية، العوامل الاقتصادية، المظاهر الجغرافية، العوامل الاجتماعية).

الفصل الثاني: مظاهر العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس، واشتملت الدراسة على (أعلام الأندلس في مدينة فاس، وأعلام فاس في الأندلس، والقضايا العلمية المتبادلة بين الأندلس وفاس، وتبادل الإجازات العلمية، وتداول الكتب العلمية والبعثات الدراسية بين الأندلس وفاس، والعلاقات بين المراكز العلمية في الأندلس وفاس).

الفصل الثالث: أهم التأثيرات العلمية المتبادلة بين الأندلس وفاس: وتناولت الدراسة (العلوم الدينية كالتفسير والفقه والحديث وعلم القراءات، وعلوم اللغة العربية كالنحو والأدب، والعلوم البحتة كالرياضيات والطب والكيمياء والفلك، والعلوم الاجتماعية كالتاريخ والتراجم والجغرافيا).

وختمت الدراسة بالخاتمة: التي تناولت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الطالبة	المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
إيمان بنت دخيل الله العصيمي	أ.د.وفاء بنت عبد الله المزروع	د. سعود بن إبراهيم الشريم
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

Abstract

Thanks God, and praying and peace be upon God's prophet and upon his family, friends and all who followed him with merciful, and then:

This research is an observation for the relationships between Andalusia and Fas city since the beginning of the third century of the Hegira until Ghernata falling (٢٠١-٨٩٧H / ٨١٧ - ١٤٩٢AD), and studying its developing stages, with studying the means of scientific exchange between them and the affecting factors in it negatively and positively, and also excreting the scientific relationships views, and observing the most important of Andalusian affects in the sciences at Fas city. And the study finished through the introduction and three chapters as following:

The Introduction : The scientific relationships between Andalusia and Fas shortly before the study period.

First Chapter : Means of scientific exchange between Andalusia and Fas city and the affecting factor in it and including two sections

First section : Means of scientific exchange between Andalusia and Fas city, and the study finished with what relates with (the journey of requesting science, emigration and transferring, the missions, trade).

Second section : Affecting factors in scientific exchange between Andalusia and Fas city, and the study finished with wht relates with (political factors, economical factors, geographic views, social factors).

The Second Chapter : Scientific relationships views between Andalusia and Fas city, and the study finished with what relates with (chiefs of Andalusia in Fas city, chiefs of Fas in Andalusia, the exchanged scientific cases between Andalusia and Fas, exchanging the scientific holidays, currency of the scientific books and educational delegations between Andalusia and Fas, the relationships between the scientific centers in Andalusia and Fas).

The Third Chapter: The most important of the exchanging scientific affects between Andalusia and Fas, and the study finished with what relates with Religious sciences as Explanation, Jurisprudence, Hadith, Reading sciences Arabic languages sciences as Syntax, Literature and downright sciences as Mathematics, Medicine, Chemistry, Orbit and the Social Sciences as HistoryTranslations and Geography .

And I finished the study with the conclusion that included the most important results that the study reached at.

Thanks God whose by his blessing doing the well deeds...,,,

Student	Supervisor	Dean of Islamic studies and Legislatioii
Eman Bent Dakheel Allah Al-Oseimy	Dr. Wafaa Bent Abdullali A١-Mazroa	Dr. Saud Ibn Ibraheem Al-Shreem

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِۗ ﴿١١١﴾

سورة يوسف: آية ١١١

قَالَ ﷺ :

((بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ))

أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٣٨٩) .

الإهداء

إلى قبس أنار درب عمري فسرت بهديه إلى مثلي وفخري واعتزازي ...

والدي

إلى من جعل الله من نبض قلبها أول صوت يسمع ومن دفء حضنها أول مأوى يسكن إلى التي جعل الجنة تحت أقدامها...

والدتي

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات،والصلاة والسلام على المبعوث بالخير والبركات، نبينا محمد أكمل الناس خلقاً وأغزرهم علماً وأسماهم مثالا وأعلاهم همةً، وعلى آله وصحبه السابقين بالخيرات، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد فإني أتوجه بالشكر لله تعالى على ما أولاني من عظيم نعمه، وكبير آلائه، فلله الحمد أولاً وآخراً، وحيث إنه ((من لا يشكر الناس لا يشكر الله))؛ فإنه ليشرفني وقد وفقني الله عز وجل لإنجاز هذا العلم أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذة الدكتورة/ وفاء بنت عبد الله المزروع أستاذة التاريخ الإسلامي وعميدة الدراسات الجامعية للطالبات بجامعة أم القرى لقبولها الإشراف على هذه الأطروحة برغم مشاغلها الكثيرة والتي أسعدتني بسعة علمها ورقة تعاملها، وأسأل الله أن يديم عليها نعمة الصحة والعافية، كما يشرفني أن أشكر الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن سعيد الغامدي أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية سابقاً ، والأستاذ الدكتور عبد الله الشنبري رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية حالياً، والأستاذة الدكتورة/ أميرة علي المداح أستاذة التاريخ الحديث، ووكيلة قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية سابقاً، ووكيلة عمادة الدراسات العليا حالياً على ما قدمته وتقدمه لطلاب العلم عامة وطالبات قسم التاريخ خاصة من مساعدات وتوجيهات، كما يشرفني أن أشكر الأستاذة الدكتورة / لمياء أحمد الشافعي أستاذة التاريخ الإسلامي ووكيلة قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية على ما تعلمناه منها في سنوات دراستنا من علم وأدب وخير وفضل.

كما يشرفني أن أشكر الأستاذ الدكتور/ عدنان الحارثي عميد شئون المكتبات في جامعة أم القرى على تذليل كل العقبات غاية إيصال كل ما فيه علم نافع لهذه الأطروحة جعل الله كل ذلك في ميزان حسناته.

كما أشكر الأستاذ الدكتور / محمد صالح أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، والأستاذ الدكتور/ محمد عيسى الحريري بجامعة المنصورة بجمهورية مصر العربية على ما أقدماه لي من كتاب مطبوع أو بحث منشور أو توجيه بناء.

كما يشرفني أن أشكر الأخوة في بلاد المغرب على الدعم والمعونة وأخص بالشكر الوالد الأستاذ الدكتور / عبد الهادي التازي عضو الأكاديمية المغربية في الرباط، وحفيده الأستاذ / أحمد التازي الذي كان حلقة الوصل مع الدكتور عبد الهادي فجزاهم الله عني كل خير وجعل كل جهدهم في ميزان الخير والبركة ، كما أشكر الأستاذ / محمد ذنون الشريف الحسني الإدريسي الباحث المختص في الخزانة العامة بالرباط الذي كان له عظيم الأثر في حصولي على المخطوطات القيمة والتي أثمرت في هذه الأطروحة، كما أشكر الأخت/أمينة المغربي من مدينة فاس بالمغرب والتي أمدتني بأهم الصور الخاصة بمدينة فاس القديمة والجديدة ، كما لا يفوتني أن أقدم الشكر الشخصي لكل من مثَّل هذه الجهات الاعتبارية في بلدي الغالية ، وما كان عطاؤهم إلاّ كمطر منهمل لا يقف أبداً أنبتت به أرض صحراء وأثمر معه علماً يهدى به غاية أن يقطف ثماره ممن سيأتي طالباً له ومكملاً لما وقفنا عنده فكل الشكر والتقدير وأخص بالذكر:

مكتبة الحرم المكي الشريف في مكة المكرمة والعاملين عليها.

مكتبة الملك فيصل للبحوث.

مكتبة الملك فهد الوطنية.

مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض.

مكتبة الملك سعود للطالبات.

وكل التقدير إلى وطني الشامخ الذي لم يدعني من قريب أو بعيد إلاَّ وأمدني بالعزم والقوة وكان رمزاً لكبح الجهل وتحقيق الطموح مناراً للوصول دون الجموح ، فإليك وقفة إجلال وشكر لا تنسى أبداً.

إيمان العصيمي

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

دخل الإسلام إلى بلاد المغرب ومنها إلى بلاد الأندلس فحرر أهل تلك البلاد من الاضطهاد الديني والاستبداد السياسي الذي كان يُمارَس عليهم من قِبلِ الرومان والقوط الغربيين.

كما نجح الفاتحون المسلمون في كسر الحواجز التي كانت تحول بين سكان تلك المناطق وبين اعتناق الدين الجديد، فدخل الناس هناك في دين الله أفواجاً.

وبعد ذلك أخذت الهجرات العربية تصل تباعاً إلى تلك البلدان مشاركةً في الفتح والجهاد؛ لإعلاء كلمة الله، وابتغاء فضلٍ منه ونعمةٍ، فما كانت سفينة الإسلام تستقر في بلاد المغرب والأندلس إلا وكان المسلمون حملة لواء العلم والمعرفة.

وقد أسهم أولئك الفاتحون وهؤلاء المهاجرون في تغيير الوجه الديني والتاريخي واللغوي في بلاد المغرب والأندلس، حيث غدا الإسلام دينهم، والعربية لغتهم والتقوى معيارهم.

ورغم التغيرات والتبدّلات السياسية التي طرأت على هذين الإقليمين بعد ذلك، فقد ارتبط سكان بلاد الأندلس بعلاقاتٍ وثيقة مع إخوانهم في الشمال الأفريقي وخاصةً في المغرب الأقصى على كافة الصُّعد السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والعلمية.

ونظراً لكون الموضوع سينصب على العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس فأستطيع أن أؤكد أنَّ هذه العلاقة قد شهدت تطوراً ملحوظاً خلال مراحل حكم المسلمين لبلاد الأندلس، بدءاً بعهد الولاة، ومروراً بعهد الإمارة ثم الخلافة، وانتهاءً بحكم ملوك الطوائف. وكذلك الحال بالنسبة لمدينة"فاس"التي ارتبطت هي الأخرى ببلاد الأندلس بعلاقات علمية وثيقة رغم تعاقب عدد من الحكومات الإسلامية على حكمها.

كما يمكن القول إنَّ العلاقات العلمية بين الأندلس ومدن الشمال الأفريقي وفي مقدمتها مدينة "فاس"قد استمرت حتى بعد أن نجح الأسبان في إخراج المسلمين من بلاد الأندلس سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م)، حيث ظلت مدينة"فاس"منارة علم يقصدها طلاب

العلم من أبناء الأندلس النصارى، لدراسة شتى العلوم، والتطبيقية منها على وجه الخصوص.

كما يمكن القول إنَّ أبناء فاس أنفسهم كانوا يترددون على بلاد الأندلس للاطلاع على تلك المراكز الحضارية التي خلّفها المسلمون هناك خاصةً بعد سقوط الحكم الإسلامي فيها، وذلك بتعاقب الحكومات النصرانية على حكم المدن من:"بلنسية وقرطبة وسرقسطة..."، وحتى إخراج المسلمين من آخر معقلٍ لهم مدينة غرناطة سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م)؛حيث غدت تلك المراكز الإسلامية أساساً قوياً استمدت منه الحضارة الأوربية كثيراً من مظاهر نهضتها.

ونظراً للأهمية التي يتبوأها تاريخ الأندلس، وكذا تاريخ فاس، فقد عقدُّت العزم بعد استخارتي الله أن أقوم بدراسة مستفيضة حول **العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة (٢٠١-٨٩٧هـ/٨١٧-١٤٩٢م).**

أهمية الموضوع:

ـــ تكمن أهمية الموضوع في كونه توثيقاً لتاريخ الأندلس في حقبة من الزمان كانت الرحلة تشد إليه، وبيان أن هذه العلاقات ساهمت في نقل التراث الأندلسي لبلاد المغرب عامة، ومدينة فاس خاصة.

ـــ كما يفتح البحث آفاقاً في التعرف على جانب من جوانب الحضارة العلمية للمغرب العربي، ومكان مدينة فاس من هذه الحضارة.

أسباب اختيار الموضوع:

وهناك أسبابٌ عديدة دفعتني إلى دراسة هذا الموضوع، وجعلتني أقبل عليه برغبةٍ وشغفٍ وتحدٍّ لكل الصعاب التي توقَّعتها وحُذرتُ منها، **وأهمُّ هذهِ الأسباب:**

١- إثراء المكتبة بدراسة أكاديمية علميّة شاملة في العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس.

٢- الرغبة في التعرُّف على مواطن استقرار العلماء في مدينة فاس، و معرفة الدور الذي قاموا به في رفع الحركة العلمية فيها.

٣- الرغبة في التعرُّف على الأوضاع السياسيّة والاجتماعية والاقتصادية التي أثرت على العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس في فترة البحث.

٤- التعرف على فكر وثقافة وأدب وعلوم الأندلس المنتقلة إلى مدينة فاس، وعن مدى تأثر فاس بها، وهل كان لأعلام الأندلس من المبدعين تأثير في النهضة العلمية في مدينة فاس.

٥- التعرُّف على الشخصيات الأندلسية التي حصلت على وظائف علمية مهمة في الدولة العربية الإسلامية في المغرب.

ــ كما أنَّ موضوع البحث ــ بحسب علمي ــ لم تكتب فيه رسالة علمية متخصصة، فلقد قمت بالبحث في قوائم الرسائل العلمية في بعض الجامعات والمراكز العلمية داخل المملكة وخارجها، وكذلك قمت بالاتصال بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث بجامعة أم القرى، وسؤال بعض المتخصصين في مجال الدراسات الأندلسية وبلاد المغرب، وأفادوني بأنَّ هذا الموضوع لم يبحث في رسالة علمية منفردة، فاستخرت الله بعد مشاورة أهل الاختصاص؛ لأتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة، مستعينةً بالله تبارك وتعالى، وأن يكون مادة بحث الماجستير.

أهداف الدراسة:

تحقق الدراسة مجموعة من الأهداف، وهي:

١ ــ رصد العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس منذ القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة ودراسة مراحل تطورها، منذ أن كانت فاس متلقية للحضارة الأندلسية إلى مرحلة التكامل والتبادل العلمي بينهما حتى احتضان فاس للعلوم والعلماء الأندلسيين بعد سقوط الأندلس.

٢ ــ دراسة سبل التبادل العلمي بينهما والعوامل المؤثرة فيه سلباً وإيجاباً.

٣ ــ إبراز مظاهر العلاقات العلمية.

٤ ــ رصد أهم التأثيرات الأندلسية في العلوم بمدينة فاس.

حدود الدراسة:

أولاً: الحدود الموضوعية:

هي البحث في العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس حسب الأهداف السابقة وخطة الدراسة الآتي ذكرها.

ثانياً: الحدود الزمانية:

تبدأ الدراسة في هذا الموضوع من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة(٢٠١-٨٩٧هـ/٨١٧-١٤٩٢م).

ثالثاً: الحدود المكانية:

وتشمل بلاد الأندلس ومدينة فاس في المغرب الأقصى.

الدراسات السابقة للموضوع:

لم أحصل على دراسة متكاملة للموضوع، لكن ثمة دراسات يمكن أن تتناول جانباً من الموضوع فحسب، ومنها:

ـ أحمد زكي بن حاج: "العلماء في الدولة الإسلامية وأثرهم السياسي والحضاري في عصر الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ)"،رسالة ماجستير،كلية دار العلوم،جامعة القاهرة،١٩٨٠م.

وهي دراسة تعنى بالأندلس، وفي جزء من الفترة، فليست وافية بتمام الحدود المكانية، أو الزمانية لبحثي.

ـ أحمد محمد سعيد: "الحياة الأدبية في قرطبة في القرن الخامس الهجري"، رسالة ماجستير،كلية الآداب،جامعة الإسكندرية،١٩٧٠م.

وهي أيضاً دراسة تعنى بالأندلس، وفي جزء من الفترة التي يتناولها البحث، ثم هي محصورة في الحياة الأدبية فحسب، فليست أيضاً وافية بحدود بحثي.

ـ سامية مصطفى مسعد: "العلاقات بين المغرب والأندلس عصر الخلافة الأموية"، رسالة ماجستير،كلية الآداب،جامعة القاهرة،١٩٨٠م.

وهي دراسة تتوافق مع كثير من الحد الموضوعي والحد المكاني، إلا أنَّها لا تغطي فترة البحث.

۞ أهم الصعوبات التي واجهتني في البحث:

لقد واجهني عدد من الصعوبات في هذا البحث، ولعل من أبرزها:

ــ طبيعة الرسالة، فرغم أنَّ مدة الدراسة شملت زماناً كبيراً، نحو سبعة قرون، إلا أنها في جزئية (العلاقات العلمية)، ثم قيدت هذه العلاقات بما يضيقها جداً حيث إنها (بين الأندلس وفاس)، والعادة أن تكون هذه الجزئية لا تعدو أن تكون مطلباً في رسالة علمية، لا أن تكون بحثاً مستقلاً.

ــ قلة المادة العلمية في بعض مطالب البحث بل ندرتها، وقد تبين لي بالتحليل سبب ذلك في بعضها إلا أنَّه بقيت ثمة أسئلة مثارة في مطالب أخرى حول قلة المادة العلمية، والعوامل التي أدت إلى ذلك.

ــ قلة المراجع المتخصصة في هذا الجانب، فإنَّ جل هذه المادة إنَّما يستقى من كتب التراجم، مع تحليلها وتوظيف معلوماتها، وهذا الذي أجهدني، وقد استعنت بالله ثم بتوجيهات سعادة المشرفة، أ. د. وفاء بنت عبد الله المزروع، ولاسيما في التاريخ الأندلسي، فتذلل لي كثير من صعوبات البحث وإشكالاته، واتصلت ببعض المتخصصين في تاريخ المغرب، وعلى رأسهم سعادة الوالد/ د.عبد الهادي التازي صاحب موسوعة (جامع القرويين) الرائعة، فانحلت إشكالات أخرى أيضاً، لكن بقيت ثغرات وددت لو وجدت ما يسدها.

ــ تداخل المادة العلمية بين مطالب الرسالة مما جعلني أتحرى كثيراً لئلا تتكرر معلومة بغير حاجة، فالتراجم تسرد ترجمة العالم كاملة، بما يشمل رحلاته وشيوخه وآثاره، ثم تأتي مرحلة تصنيف ذلك، وهي من الدقة بمكان، ثم اختيار موضع سطرها في الرسالة، وهي مرحلة لا تقل صعوبة بل هي أشد، لتقارب مفهوم كثير من مطالب الرسالة، فإذا مر العالم الأندلسي بفاس، أو العكس، وأخذ عن علمائها، فهي رحلة في طلب العلم، فإن نزل بها وتولى منصباً كقضاء أو خطابة، فهي مرحلة انتقال ومجاورة، فإن استوطنها واشتهر بها، أو توفي بها، فهو عالم أندلسي اشتهر بفاس، وربما كان مشتهراً ولو توفي خارجها، وهذه المعلومة تدخل في أكثر من مطلب من مطالب الرسالة.

كما أنَّ الرحلة في طلب العلم لا يمكن تمحضها عن السفارة أو التجارة أو تولي المناصب، وغير ذلك.

منهج البحث:

استفدت من المنهج التاريخي في جميع المسائل التي تطلبت ذلك، فكان المنهجُ التوفيقيُّ الذي يَجمعُ بين مناهجِ البحث العلميِّ المتبعةِ في الدراسات العلميَّةِ المعاصرة هو المنهجَ الذي سِرتُ عليهِ في هذا البحث، كما لم أغفل المنهج التحليلي فيما بدا لي في تحليلِ ما وجدته محتاجاً لذلك.

وسلكت في كتابة البحث المنهج الآتي :

- عزوت الآيات إلى مواضعها من القرآن الكريم، وذلك بكتابة اسم السورة ورقم الآية.

- خرَّجت الأحاديث التي وردت في البحث من مصادرها المعتمدة من كتب السنة النبوية، فإن كان الحديث مخرجاً في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك.

- اعتمدت على المصادر الأصلية في كل مسألةٍ بِحسبها، ما استطعت، فإن لم أجد لجأت إلى المصادر المتأخرة عنها.

- عند الإحالة إلى المصدر أو المرجع أذكر اسم المؤلف ونبذة عنه إذا ذكر أول مرة، ثُمَّ أُتبعهُ بالجزء والصفحة، وأذكر عند أول ورود له التفصيل الكامل عن معلوماته، إضافة إلى ما يذكر في ثَبت المراجع والمصادر في نِهاية البحث.

- عرَّفتُ بالعديد من الأعلام والأماكن بإيجازٍ، فيما رأيتُ فيه فائدة في فهم المسألةِ أو في معرفة تسلسلها التاريخي.

ـــ انتهجت منهجاً في ترتيب الأعلام عند توارد جملة منها، بحيث ترتب على سني الوفاة على منهج مؤرخي المسلمين في كتب الطبقات وغيرها، كصنيع الذهبي وغيره.

- رُبَّما طال الكلام في بعض مباحث الرسالة، بحيث لا تتوازن مطالبها كماً، وسبب ذلك أن تكون ثمة قضية مِمَّا له صلة بجوهر موضوع الرسالة تحتاج إلى مزيد بحث، ولا سيما الفصل الأول، فإنَّ الإيجاز يُذهبَ الوضوح المقنع، إلا أني حرصت في الجملة على التوسط دون الإطالة.

- اقتضت طبيعة موضوع الرسالة، وطبيعة الخطة التي التزمتها في البحث تكرار بعض التقريرات في مواضع متفرقة من الدراسة، إن كان المثال المكرر صالحاً للموضعين

معاً، ولم يكن بوسعي العدول عن ذلك، مع حرصي على التقليل من ذلك، وجعله في أضيق الحدود.

نظرة في المصادر والمراجع:

ثمة مادةٌ علمية في العديد من المصادر الأصلية للتواريخ وكتب التراجم والطبقات والشيوخ والعلماء، وكذلك في المراجع المتخصصة التي تناولت الموضوع ، وأورد هنا عرضَ تحليل المصادر: وهو عبارة عن دراسة تقويمية لأهم المصادر التي رجعت إليها في البحث، وهي:

أولاً: المصادر:

ـــ **كتب التراجم:** وتبحث هذه الكتب في حياة مشاهير الرجال وأعمالهم، كالعلماء والسياسيين والأدباء وغيرهم، وباعتبار موضوع البحث يدور حول دراسة العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس، فمن الطبيعي أن تكون كتب تراجم العلماء هي من المصادر الأكثر اعتمادا، وكان منها:

١- كتاب " تاريخ علماء الأندلس" لعبد الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن الفرضي (ت٤٠٣هـ/١٠١٣م).

وهو كتاب تراجم لعلماء الأندلس الذين عاشوا فيها، والذين رحلوا عنها، أو الذين استوطنوها، كالفقهاء والأدباء والشعراء منذ افتتاح الأندلس واستقرار المسلمين فيها، وحتى سنوات قليلة من وفاته، وقد رتب تراجمه على حروف المعجم. وساعد هذا الكتاب على معرفة العلماء الذين كان لهم دور في الأندلس، وانتقلت تأثيراتهم العلمية لمدينة فاس بانتقالهم إليها.

٢- كتاب "الصلة" لابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ/١١٨٣م).

وهو من كتب التراجم الأندلسية، جعله ذيلا على تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، سلك فيه طريقته من حيث ترتيب التراجم على طريقة حروف المعجم. ويمتاز هذا الكتاب بمعرفة العلماء الأندلسيين المستقرين في فاس.

٣- كتاب "التكملة لكتاب الصلة" لمحمد بن عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن الأبَّار (ت ٦٥٩هـ/١٢٦١م). وهو كتاب في تراجم علماء أندلسيين وغيرهم من الذين لهم

صلة بالأندلس، ويعتبر مكملاً لابن الفرضي وابن بشكوال، وهو مرتب على حروف المعجم، أفاد البحث وخاصة في القرنين السادس والسابع الذي شمله زمن المؤلف وامتاز بذكر كثير من العلماء الأندلسيين الواردين على مدينة فاس.

٤ - كتاب "الحلة السيراء"، وهو أيضاً من كتب التراجم لابن الأبَّار، ضمنه سير المشاهير من العلماء والسياسيين والأدباء الأندلسيين منذ القرن الأول وحتى نهاية القرن الرابع الهجري، ولا يتبع فيه نظاماً معيناً.

٥- كتاب "المعجم في أصحاب القاضي" لابن الأبَّار أيضاً، وهو في تراجم العلماء من تلاميذ وشيوخ وأصحاب الإمام أبي علي الصدفي في الأندلس، رتبه على حروف المعجم، واستفدت منه في أسماء العلماء الأندلسيين الذين انتقلوا إلى فاس، وكذا عن الواردين على الأندلس من المغرب للقاء الإمام الصدفي.

٦- "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، لابن أبي أُصيبعة (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م). وهو موسوعة فريدة خاصة بالأطباء، اشتملت على أخبار بعض أطباء الأندلس ومدينة فاس، وذكر أعمالهم ومؤلفاتهم.

٧- كتاب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" لمحمد بن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ/١٤٠٤م). وهو للتراجم، مرتب على حروف المعجم، يتناول فيه المؤلف رجال القرن السابع الهجري من الأندلسيين وغيرهم من الغرباء الوافدين على بلاد الأندلس، وهو لا يخلو من بعض تراجم الأندلسيين الذين حلّوا بمدينة فاس.

٨ - كتاب "صلة الصلة البشكوالية" (القسم الأخير منه) لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت٧٠٨هـــ/ ١٣٠٨م). وهو تراجم علماء أندلسيين أيضاً، وقد استفدت منه كذلك فيمن ورد على فاس منهم.

٩ - كتاب "أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري"، ويعرف بـــ"نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان" لإسماعيل ابن الأحمر (ت ٨٠٧هـ/١٦٠٥م). وهو كتاب تراجم قسَّمه ابن الأحمر إلى عدد من الأبواب بحسب اختصاص التراجم، وكان المترجم لهم فيهم الكُتَّاب والقضاة والشعراء وغيرهم،الذين عاشوا في القرن الثامن الهجري.

ـــ **كتب التاريخ العام:**

١- "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب". لابن عذاري المراكشي (كان حياً عام ٧١٢ﻫ/١٣١٢م)، ويتناول تاريخ الأندلس في العهد المريني، وسير بعض السلاطين والعلماء.

٢- "الأنيس المُطرِب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس" لابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م). وقد تعرض فيه المؤلف لتاريخ مدينة فاس، ولبعض الأحداث السياسية فيها منذ بداية تأسيسها حتى عصر السعديين، وتحدث فيه عن بعض الأمراء والعلماء فيها.

٣- "زهرة الآس في بناء مدينة فاس" للجزنائى أبو الحسن علي بن الجزنائي، كان حياً سنة (٧٦٦ﻫ/١٣٤٠م). ويرجع الكتاب إلى القرن الثامن الهجري/الثالث عشر الميلادي، وأفاد البحث في تاريخ مدينة فاس ومكانتها، و في تأسيس جامع القرويين وعند الحديث عن بعض العلماء الذين تولوا التدريس فيه.

٤- "الإحاطة في أخبار غرناطة"، لابن الخطيب، لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٧٦ﻫ /١٣٧٤م)، وقد احتوى على معلومات مهمة، وخاصة عن بعض العلماء الذين تولوا مناصب مهمة في فاس.

٥- "بيوتات فاس الكبرى"، لابن الأحمر أبي الوليد إسماعيل بن يوسف، (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م).

٦- "جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس"، لابن القاضي المكناسي، الشهير بابن القاضى، (ت١٠٢٥هـ).

٧- "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي (ت ١٣١٩هـ/١٨٩٧م).

ـــ **ومن كتب الأدب:**

١- "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ﻫ/١١٤٧م). وهي موسوعة أدبية وتاريخية ضخمة، وقد وجدت فيها معلومات

مهمة عن شخصيات أندلسية بارزة في عصر الطوائف وقد أفدت من هذه المعلومات في مبحث الأحوال السياسية.

٢- "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م). استفدت منه في تاريخ الأندلس ووصفها، مع ذكر العلماء الذين وردوا إليها، وعلمائها الراحلين عنها واستقرارهم في جميع البلاد الإسلامية، حيث ترجم لهم، وسجَّل أخبارهم، وأورد أبياتاً من أشعارهم، كما أفادني في ذكر لسان الدين ابن الخطيب الذي تولى مناصب إدارية مهمة في الأندلس وفاس، كما كان له دور في توثيق العلاقات بينهما.

ــ كتب الجغرافيا والرحلات:

- كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، لأبي عبد الله محمد بن محمد الحمودي المعروف بالشريف الإدريسي (ت ٥٦٤هـ /١١٦٠م). يحتوي الكتاب على مادة جيدة عن الموقع الجغرافي للأندلس، وعن مدينة فاس، وما تمتاز به من طبيعة جغرافية.

ثانياً: أهم المراجع العربية والمعربة:

١- "النبوغ المغربي في الأدب العربي" لعبد الله كنون:

ويقع في ثلاثة أجزاء، يتناول النهوض الفكري في المغرب في خلال فترات الحكم الإسلامي لها وعن تقدم العلوم فيها. وأفاد البحث في ذكر أهم الأسباب التي ساعدت على التقدم العلمي في المغرب، والذي أدى بدوره إلى استقطاب العلماء لبلادهم، وتناول في بحثه ذكر بعض العلماء الأندلسيين الذين حلوا بمدينة فاس.

٢- "جامع القرويين" لعبد الهادي التازي. وتحدث فيه المؤلف عن تاريخ جامع القرويين في فاس، وعن مكانته العلمية طوال العصور الإسلامية وحتى العصور الحديثة. كما تحدث عن أهم الكراسي العلمية الموجودة فيه، وعن تولي العلماء دراسة العلوم المختلفة في جامع القرويين، ومنهم العلماء الأندلسيون.

٣- "مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين ٤٤٨ -٦٦٨هـ/ ١٠٥٦-١٢٦٩م" لجمال أحمد طه. وتحدث فيه عن مكانة مدينة فاس، وعن ازدهارها في عصر المرابطين والموحدين، من النواحي السياسية والاقتصادية والعلمية.

٤- "تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني" لمحمد عيسى الحريري. ويتناول فيه المؤلف الحديث عن العلاقات السياسية بين الأندلس والمغرب، وظهور دور مدينة فاس لكونها العاصمة الإدارية والروحية للمغرب، بالإضافة إلى العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية بين الأندلس وفاس.

٥- "فاس في عصر بني مرين" لروجيه لوترنو:

وقد استفدت منه الكثير من المعلومات عن فاس في هذا العصر ولاسيما النواحي السياسية، واهتمام السلاطين بالعلماء وغير ذلك.

٦- "الحضارة العربية في أسبانيا" لليفي بروفنسال:

وقد استفدت منه الكثير من المعلومات عن الأندلس ولاسيما المعلومات الحضارية.

خطة البحث:

كتبت هذا الموضوع تحت عنوان:

العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة(٢٠١-٨٩٧هـ/٨١٧-١٤٩٢م).

وتشمل الخطة:

المقدمة:

وتشتمل على:

- أهمية الموضوع.
- أسباب اختيار الموضوع.
- عرض لأهم المصادر والمراجع.

التمهيد:

العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس قبيل مدة الدراسة.

الفصل الأول:

سبل التبادل العلمي بين الأندلس ومدينة فاس والعوامل المؤثرة فيه

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول**: سبل التبادل العلمي بين الأندلس ومدينة فاس
- الرحلة في طلب العلم.
- الهجرة والانتقال.
- السفارات.
- التجارة.

- **المبحث الثاني**: العوامل المؤثرة في التبادل العلمي بين الأندلس ومدينة فاس
- العوامل السياسية.
- العوامل الاقتصادية.
- المظاهر الجغرافية.
- العوامل الاجتماعية.

الفصل الثاني: مظاهر العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس
- أعلام أندلسيون في مدينة فاس.
- أعلام فاسيون في الأندلس.
- القضايا العلمية المتبادلة بين الأندلس وفاس.
- تبادل الإجازات العلمية.
- تداول الكتب العلمية والبعثات الدراسية بين الأندلس وفاس.
- العلاقات بين المراكز العلمية في الأندلس وفاس.

الفصل الثالث: أهم التأثيرات العلمية المتبادلة بين الأندلس وفاس
- العلوم الدينية (التفسير،الفقه،الحديث،علم القراءات.....).
- اللغة والنحو والأدب.
- العلوم البحتة (الرياضيات،الطب،الكيمياء،الفلك...).
- التاريخ والتراجم والجغرافيا.

الخاتمة: تتناول أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة لهذا البحث.

الملاحق.

- **الفهارس.**
- **قائمة المصادر والمراجع.**
- **فهرس الموضوعات.**

وبعدُ:

فهذا جهد علمي متواضع، في موضوعٍ فيه قدرٌ من الصعوبةِ، وقد عانيت في بداية البحث من الغموض الشديد الذي أحاط بي، ثُمَّ ما لبث أَنْ تَبدَّدَ شيئاً فشيئاً، بفضل الله سبحانه وتعالى، ثُمَّ بتوجيهاتِ المُشرِفَة على هذا البحث ــ وفقها الله ــ.

وأولاً وآخراً فإنِّي أشكرُ اللهَ سبحانه وتعالى الذي أَعانَ ووفَّقَ؛ لإتمامِ هذا البحث على هذا الوجه، وأسأله تعالى أنْ ينفعَ بِه، وأَن يَجزي كُلَّ مَنْ أسدى إليَّ عَوناً لإنجازهِ خَيْرَ الجزاء في الدنيا والآخرة.

وأخص بالشكر والتقدير والدعاء الأستاذة الكريمة المشرفة على هذه الأطروحة وهي **الأستاذ الدكتور وفاء بنت عبد الله المزروع** عميدة الدراسات الجامعية للطالبات بجامعة أم القرى، والتي لم تبخل عليَّ بأَيٍّ توجيهٍ وتعليمٍ وتقويمٍ طيلةَ إعدادي لهذا البحثِ، وأسأل الله أن يجعلَ ما قَدَّمته لي في موازين حسناتها، وأن يكتب لها أجزل الأجر والثواب.

كما أشكر أصحاب الفضيلة الذين تفضلوا بقبول قراءة هذا البحث وتقويمِه، الأستاذ الدكتور/علي بن محمد بن سعيد الزهراني، والأستاذ الدكتور/ لمياء بنت أحمد الشافعي، سائلةً الله تعالى أن يكتب لهم الأجر والثواب على حسن صنيعهم.

وأختم بالشكر كلاً من الأستاذة/ فوزية بنت فازع اللحياني، والأستاذة **أحلام بنت مجيول المطرفي** فكل واحدة منهما كانت لي خير أخت ومعين طيلة إعداد هذه الرسالة بدعمها المتواصل، وتشجيعها المستمر، فشكر الله لها، وجزاها عني خيراً.

والله أسأل أن يجعله عملاً متقبلاً، وأن يجزي كل من أسهم فيه ولو بدعوة مباركة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والله أسأل أن يجعله عملاً متقبلاً، وأن يجزي كل من ساهم فيه ولو بدعوة مباركة.

وأذكر هنا بلسان التقصير والخضوع ما قاله الشاعر:

يا من غدا ناظــراً فيما جمعــت   ومن أضـــحى فيما قــلته النظرا
ناشـــدتك الله إن عاينت لي خطأ   فاستر عليَّ فخير الناس من سترا

وإن كنت أرى نفسي مقصرة لكن حسبي أني حاولت وجاهدت، وعزائي فيمــا قاله بعض الحكماء:

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج   مؤملاً كشــف ما لاقيت من عوج
فإن لحقت بهم من بعدما ســبقوا   فــكم لرب الورى في ذاك من فرج
وإن بقيت بظهر الأرض منقطــعا   فمــا على عرج في ذاك من حرج.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلي الله على نبينا محمد وعلــى آلــه وصحبه وسلم.

إيمان بنت دخيل الله العصيمي

مكة المكرمة جمادى الأول ١٤٣٠هـ

التمهيد

العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس قبيل مدة الدراسة

العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس قبيل مدة الدراسة

* قيام دولة الأدارسة وتأسيس فاس:

ظلت الخلافة العباسية منذ قيامها في الشرق عام (١٣٢هـ/٧٤٩م) في صراع مع العلويين، وأخمدت الخلافة العباسية العديد من حركاتهم وثوراتهم، ومن هذه الثورات: **ثورة الحسين بن علي** بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[١]، الذي خرج بمكة عام (١٦٩هـ/٧٨٥م)، فأرسل له الخليفة العباسي الهادي (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م) [٢]، جيشاً يقاتله في مكان يسمى بـ(فَخّ)[٣]، وقتله، ومن معه من العلويين، ونجا من القتل خاله إدريس الذي فرَّ إلى بلاد المغرب، حيث نزل بمدينة (وَليلي)[٤] والتقى بإسحاق بن محمد بن عبد الله الأوربي زعيم قبيلة (أَوْرَبة)[٥] فبايعه هو وقبيلته المجاورة.

---

(١) هو: **الحسين بن علي بن حسن** بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمه زينب بنت عبد الله بن حسن بن حسن بن علي، كان والده كثير العبادة، فنشأ الحسين أحسن نشءٍ له فضلٌ في نفسه، وصلاحٌ وسخاءٌ وشجاعةٌ، ولما ولي الهادي، أمر على المدينة رجلاً أساء إلى الطالبيين، فخرج الحسين سنة (١٦٩هـ/٧٨٥م)، وخطب الناس وبايعه أكثر حاج العجم، واستجابوا له، وتوجه إلى مكة، فتلقته الجيوش بفخ. الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك. الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار النشر فرانز شتايز بفسبادن، ط٢، ١٣٩٤هـ، ج٤، ص٢٧٢.

(٢) **الهادي**: موسى بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور، أبو محمد: من خلفاء الدولة العباسية ببغداد، ولد بالري، وولي بعد وفاة أبيه ومات عام (١٧٠هـ /٧٨٦م)، ومدة خلافته سنة وثلاثة أشهر، وكان طويلا جسيما أبيض، شجاعا جوادا، له معرفة بالأدب. انظر ترجمته في: ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزلي (ت ٦٣٠ هـ). الكامل في التاريخ، مراجعة أصوله والتعليق عليه: نخبه من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ج٦، ص٢٩ - ٣٦.

(٣) **فَخّ**: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وهو وادي بمكة، ياقوت الحموي: أبو عبد الله. معجم البلدان، دار الفكر - بيروت، ج٤، ص٢٣٧.

(٤) **وَليلي**: مدينة رومية قديمة، بطرف جبل زرهون بالمغرب الأقصى، وتسمى الآن تيسرة، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، ١٩٥٨م، ص ١٩٤؛ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٦، ص١٤٧.

(٥) **أَوْرَبة**: بالفتح ثم السكون وفتح الراء والباء الموحدة: قبيلة من البربر البرانس، منازلهم قرب فاس، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٧٨، ابن خلدون: العبر، ج٦، ص١٤٦ ـــ ١٤٧.

وبذلك نجح إدريس في تأسيس دولته التي عرفت باسم (دولة الأدارسة) عام (١٧٢هـ/ ٧٨٨م) [١].

وقد أثارت هذه الدولة حفيظة العباسيين، فأرسل **هارون الرشيد**[٢] رجلاً فتمكن من قتل إدريس بالسم، إلا أنه كانت له جارية حاملاً، فانتظر البربر أن وضعت مولودها، والذي سمي باسم أبيه (إدريس)، وما لبثوا أن بايعوه في عام (١٨٦هـ/ ٨٠٢م) [٣].

و لم تعد مدينة وليلي كافية في إيواء كل الناس الذين وفدوا على الإمام إدريس بن إدريس (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م)[٤] من الغرب وسائر الجهات، فقد وفد عليها خمسمائة فارس من إفريقية، ووفد من الأندلس (Andalucia) مئات الأسر من بني قيس، ومن الأزد، ومن الخزرج، و لم تمضِ خمس سنوات من البيعة حتى شعر بالحاجة إلى إنشاء مدينة جديدة لسكناه ، وسكنى خاصته، ووجوه دولته[٥]، لذا شرع في بناء مدينة جديدة وهي مدينة (فاس)، وذلك في عام (١٩٢هـ /٨٠٧م).

---

(١) ابن عذاري: أبو عبد الله محمد المراكشي (من كتاب القرن ٧هـ). البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ومراجعة: ج.س كولان وَ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت،١٩٧٦م، و١٩٨٥م، ج١، ص٢٩٨.

(٢) **هارون الرشيد** هو: هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم، ولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي (سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م) فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه، وكانت مدة خلافته ثلاثة وعشرين سنة، وتوفي في سنة(١٩٣هـ/٨٠٩م)، انظر: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج١٠، ص ٢١٣.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٢٩٨ ــ ٢٩٩؛ ابن ابي زرع : علي الفاسي. الأنيس المُطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م، والدار البيضاء، ط.٢، ١٩٩٩م، ص٢٨ ــ ٢٩؛ الجزنائي: أبو الحسن علي (كان حياً سنة ٧٦٦هـ). زهرة الآس في بناء مدينة فاس، نشره ألفرد بل، مطبعة جوردان، الجزائر، ١٩٢٢م. ص١٠ــ ١١.

(٤) هو **إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن**، أبو القاسم: ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى، وباني مدينة فاس، كان جواداً فصيحاً حازماً، أحبته رعيته، واستمال أهل تونس وطرابلس الغرب والأندلس إليه، وصفا له ملك المغرب وضرب السكة باسمه وتوفي بفاس. انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٥ ــ ٥١.

(٥) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٣٥؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص١٨.

حيث أرسل وزيره مصعب بن عمير الأزدي الملقب بالمجلوم(١)، ليختار له موقعاً يبني عليه مدينته، فاختار ذاك الموقع الذي تكثر فيه العيون التي ينساب منها نهر فاس، وأبلغ الإمام إدريس بهذا الاختيار، فراسل إدريس مالكي الأرض من قبيلة زواغة(٢)، وبني يزغتن(٣)، واشترى منهم موضع المدينة بستة آلاف درهم، ودفع لهم الثمن، وأشهد عليهم بذلك، وشرع في بناء المدينة(٤).

واختلف الناس في سبب تسمية المدينة بــ(فاس):

فقيل: إن (إدريس) لما شرع في بنائها؛ كان يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة والبنائين تواضعاً منه لله تعالى، ورجاء الأجر والثواب، فصنع له بعض خدمه فأساً من الذهب والفضة، فكان إدريس يمسكه بيديه ويبتدئ به الحفر، ويخطط به الاساسات للفعلة، فكثر عند ذلك ذكر الفأس على ألسنتهم طوال مدة البناء، فسميت المدينة بــ(فاس).

وقيل: إنهم سألوا الإمام إدريس فقال: سموها باسم أول رجل يطلع عليكم، فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه، وكان اسمه فارساً، إلا وبسبب لثغة في لسانه، أسقط الراء، فأصبحت (فاساً) (٥).

وقيل: سميت نسبة إلى مدينة قديمة كانت في موضعها، وكانت قد خربت قبل الإسلام بألف وسبعمائة سنة، وكان تسمى بــ(ساف)، فقال إدريس: اقلبوا اسمها وسموها، فأصبحت فاساً(٦).

---

(١) مصعب بن عمير ابن الأمير مصعب بن خالد بن هرثمة، كان لوالده مآثر في قتال الروم، وكان من سادة العرب، وسمي المجلوم من ضربه في حروبه، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٢٩.

(٢) **زواغة:** قبيلة من البربر، وينقسمون إلى ثلاثة بطون هم: بنو دُمر، وبنو واطيل، وبنهو ماجر، وينتشرون في بلاد المغرب، الأنيس المطرب: ص٣٨، هامش المحقق.

(٣) **بنو يزغتن:** قبيلة زناتية، الأنيس المطرب: ص٣٨، هامش المحقق.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٣٧-٣٨.

(٥) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٥٣ ــ ٥٤.

(٦) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٥٤؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص ١٨.

وعندما فرغ إدريس من بناء المدينة؛ بنى السور حولها، ثم أنزل القبائل بها، كل قبيلة بضاحية، فنزل العرب من باب إفريقية إلى باب الحديد من عُدوة القرويين، ونزل الأزد على مدهم، ونزل اليحصبيون على حد القيسية من الجهة الأخرى، ونزلت صنهاجة ولواتة ومصمودة كل قبيلة بناحيتها(١). وكانت هجرة القيروانيين(٢) إلى فاس في سنة (١٩٣هـ/٨٠٨م) ونزلوا في عدوة(٣) القرويين، وأمَّا الأندلسيون فقد وفدوا على فاس بداية من سنة (١٩٢هـ/٨٠٧م)، بعد فرارهم من الحكم بن هشام (ت٢٠٦هـ/٨٢١م)(٤)، خوفاً

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٥٤ ـــ ٥٥.

(٢) يرجع سبب هجرة أهل القيروان إلى اضطرابات كانت في آخر القرن الثاني في عهد إبراهيم بن الأغلب، فكانت فتنة حمديس سنة ١٨٦هـــ/٨٠٢م، ثم تلتها فتنة إدريس بن إدريس العلوي، ثم فتنة عمران بن مخلد، ولما ظهر عليه إبراهيم قلع أبواب القيروان وهدم سورها، وأمن الناس، فبقي كذلك إلى أن توفي إبراهيم في شوال سنة (١٩٦هـــ/٨١١م). انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعة تحقيق وعناية عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـــ/ ١٩٩٧م، ج٥، ص٣١٨، ٣١٩.

ومن الجدير بالذكر أن آل زيري لما ملكوها، بعد رحيل بني عبيد عنها، كان آخرهم الذي أخرجه العرب عنها تميم بن المعز بن باديس بن زيري (٥٠١هـــ/١١٠٧م)، فانتهبتها الأعراب وخربتها فصارت العمارة فيها قليلة يسكنها الفلاحون وأرباب البادية، بعد أن كانت دار العلم بالمغرب إليها ينسب أكابر علمائه وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم، فلما استولى عليها الخراب تفرق أهلها في كل وجه فمنهم من قصد بلاد مصر ومنهم من قصد صقلية والأندلس، وقصدت منهم طائفة عظيمة أقصى المغرب فنزلوا مدينة فاس فعقبهم بها إلى اليوم. المراكشي: عبد الواحد. المُعجِب في تلخيص أخبار المَغرب، القاهرة، ١٩٤٩م، ج ١، ص ١٠٤.

(٣) **العُدْوة**: المكان المرتفع، وشاطئ الوادي وجانبه، وفي التنزيل العزيز {إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى} [سورة الأنفال: آية ٤٢]، والجمع: عُدَى. الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـــ، ص١١٢٦.

ويطلق على الأندلس والمغرب بـــ(العدوتين)، **والعدوة** هنا كما ذكر العبادي يقصد بها الجانب أو الشاطئ حول مضيق جبل طارق، الذي يبلغ طوله حوالي ٨٠ ك.م، وعرضه حوالي ١٥ ك.م، وذلك للتقارب الجغرافي بين البلدين إذ الفاصل الوحيد الذي بينهما هو البحر المتوسط، أحمد مختار العبادي. دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،١٩٩٧م، ص٢١.

(٤) هو **الحكم بن هشام** بن **عبد الرحمن** بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، (ت٢٠٦هـــ/ ٨٢١م)، ولقب الحكم بالربضي لإيقاعه بأهل الربض الوقعة المشهورة فقتلهم وهدم ديارهم ومساجدهم وكان **الربض**: محلة متصلة بقصره فاتهمهم في بعض أمره ففعل بهم ذلك فسمى الحكم الربضي لذلك. المراكشي: المعجب، ج ١، ص ٥.

منهم خاصة بعد ثورتهم التي قاموا بها في قرطبة (Cordova) ضد الحكم وسميت بـ"**ثورة الربض**"[1]، لذلك كتب الحكم عليهم كتاباً يُؤَمِّنهم فيه على أنفسهم، وأباح لهم التفسُّح في البلدان حيثما أحبوا من أقطار مملكته ماعدا قرطبة[2] وما قرب منها وذلك خوفاً من ثورتهم مرة أخرى، وأنذر من أراد الخروج من أهالي قرطبة بمغادرتها إذا أرادوا البقاء على حياتهم، وأمهلهم ثلاثة أيام[3]. فمنهم من عبر إلى المغرب، ومنهم من أجاز البحر واتجهوا نحو المشرق حيث نزلوا في "الإسكندرية"[4]، ثم أرسل إليهم الخليفة العباسي المأمون (ت٢١٨هـ/٨٣٣م) والي مصر عبد الله بن طاهر (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)[5] فأجازهم

---

(١) **الربض**: هو ربض شقندة على الضفة الأخرى من الوادي الكبير في قرطبة، ابن الأبَّار: الحلة السيراء، ص٤٤. **وثورة** (أو معركة) **الربض**، كانت في عام (١٩٢هـ/٨٠٧م)، والأكثر أنها كانت في عام (٢٠٢هـ/٨١٨م)، وقد أرجعها كثير من المؤرخين إلى سوء سيرة الحكم، وأنه لم تكن له صلة بالفقهاء كصلتهم بأبيه هشام الرضا (ت١٨١هـ/٧٩٧م)، ولمعرفة المزيد عنها انظر: النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ). نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م، ج ٦، ٣٦٤، ٣٧٥٠؛ ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ). تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، بيروت، دار نشر الجماعيين، ١٩٥٧م، ص٦٨ـ ٦٩؛ المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (١٠٤١م). نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب مع ذكر وزيره لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م،ج١،ص ٣١٨؛ أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٦م، ج٤، ص٩٥-٩٦.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١،ص٣٣٩؛ ابن الأبّار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٥٩٥-٦٥٨هـ): الحُلّة السيراء ،تحقيق: عبد الله أنيس الطبّاع، دار النشر جامعيين، بيروت، ١٣٨١هـ /١٩٦٢م، ص٤٥.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١،ص٣٣٩ـ ٣٤٠.

(٤) **الإسكندرية**: هي المدينة المشهورة بمصر، على ساحل البحر المتوسط. انظر: القزويني، زكريا بن محمد محمود (ت ٦٨٢هـ). آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، ص١٤٣- ١٤٦.

(٥) **عبدالله بن طاهر (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)**: ولاه الخليفة المأمون مصر سنة (٢١١هـ/٨٢٦م)، وقد خرج في جيوشه لمحاصرة الأندلسيين في الإسكندرية ثم أجلاهم إلى جزيرة "أقريطش" . انظر: الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف.الولاة والقضاة، تصحيح رسن كفت، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٨٠-١٨١؛ ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م ، ج١، ص١٩٢.

إلى جزيرة "أقريطش"[١] التابعة للدولة البيزنطية حيث أقاموا فيها إلى أن غزاها الروم سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م، وملكتها بعد حصار طويل[٢].

فأمَّا من وفد إلى المغرب فمنهم من استقر في مدينة فاس، وكان ذلك سنة (١٩٢هـ/٨٠٧م) [٣]. وقد بلغ عدد الأسر الأندلسية التي هاجرت إلى فاس عام (١٨٩هــ/٨٠٥م) ثمانية آلاف بيت[٤]، وقيل أربعة آلاف[٥]، وقيل بل ثمانمائة، ولعله هذا أقرب للصواب[٦]، وأطلق عليها (عدوة الأندلسيين) نسبةً إليهم. وقد اهتُم ببناء مدينة فاس، فقد وصفها ابن حوقل بأنَّها كانت: (مفروشة بالحجارة)[٧]، ويريد بذلك شوارعها على العادة الأندلسية، والتي لم تكن معروفة في باقي العالم الإسلامي.

---

(١) **أقريطش**: هي جزيرة كريت، جزيرة في البحر المتوسط، كثيرة الخصب، وبها مدن عامرة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ص ٣٣٥ .

(٢) الحميري: محمد بن عبدالمنعم السبتي(ت٩٠٠هــ) . الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٧٥م، ط١٩٨٤،٢م، ص٥١؛ الإدريسي :الشريف أبو عبد الله محمد السبتي (ت حوالي ٥٦٤هــ). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت عالم الكتب، ط١، ١٤٠٩هــ، ص ١٩٣.

(٣) سامية مصطفى محمد مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد الخلافة الأموية، (٣١٧ــ ٣٩٩هــ / ٩١٨ــ ١٠٠٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، ١٤٠٠هــ / ١٩٨٠م، ص ١١٨؛ عبد العزيز سالم: المغرب الكبير العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٢هــ/٢٠٠٢م، ص ٤٩١؛ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٢٤.

(٤) ابن ابي زرع : الأنيس المُطرب، ص٤٧.

(٥) ابن أبي زرع: الأنيس المُطرب، ص ٢٥؛ رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي، المصرية العامة للكتاب، ١٩٣٢م، ج ١، ص ٣٠١.

(٦) بلغ عدد الأسر الإفريقية التي جاءت من القيروان عام (١٩٨هــ /٨١٣م) ثلاثمائة، فإذا نظرنا إلى التوازن الديموغرافي بين العدوتين.فربما كان عدد الربضيين يتراوح بين أربعمائة وثمانمائة اعتباراً للغلط المحتمل الناتج عن إضافة صفر للعدد. عبد العزيز بن عبد الله: وحدة الفكر العربي من الخليج إلى المحيط .. فصحى العاميات مظهر لهذه الوحدة، مجلة التاريخ العربي، العدد، ص .

(٧) ابن حوقل: أبو القاسم النصيبي (ت ٣٨٠هــ). صورة الأرض، القسم الأول، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٣٨م، ص ٨٩؛ سامية مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد الخلافة الأموية، ص ٢٠٩.

وقد حصل اضطراب في فاس في القرن الثالث الهجري عندما ثار عبد الرزاق الفهري الصفري الخارجي على الأمير علي بن عمر بن إدريس (ت٢٧٢هـ/ ٨٨٣م)[(١)]، وقام ببناء قلعة باسم بلده الأصلي وشقة (Huesca) وانتصر على الأمير الإدريسي، وأراد إخضاع عدوة القرويين التي امتنعت من الخضوع له[(٢)]، واستطاع الأدارسة بعد ذلك الانتصار على الثائر الأندلسي، وتولية عدوة الأندلسيين بفاس ربضياً من بلدة شذونة (Sidona)، فأصبح في فاس نوع من التوازن والهدوء[(٣)].

ويحدثنا التاريخ عن الاضطرابات في فاس في القرن ٤هـ/١٠م فقد وصفها ابن حوقل بقوله: (وهي جانبان يليها أميران مختلفان، وبين أهل الجانبين الفتنة الدائمة والقتل الذريع المتصل)[(٤)].

واستمر التنافس بين العدوتين حتى عهد المرابطين، في ٥هـ/١١م فقد ذكر في البيان المغرب أنَّه في نهاية عهد آل زيري قام بمدينة فاس أميران بالعدوتين، وكانت الحرب تدور بينهما، وجرت بين ذلك أمور وخطوب[(٥)].

ثم لما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس، صلح أمرها؛ فإنَّه قد أمر بهدم الأسوار التي كانت فاصلة بين المدينتين، عدوة القرويين وعدوة الأندلس، وصيرهما مصراً واحداً، وحصَّنها، وأمر ببناء الحمامات والفنادق والأرحاء، وأصلح بناءها، ورتب أسواقها[(٦)].

---

(١) **علي بن عمر بن إدريس (ت: ٢٧٢هـ/٨٨٣م)**: أخمد ثورة ابن أبي سهل على يحيى الثاني بن علي، وكان والياً على بلاد الريف، وثار عليه عبد الرزاق الفهري أحد زعماء الخوارج الصفرية، ففر إلى أوروبا، فبايع أهل فاس ابن أخيه يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس.انظر: ابن أبي زرع : الأنيس المُطرب، ص٧٨، ٧٩؛ الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ). تاريخ الإسلام، حيدر آباد، دار المعارف النظامية، ط١، ١٣٣٧هـ، ج٦، ص٥٥.

(٢) ابن أبي زرع : الأنيس المُطرب، ص٨٧-٨٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٩١.

(٣) الحميدي: أبو عبد الله محمد بن أبي النصر الأذدي (ت ٤٨٨هـ). جذوة المتقتبس في ذكر ولاة الأندلس، نشر: الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٣٧١هـ، ص٣٣٦.

(٤) ابن حوقل:صورة الأرض، ص ٨٩؛ سامية مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد الخلافة الأموية، ص٢٠٩.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١١٠.

(٦) عبد الله سالم نجيب : تاريخ المساجد الشهيرة، ج ١، ص ١٠٥.

وقد ابتنى المسلمون المساجد بفاس، فصارت منارات للعلم، ومن أشهر مساجدها: جامع القرويين، وبناه إدريس الثاني عندما تحول إلى فاس عام (١٩٢هـ/٨٠٧م)، وكان جامع القرويين في نشأته صغيراً بسيطاً أطلق عليه أولاً اسم جامع الشرفاء، وكان موقعه في عدوة القرويين، في مقابل جامع الأشياخ الموجود في عدوة الأندلسيين من مدينة فاس، ثم زاد عدد المساجد فيها جداً، ولاسيما في عهد المرابطين، ولاسيما في عهد يوسف بن تاشفين، الذي أمر ببناء المساجد في شوارعها وأزقتها، وأي زقاق لم يجد فيه مسجداً عاقب أهله [(١)].

وبهذا ندرك أنَّ مدينة فاس منذ نشأتها كانت موئلاً للعلم والعلماء، وقد استجاب الله تعالى دعاء مؤسسها الأمير إدريس الثاني حيث دعا عندما شرع في بنائها بقوله: (اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها) [(٢)].

ثم غدت مدينة فاس منذ نشأتها مركزاً علمياً عظيماً، زاوج بين ثقافة القيروان التي حملها القيراونيون الذين وفدوا على المولى إدريس الأول من عام (١٧٢هـ ــ ١٧٧هـ/٧٨٨م ــ ٧٩٣م)، وعمروا العدوة القروية المنسوبة إليهم والتي عرفت بعدوة القروين، وبين الثقافة الأندلسية التي حملها إليهم الفقهاء والعلماء الذين طردهم الحكم الربضي من قرطبة، فلجأوا إلى فاس حيث عمروا العدوة (المنسوبة إليهم والتي عرفت بعدوة الأندلسيين) [(٣)].

وإن شئت اختصاراً، فقد جمعت علم القيروان وقرطبة، بل وكان لذلك تأثيره على العالم، فقد أشار بعض الباحثين إلى أن كثيراً ممن رحلوا إلى المشرق كانوا من مدينة فاس [(٤)]، مما يؤكد دورها العلمي مذ نشأتها.

---

(١) عبد الله سالم نجيب : تاريخ المساجد الشهيرة، ج ١، ص ١٠٥.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المُطرب، ص ٤٨.

(٣) سامية مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد الخلافة الأموية، ص ٢٠٩؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٢٤.

(٤) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧٢م، ص ٤٤٦؛ الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج١، ص ١٩٥.

الدول التي تعاقبت على المغرب العربي فترة البحث:

تعاقبت على حكم المغرب العربي عدة دول في فترة البحث (٢٠١هـ - ٨٩٧هـ) /(٨١٧م ــ ١٤٩٢م)، ولما كانت العلاقات العلمية تتأثر بالحياة السياسية، لذا أحببت أن أشير ــ بصورة عامة ــ إلى أهم الدول التي تعاقبت على حكم المغرب العربي، وحكم الأندلس، وذلك قبل الدخول في البحث، مما يعطي تصوراً واضحاً للبيئة السياسية التي نمت فيها العلاقات العلمية بين فاس والأندلس[1].

*** دولة الأدارسة:**

حكمت دولة الأدارسة المغرب نحو قرن ونصف من الزمان، (١٧٢هـ ــ ٣١٢هـ/ ٧٨٨ــ ٩٢٤م) تعاقب عليها عشرة من الأمراء بداية من مؤسس الدولة: إدريس بن عبد الله (١٧٢هـ ــ ١٧٧هـ/٧٨٨ــ ٧٩٣م) وحتى الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس الثاني بن إدريس بن عبد الله (٣١٠هـ ــ ٣١٢هـ/٩٢٢ ــ ٩٢٤م)، ثم استولى على دولة الأدارسة موسى بن أبي العافية، ودعا إلى الفاطميين، ثم إلى أمويي الأندلس، إلى أن دخلت المغرب في عام (٣٧٥هـ/٩٨٥م) تحت الدولة العبيدية.[2]

*** دولة العبيديين وإمارة مغراوة:**

حكمت دولة العبيديين المغرب على أنقاض دولة الأدارسة، واستمر حكمهم حتى ظهور دولة المرابطين عام (٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، وتخللتها الإمارة المغراوية، حيث ثبتت زناتة على دعوة الأمويين بالأندلس، وقادها زيري بن عطية المغراوي، والذي توفي عام (٣٩١هـ/١٠٠٠م)، واستمرت الإمارة حتى دخل المرابطون مدينة فاس عام (٤٦١هـ/١٠٦٨م)[3].

---

(١) وسيأتي دراسة تفصيل تأثير الحياة السياسية على العلاقات بالتفصيل في المبحث الثاني من الفصل الأول.

(٢) ابن أبي ذرع: الأنيس المطرب، ص ١ــ ٩٥؛ محمود محمد شاكر: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٤، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج٦، ص ١٢٢.

(٣) ابن أبي ذرع: الأنيس المطرب، ١٠١ــ ١١٩؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج٦، ص ٢٣٤.

* دولة المرابطين:

دولة المرابطين من الدول المجاهدة في المغرب العربي، وقد انطلقوا من الرباط الذي أسسه عبد الله بن ياسين، بعد أن بلغوا ألفاً، وزاد عددهم من قبائل لمتونة، وجدالة، وصنهاجة، ومسوفة، وقادهم يحيى بن عمر اللمتوني في تحرير سجلماسة، وتولى بعد استشهاده أخوه أبو بكر بن عمر اللمتوني، وعلى مقدمة جيشه: يوسف بن تاشفين، ودخلوا مدينة أغمات في سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، وتنازل أبو بكر لابن عمه يوسف عن إمارة المرابطين، فتمكن يوسف من دخول فاس في عام (٤٦١هـ/١٠٦٨م)، والقضاء على دولة مغراوة[(١)].

واستمر حكم المرابطين حتى أزالتهم دولة الموحدين، بالانتصار على آخرهم إسحق بن علي أخو تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين، [(٢)]

* دولة الموحدين:

امتدت دولة الموحدين في حكم المغرب العربي ما يزيد على قرن ونصف من الزمان، (٥١٥هـ ــ ٦٦٧/١١٢١ ــ ١٢٦٩م)، تعاقب عليها اثنا عشر أميراً بدءاً من عبد المؤمن بن علي، والذي استقر أمره على البلاد عام (٥٢٤هـ/١١٢٩م)، واستطاع أن يقضي على دولة المرابطين في (٥٤١هـ/١١٤٧م)، واستمرت الدولة حتى بعيد مقتل أبي العلاء إدريس الواثق بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن، عام (٦٦٧هـ/١٢٦٨م) [(٣)].

* بنو مرين وبنو وطاس:

بنو مرين من قبائل زناتة، كانوا يرتحلون في الصحراء، ثم انتقلوا إلى المغرب الأقصى، وأسسوا حصن (تازوطا) ببلاد الريف إبان ضعف الموحدين، وبدأت المعارك مع الموحدين، وبدأت تظهر قوة بني مرين مع تولي أمرهم عبد الحق بن أبي خالد محيو، والذي انتصر على الموحدين في معركة بوادي (سبو) عام (٦١٤هـ/١٢١٧م)، وقتل في نهايتها، وتوالت أمراء بني مرين على توسيع رقعة الدولة حتى دان لهم أكثر المغرب، وعلا شأنهم في عهد يعقوب بن عبدالحق

---

(١) ابن أبي ذرع: الأنيس المطرب، ١٢٢ـــ ١٦٦؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج٦، ص ٢٣٨.

(٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج٦، ص٢٩٢.

(٣) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج٦، ص ٣٢٩.

(٦٥٦هـ ـــ ٦٨٥هـ/١٢٢٠ ـــ ١٢٨٦م)، الأمير السادس للإمارة حيث دخل مراكش عام (٦٦٧هـ/١٢٦٨م)، وقضى على إدريس بن محمد آخر أمراء الموحدين، ثم قضى على دولة الموحدين نهائياً عام (٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، وعندها قطع الخطبة للحفصيين أمراء تونس، وكانت دعوة بني مرين للحفصيين أول الأمر(١)، واستمر حكم بنو مرين إلى سنة (٨٦٩هـ/١٤٦٤م) حيث انتهت دولتهم بمقتل الأمير الرابع والعشرين: عبد الحق بن عثمان بن أحمد المستنصر (٨٢٣هـ ـــ ٨٦٩هـ/١٤٢٠ ـــ ١٤٨٤م)، وكان عبد الحق قد استوزر يحيى بن زيان الوطاسي، ثم خاف على ملكه من قوة آل وطاس، فقتلهم في (٨٦٦هـ/١٤٦١م)، ونجا منهم محمد بن يحيى بن زيان الوطاسي، واستطاع أن يخلع نقيب الأشراف الذي تم تنصيبه بعد مقتل عبد الحق، وتم له الأمر في (٨٧٥هـ/١٤٧٠م)، حيث أسس دولة بني وطاس، وطالت أيامه، حتى توفي عام (٩١٠هـ/١٥٠٤م)، وقد عاصر سقوط الأندلس، حيث انتقل سلطان غرناطة (Granada) أبو عبد الله بن الأحمر إلى فاس لاجئاً عنده(٢).

الدول التي تعاقبت على الأندلس فترة البحث:

فتحت الأندلس عام (٩٢هـ/٧١٠م)، على يد طارق بن زياد، ودخل مدينة قرطبة، وقتل لذريق حاكمها، ثم تولى حكمها عبد العزيز بن موسى بن نصير، والذي ضبط أمور الأندلس بعد أبيه، ورفع المظالم، وتزوج أرملة لذريق، ودعا النصارى للإسلام، ولما أدبرت أيامه، وشى به الجند لسليمان بن عبد الملك، وثاروا عليه، وقتلوه في عام (٩٧هـ/٧١٥م)(٣).

*** الأمويون بالأندلس:**

توالى الولاة على الأندلس بما سمي بعصر الولاة(٤).

---

(١) عندما قطع يعقوب الخطبة للحفصيين، أرسل له المستنصر الحفصي هدايا ثمينة لإعادة الخطبة له، فوافق على ذلك، وإن كانت ظاهرية، أو شكلية. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج٧، ص٢٧٥.

(٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج٧، ص ٢٧٣ ـــ ٢٨٤.

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣ ـــ ٥؛ المقري: نفح الطيب، ص ٢٢٩ ـــ ٢٨٢؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج٤، ص٢٢٤، ٢٣٦.

(٤) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٩؛ عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي منذ الفتح إلى السقوط دار القلم، دمشق، ط٥، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٢٠٧، ٢١٠.

وفي بدايات عهد الدولة العباسية، كثرت الفتن في الأندلس بين العرب والبربر، وبين القيسية واليمانية، وبين الشاميين والحجازيين، وكأنه كان توطئة لقيام الدولة الأموية بها، فإنه لما أراد أن يدخلها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، أرسل مولاه بدراً ليمهد له الأمور، فتمالأ مع اليمانية، فسارعوا لمبايعة عبد الرحمن عند دخوله في ربيع الآخر عام (١٣٨هـ/٧٥٥م) [١]، واستتب الأمر له في نهاية السنة، ليمتد حكم الأمويين بها إمارةً من (١٣٨هـ ـــ ٣٠٠هـ)/٧٥٦ ـــ ٩١٢م)، ثم خلافةً من (٣٠٠هـ ـــ ٤٠٧هـ/ ٩١٢ ـــ ١٠١٦م)[٢]، من عهد عبد الرحمن الثالث الناصر (٣٠٠هـ ـــ ٣٥٠هـ/٩١٢م ـــ ٩٦١م)، إلى عهد سليمان بن الحكم المستعين (٤٠٠هـ ـــ ٤٠٧هـ/١٠٠٩م ـــ ١٠١٦م) [٣].

*** عصر ملوك الطوائف:**

منذ سقوط الدولة الأموية، تقسَّم أمر الأندلس بين الطوائف، وكان من أشهرهم بنو جهور في قرطبة، والمعتمد بن عباد، حاكم إشبيلية (Sevilla) [٤]، وبدأ النصارى يهددون دولته، فاستغاث المعتمد بن عباد بالمرابطين، وتمكن يوسف من الانتصار على النصارى في موقعة (الزلاقة) عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، ثم في عدة معارك خاضها هو وولده علي من بعده، ومن ثَمَّ استعاد المرابطون عدداً من بلاد الأندلس التي وقعت بأيديهم[٥].

ولم تزل الحروب بين النصارى والمرابطين، وبسبب ضعف المرابطين آخر أمرهم، استولى النصارى على كثير من البلاد، في عام (٥٤٠هـ/١١٤٥م)[٦]، إلا أن الموحدين لما

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٣٦٢؛ المقري: نفح الطيب، ج، ص ٣٢٨.

(٢) الحجي: التاريخ الأندلسي، ص ٢١٥، ٢٩٨.

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٢١، ٢٢.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٤٣٨ـــ ٤٤٢.

(٥) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج٦، ص ٢٣٩، ٢٥٠؛ الحجي: التاريخ الأندلسي، ص ٣٢٣.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص ٤٦٢.

تحسن وضعهم في إفريقية عام (٥٥٢هـ/١١٥٧م) استعادوا بعض هذه البلاد،[(١)] ولاسيما في عهد يوسف بن عبد المؤمن (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م)، وابنه يعقوب (ت٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)، ولما ضعف أمرهم قام بنو مرين في شأن الأندلس، وكذلك ظهر بنو نصر الأحمر بغرناطة واستعادوا بعض البلاد من النصارى، وتولى من أمرائهم واحد وعشرون أميراً، كان آخرهم أبو عبد الله الصغير الذي سلم الأندلس للنصارى[(٢)]، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس قبيل مدة الدراسة:

لم أجد مادة كبيرة لوجود علاقات علمية قبل بداية القرن الثالث الهجري، وقد يعزى ذلك إلى عدة عوامل منها:

ـ لم تكن مدينة فاس مدينة قديمة البناء، إذا لم تكن موجودة إلا قبيل بداية القرن الثالث الهجري بقليل، فإنها من المدن المستحدثة، بناها إدريس بن إدريس لاستيعاب الوافدين.

ـ نزول الوافدين إلى فاس لم يكن إلا في سنتي ١٩٢ هـ، ١٩٣هـ، وهذه السنوات دون العقد ليست بمدة كافية لإبراز نوع من العلاقات مع العالم الخارجي.

ـ كون إحدى العدوتين كان من مهاجري الأندلس، وقد خرجوا فراراً، وهذه الحالة توجب نوعاً من الحذر قبل البدء في التفكير لمعاودة العلاقات بينهم وبين الدولة الأم.

ـ كون الأدارسة من المنافسين لملوك الطوائف بالأندلس، جعل الأمر يأخذ مادة الحيطة قبل بدء العلاقات مع وجود الحكم بن هشام على سدة الحكم بالأندلس.

ـ انصراف الوافدين لبناء بلدتهم الجديدة، وبعدهم نسبياً عن مخالطة الناس للحالة الشعورية عندهم.

مثل هذه العوامل أثرت في عدم ظهور علاقات قبيل فترة البحث، ولذا كان من المتوقع عدم وجود مادة كبيرة لذلك. والله أعلم.

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٤٤٢، ٤٤٤؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج٦، ص ٣٢٩.

(٢) محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، القاهرة، ١٣٨٦ﻫ/١٩٦٦م، ص ٢٥٤؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج٧، ص٣٢١.

الفصل الأول

سبل التبادل العلمي بين الأندلس ومدينة فاس والعوامل المؤثرة فيه

- المبحث الأول: سبل التبادل العلمي بين الأندلس ومدينة فاس
- المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في التبادل العلمي بين الأندلس ومدينة فاس

المبحث الأول

سبل التبادل العلمي بين الأندلس ومدينة فاس

- الرحلة في طلب العلم.
- الهجرة والانتقال.
- السفارات.
- التجارة.

الرحلة في طلب العلم.

الرحلة[1] مطلب من المطالب الشرعية إذا كانت لمقصد صحيح، وقد حض القرآن الكريم على الرحلة في غير ما آية، وأنواع الرحلة في القرآن الكريم تنوعت ما بين الرحلة إلى الحج: وهي رحلة فرض عين على كل مسلم مستطيع لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}[2]. وقد جاءت السنة النبوية بأنواع من الرحلة لا تختلف في مقاصدها عن الرحلة المأمور بها في كتاب الله فقد رحل النبي ﷺ للحج عام الوداع، ورحل الصحابة إلى النبي ﷺ في المدينة يطلبون العلم، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرتين، ورحل الصحابة في التجارة إلى بلاد الأرض، ورحلوا فاتحين مجاهدين في سبيل الله.

ولم تخرج أغراض الرحلة لدى العلماء الرحالة من فاس والأندلس عن الأغراض المشروعة في الكتاب والسنة، فقد رحلوا إلى الحج، ولطلب العلم حديثاً وفقهاً وقراءات وتفسيراً وغير ذلك، كما كان منهم تجار يبتغون من فضل الله، ورحل العديد منهم فراراً من الفتن ببلادهم، كما كانت الجيوش الفاتحة المجاهدة في سبيل الله تضم العلماء والقضاة والمفتين، وكذلك كانت لهم رحلات للعظة والاعتبار والسياحة الجغرافية[3].

---

(١) الرحلة لغة بمعنى الارتحال، وهو الانتقال من مكان إلى مكان لغرض ما، وهي مقارنة للسفر. لرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. مختار الصحاح. تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥ – ١٩٩٥، ص٢٦٧؛ الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري. المصباح المنير، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ب ت، ص١١٧؛ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر الطبعة. ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ص٤٤٦.

(٢) سورة: آل عمران، آية، ٩٧.

(٣) عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٤م، ص٤٠-٤٥؛ أحمد سعيد: أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، بيروت، دار الشرق الجديدة، ص٩٥؛ أمال رمضان عبد الحميد: الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، قرطبة للنشر، القاهرة، ١٤٢٢هـ، ص٣٥٩-٣٦٠.

وقد اتجه العلماء إلى الرحلة لطلب العلم كواجب وهدف لهم في هذه الحياة، فجعلوه شغلهم الشاغل، لا يكتفي في تحصيله بالشيخ والشيخين بل قد يتجاوز العدد ألف شيخ(١).

ومما هو جدير بالذكر أنَّ العالم المبتغي العلم يستثمر أي مرور له ببلد لينهل من علمائه، فربما كان غرضه من اجتياز المكان لتجارة أو سفارة أو غير ذلك، فيغتنم الفرصة في طلب العلم، فإنَّ هذا شأن العلماء دوماً، وقد قيل للإمام أحمد: رجل يطلب العلم، يلزم رجلاً عنده علم كثير، أو يرحل ؟ قال : يرحل يكتب عن علماء الأمصار، فيشام الناس ويتعلّم منهم، وفي بعض الآثار: «منهومان لا يشبعان : طالب علم و طالب دنيا»(٢).

فالرحلة في طلب العلم مفيدة.

وسبب ذلك أنَّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب تارة علماً وتعليماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها(٣).

والرحلة في طلب العلم لم تكن مقصورة على فئة معينة من العلماء وطلاب العلم، بل كان علماء القراءات يرحلون في طلب العلم، وكذلك أصحاب الفقه والحديث والأدب واللغة(٤).

---

(١) محمد محمود عبد الله بن بيه: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٣٠ ــ ٣١.

(٢) ابن عجيبة : أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الفاسي. البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢ م /١٤٢٣ هـ، ج٧، ص٢٨٠، والحديث أخرجه البزار من حديث ابن عباس، وابن عدي من حديث أنس مرفوعاً، وصححه الألباني كما في الجامع الصغير وزيادته، ط. المكتب الإسلامي برقم (٦٦٤٢).

(٣) القنوجي: أبو الطيب السيد صديق حسن. الحطة في ذكر الصحاح الستة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١، ص١٢؛ نهي عادل أحمد العدوي: التعليم في العصر المريني (٦٦٨ــ ٨٦٩هـ/ ١٣٦٩ ــ ١٤٦٥م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ص٢٨.

(٤) علي بن محمد بن سعيد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (٢١٢ ــ ٤٨٤هـ/ ٨٢٦ ــ ١٠٩١م)، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٠م، ص٢٠١.

وكانت قيمة طالب العلم في نظر الناس تتناسب مع ما قام به من رحلات لطلب العلم ومع عدد المدرسين الذين تلقى عنهم(1).

ولذا فيمكن أن يقال إنَّ كثيراً من مطالب هذه الرسالة يدخل في طلب العلم، لكن أحببت هنا أن أقدم أمثلة توضح كون الرحلة سبيلاً من سبل التبادل العلمي بين الأندلس وفاس، وتبين كون كل منهما مرحولاً إليه للنشاط العلمي القائم به.

وقد انتقل من الأندلس إلى فاس طلباً للعلم محدثون وفقهاء وقراء ولغويون وغير ذلك، فمن كبار علماء الفقه والحديث القاضي الأندلسي أبو بكر بن العربي المعافري (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)، وقد رحل إلى فاس في ثنايا رحلته العلمية، حتى وافته المنية خارج مدينة فاس(2). ومن القراء المحدثين الأصوليين ممن جمع في رحلته العلمية بين فاس والأندلس: عبد الجليل بن أبي بكر الربعي القروي يعرف بالديباجي وبابن الصابوني ويكنى أبا القاسم القيرواني، وهو من شيوخ القاضي عياض، وقد رحل إلى فاس، وأخذ عن أبي عمران الفاسي وغيره، وأقرأ بقلعة حماد وبمدينة فاس، ولقيه أبو عبد الله بن شبرين شيخ القاضي عياض، لقيه بالأندلس ودرس عليه الأصول وسمع الحديث منه في رحلته أبو عبد الله بن أبي الخير الموروري(3).

وممن خلد التاريخ ذكراهم من الرحالة في طلب العلم العلامة أبو الفضل: القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤/١١٤٩م)، ولد بسبتة، وأصله أندلسي تحول جده إلى فاس ثم سكن سبتة، وقد رحل في طلب العلم إلى الأندلس؛ فأخذه بقرطبة، ثم رحل

---

(١) أحمد زكي بن حاج إبراهيم بن أوانج سعيد: العلماء في الدولة الإسلامية بالأندلس وأثرهم في السياسة والحضارة عصر الإمارة من سنة (١٣٨ ــ ٣١٦هـ ــ ٧٥٦ ــ ٩٣٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامع القاهرة، كلية دار العلوم، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٧٥.

(٢) ابن قنفذ: أبي العباس احمد بن علي بن الخطيب (ت ٨٠٩). الوفيات. تحقيق عادل نويهض، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج١، ص٩.

(٣) ابن الأبّار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت ٦٥٨هـ). التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٣، ص١٣٣.

إلى الشرق، وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم؛ وجمع من الحديث كثيراً. وتولى قضاء غرناطة؛ وتوفي رحمه الله بمراكش، مغرباً عن وطنه [1].

وفي خلال هذه الرحلة العلمية مرَّ على فاس، واستفاد منه أهلها، فقد قال عالمها الشيخ أبو القاسم بن الملجوم: (اجتاز علينا القاضي عياض عند انصرافه من سبتة قاصدا إلى الحضرة -يعني قد مرَّ بمدينة فاس في طريقه إلى الحضرة يعني مراكش)[2]، وقد زار والد ابن ملجوم وأعطى الإجازة لولده [3].

ومن مشايخ القراء ممن ارتحل من الأندلس إلى فاس: أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م)، أصله من الثغر الأعلى من سرقسطة (Zaragoza) ثم انتقل إلى سبتة ثم إلى فاس، ثم استوطن مراكش وتوفي بها بعد رحلته إلى الأندلس، كان فقيهاً محدثاً، على دراية ومعرفة بالقراءات وعلم الكلام، شاعراً ، حسن الخط[4].

ومن أهل الأندلس ممن نزل فاساً في طلب العلم: أبو جعفر عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمّد الأزدي (ت٥٧٦هـ/١١٨٠م)، من أهل غرناطة، ويعرف بابن القصير، وهو من بيت شورى وجلالة، رحل إلى مدينة فاس، فأخذ الناس عنه بها، وتوفى شهيدا في البحر، قتلته الروم بمرسى تونس [5]. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عفير الأموي

---

(١) الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ). تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، ١٣٤٧هـ، ج ٤، ص١٣٠٤؛ النباهي: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي. تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٥، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، و طبعة: دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٨م، ج١، ص٥٨.

(٢) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ج١، ص٥٨.

(٣) المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ). أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وَإبراهيم الإبياري وَ عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م، ج١، ص٦، وزنقة، أي: حي أو شارع.

(٤) ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد (ت٧٩٩هـ). الديباج المُذَّهَب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣، ج١، ص٣٢.

(٥) ابن الأبّار: التكملة لكتاب الصلة، ج٣، ص٣٠.

(ت٥٧٩هـ/١١٨٣م) ، من أهل إشبيلية، انتقل إلى مدينة فاس لأخذ العلم، فدرس على أبي الحسن بن حنين سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م) كتاب "الشهاب[١]"، ثم رجع إلى الأندلس فتولى الخطابة في مسجدها القديم[٢]. عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري الأوسي (ت٦٠٨هـ/١٢١١م) ، من قرطبة، روى عن الحاج أبي الحسن الكتاني ابن حنين وأخذ عنه الموطأ بمدينة فاس[٣]. محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) ، بلنسي الأصل، ثم غرناطي الاستيطان، كان أديباً بارعاً، وشاعراً مجيداً، رحل ثلاثاً من الأندلس إلى المشرق، وصنف الرحلة المشهورة، وسكن غرناطة، ثم مالقة (Malaga)، ثم سبتة، ثم فاس، منقطعاً إلى إسماع الحديث والتصوف[٤]. ومن الفقهاء أيضاً: محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى بن يوسف بن مسدي المهلبي (ت٦٦٣هـ/١٢٦٤م)، من أهل غرناطة رحل إلى فاس، وأخذ عن أبي البقاء: يعيش بن العديم وأبي محمد بن زيدان وغيرهما، وكان يميل إلى الأخذ بالحديث، ولا يقلد الفقهاء، توفي بمكة[٥] ومن المحدثين والفقهاء الأندلسيين: أبو عثمان سعيد بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن سعيد الغساني من أهل غرناطة، رحل إلى العدوة، فلقي بفاس وتلمسان[٦] جملة، كأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن المكناسي من أهل فاس، والحاج ابن سبيع

(١) لعله: كتاب "شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية" للقاضي أبي عبد الله: محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي (ت٤٥٤)، وهو كتاب جمع فيه مؤلفه ١٢٠٠ كلمة من الحكمة في: الوصايا والآداب والمواعظ والأمثال، وقد تداوله العلماء بالشرح والاختصار والترتيب والبيان. انظر: حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت١٠٦٧هـ). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج٢، ص١٠٦٧.

(٢) ابن الأَبَّار: التكملة، ج٢، ص٦٠٨.

(٣) ابن الزبير: ابن أبي جعفر أحمد.صلة الصلة، (القسم الأخير من كتاب صلة الصلة، وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس)، تحقيق لافي بروفانسال، الرباط، ١٩٣٧م، المطبعة الاقتصادية.، ص٣١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣٢، ص٤٦٠؛ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). طبقات المفسرين، تحقيق: على محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٢م، ج١، ص٤٩.

(٤) ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني (ت٧٧٦هـ). الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م، ج٢، ص١٤٧.

(٥) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٧١؛البناهبي: تاريخ قضاة الاندلس، ج١، ص١٦٩.

(٦) **تلمسان:** قاعدة المغرب الأوسط، كانت دار مملكة زناتة، وهي مدينة كثيرة الخصب والرخاء كثيرة الخيرات والنعم، ولم يكن في بلاد المغرب بعد أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالاً ولا أرفه حالاً. مؤلف مجهول: الاستبصار، ⇦

وغيرهم[1].أبو الحسن بن المناصف عبد الولي بن محمد بن أصبغ الأزدي: وهو قرطبي سكن غير بلد من العدوة، روى عنه بفاس أبو إسحاق بن إبراهيم العشاب، وكان معاصراً للسان الدين ابن الخطيب[2].

ومن أهل فاس الذين طلبوا العلم في الأندلس: أبو موسى عيسى بن يوسف بن عيسى الأزدي المعروف بابن الملجوم (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م)، وهو من البيوتات المشهورة في فاس، سمع ببلده من أبيه قاضي الجماعة أبي الحجّاج، وأبي الفضل ابن النحوي، وأبي الحجاج الكلبي الضرير، وممن لقيهم في رحلته الأولى لبلاد الأندلس أبو عبد الله بن الطلاع، وأبو بكر بن حازم بن محمد، وأبو علي الغساني في قرطبة، وفي رحلته الثانية إلى البلاد في إشبيلية التقى بأبي عبد الله بن شبرين، تولى القضاء بفاس ومكناس، وكان من أهل الجلالة والأصالة[3]. ابن البقار محمد بن إبراهيم الفاسي (ت٥٨٢هـ/ ١١٨٦م) ، من أهل الفقه والحديث، التقى بالأندلس بأبي القاسم ابن بشكوال، ومن شيوخه الذين روى عنهم أبو الحسن بن حنين وأبو عبد الله بن الرمامة أبو اسحاق بن قرقول وغيرهم[4]. بكار بن برهون بن الغرديس، من بيت شهير بفاس، ، حج وسمع البخاري من أبي ذر الهروي، رحل إليه في طلب العلم جماعة منهم أبو القاسم بن ورد والذي قيل عنه إنه لم يكن بالأندلس مثله، فلقيه بسجلماسة وسمع منه الصحيح في سنة (٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م)[5] .

ص١٧٦؛ البكري: أبو عبيد (ت ٤٨٧هـ).المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، ص٧٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص١٣٥.

(١) ابن الأبَّار: التكملة، ج٤، ص٢٢٦.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٢، ص١٦٧.

(٣) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس: ص ٥٨؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط٢، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ج١، ص٨٩-٧٠.

(٤) ابن الأبَّار: التكملة، ص٣٧٢.

(٥) ابن الأبَّار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج١، ص٩.

ومن أهل فاس ممن رحل إلى الأندلس لطلب العلم: أبو هارون مُوسَى بن يحيى الصّديني (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م)، كان فقيهاً حافظاً للمسائل، عالماً بالرّأي، دخل الأنْدَلُسَ وتَرَدّد في الثّغر، و تُوفِّي بمدينة فاس وقبره عند بَاب الجيديين(١). إبراهيم بن أحمد بن خلف السلمي من أهل فاس أبو اسحق المعروف بابن فرتون (ت٥٣٧/١١٤٢م)، دخل الأندلس وسمع بمرسية (Murcia) من أبي علي الموطأ، وتوفي ببلده(٢). علي بن طويل بن أحمد بن طويل القيسي وهو من ذوي بيوت فاس،(ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، رحل إلى الأندلس سنة (٥٠٤هـ/١١١٠م)، ووصل مرسية وأخذ عن الحافظ أبي محمد الخشني، ورجع إلى فاس وشوري وأفتى(٣). علي بن عبد الله بن حمود المكناسي، من أهل فاس، رحل إلى المشرق سنة (٥١٢هـ/١١١٨م)،و روى عن أبي بكر الطرطوشي سنن أبي داود(٤).

ومن الرحالة المشهورين الذين طلبوا العلم بفاس والأندلس: أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى، ويعرف بابن رشيد(ت٧٢١هـ/١٣٢١م)، بمدينة فاس، كان من أعلام الفقهاء المحدثين، متبحراً في علوم الرواية والإسناد، ضليعاً في العربية واللغة والعروض، له معرفة بالتفسير والتاريخ ، وقدم غرناطة في عام (٦٩٢هـ/١٢٩٢م) فعقد مجالس للخاص والعام يقرئ بها العديد من العلوم، كما تولى إمامة وخطابة المسجد الأعظم منها (٥).

_ ومن القضاة ممن رحل في طلب العلم من فاس إلى الأندلس، القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي، المعروف بابن الحاج(ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م)،

---

(١) المراكشي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٥م، ج١، ص٧٠.

(٢) ابن الأبَّار: المعجم، ج١، ص٢٧؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط٢، ١٣٨٠ه/١٩٦٠م، ج١، ص٧٦.

(٣) ابن الزبير: صلة الصلة، ص١٤٦.

(٤) ابن الأبَّار: التكملة، ج٣، ص٢٤٤،؛ ابن الزبير:صلة الصلة، ص١٤٧.

(٥) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج١، ص١٦١؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٤، ص٢٧٣.

وهو أحد أعلام المغرب الفضلاء، دخل الأندلس وأقام بمالقة فترة من الزمن، وروى عن أشياخها، وصحب بها الخطيب المدرس أبا عثمان بن عيسى الحميري، ثم عاد إلى فاس فتولى القضاء والخطابة بها مدة طويلة(١).

ومن تراجم هؤلاء العلماء الرحالة في طلب العلم يمكن أن نلحظ أموراً:

أولاً: كانت الرحلة في طلب العلم تأخذ الاتجاهين معاً، فقد نرى العالم الفاسي يرحل للأندلس، وإن كان أغلب ما وقفت عليه، إنما هو من علماء أندلسيين رحلوا إلى فاس طلباً للعلم، وقد يعزى هذا إلى عوامل لعل من أهمها أن كثيراً من هؤلاء إنما يقصد المشرق للحج أو للأخذ من علماء حواضر الدنيا كبغداد ودمشق والقاهرة فيكون دخوله إلى فاس في ضمن رحلته العلمية.

في حين لم يكن أمام الفاسي المرتحل في طلب العلم في الأندلس أن يبتعد أكثر من الجزيرة (Algeciras)، ولذا فقد فضل كثيرون منهم الرحلة للمشرق عنها إلى الأندلس.

أضف إلى ذلك ما رمي به أهل فاس من التقصير في الرحلات العلمية الأمر الذي عزلهم عن الناس عامة(٢).

ثانياً: لم تقتصر الرحلة على طلب العلم، بل تضمنها رحلات لبذل العلم، كما في شأن رحلتي القاضي ابن العربي والقاضي عياض، إلا أنا نعرف أن الطلب والبذل متلازمان، فإن العلم يحيا بتدارسه ونشره، وقد قيل قديما حياة العلم مذاكرته، وقال ابن مسعود : (تذاكروا الحديث، فإن حياته مذاكرته)، وقال ابن عباس – رضي اللّه عنهما : (مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة)(٣).

ثالثاً: وجود الرحلة كسبيل من سبل تبادل العلم بين الأندلس وفاس يؤكد على وجود علم في كل منهما لا يحصله العالم في بلده، لذا فاحتاج إلى الرحلة، وهذا يؤكد

---

(١) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ج١، ص٧٤؛ ابن الأبّار: التكملة، ج٣، ١٣٢.

(٢) التازي: جامعة القرويين، ج٢، ص٤٢٥.

(٣) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت٩١١هـ). تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ج١، ص١٤٤.

التباين العلمي القائم آنذاك، بل ربما كرر بعضهم الرحلة حيث لم يستفد كل ما يريده في رحلة واحدة كابن ملجوم.

رابعاً: ويمكن أن نقول في الجملة، أن الرحلة من فاس إلى الأندلس لطلب العلم، لم تقتصر على فئات دون أخرى، بل كانت الرحلة مفخرة حتى لأصحاب البيوتات المشهورة، كما كان الشأن مع ابن ملجوم والقيسي والأزدي وغيرهم.

خامساً: شملت الرحلة أنواعاً من العلوم من القراءة والحديث والفقه واللغة وغير ذلك إلا أن الرحلات الفقهية من فاس إلى الأندلس كانت موضع تعجب، إذ إن فاساً من أكثر بلاد الدنيا في أكثر فترة البحث تأصيلاً للمذهب المالكي، بل كانت جامعة القرويين تشهد بذلك، فما الدافع أن يقوم الفقيه بالرحلة للأندلس؟.

وقد وجدت أنه ربما كانت هذه الرحلة تؤهل لمنصب القضاء أو الخطابة، من حيث إن المذهب المالكي كان هو المذهب المنتشر في فاس والأندلس معاً، وقد وقفت على جملة من علماء الأندلس قد تولوا القضاء أو الخطابة بفاس، كما يأتي ذكره في المبحث التالي في الهجرة والانتقال، لذا فمن المحتمل أن تكون رحلة الفقيه الفاسي للأندلس تأهيلية لتولي منصب القضاء كما حدث مع الفقيه الجزولي.

سادساً: أكثر الرحلات من فاس إلى الأندلس كانت في القرن السادس الهجري، فإن الحياة بالأندلس بالقرن السادس كان مهيئة لاستقبال طلاب العلم الفاسيين، مما سهل لهم البقاء بها.

وسيأتي بيان كيف كان الحال فيما يلي ذلك في عصر ملوك الطوائف المتأخرين، مما سبب قلتها ثم انعدامها آخر الفترة.

الهجرة والانتقال

ساهمت الهجرات التي استقبلتها مدينة فاس في رفع نهضتها العلمية والاقتصادية، وكانت سبباً في ازدهارها وترقيتها، وعاملاً فعالاً في نشر الحضارة الأندلسية بعاداتها وتقاليدها في المدينة.

و لم تزل فاس موئلاً للعلماء منذ نشأتها، إذ قد وجد العلماء فيها البيئة المشابهة للبيئة الأندلسية، وقد تمهدت لهم سبل الحياة الكريمة، وشجعهم بعض الأمراء للبقاء فيها، بل وأسندوا لهم تولي المناصب الرفيعة بها.

والعديد من علماء فاس كان لهم انتقال مشابه إلى الأندلس، طلباً للعلم، أو فراراً من الغلاء والوباء، أو غير ذلك، كما تولى بعضهم المناصب الدينية بالأندلس أيضاً.

* **وأما الانتقال من الأندلس إلى فاس خاصة؛** فلعلنا نلحظ أن موجات الهجرة إلى فاس قد تزايدت بسبب الظروف السياسية الداخلية في الأندلس، لذلك فضل العلماء الهجرة إلى المدن الداخلية في ظل الحكم الإسلامي أو إلى المدن الإسلامية لأسباب سياسية أو شخصية حتى سقوط غرناطة سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) فقد رأوا أن الهجرة إلى المدن الإسلامية في المغرب والمشرق أفضل من الخضوع للنصارى، وتجتمع في ذلك عدة عوامل متباينة تتعلق بالأوضاع العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما يتعلق جزء منها بالمظاهر الجغرافية، وستأتي دراسة ذلك في المبحث التالي من الرسالة.

لذا فإني أسلط الضوء في هذا المطلب على الهجرة والانتقال بسبب إسناد المناصب الدينية للعالم، مما يدفعه للاستيطان فترة بقائه في هذه المناصب، وكان لذلك الأثر الواضح في تبادل الثقافات العلمية مما يجعله من أهم سبل التبادل العلمي بين فاس والأندلس فترة البحث.

* **الانتقال لتولي المناصب الدينية:**

انتقل العديد من علماء الأندلس ليتولوا المناصب بفاس، أو من علماء فاس ليتولوا المناصب بالأندلس.

وتولي المناصب نوع من المجاورة والانتقال، وهي من أعظم أسباب تزايد العلاقات العلمية بين فاس والأندلس، فإن هذه المناصب تحتاج ــ ولاشك ــ نوعاً من الاجتهاد العلمي، الذي يعزز أواصر التبادل الثقافي.

وفيما يلي دراسة لأهم هذه المناصب العلمية التي كانت من أقوى سبل التبادل العلمي بين الأندلس وفاس فترة الدراسة.

القضاء:

القضاء لغة: هو الإحكام، وشرعاً: إلزام على الغير ببينة أو إقرار، ومعناه: فصل الخصومات وقطع المنازعات[1]، وهو أمر دلَّ على مشروعيته الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقال تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ: ((إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ، فله أجر))[3]، وأجمع المسلمون على مشروعية نصب القضاء والحكم بين الناس وأنه من فروض الكفايات[4].

والقاضي؛ لا يقضي حتى يكون متضلعاً بالعلوم، ويكون طيلة اشتغاله بالقضاء مطالعاً لها، سائلاً ومباحثاً، بل ربما مارس القاضي التدريس في المساجد لنشر العلم مما أدى إلى تعزيز العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس.

وفي خلال فترة الدراسة توالى على قضاء فاس ثلة من علماء الأندلس، كل منهم تولى قضائها مدة من الزمان. **ومن القضاة الأندلسيين بحضرة فاس:** أبو المكارم هبة الله بن الحسين (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، كان من أهل العلم، عارفاً بالأصول، حافظاً للحديث، ولي

(١) القونوي: قاسم بن عبد الله. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، نشر دار الوفاء، جدة، ط١، ١٤٠٦، ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ج٤، ص٤٣٨ برقم ٦٩١٩؛ وأخرجه مسلم في الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ج٥، ص١٣١ برقم ١٧١٦.

(٤) قال المرداوي: (نصب الامام فرض على الكفاية)، وفي مسائل الإجماع: (وأجمعوا على أنه يجب على الإمام نصب القضاة للفصل بين الخصوم)؛ المرداوي: علي بن سليمان.الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر دار إحياء التراث العربي، ج١١/ص١٥٤.

قضاء إشبيلية سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م)، ثم ولي قضاء فاس، وتوفي وهو على قضائها[1]. علي بن عبد الله بن محمد بيوسف بن قطرال الأنصاري، من أهل جيان (Jaen) (ت٦٥١هـ/١٢٥٣م)، ولى القضاء ببلنسية (Valencia) وقرطبة وشاطبة (Jativa) وغيرها من البلاد الأندلسية، ثم تولى القضاء بفاس وتوفي بمراكش[2]. محمد بن يحيى الغساني البرجي، يكنى أبا القاسم (ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)، من أهل غرناطة، فاضل حسن الخط والشعر، رحل للعدوة وقربه إليه السلطان أبو عنان المريني، ثم تولى قضاء فاس[3].

ومن القضاة الفاسيين بالأندلس: أبو الفضل، عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت٥٤٤ه/١١٤٩م)، من أهل سبتة، كان إمام وقته في الحديث وعلومه، عالماً بالتفسير وجميع علومه، فقيهاً أصولياً عالماً بالنحو واللغة، كاتباً مجيداً، خطيباً بليغاً، واشتهر في علم الحديث، قال فيه ابن بشكوال: (وجَمع من علوم الحديث كثيراً وله عناية كبيرة به واهتمام بجمعه وتقييده، وهو من أهل التفنُّن في العلم واليقظة والفهم)[4]، دخل الأندلس لطلب العلم ثم استقر فيها بعد ذلك، فولّي قضاء غرناطة، ثم انتقل إلى مراكش وبها توفي، وقد دخل مدينة فاس مراراً، و أخذ عنه جماعة كبيرة فيها، من شيوخه القاضي أبو بكر بن العربي وأبو الوليد بن رشد الجد وأبو علي الصدفي وغيرهم، من مؤلفاته: "إكمال المُعلم في شرح مسلم"، "الشفا في تعريف حقوق المصطفى"، و"مشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث"، و "المختص بالصحاح الثلاثة" وهي الموطأ ومالك ومسلم، و "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"[5]، علي بن حسن الصّديني من أهل فاس

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٦٨، ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصلة، ج٤، ص١٥٠.

(٢) ابن الزبير: صلة الصلة، ص ١٣٩.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج٦، ص٦٨؛ أحمد بابا: التنبكتي (١٠٣٢هـ). نيل الابتهاج بتطريز الديباج، القاهرة، دار التراث، ١٩٧٢، ص١٧٢.

(٤) ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت٥٧٨هـ). الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، عنى بنشره وتصحيحه ومراجعة أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص١٤٥.

(٥) الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٤، ص١٢٢؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص١٣٧.

يكنى أبا الحسن، توفي بعد سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، أخذ كتاب سيبويه عن أبي بكر بن طاهر الخدب، ولي قضاء غرناطة وأقرأ بها العربية والأصول وغير ذلك، كان بارعاً العديد من العلوم(١). القاضي أبو الحسن، علي بن قطرال الأنصاري (ت٦٥١ه/١٢٥٣م)، تولى القضاء في قرطبة وبلنسية وشاطبة وسبتة، ثم مدينة فاس وأخذ عنه الكثير من الطلبة(٢).

الحسبة

وهي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وهي وظيفة دينية تتعلق بالنظام العام والآداب وفي الجنايات أحياناً إذا احتاج الأمر إلى سرعة الفصل، وأساسها قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(٣).

وقد حدد ابن خلدون اختصاصات المحتسب بقوله: (إنه يبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقات في الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط لهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على المارة وغير ذلك)(٤)، وتشترك الحسبة مع القضاء في مهمة القضاء بالمعنى العام، لكن رتبة القضاء أعلى ثم ولاية الحسبة(٥).

---

(١) ابن الزبير: صلة الصلة، ١٤٩.

(٢) ابن القاضي: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي. جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٤م،ص٣٠٨.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٤، وانظر: الماوردي: علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ).الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب.ط. ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٢٤٠ـ ٢٤٩؛ الشيزري:عبد الرحمن بن نصر. نهاية الرتبة في طلب الحسبة، دار الثقافة، بيروت،ط٢، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص٦؛ ابن الأخوة: ضياء الدين محمد (ت٧٢٩هـ). معالم القربة في أحكام الحسبة، كيمبردج: روبن ليفي، ١٩٣٨م، ص٧.

(٤) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ). المقدمة، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ص٥٧٦.

(٥) وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط.١، ١٤٠٤هـ/١٩٨١م، ج٦، ص٧٦٩.

والمحتسب عُرِفَ من قبل في بلاد المغرب والأندلس بصاحب السوق[1] وصاحب الحسبة[2]، والمحتسب هو من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحدث في أمر المكاييل والموازين ونحوهما[3] قال الله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[4]

وقد حدد العلماء الشروط الواجب توفرها في المحتسب؛ وهو بأن يكون: (فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة حراً عدلاً ذا صرامة وخشونة في الدين لا يميل ولا يرتشي)[5].

وهذا يقتضي أن يكون (عارفاً بأصناف المعايش، وحيل الباعة،حتى يستطيع أن يتوصل إلى معرفة الغش والتدليس)[6].

ويصف لنا المقري الحسبة الأندلسية فيقول: (وأمّا خطّة الاحتساب فإنّها عندهم موضوعة في أهل العلم والفطن، وكأن صاحبها قاضٍ، والعدة فيه أن يمشي بنفسه راكباً على الأسواق، وأعوانه معه، وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم، وكذلك للثّمن، وفي ذلك من المصلحة أن

---

(١) أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف الكناني الأندلسي (٢٨٩هـ): أحكام السوق، أو "النظر والأحكام في جميع أحوال السوق"، اعتنى بضبط النص: جلال علي عامر، عن الطبعة: التونسية، تقديم: الأستاذ أبو سلمان محمد العمراوي السجلماسي، تحقيق: محمود علي مكي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الرابع، ١٩٥٦م، ص ١٠٨.

(٢) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص٥؛ ابن عبدون: رسالة في الحسبة، (نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب)، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٢.

(٣) أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: د.يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧، ج٢، ص٣٧٦.

(٤) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(٥) الشيرازي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص٦؛ الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٢٤١؛ ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص٢٠.

(٦) السقطي: أبو عبد الله محمد المالقي. رسالة في آداب الحسبة، نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، ليفي بروفنسال، دار إبرنيست، باريس، ١٩٣١م، ص١١٩، ١٢٠.

يرسل المبتاع الصبيّ الصغير أو الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق في معرفة الأوزان، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر من دون ما حدّ له المحتسب في الورقة، ولا يكاد تخفى خيانته، فإن المحتسب يدسّ عليه صبيّاً أو جارية يبتاع أحدهما منه، ثم يختبر الوزن المحتسب، فإن وجد نقصاً قاس على ذلك حاله مع الناس، فلا تسأل عمّا يلقى، وإن كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الأسواق نفي من البلد. ولهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه، لأنها عندهم تدخل في جميع المبتاعات ....)[1].

وانتقل هذا النظام الدقيق لبلاد المغرب، وكان ابن سهل[2] هو من له الفضل في انتقال الحسبة الأندلسية إلى بلاد المغرب، حيث اتصل بالخليفة يوسف بن تاشفين وقام بدور في تأصيل العرف الإسلامي المغربي وطبق نظرياته كقاض في كل من غرناطة ومكناسة، ثم انتشرت نظرياته من مكناسة إلى كافة بلدان المغرب[3].

إن النشاط الاقتصادي الكبير الذي كانت تشهده مدينة فاس، كانت تحكمه عادة ضوابط وقيم يحرص المحتسب بتعاون مع أمناء الحرف والأسواق على أن تحترم ويعاقب من يخالفها. ولكن لم يمنع هذا من حدوث أنواع من التدليس والغش في بعض المعاملات التي تجري في خضم الحركة الدائبة التي تعرفها كافة الأسواق. وكان أكثر الناس تعرضاً لعمليات التدليس الغرباء والأشخاص الذين ليست لديهم الخبرة الكافية للتمييز بين الأشياء وتقدير القيمة الحقيقية لكل سلعة على حدة، ومعرفة درجة جودتها بالنظر إلى طبيعة المواد المستعملة في صناعتها[4].

---

(١) نفح الطيب، ج١، ص٢١٨-٢١٩.

(٢) **ابن سهل هو: أبو الأصبغ عيسى بن سهل** بن عبد الله الأسدي، من القضاة بغرناطة، سكن قرطبة. وأهله من جيان، وكان من أجل الفقهاء، وكبار العلماء، حافظاً للرأي، ذاكراً للمسائل، عارفاً بالنوازل، بصيراً بالأحكام، متقدماً في معرفتها. وجمع فيها كتاباً حسناً مفيداً، يعول الحاكم عليه. ولي القضاء بالعدوة. ثم استقضى بغرناطة. وتوفي سنة ٤٨٦. النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ج١، ص٥٥.

(٣) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ج١، ص٥٥.

(٤) ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام، المعروفة بالأحكام الكبرى، تحقيق: نورة التويجري، ج١، ص٣٩٢-٤١٧.

ومن أهم المهام التي يشرف عليها المحتسب:

ـــ سوق بيع الرقيق[1]، وذلك لما عرف عن النخاسين[2] من المكر وخداعهم للناس. فقد حدد العلماء مجال عمل المحتسب حتى لا يخدع الناس بالرقيق: (وشأن المحتسب مع هؤلاء أن يقدم أمينة من ثقات المسلمين الخيار أهل الدين والمروءات يؤمن عليها مكر ذلك الصنف من النخاسين وخدعهم)[3].

ـــ الصناعات الجلدية ودبغ الجلود[4].

ـــ صناعة الفخار والزجاج[5].

ـــ صناعة الأدوية والعقاقير [6].

والمحتسب يحتاج إلى أن يكون من الملتزمين بالهدي الظاهر، ويكون على علم بالشريعة فيما يأمر وينهى، وهذا يؤدي إلى تعزيز العلاقة العلمية بين المحتسِب والمحتسَب عليهم، لتعليمهم ما يتعلق بالحسبة من علم الشريعة.

---

(١) ابن القطان: أبو الحسن علي بن عبد الملك بن يحي الكتامي الفاسي (ت٦٢٨هـــ). جزء من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، الرباط، منشورات كلية الأداب، والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، د.ت،، ص١٩٧.

(٢) **تجار الرقيق كانوا يسمون بالنخاسين** مفرد نخاس وأطلق هذا اللفظ في بادئ الأمر في أفريقية في القرن (٤ه/١٠م)، ثم في الأندلس في القرن (٥ه/١١م)، وعرفوا بعد ذلك بهذا الاسم، وهم فئة من التجار متخصصون في شرائه وبيعه، لهم في ذلك مكر وخدع يستخدمونها لإخفاء عيوب الجواري والغلمان ولقد وردت في كتب النوازل الكثير من القضايا التي عرضت على الفقهاء وقضاة الدولة حول حيل تجار الرقيق وألاعيبهم. انظر: ابن سلمون الكناني، أبو القاسم سلمون بن علي: العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام. مخطوط خ.ع، الرباط، تحت رقم ٦٧٠د،م.س، ورقة٦٦؛ (نسخة مصورة من الأستاذ/ محمد في الرباط موجود عند الباحثة).

(٣) السقطي: رسالة في آداب الحسبة، ص١٢٠.

(٤) الإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي(ت٣٥٠ه).المسالك والممالك، تحقيق: محمد عبد العال، مراجعة، محمد شفيق غربال، ١٣٨١ه/١٩٦١م، ص٣٥؛ القلقشندي:صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٩.

(٥) ابن عبد الرؤوف: أحمد بن عبد الله (ت النصف الأول من القرن ٦هـــ/١٢م): رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي برفنسال، القاهرة، ١٣٧٥ه/ ١٩٥٥م، ص١٢٤.

(٦) ابن عبد الرؤوف: رسالة في الحسبة، ص٨٦.

وقد وقفت على بعض علماء الأندلس قد ولي الحسبة بفاس، ورغم أنه من الأطباء، إلا أن ملكاته العلمية أهلته لذلك، وهو أبو تمام، غالب بن علي اللخمي الشّقوري (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)، من أهل غرناطة، رحل إلى المشرق؛ فحج وقرأ الطب في القاهرة، وزاول العلاج وعاد إلى المغرب فولّي الحسبة في فاس، وأثرى وحسنت حاله. وكان مثالاً لأهل بلده، وتوفي بسبتة[١].

الخطابة:

خَطَبَ الرجلُ خِطابةً فهو خَطيب بَيّنُ الخِطابة. واسم الكلام: الخُطْبة، الْخُطبة بالضم فهو من القَول والكلام[٢].

والخطابة يراد بها غالباً خطابة المسجد الجامع في يوم الجمعة، وهي من الشعائر الإسلامية المشهورة التي لم تنقطع عن الأمصار قط طيلة العهود الإسلامية المختلفة.

والخطيب يحتاج في إعداد خطبه إلى أن يكون على معرفة بالعلوم الشرعية إلى جانب كونه على قسط وافر من علوم اللغة، ثم إن الخطيب يكون عادة قريباً من الناس، من أفراحهم وأتراحهم، فيصوغ خطبه على هذا التوجه، مما يكون له الأثر في المجتمع.

وقد تولى الخطابة بفاس جمع من العلماء الأندلسيين، منهم: محمد بن علي بن محمد الطليطلي (ت٥٠٣هــ/١١٠٩م)، يعرف بالريوطي؛ يكنى أبا عبد الله، خرج إلى العدوة فسكن فاس مدة ثم سبتة، وولي خطابة الموضعين، وكان أعمى، صالحا، سمع منه بعض الناس، وتوفي بسبتة خطيبا[٣]، علي بن موسى بن علي بن موسى بن محمد بن خلف، أبو الحسن بن النَّقَرات، الأنصاري السالمي الأندلسي الجَيَّاني (ت٥٩٣هــ/١١٩٦م)، نزيل فاس. ولي خطابة فاس، وهو صاحب كتاب شذور الذهب في صناعة الكيمياء، لم ينظم أحدٌ في الكيمياء مثل نظمه، بلاغَةَ معانٍ وفصاحَةَ ألفاظ وعذوبة

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٤، ص١١٨؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص٣١٣.

(٢)الجزري: أبو السعادات المبارك بن محمد. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى وَمحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هــ /١٩٧٩م، ج٢ /ص ١١٤.

(٣) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص١٨٤.

تراكيب، حتَّى قيل فيه: إن لم يعلِّمك صنعة الذهب فقد علَّمك صنعة الأدب. وقيل: هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء. وقصيدته الطائيَّة أبرزها في ثلاثة مظاهر: مظهر غزل، ومظهر قصة موسى، والمظهر الذي هو في الأصل صناعة الكيمياء[١]، الخطيب أبو عبد الله، بن عبد الرحمن الخزرجي الشلبي (ت ٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، كان يروي عن أبي الحسن بن خروف وأبي الحسن بن جبير، ولّى الخطبة بجامع القرويين، وكان بصيراً بالعلوم العقلية و النقلية[٢]، ابن عباد، محمد بن يحيى بن إبراهيم الرندي (ت٧٩٢هـ/١٣٩٠م)، من أهل رُندة (Ronda)، درس في بلده على والده ثم رحل إلى فاس، وأكمل دراسته بجامعة القرويين، ثم تولى الخطابة، وظل خطيباً بالقرويين خمس عشرة سنة، وكانت له مكانة كبيرة عند أهل فاس، و من مؤلفاته "التنبيه والرسائل" وغيرها [٣]، قال فيه المقري: (ابن عباد عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند أهل مصر)[٤].

التدريس:

التدريس والتعليم ونشر العلم مما أخذه الله تعالى على الأنبياء والعلماء، قال تعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}[٥]، قال ابن كثير عند تفسيره للآية الكريمة: (هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن ينوهوا بذكره فى الناس فيكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه ، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير فى الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوى السخيف، فبئس الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم، وفى

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص٨٢.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٨؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص٣٥؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص٥٩.

(٣)الكتاني: محمد بن جعفر. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، دار الثقافة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٢، ص١٤٣،١٣٣.

(٤) نفح الطيب، ج٧، ص٢٦٥.

(٥) سورة آل عمران: آية ١٨٧.

هذا تحذير للعلماء من أن يسلكوا مسلكه فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، ولا يكتموا منه شيئا)[(١)].

ومن هذا الباب قام العلماء دوماً بنشر العلم النافع في كل زمان ومكان، ولا شك أن التدريس والتعليم وبث العلوم الشرعية، هو النشاط العلمي الأبرز في الانتقال والمجاورة.

وقد وجدت جماعة من العلماء الأندلسيين نشروا العلم بمدينة فاس ومنهم: دراس بن إسماعيل (ت٣٥٧هـ/٩٦٧م)، يكنى بأبي ميمونة، سمع من شيوخه في بلده، وسمع منه غير واحد فانتشر علمه في الأندلس، ثم انتقل إلى فاس وأصبح من أعلامها المشهورين، وحفاظ المغرب المعدودين من أهل الفضل والدين والأمانة، وكان أول من أدخل "مدونة سحنون" إلى فاس بعد رحلته إلى الحج، وتوفي في مدينة فاس، وله مسجد يعرف به، ولمنزلته العلمية نقش اسمه على قبره في عهد السلطان أبو عنان المريني، على قطعة رخام ونصبت عليه سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م)[(٢)]. أبو العباس، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، توفي قريباً من سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م)، من بلدة شارقة من نواحي بلنسية، كانت له رحلة إلى مكة وبلاد المشرق، فدخل العراق وفارس والأهواز ومصر، وسكن سبتة وفاساً وغيرهما، كان فقيهاً واعظاً فاضلاً، كثير الذكر والعمل والبكاء، ألف كتاباً مختصراً نبيلاً مفيداً في أحكام الصلاة[(٣)]. أبو بكر، محمد بن أغلب ابن أبي الدَّوس (ت٥١١هـ/١١١٧م)، من أهل مرسية، كان عالماً بالعربية والأدب، من أحسن الناس خطاً، وأصحهم نقلاً وضبطاً، أدّب ولدي المعتمد محمد بن عباد يزيد والمأمون، سكن المرية (Almería) وقتاً، ثم تابع نشاطه العلمي في فاس بعد استقراره فيها، ثم استقر بعد ذلك في أغمات، و توفي في مراكش ودفن بها، روى عن عدد من علماء الأندلس

---

(١) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ج٢، ص١٨١.

(٢) الجزنائي: زهرة الآس، ص٢١-٢٢؛ ابن فرحون: الديباج، ج٢، ص٢٠٠؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٩٤-١٩٦؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص١٧٦-١٧٧.

(٣) ابن بشكوال: الذيل والتكملة، ج١، ص٧٥؛ ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٢٦؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٩٦؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٣٧.

والمغرب، كما انتفع به طلبه العلم ومحبيه، وروى عنه الكثير[1]. أبو القاسم، خلف بن محمد بن غفول (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، من أهل شاطبة، صحب أبا الحسن طاهر بن مفوز وأخذ عنه كثراً، وسكن مدينة فاس وأخذ عنه الكثير من طلابها، روى عنه أبو الحسن بن حنين[2]، عبد الله بن يحيى الثقفي (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م)، من أهل سرقسطة، روى ببلده عن أبي علي الصدفي بمرسية، وعن أبي بحر الأسدي في قرطبة، ثم انتقل إلى فاس حيث أقام بها معلماً[3]. أبو القاسم، خلف بن يوسف بن فرتون (ت٥٣٢هـ/١١٣٧م)، من كبار علماء شنترين (Santaren)، انتقل إلى مدينة فاس حيث أقام بها معلماً للحديث والسير وعلوم القرآن بمسجد حنين، وعاد بعدها إلى الأندلس وتوفي بقرطبة[4]. محمد بن حكم بن أحمد بن باق الجذامي (ت٥٣٤هـ/١١٣٩م)، من أهل سرقسطة، سكن غرناطة ثم فاس، يقول عنه ابن الخطيب: (كان مقرءاً مجوداً محققاً بعلم الكلام وأصول الفقه، محصلاً لهما، متقدماً في النحو، حافظاً للغة، حاضر الذكر لأقوال تلك العلوم، جيد النظر، متوقد الذهن، ذكي القلب، فصيح اللسان، ولي أحكام فاس وأفتى فيها، ودرس بها العربية، كتاب سيبويه وغير ذلك) وصنف في الجدل مصنفين، توفي بتلمسان[5]. أبو العباس، أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدميري (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، من أهل تدمير (Tudmir)، نشأ في المرية، روى عن جماعه من العلماء، كان متقدماً في صنعة الإعراب ضابطاً

(١) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٤١٢-٤١٣؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥٤؛ المراكشي: العباس بن إبراهيم. الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات،تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ج٢، ص٣٥١.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٩٢؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص١٦١.

(٣) ابن الأبّار: التكملة، ص٤٦٤؛ المعجم، ص٢٠٨.

(٤) ابن بشكوال: الصلة، ص٥٦؛ ابن الأبَّار: تحفة القادم، أعاد بناؤه وعلق عليه: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص٥.

(٥) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٤٤١. وفيها وفاته سنة ٥٣٤هـ؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٣٦٩؛ ابن عبد الملك: أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي المراكشي. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٥م، ج٦، ص١٧٧-١٧٨؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥٥-٢٥٦، ابن فرحون: الديباج المذهب،ج٢، ص٢٦٣-٢٦٤؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، ج١، ص٦٩.

للغات حافظاً للآداب، وله قرض من الشعر، سكن بجاية (Bougie) مدة، واستأدبه أبو محمد عبد المؤمن بن علي لبنيه بمراكش، وكان له دور في نشر علم النحو في فاس وتوفي بها [1]. محمد بن عبد الله بن محمد بن خليل القيسي (ت٥٧٠هـ/١١٧٤م)، من أهل لبلة (Niebla)، سمع من عدة مشايخ وصحبهم، ثم استقر في فاس فترة، انتفع منه عدد من طلابها، انتقل بعدها إلى مراكش[2]. محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م)، من أهل إشبيلية، يعرف بالخِدَب، أخذ علم العربية عن أعلام وقته، ورأس الناس فيها، انتقل للإقامة في مدينة فاس فترة من الزمن، فتصدَّر للإقراء فيها، وقد أخذ عنه الكثير من الأعلام [3]، عيسى بن محمد الغافقي (ت ٥٨٦هـ/١١٩٠م)، ارتحل من الأندلس إلى فاس، فلزم مهنة التعليم خلال إقامته فيها، وكان فقيهاً نحوياً بصيراً بالوثائق، أديباً كاتباً[4]. عبد الله بن محمد بن علي الحجري الألميري (ت٥٩١هـ/١١٩٤م)، من أهل المرية، وانتقل بعد ذلك إلى مدينة فاس ردحاً من الزمن يقرئ ويسمع فيها، وذاع صيته وعلا ذكره فيها واستدعي إلى مراكش[5]. أبو عبد الله، محمد بن عمر (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م)، من أهل مالقة، انتقل إلى فاس، وتصدر للكتابة والإقراء فيها، وكان حافظاً للتاريخ والآداب[6]. أبو ذر، مصعب بن محمد بن مسعود الخشني (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، من أهل جيّان، وكان رئيساً في صناعة العربية، عالماً بها، قائماً عليها، مكث في تدريسها طوال حياته، ورحل الناس إليه فيها، ولّي الخطبة بجامع إشبيلية، وولى قضاء جيّان، واستوطن بعد ذلك مدينة فاس ثانية، وأقام بها يُقرئ العربية ويُدرّس كتاب "الأحكام"، وكان

(١) ابن الأبَّار: التكملة، ج١،ص٦٥؛ المعجم، ص٤١؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج١، ص١٣٨؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٣٨؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج١، ص٦٥؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد (ت ٨٥٢هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٢) ابن الأبّار: التكملة، ص٢٣٣.

(٣) ابن الأبّار: التكملة، ص٢٤٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٦٨.

(٤) ابن الأبّار: التكملة، ص٢٦.

(٥) ابن الأبَّار: التكملة، ص٨٦٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ٤٢٧-٤٢٨.

(٦) ابن الأبَّار: التكملة، ص٣٢٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٩٩-٢٠٠.

له إشراف مطلق على القرويين في فترة من الزمن، ولذلك يعد من كبار رجالاتها(١). أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، الرحالة المعروف بابن جبير، ولد في مدينة بلنسية، ثم عاش في مدينة فاس فترة من الزمن للتدريس، حيث روى عنه "الموطأ" إبراهيم بن يوسف الأوسي، وقد باع أملاكه في فاس ثم طاف في البلاد، وتوفي بعدها في الإسكندرية(٢). أبو القاسم، أحمد بن عمر الأنصاري الخزرجي (ت٦١٦هـ)، من أهل قرطبة، واستوطن مدينة لبلة، ثم خرج منها وسكن بمكناسة، وصار يعرف بالمكناسي، وسكن أيضاً مدينة فاس، رغب الناس في الأخذ عنه لصحة روايته، وعلو إسناده، وكان يعيش على تجارة له(٣).

ومنهم من تكون نشأته بفاس ثم ينتقل منها للأندلس، مثل إبراهيم بن جابر بن عمر بن عبد الرحمن بن عمر المخزومي (ت٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)، من أهل مراكش، ونشأ في مدينة فاس، يعرف بالقفال، أخذ عن علي بن حرزهم وغيره، ومال إلى التصوف وغلب عليه الوعظ والتذكير، وكان من أهل العلم والعمل به صابراً على ذلك، دخل الأندلس واستوطن إشبيلية وأقام بها فترة من الزمن ثم انتقل إلى مراكش سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م)، فلم يزل بها حتى توفي(٤).

ومما يؤكد قوة العلاقات العلمية وتقاربها بين فاس والأندلس أن الكثير من القضاة يتولى القضاء في الأندلس وفاس على حد سواء، وهو من غير أهلهما، مما يشير إلى التقارب الثقافي والعلمي في الجملة بينهما. منهم: القاضي أبو حفص بن عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله السُّلمي (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، من أهل أغمات، سكن مدينة فاس، وكان من أهل المعرفة والفقه، ولّي قضاء تلمسان وفاس وإشبيلية، وكان سبب نقله من

---

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٩؛ ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٣٨٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص٧١-٧٢؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص١٠٣٧.

(٢) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٥، ص٥٩٥.

(٣) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١١٠؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٣٨-١٣٩، ١٤٤-١٤٥؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج١، ص٣٤٧- ٣٤٨.

(٤) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٧٧؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٩٠-٩١.

فاس إلى إشبيلية هو تحريض أعدائه لإقصائه عن قضاء فاس وذلك لأنهم عدّوه من أهل الغزل وانهماكه في العشق بأشعاره، توفي بإشبيلية(١).

وهنا وقفة مع الهجرة والانتقال:

أولاً: يلاحظ أن أكثر من كان منتقلاً لتولي الوظائف الدينية هم ممن تصدر للتعليم والإقراء، وهذا هو المتوقع لأن التدريس غالباً لم يكن يحتاج إلى إذن من السلطات، بخلاف القضاء والحسبة والخطبة فإنها تقتضي إلى تنصيب من الحاكم.

ثانياً: ويلاحظ أيضاً أن من الفاسيين أو من نشأ بفاس من تولى القضاء بالأندلس، ومن الأندلسيين من تولى القضاء بفاس، وقد يعزى ذلك إلى استباق شهرة القاضي، لأن العلماء القضاة قليل، فما أن يُسمع بقاضٍ شهير إلا ويسارع الحكام بتوليته بغض الطرف عن منشئه.

ثالثاً: لم أجد فيما بين يدي من المراجع عدداً ممن تولى الحسبة من الأندلسيين بفاس، ولا من الفاسيين بالأندلس، وقد يرجع ذلك إلى أن الحسبة ولاية تحتاج إلى معرفة عميقة بأوضاع الناس، فكان يولى غالباً فيها من أهل البلد نفسه.

رابعاً: يلاحظ أيضاً أن الخطابة من أهم سبل التبادل العلمي والهجرة، وقد مر أن منهم من اشتهر بهذا اللقب (الخطيب)، ومنهم من استمرت خطابته بفاس عقداً ونصف العقد من الزمان، لكن لم أجد من تولى الخطابة من الفاسيين بالأندلس، ولعل ذلك يعود إلى أن الرحلة في اتجاه فاس أكثر منها في اتجاه الأندلس كما مر في المطلب السابق.

---

(١) المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج١، ص٢٢٥؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص١٦٨-١٦٩.

السفارات

السِّفَارةُ من أسس الحكم على مر التاريخ، وأصل السفارة: الصلح بين الناس، فقد ذكر علماء العربية أن السفير: الرسول والمصلح بين القوم. قال في المخصص: السّفير: المُصلِح بينَ الناس بيّن السِفارة[1].

وفي أوقات الأزمات تظهر الحاجة إلى إرسال العلماء كسفراء؛ لأنهم أقدر من غيرهم على معالجة الأمور بروية وحكمة، وقد قيل في المثل: (أرسل حكيماً ولا توصيه)[2].

وطالما قام الشعراء بدور السفارة والوساطة في النزاع الذي كان يقع بين الملوك وبين القبائل، أو بين القبائل والقبائل[3].

وكانت السفارة في مكة قبل الإسلام في (بني عديّ)[4]، وذلك أن أهل مكة كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوا سفيراً، وإن نافرهم حيّ لمفاخرة جعلوا لهم منافراً لينافرهم، وكان الذي يتولاها إذ ذاك عمر بن الخطاب[5]، وذكروا أيضاً أنه تولاها العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ[6].

---

(١) ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي. المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ج٣، ص٣٠؛ النووي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت٦٧٦ هـ). تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا، ج١، ص١١٦١.

(٢) يوسف بن علي بن إبراهيم العريني: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص٣٧٨.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج١، ص٣٧٢.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٦، ص٩٨.

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٦، ص١١.

(٦) أبو عبيد بن سلام: غريب الحديث، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ج٤، ص٢٤.

ومع توسع الدولة الإسلامية حظيت السفارة بمكانه خاصة، وبمترلة متميزة في الترتيب الإداري للدولة الإسلامية على اختلاف ألوانها واتجاهاتها، في كل عصورها، إلا أن السفارة المتبادلة بين فاس والأندلس على سبيل الخصوص لم تظهر إلا بقيام دولة بني مرين في فاس، وقد يرجع ذلك لعدد من الأسباب منها:

١ ــ عدم تهيئة الظروف للسفارة في القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ بسبب العداء الواقع بين الاتجاهات السياسية، ففي الأندلس كانت الدولة الأموية سنية المذهب وفي فاس كانت دولة الأدارسة علوية مخالفة لهم في المذهب.

٢ ــ قوة الدافع للسفارة بين الأندلس والمغرب في القرن الخامس والسادس الهجريين ومطلع القرن السابع، وذلك للاستنجاد بالقوى المغربية الموجودة في تلك الفترة وهم المرابطون والموحدون ضد النصارى، فقامت هاتان الدولتان بحمل لواء الجهاد والدفاع عن الأندلس.

٣ ــ في النصف الثاني من القرن السابع الهجري تميزت فيها السفارات بحرص بني الأحمر في مملكة غرناطة لإقامة علاقات وثيقة ببني مرين في فاس وبحكم موقعهم الجغرافي القريب سهل تبادل السفارات والمراسلات بين الدولتين.

أما في الأندلس فبحكم مجاورتها لدول النصارى أوجدت بينهم سفارات سياسية إما للمهادنة أو المسالمة، ولذا ظهرت السفارة مبكرة عندهم، وكان في القرن الثالث حركة مشهورة في ذلك وبرز اسم أشهر سفير في تاريخ الحركة الدبلوماسية الأندلسية وهو الشاعر الأديب: يحيى بن الحكم بن الغزّال (ت٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)(١).

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج٢، ص٢٥٨؛ مجلة الفيصل: العدد٣٢٨-شوال ١٤٢٤هـ، نوفمبر – ديسمبر ٢٠٠٣م، ص٤٩؛ **يحيى الغزال أبو بكر بن الحكم البكري، الأندلسي، الجياني** (ت٢٥٠هـ/٨٦٤ م)، شاعر أديب حكيم، كان مقربا من أمراء الأندلس وملوكها من بني أمية، أرسله بعضهم رسولا إلى ملك الروم، أرسله عبد الرحمن الأوسط إلى صاحب القسطنطينية رسولاً. الكلبي: ابن دحية. المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٧٨م،ج١، ٣٦-٤١، الضبي: أحمد بن يحى بن أحمد بن عميره القرطبي (ت٥٩٩هـ). بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ص٤٨٥؛ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٣٣٥-٣٣٦.

وفي عهد أمراء بني نصر، بدأت السفارة بين الأندلس وفاس تأخذ وضعاً مميزاً، حيث حرص أمراء بني نصر على العلاقات السياسية بينهم وبين الدول الإسلامية بصفة عامة، وبينهم وبين بني مرين بصفة خاصة، فقاموا بعمل التراتيب الإدارية اللازمة لاستمرار هذه السفارات، وتعزيزها، ومما وضعوه في ذلك تخصيص قاعة في قصر الحمراء بغرناطة، خصصت لاستقبال السفراء سميت بـــ (قاعة السفراء)[1].

كما قاموا باختيار دقيق للسفراء، وكانوا جميعاً من العلماء، ومن هنا كانت السفارة سبيلاً مهماً للعلاقات العلمية بين فاس والأندلس.

وأما كون **اختيار السفراء من العلماء** فلعل ذلك يرجع لعدة أسباب منها:

ــ أن العلماء بفطرهم مهيؤون أكثر من أي طبقة أخرى للقيام بهذه المهمة، فإن تدرجهم طوال فترة طلبهم العلم من شيخ إلى آخر يكسبهم انضباطاً مفرطاً أمام من يتقدمهم خبرة ومركزاً.

ــ كما إن ممارسة العلماء اليومية لآداب المعاملة والمخاطبات وحفظهم لأخبار الماضين، جعل منهم عنصراً مرغوباً في الاستئناس بحديثه.

ــ وأهم ما يميزهم أنهم كانوا دوماً من الحرص بمكان على حب إصلاح ذات البين، فكان ذلك عاملاً قوياً في تكليفهم بتلك المهمات.

ــ ولأن العلماء يعرفون سلفاً ما يجوز الإقدام عليه والبت فيه من اتفاقات ومعاهدات، ولذلك تكون بوادرهم غير مهددة بانتقاد الشعب، بل يأمن الحكام غضب الشعب، لأن العالم الفقيه مؤتمن على ما يقوم به[2].

وخير من يمثل به في سفارة الأندلس إلى فاس هو لسان الدين ابن الخطيب، الذي تولى كتابة المراسلات والسفارات إلى دولة بني مرين، وقد حفظ لنا الكثير من هذه المراسلات، وسجلها في كتابيه "كناسة الدكان بعد انتقال السكان"، و"ريحانة الكتاب

(١) وتسمى قاعة "**قمارش**" وتعني بالإسبانية: جمع للفظ (قُمرية)، وهي المنور الصغير المُزين بالزجاج الملون،حسين مؤنس: رحلة الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م، ص١٨٩.

(٢) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج٢، ص٤٤٧.

ونجعة المنتاب" مما كان له أكبر الأثر في إثراء هذه الفترة التي عاصرها بالكثير من المعلومات المتعلقة بالمراسلات والسفارات بين مملكة غرناطة ودولة بني مرين(1).

وبتحمل بنو مرين مسئولية الجهاد عن الأندلس؛ كانوا يبعثون برسالة إلى بني نصر يؤكدون أنهم مازالوا مستمرين في مساعدتهم، فنجد أنه إذا تولى أحدٌ منهم الحكم فالسطان يراسله بذلك، فأبو يعقوب المريني مثلاً أرسل رسالة جوابية إلى السلطان محمد الفقيه تضمنت عزم بني مرين على الجهاد ونصرة المسلمين في غرناطة جاء فيها: (ولتفرحوا بفضل الله وعونه ونحن قادمون إليكم في إثر هذا إن شاء الله ووعدنا بوفاء يقين على أعداء الله وتفد عليكم بأنصار الدين وأدوائه،وصحبنا قومٌ باعوا أنفسهم من العزيز الوهاب بالجزيل الواعد... يركبون إليكم ثبج هذا البحر الأخضر عازمين على الجهاد)(2).

ومن ذلك ما أرسله أبو الحجاج يوسف الأول إلى السلطان أبي عنان المريني بسفيره ابن الخطيب الذي حمله رسالة فيها تعزية أبي عنان ويهنئه باعتلاء عرش المملكة ثم يخبره فيها بأحوال المسلمين في الأندلس . وأنهم لاغنى لهم عن معونة إخوانهم في العدوة (3)، فبادله أبو عنان المشاعر الطيبة(4)، وجاوبه برسالة عقدها لسفيره المهدي بن زرقا إلى السلطان النصري مؤكداً له باستمرار دولته في الوقوف إلى جانب مسلمي غرناطة في مواجهة العدو النصراني، وكان لتلك الرسالة أكبر الأثر في نفوس الأندلسيين إذ أمر السلطان النصري بقراءة ما جاء فيها على جموع الشعب في مملكة غرناطة وفي ذلك يقول ابن الخطيب في رسالة بعثها السلطان إلى أبي عنان: (فصدعنا بذلك الكتاب في الحفل المجموع وأشدنا بفضله المرئي والمسموع) (5).

وفي عام (٧٥١هـ/١٣٥٠م) بعث السلطان أبو الحجاج يوسف الأول رسالة كتبها ابن الخطيب يشرح فيها لأبي عنان المريني كيف رفع النصارى حصارهم عن جبل

---

(١) عبده عواجي عبد القهار: علاقات مملكة غرناطة بالدول الإسلامية،رسالة دكتوراه غير منشوره، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ، ص١٠٦.

(٢) ابن أبي زرع: الذخيرة السُنّية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م، ص١٤٢-١٤٣.

(٣) نص الرسالة في: نفح الطيب، ج٦،ص ١٧٦-١٧٩.

(٤) محمد كمال شبانه: يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، مطبعة الرسالة،ب ط،١٩٦٩م، ص١٤٨.

(٥) ابن الخطيب: ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١، ص١٣٠.

طارق (Gibraltar) بتفشي الوباء الكبير بين جنودهم ووفاة ملك قشتالة (Castilla) (ألفونسو الحادي عشر) بهذا الوباء[١]، يقول فيها: (ثم نازل جبل الفتح، وكاد يستولي على هذه الجزيرة، لولا أن الله تداركها بجميل صنعه وخفي لطفه، لا إله إلا هو، فهلك بظاهره في محلته حتف أنفه ليلة عاشوراء من عام أحد وخمسين وسبعمائة، فتنفس المخنق، وانجلت الغمة، وانسدل الستر. كنت منفرداً بالسلطان رحمه الله، وقد غلب اليأس، وتوقعت الفضيحة، أونسه بعجايب الفرج بعد الشدة، وأقوى بصيرته في التماس لطف الله، وهو يرى الفرج بعيداً، ويتوقع من الأمر عظيماً. وورد الخبر بمهلكه، فاستحالت الحال إلى ضدها، من السرور والاستبشار. والحمد لله على نعمه)[٢].

وفي عهد السلطان نصر توثقت هذه العلاقات بين غرناطة وفاس بصورة أكبر، إذ ارتبط السلطان أبو ربيع المريني بالسلطان النصري (أبي الجيوش نصر بن محمد)، برباط المصاهرة[٣]، وأرسل السلطان المريني سفيره عثمان بن عيسى وبرفقته الأموال والخيول والجنائب إلى غرناطة[٤].

ـــ كما تعلقت المخاطبات بين البلدين بشأن السفراء الذين تطيب لهم الإقامة في الأندلس وعدم العودة إلى المغرب أو العكس:

مثال ذلك: ما دار من سفارة ومخاطبات في عام (٧٥٥هـ/١٣٤٥م) بشأن السفير المريني أبوعبد الله المقري[٥] الذي بعثه السلطان أبو عنان سفيراً عنه إلى غرناطة والذي

---

(١) محمد كمال شبانه: يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، ص١٤٢.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٢، ١٧٥.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٢٢٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٢٤٠.

(٥) **أبو عبد الله المقري التلمساني** (ت٧٥٨ هـ،١٣٥٧م): محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبد الله القرشي التلمساني، الشهير بالمقري: جد المؤرخ الأديب صاحب "نفح الطيب"، من الفقهاء الأدباء، ولد وتعلم بتلمسان.وخرج منها مع المتوكل أبي عنان (سنة ٧٤٩هـ) إلى مدينة فاس، فولي القضاء فيها وحمدت سيرته.وحج، ورحل في سفارة إلى الأندلس.وعاد إلى فاس، فتوفي بها ودفن بتلمسان سنة ٧٥٨هـــ، وقيل غير ذلك. ابن ⇦

فضل الإقامة فيها عن العودة إلى المغرب، فأرسل السلطان يوسف الأول رسالة يشفع فيها لديه في منح السفير المذكور حق الإقامة الدائمة في مالقة.

يقول في ذلك ابن خلدون: (ثم بعثه في سفارة إلى الأندلس فامتنع من الرجوع وقام السلطان لها في ركابه ونقم على صاحب الأندلس تمسكه به وبعث إليه فيه يستفد منه فلاذ ابن الأحمر بالشفاعة فيه واقتضى له كتاب أمان بخط السلطان أبى عنان وأوفده في جماعة من شيوخ العلم بغرناطة القاطنين بها منهم شيخنا أبو القاسم الشريف السبتى شيخ الدنيا جلالة وعلما ووقار أو رياسة وإمام اللسان فصاحة وبيانا وتقدما في نظمه ونثره وترسلاته وشيخنا الآخر أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلقيني من أهل المرية شيخ المحدثين والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء بالأندلس وسيد أهل العلم بإطلاق المتفنن في أسالبب المعارف وآداب الصحابة للملوك فمن دونهم فوفدوا به على السلطان شفيعين على عظيم تشوفه للقائهما فقبلت الشفاعة وأنجعت الوسيلة حضرت بمجلس السلطان يوم وفادتهما سنة سبع وخمسين وكان يوما مشهودا واستقر القاضي المغربي في مكانه بباب السلطان)[1].

ويذكر ابن الخطيب الرسالة فيقول فيها: (فإنا قد خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح، أبي عبد الله المقري، خار الله لنا وله، وبلغ الجميع من فضله العميم أمله... نصادركم في ذلك بالشفاعة التي مثلُها لا ترد ظماها عن مناهل قبولكم لا يحلا ولا يرد...)[2]، وفي "كناسة الدكان": (المقام الذي يحب الشفاعة،ويرعى الوسيلة، ويُنجز العُدّة، ويتمم الفضيلة،ويُضفي مجده المن الجزيلة، ويُعي حمده الممادح العريضة الطويلة...)[3].

الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٢، ص١٩٧- ٢٠٢؛ المقري: أزهار الرياض، ج٤،ص ٢٠٤ ابن حجر: الدرر الكامنة ج٤، ١٦٥-١٦٧؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٢١.

(١) العبر، ج٧، ص٢٤٠.

(٢) ريحانة الكتاب، ج١، ص٣٥٣-٣٥٥.

(٣) ابن الخطيب: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانه، مراجعة: حسن محمود، دار الكتاب العربي، مصر، ص١٤٥.

ـــ وكذلك شفاعة السلطان المريني في ابن الخطيب الذي فضل الإقامة في فاس عن غرناطة بعد مكوثه مع السلطان محمد المخلوع فترة فيها بسبب الأوضاع السياسية في الأندلس، ويقول ابن الخطيب: (وكان قد بذل المجهود في طلب استصحابي – يقصد به السلطان النصري محمد الرابع –، وتواترت مخاطبتُه إياي على عادة اعتداده وسَنَن فضله، فآثرت ما أنا بسبيله من الراحة، والفرار عن هفوات الغِيَر والانكماش عن الخدمة وأقنعته بالوعد من تَوجُهي إليه بولده عند تصير الأمر إليه)[1].

كما كان للسفارة **الأثر البالغ في توثيق العلاقات** بين فئات من الناس وهي:

- **أولاً**: العلاقة بين حكام فاس وحكام الأندلس كارتباط أبي الربيع المريني برباط المصاهرة مع بني نصر واتخاذه مدينة فاس مقراً لعقد الصلح بين بنو نصر وملوك قشتالة؛ حينما ذهب السلطان النصري محمد الرابع سنة (٧٣٢هـ/١٣٣١م) إلى فاس للتشاور مع السلطان المريني[2]، وهذا مما سهل عملية اللجوء السياسي بين الدولتين[3].

ولا شك أن هذا يؤدي دوره في تثبيت العلاقات العلمية بين البلدين، رعاية لحق السفير العالم الذي كان سبباً في هذه العلاقة أو تلك المصاهرة.

- **ثانياً**: العلاقة بين الحكام والعلماء: اشتهر الحكام آنذاك بحبهم للعلماء وتقريبهم إليهم، ويمثل له بما سبق من شفاعة ابن الأحمر للسلطان المريني في شأن إقامة السفير المغربي المقري في الأندلس راغباً فيها عن فاس وكذلك شفاعة أبي سالم المريني[4] لابن الخطيب الذي فضل الإقامة في فاس، ولقد عرف أبناؤه مكانة أبيهم عند المرينيين فعاشوا في بلادهم، ويذكر المقري منهم علي بن لسان الدين بن الخطيب الذي صاحب السلطان المستنصر بالله أحمد بن أبي سالم ومن شعره في هذا السلطان:

---

(١) نفاضة الجراب في علالة الإغتراب. تحقيق: أحمد مختار العبادي، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، ص٩٣.

(٢) يأتي ذكره في الأحوال السياسية من المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٣) ابن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ص٩٣؛ محمد شبانه: يوسف الأول، ص٤٥٥– ٤٧٣.

(٤) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٣١.

لا أوحش الله ربعاً أنت زائره   يا بهجة الملك والدنيا مع الدين
يا أحمد الحمد أبقاك الإله لنا   فخر الملوك وسلطان السلاطين[1]

ـــ وقد كان العلماء يستغلون السفارة في الاستزادة في العلم والإقراء يقول ابن خلدون: (وعكفت على النظر والقراءة ولقاء المشيخة من أهل المغرب ومن أهل الأندلس الوافدين في عرض السفارة وحصلت من الإفادة منهم على البقية)[2].

وربما كان سبب تفضيلهم للإقامة في البلاد التي خرجوا سفراء إليها هو أنهم يلقون الحفاوة والتكريم من السلاطين إضافةً لتوليتهم مناصب مهمة في أمور الدولة؛ نذكر مثلاً ابن الأزرق الذي رحل إلى مصر سفيراً ثم تحولت سفارته إلى رحله علمية بدأت من غرناطة إلى مصر ومنها إلى مكة والمدينة ثم عاد إلى مصر، ولما وصل إلى القاهرة قصد المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م) واستشاره فيما صدر عن السلطان قايتباي في توليته قضاء بيت المقدس فقال عنه السخاوي: (وقصدني في ذلك ورأيته من رجال الدهر)، ثم توجه إلى بلاد الشام ليتولى قضاء بيت المقدس[3]

ـــ وكان من عادة الحكام حبهم للمحاورة مع السفراء ويذكر لنا المقري في "نفح الطيب" محاورة أدبية بين السفير الأندلسي وبين أبي عنان المريني، وهي أن الخليليّ لما قدم من الأندلس رسولاً إلى سلطان المغرب أبي عنان وأنشد بحضرة السلطان المذكور أبيات ابن خفاجة وهي: (يا أهل أندلسٍ لله درّكم   ماءٌ وظلٌّ وأنهارٌ وأشجار
ماجنّة الخلد إلا في دياركم   ولو تخيّرت هذا كنت أختار

هذه كالمفتخر ببلاد الأندلس، فقال السلطان أبو عنان كذب هذا الشاعر – يشير إلى كونه جعلها جنّة الخلد، وأنّه لو خير لاختارها على ما في الآخرة – وهذا خروج من

(١) المقري: نفح الطيب، ج٧، ص٣٠١.

(٢) العبر، ج٧، ص٤٠٠.

(٣) السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج٩، ص٢١.

ربقة الدين، ولا أقلّ من الكذب والإغراق، وإن جرت عادة الشعراء بذلك الإطلاق، فقال الخليليّ يا مولانا، بل صدق الشاعر، لأنّها موطن جهاد، ومقارعة للعدوّ وجلاد، والنبي ﷺ، يقول الجنّة تحت ظلال السيوف، فاستحسن منه هذا الكلام، ورفع عن قائل الأبيات الملام، وأجزل صلته، ورفع مترلته)[(١)].

– ثالثاً: العلاقة بين العلماء في فاس والأندلس: وهي علاقة ود وصداقة وشملت هذه العلاقة العلماء الذين ذهبوا في سفارة واحده مثل صداقة ابن الخطيب بالنباهي، علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي النباهي، أبي الحسن، المعروف بابن الحسن (ت٧٩٢هـ/١٣٩٠م) [(٢)] الذي أُرسل في سفارتين سياسيتين(سنة ٧٦٧هـ و٧٨٨هـ) /(١٣٦٥م و ١٣٨٦م) من غرناطة إلى فاس غير أن هذه الصداقة لم تستمر فانقلبا عدوين!![(٣)].

ـــ ومن ذلك أيضاً: العلاقة التي نشأت بين العلماء في فاس مثل العلاقة التي بين ابن الخطيب وأبي عبد الله بن مرزوق، محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي من أهل تلمسان، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين[(٤)].

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج١،ص ٦٨١.

(٢) **النباهي**، علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي والمعروف بأبي الحسن، ولد بمالقة، ورحل إلى غرناطة، ثم ولي خطة القضاء بها وكان صديقا للسان الدين ابن الخطيب، ثم انقلبا عدوين، فنال منه ابن الخطيب ولقبه بالجعسوس (القصير) ازدراءً له، وكتب رسالة في هجائه سماها "خلع الرسن في وصف القاضي ابن الحسن، ولابن الحسن كتب مفيدة: منها " المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، سماه ناشره " تاريخ قضاة الأندلس "، و" نزهة البصائر والأبصار" تناول به استطرادا تاريخ الدولة النصرية بغرناطة. انظر: المقري: أزهار الرياض، ج٢، ص٥-٧؛ ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة عيتاني، بيروت، ص١٤٦-١٥١؛ الاحاطة في أخبار غرناطة، ج٢، ص١٩.

(٣) وقد يرجع السبب في دخول الحسد بينهما لما لابن الخطيب من وضع إداري مهم وممتاز في الدولة، وعلى كل فالعلاقة الحسنة أو غيرها من أسباب الحركة العلمية أيضاً في الانتصار أو الرد.

(٤) **أبو عبد الله بن مرزوق**، محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر العجيسي، وُلِد عام (٧١١هـ/ ١٣١١م) من أهل تلمسان، يلقب بشمس الدين العجيسي، الشّهير بالخطيب والجدّ والرّئيس. السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٤٦-٤٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة،ج٣، ص٣٦٠-٣٦٢.

ويذكر في سبب هذه العلاقة هو أنه بعد استقرار ابن مرزوق في الأندلس بسبب فتنة حصلت له في بلده الجزائر حبسه بني زيان على إثرها، ومكث في السجن فترة، ثم خرج فرحل عنهم سراً وقدم إلى الأندلس فتوثقت الصداقة بينه وبين ابن الخطيب(1)، وذكر ابن خلدون أن ابن مرزوق هو مَن دعاهم إلى فاس أيام الخلافات السياسية في الأندلس ويقول في ذلك: (وأحسّ السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان فركب باديا إلى وادى آش وضبطها وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب وقد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس، واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالأندلس كما مر وكان غالبا على هوى السلطان أبي سالم فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادى آش يعده زبونا على أهل الأندلس ويكف به عادية القرابة المرشحين هنا لك متى طمحوا إلى ملك المغرب فقبل ذلك منه)(2).

يقول ابن الخطيب في شان صداقتهما بأنه لما قدم إلى فاس سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م) في شأن الرسالة للسلطان المريني، فعلم ذلك ابن مرزوق فخاطبه قائلاً(3):

يا قادماً وافي بكل نجاح   أبشـــــر بما تلقاه من أفراح
هذي ذرى ملك الملوك فلذ بها   تنل المنى وتفز بكل سماح
مغني الإمام أبي عنان يمن   تظفر ببحر في العلى طفاح
من قاس جود أبي عنان ذي الندى بسواه قاس البحر بالضحضاح
ملك يفيض على العفاة نواله   قبل السوال وقبل بسطة راح
فلجود كعب وابن سعدي في الندى   ذكر محـــاه من نداه ماح

(1) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٣٧٩.

(2) العبر، ج٧، ص٣٣٣؛ وذكر ذلك أيضاً: المقري: نفح الطيب، ج٥،ص٩٩؛ ابن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ص١٧٥؛ المقري: أزهار الرياض، ج١،ص ٦١.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة،ج١،٣٨١؛ السلاوي:الاستقصا، ج٢، ص٩٤.

ورد عليه ابن الخطيب[1]:

راحت تذكرني كؤوس الراح والقرب يخفض للجنوح جناح

وسرت تدل على القبول كأنما دل النسيم على انبلاج صباح

حسناء قد غنيت بحسن صفاتها عن دملج وقلادة ووشـــــاح

هذا غير الصداقة التي ربطت ابن الخطيب بابن خلدون[2] (ت٨٠٨هـ /١٤٠٥م) أثناء مقامهما في فاس وكانت علاقتهما حدثاً هاماً في حياة كلٍ منهما، فمن خلال العلاقة الطيبة التي قامت بينهما تبادل الطرفان طائفة من الرسائل الشخصية والسياسية تعتبر من أبدع ما أنتجته القرائح من نماذج النثر والترسل في عصرهما[3].

ويذكر لنا ابن الآبار سفيراً أندلسياً غير أنه لم يذكر سبب وجهة سفارته وهو ابن سعد الخير البلنسي (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) علي بن إبراهيم بن محمد بن عيسي بن سعد الخير الانصاري، أبو الحسن أديب، له شعر حسن،من أهل بلنسية. ولد بها وأصله من قشتالة وتوفي باشبيلية، قادما في سفارة، قال ابن الابار كانت فيه غفلة، له رسائل وتآليف، منها جذوة البيان وفريدة العقيان والقرط على الكامل، والحلل في شرح الجمل للزجاجي[4].

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة،ج١، ص٣٨١؛ السلاوي: الاستقصا، ج٢، ص٩٥.

(٢) **ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون أصله من أشبيلية وانتقلوا إلى تونس بعد غلبة ابن أذفونش على اشبيلية في أواسط المائة السابعة. ابن القاضي: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي. درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس، ج٣، ص٨٤-٨٦.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١،ص ٢٦، ٢٧.

(٤) ابن الأبَّار: تحفة القادم، ص٤١-٧١؛ الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ). فوات الوفيات، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م، ج٢، ص٤٩ ويذكر فيها أن وفاة البلنسي سنة (٦٧١ هـ).

وأورد لنا المقري في نفح الطيب أن علماء الأندلس وطلابها اجتمعوا بالسفير المغربي القاضي إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي التازي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)[١] الذي كان في مهمة رسمية أرسله السلطان أبو الحسن المريني إلى الأندلس لسفارته الدبلوماسية فاغتنم أهالي الأندلس فرصة وجوده فيها وأخذوا عنه.

ولقد كان أثر السفراء من الأندلس بيِّناً في العلماء والأدباء في فاس، كما تأثر هؤلاء السفراء بالثقافة المغربية فيها، ويدل على ذلك تواصلهم مع علماء المغرب وأدبائه حينما كانوا في زيارتهم للدولة المرينية، ونقلهم منهم إلى الأندلس ما اطلع عليه علماء المرينيين من علوم العرب المختلفة لتأصيلها في بلاد الأندلس[٢] يشير إلى ذلك أبو اسحاق الشاطبي في كتابه "الإشارات والإفادات" بإفادته من صاحبه ابن زمرك[٣] إثر عودته من العُدْوَة محملاً بما استفاد به من علماء المغرب[٤].

وأشهر سفراء الأندلس المستقرين في فاس:

---

(١) **إبراهيم بن أبي يحيى التسولي التازي** (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب، تولى القضاء، واستعمل في السفارة؛ فحمدت حالته، وشكرت سيرته. شرح كتاب "الرسالة" لأبي محمد بن أبي زيد ؛ وقيد على المدونة مجلس الشيخ أبي الحسن الصغير قاضي الجماعة بفاس، وضم أجوبته في نوازله في سفر. وكان فارساً شجاعاً، نبيه المشاورة، وجيهاً عند الملوك، صحبهم وحضر مجالسهم. وفلج بآخر عمره، فالتزم منزله بفاس، يزوره السلطان، فمن دونه. المقري: نفح الطيب، ج٥، ص٣٨٧؛ ويذكره أيضاً النباهي في: تاريخ قضاة الأندلس، ص٧٤؛ وابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١،ص ٨١.

(٢) محمد عيسى الحريري. تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٢٣٧.

(٣) **ابن زمرك:** هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصرنجي،ولد ببعض قرى غرناطة في شوال سنة (٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، ونشأ بها وكان من صدور الطلبة والنجباء شعلة في الذكاء يساعده ظاهرا ثاقب الذهن جيد الفهم فاشتهر بفضله ثم ترقى إلى كتابة السلطان أبي الحسين التونسي ثم كتب لصاحب الأندلس، كان على قيد الحياة عند سنة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م). ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج١، ص٥٥.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج٧،ص ٢٧٩؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٢،ص ٣٠٣.

- لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، أديب، شاعر، مؤرخ، ولد بلوشة (Loja)، ونشأ بغرناطة، واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل، ثم ابنه الغني بالله محمد من بعده، وعظمت مكانته، وشعر بسعي حاسديه في الوشاية به، فكاتب السلطان عبد العزيز ابن علي المريني، برغبته في الرحلة إليه، وترك الاندلس خلسة إلى جبل طارق، ومنه إلى سبتة فتلمسان (سنة ٧٧٣) وكان السلطان عبد العزيز بها، فبالغ في إكرامه، وأرسل سفيرا من لدنه إلى غرناطة بطلب أهله وولده، فجاؤوه مكرمين، واستقر بفاس، ومات عبد العزيز، وخلفه ابنه السعيد بالله، وخلع هذا، فتولى المغرب السلطان (المستنصر) أحمد بن إبراهيم، وقد ساعده (الغني بالله) صاحب غرناطة مشترطا عليه شروطا منها تسليمه (ابن الخطيب) فقبض عليه المستنصر، وكتب بذلك إلى الغني بالله، فأرسل هذا وزيره (ابن زمرك) إلى فاس، فعقد بها مجلس الشورى، وأحضر ابن الخطيب، فوجهت إليه تهمة (الزندقة) و (سلوك مذهب الفلاسفة) وأفتى بعض الفقهاء بقتله، فأعيد إلى السجن.

ودس له رئيس الشورى (واسمه سليمان بن داود) بعض الاوغاد من حاشيته، فدخلوا عليه السجن ليلا، وخنقوه.ثم دفن في مقبرة (باب المحروق) بفاس.

وكان يلقب بذي الوزارتين: القلم والسيف، ويقال له (ذو العمرين) لاشتغاله بالتصنيف في ليله، وبتدبير المملكة في نهاره.

ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتاباً، منها "طرفة العصر في دولة بني نصر"، "الإحاطة في أخبار غرناطة"، "اللمحة البدرية في الدولة النصرية"، "التعريف بالحب الشريف"، "ريحانة الكتاب وتحفة المنتاب"، "الإكليل الزاهر فيما فضل من نظم التاج من الجواهر"، "تاج المعلى في بيان الأدباء الكائنة في المائة الثامنة"، "رقم الحلل في نظم الدول"، "هدار الكنايات في تراجم الأدباء بالمغرب"[(١)].

---

(١) المقري: نفح الطيب ، ج٥/ ص ٧٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣/ ص ٤٦٩؛ ابن خلدون : العبر، ج٧، ص ٣٤١؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص١٥، ٩٧، ؛ ج٢، ص١١١٠، ١٧٧٩.

ومن السفراء بين الأندلس وفاس: أبو الحسن علي بن عبد الله النباهي (ت بعد ٧٩٢هـ/١٣٩٠م)، أرسل مرتين في سفارة سياسية من غرناطة إلى فاس (سنة٧٦٧ و٧٨٨هـ)، وكان صديقا للسان الدين ابن الخطيب ثم انقلبا عدوين[١].

وممن تولى السفارة بين الأندلس والعدوة عامة: محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطنجالي، لوشي الأصل، مالقي النشأة والاستيطان، فقيهاً محدثاً مفسراً، ولي الخطابة ببلده مالقة، عرف عنه التواضع في الملبس والمركب، استعمل في السفارة بين ملكي العدوة والأندلس في أحوال المسلمين[٢]. ومنهم: محمد بن علي بن أحمد الخولاني، أبو عبد الله يعرف بابن الفخار وبالألبيري، النحوي، كان فاضلاً تقياً متعبداً، عاكفاً على العلم، ملازماً للتدريس، واستعمل في السفارة إلى العدوة مع مثله من الفقهاء، ومات بغرناطة سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م)[٣].

وإذا أردنا أن ننظر بنظرة إجمالية إلى دور السفارة كسبيل من سبل التبادل العلمي بين فاس والأندلس نلمح أموراً لعل أهمها ما يلي:

أولاً: استمر التواصل الدبلوماسي بين الموضعين مدة، وكانت له آثاره الإيجابية على الطرفين، كما يشهد على ذلك التاريخ المستند إلى الوثائق والآثار التاريخية المتنوعة، وكثافتها بين هذين القطرين دون باقي الأقطار المغاربية الأخرى تدل على قرب المكان.

ثانياً: يمكننا أن نعد فترة التواصل الدبلوماسي بين سلاطين بني مرين بفاس وملوك الطوائف بالأندلس أغزر تواصل دبلوماسي عرف في تلك الفترة من الزمان، حيث وصل معدل التواصل إلى اتصال واحد كل شهر تقريبا ما بين مراسلة عادية وبعثة دبلوماسية عالية المستوى، مع التنبيه على أن كتاب "ريحانة الكتاب " لم يجمع كل المراسلات التي

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٤، ص٦٩.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص١٨٦.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٢٠، ٢٤؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج١، ص١٣١.

كتبت[1]، وهذا ما يؤكد على التأثير المتبادل بين القطرين، والذي يستند على مقومات سياسية واجتماعية وثقافية وحضارية واستراتيجية قوية تمتع بها الطرفان.

ثالثاً: من الآثار أيضا تبادل الكفاءات في مختلف المجالات الثقافية والدينية وغيرها. وكذلك الأمر بالنسبة للقضاء، ورسم كتابة الدولة، فكان التأثير في فاس واضحاً عن طريق الزيارات المختلفة، سواء من قبل العلماء أو الطلبة.

كما إن الرسائل المتبادلة بين فاس والأندلس في السفارة، تعد من روائع النثر الأدبي، مما ساهم في الاهتمام بعلوم اللغة في الجملة أيضاً.

(١) رابح عبد الله المغراوي: التواصل الدبلوماسي بين الأندلس النصرية والمغرب المريني من خلال رسائل ابن الخطيب الأندلسي (٧٥٠-٧٧٠هـ)، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، العدد السادس والعشرون، ربيع ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٩٢.

التجارة

لم تزل التجارة سبيلاً من سبل التبادل العلمي بين البلدان، ويعزى ذلك لأمور لعل من أهمها:

ـ ما ورد في السنة من الحث على التجارة، فعن رافع بن خديج أن النبي ﷺ قال: ((أطيب الكسب عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور))[1]، ولذا اتجه الكثير من العلماء للعمل والتجارة، فنجد في نسبتهم: (الحداد، والنجار، والزجاج ... إلخ).

ـ ما كان من انتشار للإسلام في كثير من المناطق عن طريق التجار، كانتشاره في جنوب شرق آسيا وغيرها.

ـ كون التجار دوماً لهم من الأخلاق السهلة التي تمكنهم من كسب قلوب الناس، ولهم سعة صدر في الحديث مع الناس، مما يقبل معه ما يملونه من علوم ومعارف.

ـ كون التجارة تتطلب السفر غالباً، والناس يحبون أن يجالسوا الغرباء ليسمعوا منهم ما لا يجدونه ببلدانهم، فيكون ذلك سبباً لتعزيز العلاقات العلمية إذا كان التاجر عالماً.

ومن هنا كان من الأهمية بمكان، أن تتم دراسة التجارة كسبيل من سبل التبادل العلمي بين فاس والأندلس، وتحليل النتائج الواردة في ذلك.

لقد كان لازدهار الحياة الاقتصادية[2] الأثر الكبير على نشاط الحركة التجارية الداخلية والخارجية في البلاد الإسلامية، ومما ساعد على نشاطها أيضاً وجود الطرق التجارية البرية والبحرية عن طريق موانئ الأندلس والمغرب مما سهل للصادرات بتوفرها من وإلى فاس.

وسنتحدث عن أهم المراكز التجارية الأندلسية التي ساعدت على حركة التجارة بين الأندلس ومدينة فاس، ثم نتحدث عن حركة الصادر والوارد بين الأندلس وفاس.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث رافع بن خديج في المسند، ج٤، ص١٤١، ابن حنبل: أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ). المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م؛ وصححه محمد ناصر الدين الألباني في: السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ج٢، ص١٦٠.

(٢) سيتم دراسة الأوضاع الاقتصادية في المبحث التالي.

أهم المراكز التجارية:

ساهم الأسطول الإسلامي في تطوير الحركة التجارية في الأندلس، حيث ربط الأندلس ببقية بلدان العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وأصبحت مراكز صناعة الأسطول على الشواطئ الأندلسية موانئ ومراكز تجارية هامة خدمت الحركة التجارية فيها[١]، نذكر منها:

١) المرية:

ظلت **المرية** طيلة تعاقب الحكم الإسلامي عليها حتى سقوطها من أهم المدن التجارية، لما بلغته من شهرة في مجال الصناعة والتجارة، إذ أنها كانت ميناءً تجارياً هاماً، ومركزاً للتجارة الداخلية والخارجية، وهي من أشهر مراسي الأندلس وأعمرها[٢] فمن مينائها كانت تبحر السفن إلى شرق البحر المتوسط وإلى العدوة المغربية محملة بمنتجات الأندلس[٣]، فهي باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق[٤]، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالاً[٥] ولا أتجر منهم في جميع أنواع التجارات تصريفاً وإدخاراً[٦].

---

(١) حسن بن يحيى بن حسن الشوكاني: تجارة الأندلس في العصر الأموي (١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٥-١٠٣٠م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٠هـ، ص١٤٩-١٥٠.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص٥٣٨؛ صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب روض المعطار في خبر الأقطار، جمعه سنة ٨٦٦هـ)، عني بنشره وتصحيحه: ليفي بروفينسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م، ص١٨٣.

(٣) حمدي عبد المنعم حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٧م، ص٣٤٩؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨١م، ص٢٢٣؛ ليفي بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة: عبد الهادي شعيرة، راجعه. عبد الحميد العبادي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م، ص١٠٤.

(٤) ابن غالب: أبو عبدالله محمد بن غالب البلنسي (ت٧٦٧هـ): فرحة الأنفس في أخبار الأندلس، قطعة من كتابه، د. لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، المجلد الأول، الجزء الثاني، ربيع الأول، ١٣٧٥هـ/ نوفمبر، ١٩٥٥م، ص٢٨٣.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٩٧- ١٩٨.

(٦) الحميري: الروض المعطار، ص٥٣٨؛ صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٣.

وأشار إليها الإدريسي بأنها مدينة كبيرة كثيرة التجارات والمسافرون إليها كثيرون، وكان أهلها مياسير، ولم يكن في بلاد أهل الأندلس أحضر من أهلها نقداً ولا أوسع منهم أحوالاً[1]، وبحكم موقعها الجغرافي فقد كانت أقرب الموانئ الأندلسية للعدوة المغربية التي ارتبطت معها بصلات بحرية وثيقة، فكانت السفن تتردد بين ثغر المرية وثغور المغرب مثل وهران وبجاية وجزائر بني مزغنة وتنس وسبتة وتونس[2].

٢) إشبيلية:

مدينة كبيرة عامرة، ذات أسوار حصينة، وأسواق كثيرة، وبيع وشراء، وأهلها مياسير، وجل تجاراتهم بالزيت، يتجهز به منها إلى أقصى المشارق والمغارب براً وبحراً[3]، أسواقها حسنة[4]، وبلغ من قوة الحركة التجارية فيها أن انتشرت الأسواق في كل القرى المحيطة بها، وأصبحت كل قرية عامرة بالأسواق[5].

٣) قرطبة:

أعظم مدن الأندلس كما وصفها الجغرافيون[6]، وبقيت أعظمها حتى سقوط الخلافة الأموية سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م)، حيث طحنتها رحى الفتنة، وغيرها حلول المصائب والأحداث

---

(١) نزهة المشتاق، ١٩٧- ١٩٨.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص٨٨.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق،ص ١٧٢؛ الحميري: الروض المعطار،ص٥٩.

(٤) مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق: لويس مولينا، معهد ميجل آسين،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣م، ص٦٢.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٥٤.

(٦) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٠٧؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٩٥؛ ابن الشباط: محمد بن علي بن الشباط المصري، التوزري. وصف الأندلس، قطعة من كتاب "صلة السمط وسمط السمط" لابن الشباط، تحقيق: محمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد ١٤، ١٩٦٧ــ ١٩٦٨م، ص١١٣الحموي، معجم البلدان،ج٣، ص٣٧٩؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٣؛ الزهري: محمد. كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج الصادق، مجلة الدراسات الشرقية، دمشق المعهد الفرنسي، ص٨٦؛ الإصطخري: المسالك والممالك، ص٣٥؛ المقدسي: محمد بن أحمد البشّاري (ت٣٧٥هـ). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٦م، ص٣٣٣.

مع اتصال الشدائد على أهلها [١]، يذكر الحميري بأنها: (في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضاً، وبين المدينة والمدينة سور حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمّامات وسائر الصناعات، وتجارها مياسير وأحوالهم واسعة)[٢]، ويقول ابن حوقل عنها: (وأعظم مدينة بالأندلس: قرطبة، وليس بجميع المغرب لها شبيه، ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهل، وسعة رقعة، وفسحة أسواق، ونظافة محال، وعمارة مساجد، وكثرة حمامات وفنادق)[٣].

٤) مدن شرق الأندلس:

توفرت فيها المراسي التي ساعدت نشاط التجارة البحرية الإسلامية طوال الحكم الإسلامي فيها حتى على الرغم من السيادة التجارية البحرية الإيطالية خلال القرن الثاني عشر الميلادي[٤]. **منها**: مدينة **بلنسية** الغزيرة الإنتاج لوقوعها في إقليم سهلي[٥]، وقربها من مرفأ بحري شهد حركة تجارية نشطة للصادر والوارد، وكثرة وصول التجار إليها من أماكن مختلفة، كل ذلك أثر في دعم الحركة التجارية فيها[٦]، وذكر الجغرافيون أنه كان فيها أسواق وتجارات وحط وإقلاع[٧].

ومدينة **دانية** (Denia) التي يقول فيها الحميري: (على البحر عامرة حسنة لها ربض...والسفن واردة عليها صادرة عنها)[٨]، ويقول الإدريسي فيها أيضاً: (وهي مدينة

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق،ص١٨٧.

(٢) الروض المعطار، ص٤٥٦؛ صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٣.

(٣) ابن حوقل:صورة الأرض، ص١٠٧.

(٤) أرشيبالد. ر. لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠هـ/ ١١٠٠م)، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ب ت، ص٣٩٣.

(٥) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٨٥.

(٦) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسلامي (٩٥ــ ٤٩٥هـ/ ٧١٤ ــ ١١٠٢م)، مكتبة مطبعة الإشعاع، الإسكندرية، مصر، ب ط، ب ت، ص٢١٧.

(٧) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢،ص ٥٥٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص٩٧.

(٨) الروض المعطار،ص٢٣٢.

تسافر إليها السفن .... ومنها تخرج إلى أقصى المشرق)(١)، وذكر ابن غالب أن مرساها من أعجب المراسي(٢).

ومدينة **شاطبة** التي يتجهز فيها التجار بالأمتعة إلى بلاد السودان وغانة وجميع بلاد المغرب(٣) ولورقة (Lorca) التي كانت من أكثر مدن الأندلس نشاطاً في التجارة البحرية ساعدها على ذلك توفر المعادن التي كانت تحمل إلى كثير من الأقطار(٤).

ومراسي جزر البليار التي تبحر منها السفن التجارية إلى سواحل المغرب، ومرسية التي وصلت صادراتها إلى بلاد أفريقيا والمغرب(٥)، وبلغت أسواقها شهرة واسعة إذ قيل عنها: (كما يتجهز الفارس من تلمسان، كذلك تتجهز العروس من مرسية)(٦).

وبعد قيام دولة بني نصر في مملكة غرناطة نجد أنهم اتجهوا بتجارتهم إلى بلاد المغرب التي كانت سوقاً للتجارة الغرناطية وكانت حركة السفن والعبور بينهما مستمرة وذلك لتضامنهم مع سلاطين بني مرين في جعل مضيق جبل طارق مضيقاً إسلامياً يسهل من خلاله التواصل العسكري والاجتماعي والاقتصادي، وقد كانت المغرب طريق تجارة الغرناطيين إلى بلاد المشرق(٧) كما أصبحت المرية ورُندة والجزيرة الخضراء وطريف (Tarifa) من أهم الموانئ الرئيسية للبلاد.

---

(١) الإدريسي: صفة المغرب،ص ١٩٢

(٢) فرحة الأنفس، ص٢٨٥.

(٣) العذري: أحمد بن عمر بن أنس (ت٤٧٨هـ). نصوص عن الأندلس. من كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار"، تحقيق: د. عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م، ص١٩.

(٤) الحميري: الروض المعطار،ص ٥١٢.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٨٧؛ حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين، مكتبة مدبولي، مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م،ص ٢٨٩.

(٦)ابن سعيد: عبد الملك ابن سعيد المغربي (ت٦٨٥هـ): المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٥٣م، ج٢، ص ٢٤٦.

(٧) عبده محمد عواجي: علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية، ص٣٤٧.

وكانت مدينة **سبتة** هي ميناء الاتصال التجاري المغربي بالأندلس في العهد المريني[1]، إذ كان ميناؤها مركزاً لتجمع كثير من قوافل العصير والحرير والكتان[2]، وكانت السفن التجارية على اختلاف أحجامها وجنسياتها تتردد بين موانئ المغرب الأقصى وبين **المرية** التي كانت – قاعدة الاتصال الاقتصادية بين أوربا والمغرب الأقصى ولذلك حرص الحكام المسلمون – بنو مرين وبنو الأحمر- على تأمين التجارة الخارجية، وذلك بالنص على ضرورة احترام النصارى للتجار المسلمين وحسن معاملتهم وعدم الاعتداء عليهم أو على أموالهم، وذلك ضمن المعاهدات التي أبرمت بين المرينيين وبني الأحمر من ناحية، ونصارى الأندلس من ناحية أخرى[3].

أما مدينة فاس، فنجدها قد تأثرت بالهجرة الأندلسية إليها، إذ يتجلى الطابع الأندلسي في فاس في ميدان التجارة والاقتصاد والموسيقى، ففي فاس نلاحظ إلى اليوم وجود أعراف ومظاهر واتجاهات يرجع أصلها إلى المهاجرين الأندلسيين، الذين وصفهم سرفانتيس في بعض رسائله بالاقتصاد في الإنفاق واكتناز المال، واحتكار تجارة الأغذية في الأندلس، حيث كانوا يضعون يدهم على المحاصيل عند نضجها، .... وكان منهم تجار البقالة، والماشية، والقصابون، والخبازون، وأصحاب الفنادق[4].

فقد كانت مدينة تجارية مهمة، خاصة وأنها كانت طريق التجار المسلمين لبلاد الذهب في غانا والصمغ في السودان.

ومما يدل على انتشار التجارة في فاس؛ ما يذكره الجزنائي أنها كانت: (مركزاً لتجمع التجار من جميع البلدان والأقطار، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية

---

(١) محمد الحريري: المغرب والأندلس، ص٢٣٥.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٦، ص٢١٠.

(٣) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص١٧٢،١٧٣؛ محمد الحريري: المغرب والأندلس، ص ٢٩٥.

(٤) عبد العزيز بن عبد الله. مظاهر الحضارة المغربية، دار السلمى للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٥٧م، ج١، ص٣٩.

فليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها متجر ومترل وصناعة وتصرف واجتمع فيها ما ليس بمدينة من مدن الدنيا)(١).

وأضيفت إليها أهمية تجارية إلى جانب أهميتها السياسية فقد كانت تقوم بدور العاصمة التجارية للدولة المرينية.

وكانت لها تجارة مع سائر مدن الدولة، خاصة ما كان قريباً منها مثل تازا شرقاً ومكناسة غرباً، وحتى تلك المدن التي تبعد عنها مثل سلا ومراكش حيث كانت أسواق هذه المدن تحرص على ما تنتجه فاس من كماليات، تحتاجها الطبقة المتوسطة من الأقمشة والأحذية وأغطية الرأس(٢).

وتوفرت في الأندلس وفاس الأسواق التي ساعدت على تصريف التجارة بينهما والأسواق فيهما شأنها شأن باقي الأسواق في العالم الإسلامي، فكل سوق من الأسواق يضم عدة متاجر تتاجر في سلعة واحدة، وتباع السلع في بناء كبير مستطيل الشكل بداخله دروب ضيقة تتوزع فيها الحوانيت على كلا جانبيها ويطلق على هذا البناء اسم قيسارية(٣)، وإن جرت العادة أن يطلق على الأسواق الخاصة بالأقمشة: القيسارية Alcaicer ia(٤).

وقد جرت العادة أيضاً على وجود الأسواق حول المساجد، وإن كان هذا ليس موضع اقتصار، بل قد تقام في أكثر من موضع في المدينة على حسب اتساع المدينة

---

(١) زهرة الآس، ص٢٩.

(٢) روجيه لوترنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة: نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ١٩٦٧م، ص ١٣٧- ١٣٨.

(٣) السيد عبد العزيز سالم: العمارة المدنية بالأندلس، مقال بدائرة معارف الشعب، العدد٦٤، ص ١٤٥، والقيسارية: شبيهة بالفندق والوكالة، تتكون من فناء مركزي محيط به أروقة بها حوانيت ومساكن لسكنى التجار. وعرفها السالم بأنها كلمة يونانية معربة وتعني السوق القيصري التابع للدولة، وانظر في تعريفها: نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ٢٨٧ ـــ ٢٨٨.

(٤) ليفي بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ص٦٧؛ روجيه لوترونو: فاس في عصر بني مرين، ص١٦٠.

وكبرها، وكلما زاد اتساع المدينة، وكثر العمران بها، كلما كثرت الأسواق، وزاد انتشارها في المدن[(١)]، كما قد تقام داخل الأحياء،أو في الميادين الكبرى.

بل قد تقام الأسواق عند أبواب المدينة أو خارج أسوارها[(٢)]، كما كان الحال في الأندلس، فمثلاً وجدنا في قرطبة باباً للعطارين، وباباً للحدادين، وكان ثمة باب للصباغين في إشبيلية، وباب للوراقين في بلنسية[(٣)].

وفي فاس انتقلت إليها القيساريات عن طريق الأندلس، فقد ذكر ابن ابي زرع أن الإمام إدريس بني القيسارية بالقرب من المسجد، ورتب حولها بعض المتاجر والرحاب[(٤)].

أما بالنسبة لوصف القيسارية في فاس القديمة؛ فكانت تقع في وسط المدينة وعلى أرض مستوية قريبة من المسجد الجامع، وأنها كانت تضاهي مدينة صغيرة بأسوارها وبأبوابها المتينة المزودة بالسلاسل الموضوعة عرضاً لمنع دخول الخيل. وكان لها خمسة عشر باباً، وهي مشتملة على أجود المتاجر، والمُرَتَّبة الواحد تلو الآخر، ليس بينها منازل؛ ذلك لأنه لا يسمح بالسكنى هناك للعائلات على الإطلاق ولا يسمح أن يبيت فيها أحد ليلاً؛ فبعد خروج جميع التجار منها تغلق الأبواب، وتبقى المجموعة كلها تحت رعاية عمدة القيسرية؛ ويحرس هذا الأخير المكان مع حُراسه، متحملاً مسؤولية الأضرار الناتجة عن أي تقصير، كما تتحمل مجموعة التجار أجرة القيام بتلك الرقابة الليلية.

وكانت المتاجر التي تُباع فيها نفس المنتجات في موضع واحد، قريب بعضها من بعض؛ وتتجمع في شارع واحد أو في أكثر من شارع.

---

(١) ليوبولدو تورِّس بالباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ترجمة: إليو دورودي لابنيا، مراجعة. د.نادية محمد جمال الدين،د.عبدالله بن إبراهيم العمير، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م،ص٤٤٦-٤٤٧.

(٢) بالباس: المدن الأسبانية الإسلامية،ص٤٤٦-٤٤٧.

(٣) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص٥٩٨؛ المقري: نفح الطيب،ج٢، ص١٤، ج٦، ص٢٧؛ العذري، أحمد بن عمر بن أنس: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق: د. عبدالعزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م، ص١٨.

(٤) بالباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص٥٣٠.

ولذا فالبحث عن البضائع المطلوبة لا يستدعي الأمر التجول فيها كلها، وكذلك الحال خارج القيسارية؛ فيوجد في أحد الشوارع تجار الفاكهة دون أن يدخل وسطهم باعة الأنواع الأخرى من البضائع، وفي شارع آخر يوجد صانعو الأحذية، وهكذا بالنسبة إلى الأنواع الأخرى من البضائع الاستهلاكية.

وما يباع بالقيصرية هو عبارة عن أثمن وأرقى البضائع كأنسجة الحرير والأقمشة وأنسجة الكتان والقطن(١).

وقد أُطلق على أبواب مسجد القرويين أسماء ذات دلالات تجارية مثل باب الكتيبيين حيث كان باعة الورق والكتب، وباب الشماعين، وبقربه باعة الشموع،وباب الموثِّقين حيث يجلس الموثقون للقيام بأعمالهم في كتابة العقود وتحريرها(٢).

كما كان بهذه الأسواق: أسواق للدباغين والصباغين والحدادين والسراجين(٣)، وسوق البلاجيين(٤).

وكان كل نوع من أنواع الصناعة يحتل شارعاً أو سوقاً باسمه مثل ربض الفخارين في غرناطة وسوق العطارين والصباغين والوراقين والدباغين والطوابين، وسوق الفاكهة وسوق النحاسين(٥).

---

(١) بالباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص٥٣٠-٥٣١.

(٢) الجزنائي: زهرة الآس، ص١١٣؛ محمد الحريري:تاريخ المغرب والأندلس،ص ٢٩٣.

(٣) محمد الحريري، تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٩٣. وقد أبعدت هذه الأسواق عن المنازل والسكان حتى لا تؤذيهم برائحتها.

(٤) **البلاجة**: حرفة كانت من متممات النجارة وهي حرفة صنع المغاليق الخشبية لأبواب المساجد والحوانيت وغيرها ويسمى المغلاق (الفرخة) ولهذه الفرخة مفتاح حسبي له أسنان من حديد وسوق البلاجيين قريب من سوق النجارين، عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، اللسان العربي، الرباط، العدد الرابع، ربيع الثاني/ غشت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص٩٤.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج٢،ص ٣٩٤؛ القلقشندي:صبح الأعشى،ج٢، ص ٢٩٣. ابن عبدون: ثلاث رسائل،ص ٤٣؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص١١٨.

وتجار المواد الغذائية من تجار السمك والفاكهة والخضروات وباعة العجين المقلي مع الجبن والأصناف الجيدة من الأمعاء المحشوة، ثم دكاكين بائعي السمن والعسل وبائعي اللبن، وبائعي الشعير والقمح ويقال لهم الحناطون، وبائعو الملح والخل، إذ كان في فاس عدد من حوانيت الأطعمة الجاهزة مثل المعجنات والحلويات والفواكه المقلية[١].

أما بالنسبة للأسواق في مدن الأندلس؛ فقد كان تعج جميع مدنها بالأسواق؛ ففي قرطبة يقع الجامع في منتصف في المدينة وحوله أغلب الأسواق[٢].

وغرناطة أسواقها المنتشرة بها الكثير من السلع المختلفة[٣]، واشتهرت مدينتي المرية[٤] ومالقة بالمباني الفخمة والحمامات الحسنة والأسواق الجامعة الكثيرة العامرة[٥] وإشبيلية[٦]، وطليطلة (Toledo) قاعدة الثغر الأعلى للمسلمين والتي بها سوق الدواب الشهير (Zocodover)[٧]، وكانت تمد المجاهدين بما يحتاجونه من الدواب لجهادهم ضد النصارى[٨]، ومرسية[٩]، ولورقة التي اشتهرت بكثرة أسواقها وبها أسواق وربض في أسفل المدينة، وعلى الربض سور، وفي الربض السوق[١٠]، كما اشتهرت مدينتي

---

(١) ابن عبد الرؤوف: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ص٩٢، ١٠٥؛ ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص٤٣؛ روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين،ص ١٣٠.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم،ص٣٣٣.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١،ص ١١٥-١١٦.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١،ص ١٥٣، ١٦٣.

(٥) الحميري: الروض المعطار، ص٥١٨؛ ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص١٤٠؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٥.

(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤١؛ مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص٦٢.

(٧) بالباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص٤٨٤

(٨) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام، ص٥٨.

(٩) الحميري: الروض المعطار، ص٥٣٩.

(١٠) الحميري: الروض المعطار، ص٥١٢.

شقر(Alcira) وبلنسية، وجيان[١]، وشِلب(Silves)، ولبلة، وشقة[٢] بأسواقها المتعــددة، أما بعض المدن الصغيرة والقرى فاشتهرت بالسوق الواحدة فيها مثــل مدينــة لقنــت (Alicante) التي بها سوق واحد، ومــسجد جــامع واحــد ومنــبر[٣]، وشــلطيش (Saltes)[٤]، وجزيرة شقر[٥].

وقد وثقت هذه الأسواق الصلات التجارية بين سكان المغرب والأندلس عبر العصور التاريخية المختلفة، فلقد ازدحمت أسواق المغرب بالتجار الأندلسيين، فاستحوذوا على معظم خانات عدوة القرويين وكونوا في المدينة أكبر جالية أندلسية[٦].

ـــ أهم التجارات بين الأندلس وفاس:

تجارة الرقيق

اشتهرت الأندلس بتصدير الرقيق إلى أنحاء مختلفة من العالم . ويقول ابن حوقل: (ومن مشهور جهازهم الرقيق من الجواري والغلمان من سبي إفرنجة وجليقية والخدم الصقالبة، وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان فمن جلب الأندلس)[٧]، ويجلب الرقيق إلى الأندلس من مختلف مناطق أوروبا ومن بلاد الترك [٨]. وهم الرقيق

(١) الحميري: الروض المعطار،ص٣٤٢، ص ٥٠٨، ص٦١٢

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤٣، ص٥٥٨، ص٥٤١، ص٧٣٣

(٣) الإدريسي: الروض المعطار، ج٢، ص٥٥٨؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥١١.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤٢.

(٥) الحميري: الروض المعطار،ص ٣٤٩.

(٦) محمد زغروت: العلاقات بين الخليفة الناصر الأموي ومعاصريه الفاطميين في الشمال الإفريقي، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص١٣٥.

(٧) صورة الأرض، ص١٠٤، ١٠٥.

(٨) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٠٦.

الأبيض ويطلق عليهم الصقالبة[١]، فقد كانت الحملات الجهادية التي قام بها المسلمون في الأندلس مورداً هاماً للرقيق عن طريق السبي الذي حصل عليه المسلمون ووصل إلى أسواق الأندلس [٢].

ولم تقتصر عملية الاسترقاق بالجهاد فقط بل شملت أيضاً الحروب الداخلية بين المسلمين، وهي ما كان في أواخر الخلافة الأموية وهو ما تحدث عنه ابن عذاري بأن من نتائج الفتنة التي عرفتها مدينة قرطبة عقب انهيار الخلافة الأموية، (حيث نهبت ديار البربر وسبي نساؤهم وباعوهن في دار البنات وقتلوا النساء الحوامل)[٣].

وفي عصر ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين من بعدهم وهي الثورات وحركات العصيان التي تندلع بين الفينة والأخرى في وجه السلطة القائمة[٤].

وانتقل الرقيق الأبيض إلى المغرب في العصر المرابطي وما بعده لما دخل يوسف ابن تاشفين مدينة أشكونية (ASCUNI) في الأندلس سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) وحمل منها ما يقدر بـــ(ستة آلاف) سبية[٥].

---

(١) **الصقالبة**: الصقلاب مفرد للصقالبة هو الرجل الأبيض أو الرجل الأحمر كما ذكره ياقوت الحموي في: معجم البلدان، ج٣، ص٤١٦.

ويطلق على الأسرى الذين تأسرهم الشعوب الجرمانية في حروبها ضد الأمم الصقلبية، ثم يبيعونهم إلى تجار الرقيق في أسبانيا ولكن ما لبث هذا المصطلح أن شمل كل الرقيق الأبيض القادم من مختلف جهات أوروبا، وكان لهؤلاء الرقيق دور سياسي واقتصادي وعلمي واجتماعي في البلاد، المسلمون في الأندلس، ج٢، ص٣٧-٣٨. وسيأتي الحديث عنهم بالتفصيل في المطلب الرابع وهو العوامل الاجتماعية.

(٢) ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف،(ت٤٦٩هـــ). المقتبس في أخبار بلد الأندلس، جزء منه نشر: م ملشور، م انطونيه، باريس، ١٩٣٧م، وجزء آخر تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، مصر، ١٣٨١هـــــ ١٩٦١م.، ص١٤٦، ١٦٢، ١٩١؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الأندلسي (ليفي برفنسال)، ج٢، ص٦٧- ٧٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢١٧.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٥٢.

(٤) عبد الإله بن مليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٢٩.

(٥) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٦٤؛ السلاوي: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، وً محمد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ج٢، ص٦٩.

وكذلك كانت حصيلة جواز المنصور الموحدي إلى الأندلس سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) وتحديداً إلى مدينة أشبونة (Lisboa_ Lisbonne) ونواحيها، أن حمل معه إلى فاس ثلاثة عشر ألف سبية من النساء والذرية[١]، فضلاً عن الهدايا التي توصل إلى أمراء المغرب من الصقالبة، أما الرقيق الأسود فيصل إليها من القارة الأفريقية[٢] سواء من الحبشة أو السودان أو بلاد النوبة وغيرها، إلى جانب الرقيق الذي كان يصل إلى أسواقها من بلاد المشرق الإسلامي وكان أغلبه من الجواري المغنيات[٣].

ولقد لعب التجار اليهود دوراً كبيراً في نقل الرقيق من شرق أوروبا وغربها إلى الأندلس[٤] حيث يعاونهم النصارى هناك في تجارة الرقيق[٥].

كما أدت غزوات المسلمين المتكررة على بلاد الفرنجة وكثرة الحروب في أوروبا وتوسع الكارولنجين شرقاً إلى امتلاء أسواق بلاد الأندلس بالرقيق .

كما أدت العلاقات الدبلوماسية والسياسية بين ملوك دول أوروبا والخلفاء والأمراء العرب المسلمين إلى تبادل الهدايا والطرائف والتحف وخاصة أثناء عقد معاهدات الهدنة وتجديد الصلح وذلك تعبيراً عن حسن النية ورغبة في توطيد الصلات التجارية . وكانت الجواري والخصيان الصقالبة من جملة الهدايا التي يبعث بها ملوك أوروبا إلى المسلمين الأمر الذي ساعد على ازدهار تجارة الرقيق .

ويذكر المقري هدية ملكي برشلونة (Barcelona) وطركونة (Tarragona) إلى الخليفة الحكم المستنصر والذي كان من جملتها عشرون صبياً من الخصيان الصقالبة[١].

---

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢١٨؛ السلاوي: الإستقصا، ج٢، ١٨١

(٢) عبد الإله بن مليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص٢١٥

(٣) الإصطخري:المسالك والممالك، ص٣٧؛ نزهة المشتاق، ج١، ٣٠-٣١.

(٤) بوتشيش: أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الأمارة، مجلة المناهل، الرباط، عدد٣٢، السنة ١٢، جمادى الثانية،ص ٢٤٤

(٥) أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من العلماء بإشراف: محمد حجي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م، ج٥، ص٢٥٣.

وكان للرقيق في بلاد الأندلس أسـواق خاصة ومشـهورة منتشرة في المدن الكبيرة كما تقدم، ومن أشهرها سوق طليطلة وسوق قرطبة وسوق المرية،وكان يطلق على السوق اسم المعرض[٢] لأن التجار يعرضون فيه الجواري والعبيد.

وتختلف أسعار الرقيق من منطقة إلى أخرى فمثلاً كان سعرها في الأندلس ألف دينار[٣] بينما في فاس كان سعرها ثلاثة عشر ديناراً[٤]، كما اختلف سعر الرقيق بحسب مهارهّا في المهنة فمثلاً في بلاد الأندلس نجد أن جارية ابتيعت في القرن (٤هـ/١٠م) في قرطبة بـثلاثمائة دينار[٥] بينما نجد في القرن (٥هـ/١١م) وصل سعرها إلى ثلاثة آلاف دينار، وسبب ارتفاع سعرها بأن الجواري اشتهرن بالغناء[٦]،كما كان يحدد سعر الرقيق بحسب الجنس والنوع واللون، فمثلاً كان سعر الجارية يفوق كثيراً سعر العبد، ولقد اختصت الأندلس دون غيرها بتصدير الجواري الحسان واشتهرت بذلك في جميع الأفاق حتى أصبحت أسعار الجواري الأندلسيات مرتفعة جداً، ولا يقدر عليها إلا الأمراء والميسورين، وقد أشار القزويني صاحب كتاب "آثار البلاد وأخبار العباد" إلى ارتفاع أسعار الخدم والجواري في الأندلس وقال: (ويقع في بلاد الأندلس من الخدم والجواري المثمنات على غير صناعة بل على حسنهم بألف دينار)[٧].

(١) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٨٤.

(٢) الجرسيفي: رسالة في الحسبة، ص ٤٨.

(٣) القزويني: آثار البلاد، ص ٥٠٣.

(٤) الونشريسي:المعيار المعرب، ج٥، ص١٧٦.

(٥) الضبي: بغية الملتمس، ص ٤٧٩.

(٦) ابن بسّام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ). الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ج٥، ص١١٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص ٣٠٨.

(٧) القزويني: آثار البلاد، ج١، ص ٢٠٦.

وقد أطلق في فاس على سوق الرقيق والعبيد والخدم في القرن (٨هـ/ ١٤م) "البركة" وجمعها البركات[١].

وكان يعرف من قبل بسوق الخدم[٢] وسوق الخدم والعبيد[٣]، وقد عرف في بلاد المغرب بهذا الاسم وكذا أُطلق على أسواق الرقيق في فاس.

ويذكر لنا أحد الباحثين بأن في عدوة القرويين في فاس وتحديداً بـــ (حي القطانين) درباً يحمل اسم البركة كان مكاناً لبيع العبيد قديماً[٤]، وإضافة لأسواقهم الخاصة بهم فإن بيع الرقيق وجد أيضاً في بعض الأسواق التي يباع فيها الثمار من خوخ وعنب وغيرها من الفواكه يباع معها الرقيق كما ذكرها الوزان إذ يقول في ذلك: (ويباع في نفس هذا السوق العبيد السود)[٥]، وكان يطلق على من تاجر ببيع الرقيق بالدلال[٦] والنخاس[٧]).ويدل ما سبق على أن تجارة الرقيق كانت رائجة وقد أسهمت إسهاماً كبيرا في تنشيط الصلات التجارية والتبادل الثقافي والاجتماعي بين بلاد الأندلس ومدينة فاس.

وذلك لأن الرقيق كانوا من بلدان شتى ويحملون ثقافات مختلفة، فينقلوها إلى مخدوميهم، وتنتشر بعض عاداتهم بينهم.

---

(١)الرندي: محمد بن إبراهيم بن عباد. الرسائل الكبرى، تصحيح: أحمد بن محمد البوعزاوي وَ محمد التكناوتي، مطبعة المعلم العربي الأزرق، طبعة حجرية، ص٢٤١.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٥، ص٤٨٦.

(٣) ابن عباد الرندي: الرسائل الكبرى، ص ٢٤١.

(٤) عبد الإله بن مليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص٢٢٤.

(٥) الوزان: الحسن (ت بعد ٩٥٧هـــ). وصف أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ج١، ص٢٨١.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج٥، ٤٨٦ حيث وردت الإشارة إلى وجود" دلال في سوق الخدم".

(٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ١٨٦؛ ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ج٦، ص٢١٢.

* **الصادرات والواردات: صادرات الأندلس:** اشتهرت الأندلس بتصدير الحرير والكتان والبسط والأديم . وكانت مدينة المرية من أهم المدن في إنتاج الديباج والثياب الحريرية [1].

وعرفت بلنسية بصناعة الثياب الغالية من الكتان[2]، وكانت البسط تصنع في مرسية[3]، وبسطة(baza)[4]، وشنتجالة[5]، ونتيجة لجودة الإنتاج كانت هذه المنسوجات والبسط والجلود تصدر إلى الخارج، وكان العلماء التجار من أهل الأندلس يجلبون منسوجات المشرق الإسلامي معهم عند عودتهم لبلادهم فيبيعونها ويهدونها إلى الأمراء والخلفاء، ولقد نالت المنسوجات المستوردة منها إعجـــاب واستحسان أهل الأندلس وكانوا يتباهون بارتدائها.

ويؤكد ذلك ما ذكره ابن حيان من أن فرج بن ســـلام[6] أحد أكابر الأدباء والعلماء بقرطبة حمل معه من العراق ثياباً عراقية رفيعة القدر أهداها للأمير محمد بن عبد الرحمن[7].

(١) المقري: نفح الطيب، ج١،ص ١٦٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٣٩؛ ابن غالب:فرحة الأنفس، ص٢٨٣-٢٨٤؛ الأنصاري: شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب (ت٧٢٧هـ): نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر، مكتبة المثنى، ص٢٣٤.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٣،ص ٢٢١.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٢١٩؛ ابن سعيد: حلى المغرب، ج١،ص ١٦٣؛ كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٠م،ج١، ٣٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٣٩.

(٤) الحميري: الروض المعطار، ص١١٣.

(٥) الحميري: الروض المعطار، ص٣٤٧.

(٦) **فرج بن سلام:** من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا بكر كان: معتنيا بالأخبار والأشعار والآداب، وكان يطبب ورحل إلى المشرق، ودخل العراق، ولقي الجاحظ. وتوفي: ببلش من عمل رية وبها قبره. انظر: ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هــ): تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.، ج ١، ص ١٢٩.

(٧) **الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي**، صاحب الأندلس، كان محباً للعلوم عارفاً بها، توفي ليلة الخميس في صفر سنة (٢٧٣هــ/ ٨٨٦م)، لبث في ولايته: ٣٤ سنة. انظر ترجمته: المقري: نفح الطيب، ج ٢، ص ٥١٩؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج ١، ص ٢.

ولما تأسست دور الطراز في الأندلس، ازدهرت في مدينة المرية صناعة تقليد الملابس المستوردة من بلدان المشرق الإسلامي وتصديرها إلى بلاد المغرب، وتفوق أهل الأندلس في إنتاج "السقلاطون والعنابي" وبرزوا في صناعته[1].

وعرفت الأندلس بزراعة التين والزيتون والعنب والرمان والتفاح وكان التجار يصدرون الفائض من هذه المحاصيل وخاصة الأعناب والتين إلى مصر والشام والعراق والهند[2].

وعرفت مدينتا بياسة (Baeza) ووادي الحجارة (Guadalajara) بكثرة إنتاجهما من الزعفران ومنهما يحمل إلى الآفاق[3].

وإشبيلية التي يُصدّر عصفرها إلى كل قطر[4] وزيتها إلى أقصى المشارق والمغارب براً وبحراً[5]، والقطن الذي يُحمل منها إلى بلاد المشرق والمغرب[6]. وكانت مدينة شنتمرية من أشهر المدن في زراعة الأعناب والتين ومنها يصدر إلى الخارج، ويؤكد الحميري ذلك بقوله: (وبها المراكب واردة وصادرة)[7].

---

(١) الحميري: الروض المعطار، ص٥٣٨. **والسقلاطون**، نوع من النسيج الحرير الموشى بالذهب، **والعنابي**: ثوب من الديباج لون العنابي خاصة.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥،ص ٢١٦،٢١٥؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١،ص ٩٦، ٩٨؛ اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ببيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣،١٤٠٠هـ،١٩٨٠م،ص٢٢؛ المقري: نفح الطيب، ج١،ص ١٤٢-،ص ١٤٨؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٣٨.

(٣) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٨٤.

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٩٦.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق،ص ١٧٢؛ الحميري: الروض المعطار،ص٥٩.

(٦) الحموي: معجم البلدان،ج١، ص١٣٠؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص٩٦.

(٧) الروض المعطار، ص٣٤٧.

وعرفت مدينة قلعة أيوب بصناعة الغضار المذهب وتصديره إلى الخارج(١)، وفي حصن قيطاشة أنواع مختلفة من القصاع والمخابئ والأطباق وغيرها، يصدر منها إلى بلاد المغرب(٢).

ومن صادرات الأندلس أيضاً: بعض المصنوعات الحربية مثل الدروع ودروع الصدر والأسلحة المذهبة وعدة الحرب والسرج وآلات الحديد والنحاس مثل السكاكين والمقصات ونحوها والتي كان معظمها يُصنع في مرسية ثم يصدر منها إلى البلاد الإسلامية في المغرب الإسلامي(٣).

وصدرت أيضاً البغال التي تعرف باسم البغال الفُره(٤)، واختصت الأندلس بإنتاج أنواع من البغال ليس لها شبيه في البغال المشهورة التي تستورد من أرمينية وأذربيجان. وكانت هذه البغال تربى في جزيرة ميورقة (Majorque) ثم تنقل إلى قرطبة ومنها إلى بلدان المشرق الإســـلامي، وتتميز بغال ميورقة عن غيرها من بغال الأندلس أو من البغال المجلوبة من الخارج بحسن السير وسرعة المشي وعظم الخلق واختلاف الألوان والصحة على مر الأيام، وقوة الصبر على الكد والتعسف، مما جعل من الأثرياء الإسراع في اقتناء نوعها وتفضيلها عن غيرها(٥).

واردات الأندلس:

---

(١) الحميري: الروض المعطار، ص٤٦٩؛ الإدريسي:نزهة المشتاق، ١٧٨.

(٢) **قيشاطة**: حصن في الأندلس كالمدينة، قريب من مدينة شوذر(Jodar). نزهة المشتاق،ج٢، ٥٦٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٨٨.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق،ج٢، ٥٦٩؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٩٠.

(٤) **البغال الفُره**: الفاره من الناس المليح الحسن ومن الدواب الجيد السير، ويقال للبرذون والبغل والحمار: فارِهٌ بيِّن الفُروهَةِ.الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هــ).الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين-بيروت.، ط٤، ١٩٩٠.، ج ٢، ص ٤٣؛ الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٩م، ج ١، ص ٤٨٨.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض،ص ١٠٩، ١١٠.

أما عن وارداتها من فاس فكانت من الزيت واللوز والفستق والبرقوق والتمور[١]، والسكر السوسي المجلوب من بلاد السوس الأقصى[٢]، كما تصدر إليها الغزال[٣]، واللمط[٤]، ودروق اللمط[٥]، والخيل والإبل التي حرص حكام المغرب على مر العصور بأن تضم هداياهم التي يبعثونها إلى حكام الأندلس[٦].

ولعل أهم تجارة ازدهرت بها فاس وصدرتها إلى الأندلس هي تجارة الصمغ[٧] وتجارة الذهب والذي يصل الأندلس من بلاد السودان الغربية عبر بلاد المغرب[٨] ولقد كانت تجارة رائجة حيث لفتت أنظار العالم نحو السودان الغربي، وظل تجار المغرب وشمال أفريقيا يقومون بدور الوسطاء لهذه التجارة لعدة قرون[٩].

---

(١) المقدسي:أحسن التقاسيم، ص٢٣٧؛ البكري:أبو عبيد (ت ٤٨٧هـ): المسالك والممالك، تحقيق وتقديم: أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، قرطاج، بيت الحكمة، الدار العربية للكتاب، د. ت.، ج٢، ص٧١٠-٧١٢؛ الزهري:كتاب الجغرافيا، ص١١٨-١١٩.

(٢) الزهري: كتاب الجغرافيا، ص١١٧؛ مجهول: الاستبصار، ص٢١٢.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ص٢٦١.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٥٣

(٥) الزهري: كتاب الجغرافيا، ص١١٨

(٦) انظر الكلام حول الهدايا التي بعثها حكام المغرب للأندلس وهي مما يساعدهم في الجهاد ضد النصارى في: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٠٣؛ السلاوي: الاستقصا، ج١، ص٢٠٩؛ خليل السامرائي: أثر العراق الحضاري على الأندلس في القرنين الثاني والثالث للهجرة ١٠١-٣٠٠هـ/ ٧٢٠-٩١٢م، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد ٢٧، السنة الثانية عشرة، ١٩٨٦م، ص١٢٤.

(٧) البكري، أبو عبيد (ت ٤٨٧هـ). المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، ص ١٥٨؛ حسن علي حسن: الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى في القرن الخامس والسادس من الهجرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٣٢٢.

(٨) الزهري:كتاب الجغرافيا، ص١١٨، ص١٢٢.

(٩) الشيخ الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي والسنغال، دار المجمع العلمي، جَدّة، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٩م، ص١٥٨.

ومن العلماء الذين مارسوا مهنة التجارة: أبو القاسم، أحمد بن عمر بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي (ت ٦١٦ﻫ/١٢١٩م)، من أهل قرطبة خرج منها وسكن مكناسة وفاس، وكان يعيش على تجارة له في البزّ [(١)]، ومن العلماء الأندلسيين الذين مارسوا مهنة التجارة في الخشب المخروطة ابن خروف علي بن محمد الذي عاش في فاس وتوفي بحلب عام (٦٠٩ﻫ /١٢١٢م)، وكان يتاجر في إقامة أواني الخشب المخروطة يتردد بين الأندلس (وبذة وإشبيلية)، وسبتة وفاس ومراكش حيث كان يقرئ الطلبة بجعل خاص.

ومن أهم أنواع التجارات التي لها تعلق مباشر بالعلاقات العلمية: مهنة الوراقة، وقد برز من العلماء الذين امتهنوا ذلك: عيسى بن محمد بن شعيب الغافقي الوراق (ت٥٨٧هـ /١١٩١م)، من أهل قرمونة (Carmona) يكنى أبا موسى، روى عن أبي بكر بن العربي، وكان فقيهاً عارفاً بالوثائق والعربية، كاتباً شاعراً، أخرج من وطنه واستقر بمدينة فاس[(٢)]. ومحمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري يكنى أبا عبد الله ويعرف بالطراز (ت٦٤٥هـ/١٢٤٧م)، من أهل غرناطة كان مقرئاً ومحدثاً ، بارعاً في الخط حسن الوراقة، كتب بخطه كثيراً وترك أمهات حديثية اعتمدها الناس بعده، وأخذ العلم بقرطبة و فاس من عدد من العلماء[(٣)].

وإذا أردنا أن نُقيِّم التجارة كسبيل من سبل التبادل العلمي بين فاس والأندلس، فإننا لا نجد وفرة كافية من العلماء الذين مارسوا التجارة بين البلدين، وقد يرجع هذا لأمور منها:

أولاً: كان لتأسيس مدينة فاس وطريقة بنائها، وأسواقها، أثره في احتراف جمع من أهلها التجارة، مما لم يكن لغيرهم حاجة في هذه التجارة، فانصرف العلماء عنها.

---

(١) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص١١١؛ جذوة الإقتباس، ص٦٩؛ ابن بشكوال: السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ص٣٤٧- ٣٤٨.

(٢) ابن الزبير:صلة الصلة، ٤٩؛ ابن الأبَّار: التكملة، ج٢، ص ٢٠.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة، ج٢، ص ١٣.

ثانياً: كانت الحالة الاقتصادية في كل من الأندلس وفاس مرتفعة في غالب فترة الدراسة مما استغنى به العلماء عن احتراف التجارة.

ثالثاً: وبالنسبة لقلة المشتغلين **بالوراقة** فأهل فاس لم يمتهنوا الوراقة لقلة تصانيفهم أصلاً، بل قد بين **المقري** أنهم انصرفوا عن التصنيف بالعبادة والزهد، حيث قال: (القوم كانوا أهل عمل ودين متين، وجرى على سنن السلف الأقدمين الصالحين العاملين، فشغلهم ما أخذوا فيه من مدينة العمل، وإثقال التقلل والمجاهدة، وتحري الحلال، والزهد والإقلال، عن تتبع مواد التحقيق، إلى فقد الملكة النظرية من هذا القطر، وانقراضها منه منذ زمان إلى عصرنا هذا[1]).

(١) المقري: أزهار الرياض، ج١، ص٢٤٥.

المبحث الثاني

العوامل المؤثرة في التبادل العلمي بين الأندلس ومدينة فاس

- العوامل السياسية.
- العوامل الاقتصادية.
- المظاهر الجغرافية.
- العوامل الاجتماعية.

الأحوال السياسية

يمتد الزمن الذي تشمله الرسالة قرابة **سبعة قرون** من أوائل القرن الثالث الهجري ليستمر إلى القرن التاسع الهجري/ التاسع الميلادي إلى الرابع عشر الميلادي (سقوط غرناطة) وهي حقبة طويلة تميزت بتعاقب مجموعة من الدول الإسلامية على حكم الأندلس والمغرب[1] وبالأخص مدينة فاس التي ظلت منطقة صراع بينهما ولم يظهر دورها السياسي الحقيقي مع الأندلس إلا في عهد دولة بني مرين حيث غدت فاس عاصمتها.

أما علاقة الأندلس بالمغرب فكانت علاقة مد وجزر؛ فبينما نجدها تتبع المغرب في عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/ ٧١٣-٧٥٥م) فإذا بها تنفصل عنها بقيام الدولة الأموية (١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٥-١٠٣٠م) [2] ودول الطوائف(٤٢٢ـ ٤٨٤هـ/ ١٠٣٠ ـ ١١٤٧م)[3]، ثم تعود إلى تبعيتها مرة أخرى للمغرب في عصري المرابطين (٤٨٤-٥٤١هـ/ ١٠٩٢-١١٤٧م)[4] والموحدين(٥٣٨-٦٥٩هـ/ ١١٤٣-١٢٦١م) [5].

وظلت الأندلس تابعة للمغرب بعد تقلص مدنها وانحصارها في مملكة غرناطة تحت حكم بني نصر (٦٣٥هـ -٨٩٧هـ/ ١٢٣٨-١٤٩٢م).

وبقيام دولة بني مرين في فاس (٦١٠-٨٦٩هـ/ ١٢١٣-١٤٦٤م) توجب وجود علاقات سياسية قوية بينهما لحاجة الأندلس إلى من يساعدها على العدو النصراني[6].

وطيلة هذه الظروف السياسية ظلت المغرب تستقبل النازحين منها حتى سقوط آخر معقلٍ لهم (مملكة غرناطة) في يد العدو (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م).

---

(١) عرضت لأهم هذه الدول بإيجاز في التمهيد.

(٢) محمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٨١، ٩٧ وما بعدها.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٣٦.

(٤) محمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ٣٠٥ ـ ٣١٠.

(٥) ابن صاحب الصلاة: عبد الملك. تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي التازي، بيروت، ١٩٦٤م، ص ٢٥ وما بعدها.

(٦) محمد الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس، ص٤٣ـ ٥١، ٢٢٧.

إن الحديث المفصل عن الأحوال السياسية في كلٍ منهما يطول جداً، لكن لعلنا نذكر أهم الأحداث السياسية المؤثرة فيهما فيما يسهم في فهم دور الأحوال السياسية في تعزيز العلاقات العلمية بينهما.

إن تأثر العلاقات العلمية بين فاس والأندلس بالعامل السياسي، يظهر في ضوء عاملين أساسيين:

أ) **الفتن والثورات الداخلية** التي حدثت في الأندلس ومن أبرزها: ثورة الربض، وفتنة البربر(١).

ب) **الهجوم النصراني** الذي شهدته معظم مدن الأندلس، حيث قام النصارى بحملات ضد المسلمين، وزادت حدة هذه الهجمة الشرسة بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م)، واستمر هذا العداء الصارخ طيلة القرون التالية حتى سقطت آخر مدينة إسلامية سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م).

فهذا الاضطراب السياسي في البلاد دفع العلماء للهجرة للبحث عن الأمان الذي يتطلبه النشاط العلمي، والبحث والتأليف إذ أصبحت بلاد الأندلس غير مؤهلة للصفاء العلمي والنفسي بل أصبحت دولة جهاد الدفع.

ويمكن القول أن فتح باب الهجرة والاستقرار في مدينة فاس التي بُنيت لاستيعاب المهاجرين كان سببها الثورة التي أثارها أهالي قرطبة بإيعاز من الفقهاء على الحكم بن هشام التي كادت تنتهي بمقتله(٢)، غير أنه استطاع القضاء عليها وقام بعد ذلك باختيار ثلاثمائة من الأسر فصلبهم حتى لايتجرأ من تسول له نفسه بالثورة علية مرة أخرى ثم استشار فيهم عبد

---

(١) **فتنة البربر**: هي التي ثار فيها البربر على الخلافة الأموية وكانت سبباً في سقوطها وقيام دول الطوائف سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م). للمزيد انظر: ابن خلدون: العبر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،ج٤، ص١٦٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢١٢؛ داليا عبد الهادي طلبة: الاتجاهات المذهبية في بلاد المغرب حتى نهاية القرن الثالث الهجرم (٩٦ ــ ٢٩٦هــ /٧١٤ ــ ٩٠٩م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٣هــ، ص٥٧.

الكريم بن عبد الواحد بن مغيث(١) فأشار عليه بالصفح عنهمح والعفو وإجلائهم عن قرطبة فقبل برأيه وأمر بالنداء بالأمان، على أنه من بقي من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قتل وصلب ثم سمح لهم بالجواز إلى عدوة المغرب بنسائهم وأولادهم فاستقبلتهم مدينة فاس(٢)، وفتح لهم الأدارسة أذرعتهم فكانت فاس عاصمة لعدة دول في المغرب ثم تحولت فيما بعد العاصمة إلى الرباط(٣) ماعدا في عهد دولتي المرابطين والموحدين إذ كانت عاصمة دولتهم مراكش.

فخرج من بقي من الربضيين بعد ذلك من الأندلس مستخفين بأهاليهم وقعد لهم الجند والسفلة بالمرصاد ينهبون من أموالهم ويقتلون من يمتنع منهم(٤)، وبنزول الأندلسيين في حماية الأدارسة في فاس توترت العلاقات بين الأمير الحكم بن هشام والأمير إدريس الثاني على الرغم من تميزها بعلاقة الود والصداقة بينهما من قبل(٥)، وبتولي الأمير عبد

---

(١) **عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث**: الحاجب أبوحفص استحجبه الحكم الربضى، وكان أبوه عبد الواحد حاجباً لهشام الرضا والد الحكم. وعن ابن حيان أن هشاماً ولى عبد الكريم هذا كورة جيان،وكان بليغاً مفوهاً شاعراً، وولى الكتابة للحكم إثر محمد بن أمية، وقاد الصوائف، وجرت على يديه فتوح جسام. وعلى يديه أستأمن أهل الربض؛ وله رسائل عن الحكم في الهيج.ابن الأبّار: الحلة السيراء،ج١، ٣٥؛ ابن سعيد: حلى المغرب، ج١، ٤٤.

(٢) ابن الأبَّار: الحلة السيراء، ص٣٥؛ ابن سعيد: المغرب، ج١، ص٤٤.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص١٧٠.

(٤) ابن عذاري: البيان المعرب،ج ٢، ص٧٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٧١، ٣٧٢.

(٥) عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدوله الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م، ص٩١-٩٢،ص٩٥ — ٩٦.

ومن الدويلات في المغرب المتحالفة مع بني أمية بالأندلس:

الدوله الرستمية في تاهرت وكانت علاقتهم بالأمويين طيبة ترجع هذه العلاقة إلى أن جد عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة كان مولي لبني أمية في الأندلس. انظر: ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هــ /٢٠٠٣ م، ص٤٧٤، ٤٧٥؛ ابن حيان: المقتبس، ٢٦٧؛ المقري: نفح الطيب، ج١،٢٨؛ ابن الأبّار: الحلة السيراء، ج١، ٣٧٢، ٣٧٣؛ ابن سعيد: حلى المغرب، ج١، ٤٨.

ودولة بني مدرار في سجلماسه تميزت بارتباطها ببني أميه لوجود رابط بينهم وهو عداؤهم لبني العباس في المشرق ودولة الأغالبة في القيروان ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى، فضلاً عن كونهم أصحاب بني رستم حلفاء الأمويين ⇦

الرحمن الثاني من بعد والده تميزت علاقته مع دول المغرب بالصداقة مع بعضها وبالعداء مع البعض الآخر وهم الأدارسة، وقد حرص الأمويون في الأندلس على كسب صداقة الدويلات المغربية التي نشأت بجوار العلويين الأدارسة، كما حرصوا على توطيد صلاتهم بها بغيةً منهم لإضعاف جيرانهم الأغالبة من جهة والأدارسة من جهة أخرى والحد من نفوذهم[1].

وتميزت علاقة الأدارسة مع الأندلسيين في فاس بالود فبعد قيام عبد الرزاق الفهري الخارجي بالثورة عليهم في المدينة وانتصار الأمير يحي بن القاسم بن إدريس المعروف بالعوام ومبايعة أهلها للأمير الإدريسي يحي ولَّى عليهم رجلاً منهم أندلسياً[2].

يقول الناصري في هذا الشأن: (ولما استقل يحي بن القاسم بالأمر، قاتل عبد الرزاق حتى أخرجه من عدوة الأندلس، فدخلها، وبايعه أهلها، وجميع من نزل بها من أهل الأندلس الربضيين واستعمل يحي بن القاسم عليهم ثعلبة بن محارب بن عبد الله الأزدي وهو ربضي أيضاً، فلم يزل والياً على عدوة الأندلس إلى أن توفي فاستعمل يحيى مكانه ولده عبد الله بن ثعلبة المعروف بعبود، إلى أن توفي أيضاً، فاستعمل الأمير يحيى مكانه ولده محارب بن عبود بن ثعلبة) [3].

لذلك جمعتهما المصلحة السياسية المشتركة رغم خلافاتهما المذهبية وبعد المسافة. انظر: ابن حيان: المقتبس، ٢٦٥، ٢٦٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ١٠٨.

ودولة برغواطة في تامنسا في المغرب الأقصى تميزت في بادئ الأمر بالعلاقة الطيبة مع الأمويين والتحالف الودي معهم فلم تستمر علاقتهما طويلاً بسبب انتحال البرغواطيين ديانة جديدة وإظهارها والجهار بها فكرهم المسلمون واعتبروهم مجوساً وأحلت دماؤهم ووجب جهادهم فكانت لهم معارك مع المسلمين من (أدارسة، أمويين، فاطميين) إلى ظهور دولة المرابطين في المغرب وتغلبهم عليهم. ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ٥٦، ٥٧، ٢٢٣، ٢٢٥؛ مؤلف مجهول: الاستبصار،ص١٩٨؛ محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، تعريب: المنجي العبادي، مراجعة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٨٥-٨٧.

(١) عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ص١٠٩.

(٢) السلاوي: الاستقصا، ج١، ص١٨٠.

(٣) الاستقصا،ج١، ص١٨٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٢١٢؛ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٩.

ومن هذا النص يتضح لنا شيئان

من ناحية الأندلسيين سرعة مبايعتهم يحيى بن القاسم، وكأنهم يعلمون أن العيش في حكم الأدارسة أفضل من العيش تحت إمرة عبد الرزاق الخارجي فربما رأوا منه شيئاً لم يعجبهم فيه[1].

من ناحية الأدارسة، احترام الأدارسة للأندلسيين، وتقديرهم لهم بدليل تعيينهم عمالاً منهم عليهم[2]، وتعيينهم للعمال من أنفسهم أي ربضي من قرطبة حتى يبادلوهم التقدير والولاء للأدارسة، واختيارهم للعمال على المدينة من عائلة واحدة حتى يزيدوا من شرف هذه العائلة ويزداد ولاؤها وإخلاصها للأدارسة.

وبحكم موقع مدينة فاس كانت محط أنظار الدولتين (الفاطميين في المغرب والأمويين في الأندلس) ويصف ابن حوقل الاضطرابات التي كانت بها في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بقوله: (وهي جانبان يليها أميران مختلفان، وبين أهل الجانبين الفتنة الدائمة والقتل الذريع المتصل) [3]، ففي عام (٣٠٥هـ/٩٠٤-٩٠٥م) امتدت أنظار الفاطميين حيث تقدم مصالة بن حبوس[4] قائد عبيد الله الشيعي إلى مدينة فاس، فحاصرها إلى أن صالحه أميرها يحيى بن إدريس بمال وكتب له بالبيعة لعبيد الله الشيعي صاحب أفريقية ورجع بعدها مصالة إلى القيروان[5]، ثم أعاد الإغارة على فاس عام (٣٠٩هـ/٩٢١م) ونجح في دخولها والقبض على أميرها يحي بن إدريس وقدم عليها عاملاً

---

(١) عبد المرضي محمد عطوة زايد. العلاقات بين المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي للأندلس إلى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب ٩٢-٢٩٦هـ،كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٦٣.

(٢) عبد المرضي زايد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص١٦٤.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٨٩؛ سامية مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد الخلافة الأموية، ص٢٠٩.

(٤) **مصالة بن حبوس**: بربري كانت له رياسة مكناسة، ولما استولى عبيد الله على المغرب واستفحل أمره وعظم أولياؤه كان مصالة بن حبوس من أكبر قواده، ولاه على مدينة تاهرت والمغرب الأوسط، وبعد ضمه **فاس** رجع إلى القيروان. ابن عذاري: البيان المغرب،ج١، ص١٧٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص١٣٤.

(٥) ابن أبي زرع: الأنيس المُطرب، ص٨٠؛ ابن أبي خلدون: العبر، ج٦، ص١٣٤.

من قبل الفاطميين يدعى ريحان المكناسي الذي ظل عاملاً عليها لمدة ثلاثة أعوام إلى أن قام عليه بها الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس ونجح في إخراجه منها [1].

وفي عام (٣١٣هـ/٩٢٥م) تحالف موسى بن أبي العافية[2] أمير فاس مع الدولة الأموية في الأندلس[3]، وقام بالدعوة لعبد الرحمن الناصر، وخطب له على جميع المنابر، الأمر الذي أقلق الفاطميين؛ فقاموا بإرسال حملة بقيادة حميد بن يصلي المكناسي عام (٣٢١هـ/٩٣٣م) لقتال موسى بن أبي العافية، وإعادة فاس لحكمهم [4]، كما كان لإعلان عبد الرحمن الناصر الخلافة سنه (٣١٦هـ/ ٩٢٩م)، أسبابه وهي: ضعف الخلافة العباسية في هذه الفترة واضمحلال سلطتهم في المغرب واستبداد العناصر الأجنبية الأتراك في أمر الدولة ومقاليد الحكم[5]، وفرضوا سيطرتهم على الخليفة المقتدر(ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)[6]،

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المُطرب، ص٨٠، ٨١؛ سامية مصطفى محمد مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، ص٨٦،٨٥.

(٢) **موسى بن أبي العافية**: هو أمير مكناسة، تغلب على كثير من قبائل البربر، كانت بينه وبين الأدارسة في المغرب حروب كثيرة، استطاع الاستيلاء على **فاس** وإجلاء الأدارسة عنها، كان موالياً للفاطميين ثم والى الأمويين بعدهم يقول في ذلك ابن خلدون: العبر: ج٤، ص٣٩-٤٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ص٢٠٤-٢٠٩؛ السلاوي: الاستقصا، ج١، ص٨٠-٨١.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٦.

(٤) ابن خلدون:العبر،ج٤،ص١٤١؛ج٦،ص١٣٥؛السلاوي:الاستقصا،ج١،ص٨٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب،ج٢، ص٢٠٩.

(٥) الحميدي: أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت٤٨٨هـ). جذوة المُقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة،١٣٧١هـ،ج١،ص٤؛ ابن سعيد: حلي المغرب، ج١، ١٧٧؛ علي بن عبد الله الزيدان: سياسة الدولة العباسية تجاه أفريقيا والمغرب، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، الآداب١، المجلد ١٨، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م، ج١٨، ص١٤١.

(٦) **الخليفة المقتدر**: أبو الفضل جعفر بن المعتضد العباسي، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي (سنة ٢٩٥ هـ/٩٠٧م) فاستصغره الناس، فخلعوه (سنة ٢٩٦ هـ/٩٠٨م) ونصبوا عبد الله بن المعتز، ثم قتلوا ابن المعتز وأعيد المقتدر بعد ذلك، و كانت مدة خلافته ٢٤ سنة و١١ شهراً و١٤ يوماً. الأزدي: ابن ظافر (ت٦١٣هـ). أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: علي عمر. مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط١٤٢٢،١هـ/٢٠٠١م، ص٢٩٦-٣٠٦؛ ⇦

ازدياد خطر الدولة العبيدية الشيعية في المغرب، حتى يدخل الرهبة والهيبة في نفوس الثائرين عليه في الأندلس، ليكسب قلوب أهالي الأندلس الذين كانوا يخشون من استيلاء النصارى للبلاد من الشمال ومن الخطر الفاطمي في الجنوب[١].

وظهر التنافس البحري بين الدولتين مما جعل نشاطهما يتعارض ويصطدم في الحوض المغربي في البر والبحر معاً وبالأخص مدينة فاس التي أصبحت مسرحَ الرهان لتنافسهم على امتلاكها لوقوعها في طريق تجارتهم للذهب[٢] فضلاً عما بين الدولتين من خلاف مذهبي وتطلّع الفاطميين لمد نفوذهم على الأندلس[٣]، مما أدى ذلك العداء إلى قيام معارك بحرية بين الدولتين في عهد كلٍ من الخليفة المعز لدين الله الفاطمي[٤] والخليفة عبد الرحمن الناصر[٥] سنة (٣٤١هـ/٩٥٥م)[١].

العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت١١١١هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، ج٣، ص٣٥٣-٣٥٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣،ص ٧٦.

(١) ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد. العقد الفريد، شرحه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة،١٣٨٥هـ/١٩٦٥، ج٥، ص١٢٧؛ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٢٣؛ منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي: علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، دراسة في أوضاعهم الاقتصادية وأثرها على مواقفهم السياسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م،، ص٤٣-٤٤.

(٢) الحبي الحبيب الجنحاني: المجتمع العربي والإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الخلفية الاقتصادية للصراع الفاطمي الأموي في بلاد المغرب. عالم الرفة، من منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٥م، ص٢٧٠.

(٣) محمد سهيل طقوش: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٣١٩.

(٤) **المعز لدين الله الفاطمي:** أبو تميم، معد بن إسماعيل العبيدي (ت٣٦٥هـ /٩٧٥م)، كان عاقلا حازما شجاعا أديبا، من أشهر الخلفاء الفاطميين، ولد في المهدية بتونس، وتولّى الحكم في المغرب العربي بعد دخول القائد الفاطمي جوهر الصقلي مصر سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م). المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ). اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، مصر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ط٢، ج١، ص٢٠٨.

(٥) **عبد الرحمن الناصر هو:** ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي المرواني، الناصر لدين الله بويع بعد وفاة جده سنة ٣٠٠ هـ، ولم يكن بعد عبد الرحمن الداخل أجزل منه في الحروب وصحة الرأي، واعتبر أعظم أمراء بني أمية في الأندلس، كان كثير المحاسن، محبا للعمران، ⇦

يقول السلاوي في ذلك: (وكانت قوات الناصر تجوز من الأندلس إلى العدوة يقاتلون من خالف الأدارسة من البربر ويستألفونهم، والناصر محمد مساعد لمن عجز برجاله، مقو لمن ضعف منهم بماله حتى ملك أكثر بلاد المغرب وبايعته قبائله من زناتة والبربر وخطب له على منابرهم من تاهرت (Tiaret) إلى طنجة ماعدا سجلماسة، وبايع الناصر أهل فاس فيمن بايعه من العدوة) [٢]، وولى الناصر أحمد بن أبي بكر بن عثمان الزناتي سنة (٣٤١هـ/٩٥٢م) وغضب المعز لدين الله الفاطمي بعد نقض أهل فاس طاعة الشيعة وانضوائها لحكم الأمويين فأغزى جوهر الصقلي[٣] إلى المغرب، إلى فاس وحاصرها، وواليها يومئذ أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي، وقاتلها مدة فامتنعت عليه، ثم عاد إليها وحاصرها إلى أن افتتحها عنوة وقبض على أحمد بن بكر وذلك سنة (٣٤٨هـ/٩٥٩م) وولى عليها من قبله وطرد عمال بني أمية من سائر المغرب وانقلب إلى القيروان[٤].

حكم خمسين سنة وستة أشهر، وهو أطول ملوك الإسلام مدةَ حكم، توفي سنة ٣٥٠ هـ/٩٦١م، انظر: ابن الأبّار، الحلة السيراء، ص٩٩، المقري: نفح الطيب ج١، ص١٦٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٦، ص٩٣.

(١) جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي، عصري المرابطين والموحدين، (٤٤٨-٦٦٨هـ/ ١٠٥٦-١٢٦٩م، دار الوفاء، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٥٥، وفي أحداث سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، ص٥٧؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٣٢٣.

(٢) الاستقصا: ج١، ص١٨٨-١٨٩، ١٩٦-١٩٧، ١٩٩-٢٠٢.

(٣) **جوهر الصقلي**: جوهر بن عبد الله الرومي، أبوالحسن (ت٣٨١هـ/ ٩٩٢م) القائد، باني مدينة القاهرة، سنة (٣٥٨هـ /٩٦٨م) وسماها المنصورية حتى قدم المعز فسماها القاهرة، كان من موالي المعز العبيدي صاحب إفريقية، وسيره من القيروان إلى مصر، بعد موت كافور الاخشيدي، فدخلها سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م)، وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام وضمها إليها،ومكث بها حاكما مطلقا إلى أن قدم مولاه المعز (سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م) فحل المعز محله، وصار هو من عظماء القواد في دولته وما بعدها، إلى أن توفي بالقاهرة. ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج١، ص١١٨، ٣٧٥؛ ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(٨٧٤هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٤، ج٢٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٤٧،٤٦؛ السلاوي: الاستقصا، ج١، ص٨٦.

وبقيت مدينة فاس تحت حكمهم حتى أرسل الخليفة الحكم المستنصر (ت٣٦٦هـ/٩٦٧م) قائده المعروف بالشهامة غالب[١] إلى المغرب وأمده بما يعينه على ذلك من الأموال والجنود وأمره باستنزال الأدارسة وأجاز بهم إليه وقال سر يا غالب مسير من لا إذن له في الرجوع إلا حيا منصورا أو ميتا معذورا واستنزل جميع الأدارسة من معاقلهم وسار إلى فاس فملكها واستعمل عليها محمد بن على بن قشوش في عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة الجذامي في عدوة الأندلس وانصرف غالب بعد ذلك إلى قرطبة[٢].

وانتهى الصراع الأموي والفاطمي بوفاة الخليفة الحكم المستنصر سنة (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م) وجاء صراع المنصور ابن أبي عامر[٣] مع بني زيري[٤] اللذين دخلوا مدينة فاس سنة (٣٦٩هـ/٩٧٩م) وأعادوا النفوذ الفاطمي إليها حتى سنة (٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)[٥] أرسل المنصور ابن أبي عامر ابن عمه

---

(١) **غالب بن عبد الرحمن الناصري:** من أشهر قواد الأمويين في الأندلس كان في غاية الحزم والشجاعة والشهامة والدهاء وجَّهه الحكم المستنصر إلى المغرب لمحاربة الفاطميين والأدارسة عام (٣٦٢هـ/٩٧٢م) فانتصر عليهم وطردهم نهائياً من المغرب الأقصى. ابن حيان: المقتبس في أخبار الأندلس، ج١،ص١٦٩-١٧٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب،ج٢، ص٢٢١، ٢٤٦-٢٤٨؛ ابن القطان: نظم الجمان، ج٢،ص٥٠٤-٥٠٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢١٨؛ ابن السراج: الوزير أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحاج محمد التونسي (ت ١١٤٩هـ). الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تونس سنة ١٢٨٧هـ، ج٢، ص٨١-٨٢.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٦، ٢١٨، ابن أبي زرع: الأنيس المُطرب، ص٩٣.

(٣) **المنصور بن أبي عامر:** محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعافري (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، أمير الأندلس مع المؤيد هشام بن الحكم، أصله من الجزيرة الخضراء من بيت مشهور بها، وقدم قرطبة طالباً للعلم، وكانت له همة، فتعلق بوالدة المؤيد في حياة أبيه المستنصر، فلما ولي هشام كان صغيراً، فتكفل المنصور لوالدته القيام بأمره، وإخماد الفتن الثائرة عليه، وإقرار الملك عليه، فولته أمره؛ وكان شهماً، شجاعاً، قوي النفس، حسن التدبير، فاستمال العساكر وأحسن إليهم، وتابع الغزوات إلى الفرنج، وسكنت البلاد معه، وكان عالماً، محباً للعلماء، يكثر مجالستهم ويناظرهم. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٢، ص٥٧.

(٤) **بنو زيري:** هم بطن من بطون صنهاجة من البربر كانوا عمالاً للعبيدين في المغرب. السراج: الحلل السندسية، ج٢، ص٦١.

(٥) ابن خلدون: العبر،ج٦، ص١٥٦، ص٩٥؛ وفاء عبد الله سليمان المزروع: الخليفة الأموي الحكم المستنصر، الدارة السعودية للنشر والتوزيع، جده، ب ت، ب ط، حيث زحف بلكين بن زيري زعيم قبائل صنهاجة اختاره المعز ⇦

عسكلاجة أبا الحكم عمرو بن عبدالله فدخل عدوة الأندلس وخطب لبني أمية فيها وبقي عامل الفاطميين على عدوة القرويين إلى أن دخلها أبو بياش فقتل عاملها وخطب بها لبني أمية أيضاً وفي سنة (٣٧٧هـ/٩٨٧م) استطاع زيري بن عطية المغاوري[(١)] الاستيلاء على فاس واستدعاه المنصور ابن أبي عامر إلى الأندلس في سنة (٣٨٢هـ/٩٢٢م) وكانت علاقتهما حسنة إلى سنة (٣٨٦هـ/٩٩٧م)، ثم ساءت العلاقة بينهما وذلك بسبب اقتصاره على ذكر الخليفة هشام المؤيد دون المنصور فغضب منه المنصور وأرسل جيشاً عظيماً بقيادة مولاه واضح لمحاربته، وانهزم فيها واضح أمام زيري وفر إلى طنجة مستصرخاً المنصور طالباً منه المدد فأجابه بأن أرسل إليه ابنه عبد الملك الذي تمكن من دخولها سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م) وأقام بها ستة أشهر رأى الناس فيها عدله وفضله ثم ولّى المنصور عيسى بن سعيد وبقي والياً عليها إلى أن عزل المنصور وولى بدلاً عنه واضح[(٢)].

وفي سنة (٣٩١هـ/١٠٠٠م) بويع المعز بن زيري[(٣)] على ولاية فاس بعد وفاة والده وصالح العامريين المنصور وابنه عبد الملك من بعده ودعا لعبد الملك بن المنصور على المنابر فعهد إليه ولاية المدينة سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م) مشترطاً عليه أن يرسل إليه خيلاً في كل سنة وأن يسلمه ابنهم رهينة، وكانت الخلافة الأموية قد ضعفت بعد ذلك مما أدى إلى استقلال فاس بأمرها وانتهت بسقوطها سنة (٤٢٢هـ/١٠٣١م) بسبب الخلافات الداخلية الأسرية لبني أمية

لدين الله الفاطمي لولاية أمر الفاطميين بالمغرب بعد رحيلهم إلى مصر. انظر: ابن خلدون: العبر، ج٧، ٥٨، ٥٩؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٩٢-١٠١.

(١) **زيري بن عطية المغاوري**: هوالذي مهد لسيطرة قبائل زناتة على **فاس** والمغرب الأقصى حيث توارث بنيه الملك إلى بداية دولة المرابطين. ابن خلدون: العبر،ج٧، ص٢٤-٢٨.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ١٠٥-١٠٨؛ ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ق٣،ص ١٥٨-١٦٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب،ج١، ص٢٦٦؛ السلاوي: الاستقصا،ج١، ص٢١٦.

(٣) **المعز بن زيري بن عطية بن عبد الله الزناتي المغراوى** (ت٤٢٢ هـ/١٠٣١ م)، من ملوك **فاس** في أواخر عهد بني أمية بالأندلس، أقامه بنو عمه أميرا عليهم بعد وفاة أبيه سنة (٣٩١ هـ/١٠٠٠م)، وجاءه تقليد المظفر بن أبي عامر بولايته على المغرب كله، ما عدا سجلماسة، فأقام تابعاً لقرطبة إلى أن انقرضت الدولة الأموية بعد انقراض الدولة العامرية، فاستقل بالأمر واستمر إلى أن توفي **بفاس**، وكانت أيامه في هدنة وأمان. ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٣٤؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٢٣.

واستبداد بني عامر بالسلطة[1] اجتمع أهل الرأي والمشورة وعلى رأسهم الوليد بن جهور وهتفوا بإبطال الخلافة جُملة وبخلع بني أمية وألا يقوهم في قرطبة[2]، وفي هذه الأثناء تعرضت فيها الأندلس لهجمات الإسبان إذ كانوا هم المستفيدين الوحيدين من هذه الفوضى التي أعقبت انهيار الخلافة الأموية[3].

وبقيام دول الطوائف[4] في القرن (٥هـ/١١م) تشتت الحكم الإسلامي في الأندلس وعملوا على اقتسام ألقاب الخلافة وتوزعوها بينهم فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وغيرها دون التطلع إلى وحدة الأندلس.

---

(١) بوفاة **الحكم المستنصر** سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م) ظهر **دور الحُجَّاب** في هذه الفترة لصغر سن ولي الخلافة **هشام المؤيد إذ** لم يتجاوز أحد عشر عاماً فاقتضى الأمر وجود من يُسير أمور البلاد ويدير شئونها فقام بذلك الحاجب جعفر بن علي المصحفي، **والوزير محمد** ابن أبي عامر فانفرد ابن أبي عامر بالسلطة وقضى على المصحفي بعد أن أقصاه من الحجابة وتولاها هو بنفسه سنة (٣٦٧هـ/٩٧٨م)، وفي سنة (٣٧١هـ/ ٩٨١م) تلقب بالحاجب المنصور ابن أبي عامر وأمر بتقبيل يديه جرياً على عادة الخلفاء ثم اكتفى بالمنصور بدلاً عن الحاجب سنة (٣٨١هـ/٩٩١م)، وولى ابنه عبد الملك الحجابة على هشام المؤيد وبذلك أُسقط حق هشام المؤيد من الخلافة واستفرد بها المنصور ابن أبي عامر، فلم يبق لهشام سوى نقش اسمه على السكة والدعاء له على المنابر. المراكشي: المعجب، ص٣٦-٣٨؛ ابن بسام: الذخيرة، ق٤، ج١، ص٥٦-٦٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب،ج٢، ص٢٥٩-٢٤٦، ٢٧٣-٢٨٤، ٢٩٣؛ أعمال الإعلام، ص٥٧-١٠٧؛ شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٧، هامش رقم ١؛ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،١٩٩٧م، ص٨٧-٨٩.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب،ج٢، ص٢٦٧؛ ج٣، ص١٤٩-١٥٢؛ ابن بسام: الذخيرة، ق٣، ص٢٥٢-٢٥٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٩٠؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص٣٦٣؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس(تراحم إسلامية شرقية وأندلسية)، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٤٧م، العصر الأول، ق٢، ص٦٦٨-٦٦٩؛ كمال السيد أبو مصطفى: شخصيات مغمورة من البيت الأموي في الأندلس في عصر الدولة الأموية١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١م- جزء من كتاب دراسات مغربية وأندلسية في التاريخ والحضارة"، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ٢٠٠٧م، ص٣٥٧.

(٣) محمد عبده حتاملة: الاعتداءات الإفرنجية على ديار العرب في الأندلس والمشرق، المكتبة الوطنية، عمان، الأردن،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م،، ص١٣.

(٤) للتعرف على ملوك الطوائف انظر: ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٣٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب،ج٣، ص١٥٥.

وفي ذلك قال الشاعر ابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م).

مما يزهـــــــــدني في أرض أندلسٍ   أسماء معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكةٍ في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاخاً صورة الأسدِ[(١)]

وقال آخر يُظهر سياسة ملوك الطوائف المنحرفة وتقصيرهم ضد نصرة طليطلة ويُحمّلهم مسئولية سقوطها

لثكلك كيف تبتسم الثغور   بعدما سُبِّيَت ثغور[(٢)]

وفي ظل هذه الظروف والضعف المتزايد في بلاد الأندلس ثارت شهوة الملوك المسيحيين الذين كانوا يتقاضون أموالاً باهظة من ملوك الطوائف[(٣)] في سبيل عدم مهاجمة بلادهم أو مساعدتهم في الإغارة على دولة من دول الطوائف وانتهزوها فرصة فهجموا على مدينة (بربشتر)[(٤)] سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) فاستعد المقتدر بن هود أمير سرقسطة لمواجهتهم واسترداد المدينة منهم فراسل ملوك الطوائف يدعوهم للمشاركة في تحرير

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الإعلام،ص١٤٤؛ ابن بسام: الذخيرة، ق٤،ج١، ص١٧٢؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٢٥٥.

وابن رشيق القيرواني: هو أبو علي الحسن بن رشيق (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وذكر ابن خلكان وفاته سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢)، ولد بالمسيلة ثم ارتحل إلى القيروان، وحين خربت وفد إلى الأندلس واستقر بها. ابن سعيد: رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٣هـ، ص١٣٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٣٦٦ – ٣٦٨.

(٢) المقري: نفح الطيب،ج٤، ص٤٨٣-٤٨٦.

(٣) ج.س.كولان: الأندلس، لجنة ترجمة دار المعارف الإسلامية إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٨٠م، ص١٣٢.

(٤) **بربشتر:** مدينة حصينة على بعد ٦٠ كم من سرقسطة وتقع في شمالي المدينة ضمن مملكة بنوهود في الشمال، وهي من أمهات الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع، وكانت تمر آنذاك بمشاكل ونزاعات وإهمال من سكانها. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٣٩؛ ولتفاصيل سقوطها ينظر: ابن بسام: الذخيرة، ق٣، ج١، ص١٣٧-١٤٥؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٤٤٩-٤٥٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٥-٢٢٧؛ ابن الكردبوس: صلة السمط، ص٧١؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م،ج٢، ص١٨٦-١٩٦.

المدينة فتجمع لديه عدد من المتطوعين قدّرهم ابن عذاري بستة آلاف وانتصر المسلمون فيها على العدو واستعادوا مدينتهم منهم في سنة (٤٥٧هـ/١٠٦٥م)[١]، ومن بعد مهاجمة بربشتر هاجم الملك الفونسو السادس طليطلة[٢]، ونجح في الاستيلاء عليها سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) فقد كان لإيوائه فيها سبباً في سقوطها، يقول ابن الخطيب في ذلك: (وسُكناه بطليطلة وإطلاعه على عوراتها الذي أوجب تملك النصارى بها) [٣]. وقد كان من الضروري في هذه الظروف العصيبة أن تتحد القوى الإسلامية في الأندلس لمواجهة الخطر المسيحي ولكن ما حدث كان نقيض ذلك فقد بادر ملوك الطوائف إلى استرضاء الفونسوا، ورضوا على أنفسهم دفع الجزية وإرسال الهدايا المختلفة تقرباً إليه!![٤].

يقول المقري: (وانقطعت الدولة الأمويّة من الأرض، وانتثر سلك الخلافة بالمغرب، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف، وانتزى الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات، واقتسموا خطّتها، وتغلّب بعضٌ على بعض، واستقل أخيراً بأمرها منهم ملوك استفحل أمرهم وعظم شأنهم،ولاذوا بالجزية للطاغية أن يظاهر عليهم أو أن يبتزهم ملكهم، وأقاموا على ذلك برهة من الزمان، حتى قطع إليهم البحر ملك العدوة وصاحب مرّاكش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللّمتوني، فخلعهم وأخلى منهم الأرض)[٥].

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، ج١، ص١٨٩-١٩٠؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٤١؛ المقري: نفح الطيب،ج٤، ص٤٥٤.

(٢) **لتفاصيل سقوطها ينظر**: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٣٨؛ ابن بسام: الذخيرة، ق٤، ج١، ص١١٦-١١٩؛ السلاوي: الاستقصا، ج٢، ص٣٢-٣٣؛ المقري: نفح الطيب،ج٤، ص٣٥٤، ٤٤٧- ٤٤٨؛ ابن أبي زرع: الأنيس المُطرب، ص١٤٤-١٤٥؛ ابن الكردبوس: صلة السمط،ص١٥، ١٩.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص١٨١.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٤٠٤؛ العبر في خبر من غبر، ج١، ص٢٢١؛ حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص٥١.

(٥) نفح الطيب،ج١، ص٤٨٣.

غير أن ألفونسو أبدى عدم قبول الجزية منهم فلما أبى المعتمد بن عبّاد[1] تسليم بعض حصون طليطلة كانت في يده، أعلن ألفونسو الحرب ضده وعلى جميع الأمراء المسلمين،ورأى الأمراء المسلمون بعد فوات الوقت كيف قدموا أنفسهم من جراء تفرقهم إلى عدوهم لتقوية سلطانه عليهم واتخاذ من المدينة عاصمة لقشتالة حتى يسهل عليه مهاجمة البلاد الإسلامية.

وهذا السبب الذي جعل ملوك الطوائف راغبين أو كارهين إلى طلب مساعدة المرابطين فاتحدت جموعهم واجتمعت كلمتهم معهم واضعين حداً لأطماع ألفونسو وتوسعاته[2].

فبعدما وضعوا أنفسهم في ظروف صعبة وحرجة وحالة سياسية سيئة احتاجت الدولة الإسلامية في الأندلس لوحدة عسكرية فتوافدت الرسل إلى يوسف ابن تاشفين[3]

---

(١) **المعتمد بن عبّاد:** أبو القاسم محمد بن الملك المعتضد بالله أبي عمرو، قاضي إشبيلية، ولد محمد بمدينة باجة، ولي الملك سنة(٤٦١هـ /١٠٦٨م) بإشبيلية فقام بالملك أحسن قيام، عدل في الرعية وأنصفهم، وبعد استيلاء الأذفنش لمدينة طليطلة، استعان المعتمد على حربه، بالملَّثمين، وأدخلهم الأندلس سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م)، وحين تمكن يوسف بن تاشفين على الأندلس، قبض على المعتمد بن عبّاد، وأخذ كل شيء يملكه. الأصفهاني: جمال الدين محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ). خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، الدار التونسية للنشر، تونس، ط٢، ١٩٨٦م، ج٢، ص٢٥-٤٣؛ ابن خاقان: أبو النصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله القيسي الإشبيلي(ت٥٢٨هـ/١١٣٤م). مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس)، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة،ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٥٧؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٢، ص٢٦٨؛ ابن الوردي: زين الدين عمر (ت ٧٤٩ هـ). تاريخ ابن الوردي (خريدة العجائب وفريدة الغرائب)، القاهرة، **١٢٩٢ هـ**، ج٢، ص٤، ٨؛ المراكشي: المعجب، ص١٥٨، ابن الأبّار: الحلة السيراء، ج٢، ص٥٢ – ٦٧؛ محمد عبد الله عنان. تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٤٧م، ص١٨٦-١٩٩.

(٢) السلاوي: الاستقصا، ج١، ١١٢؛ يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة. محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٢، ص٦١.

(٣) **يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني** (ت٥٠٠هـ /١٠١٩م)، سلطان المغرب الأقصى، ولاه ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني إمارة البربر، وبايعه أشياخ المرابطين، وجال جولة في المغرب بجيش كبير، فقوي أمره، واستولى على مدينة **فاس**، وغزا الأندلس فصالحه ملوكها على الطاعة له، وبنى مدينة مراكش سنة ٤٦٥**هـ**، وبايعه ابن عباد بعد انتصاره في وقعة الزلاقة ومن شهدها معه من ملوك الأندلس وأمرائها، فسلموا عليه بأمير ⇦

الذي عزم على مساعدهم خاصةً بعد وفد بني عبّاد عليه حتى يسرع لإجابة ندائهم فقال يوسف: (أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين)(١) .

واستعد المرابطون لتحرير المدينة من قبضة العدو فجعلوا من الجزيرة الخضراء معسكراً لجيوشهم(٢) بعدما توقف ألفونسو عن الزحف على البلاد للتهيؤ والاستعداد لمواجهة المسلمين الذين عجزوا أمامه عن استرداد المدينة لضعف وحدهم فاستنجدوا بالمرابطين الذين أوقفوا تهديد النصارى لغرب الأندلس بهزيمتهم لهم في موقعة الزلاّقة(٣) المشهورة سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، وكان انتصار المسلمين عزيزاً اهتزت له نفوسهم في الأندلس والمغرب والعالم الإسلامي(٤).

المسلمين، وضرب السكة باسمه، ونقش ديناره " لا إله إلا الله محمد رسول الله "، كان حازما، ضابطا لمصالح مملكته. السلاوي: الاستقصا، ج٣، ص٥٧-٦٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص٤٦؛ مؤلف مجهول، من أهل القرن الثامن الهجري.الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: د.سهيل زكار، ص٢٤-٨٣؛ عنان: تراجم إسلامية، ص٢٠٠-٢٠٨.

(١) محمد صالح منصور. العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف بالأندلس، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٥م، ص٧٣-٧٤؛ علي محمد حموده. تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، دار الكتاب العربي، مصر، ط١، ١٣٧٦هـ/م١٩٥٧م،ص٢٧٥.

(٢) استشار يوسف ابن تاشفين كاتبه ووزيره عبد الرحمن بن أسبط، وأشار إليه أن يمتلك الجزيرة الخضراء ويجعل فيها ثقاته وأجناده ويكون الجواز في يده متى شاء فاستجاب المعتمد لطلبه وسلمها إياه. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٥٢٣؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،ص ٤٩،ص ٥١-٥٢؛ محمد صالح منصور: العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف بالأندلس، ص٨٠؛ وانظر ترجمة عبد الرحمن بن أسبط في: الإحاطة في أخبار غرناطة،ج٣، ص٥٢٣.

(٣) **موقعة الزلاّقة** (٤٧٩هـ/١٠٨٦م): وقعت هذه المعركة في شمال مدينة بطليوس، وعرفت باسمها "الزلاّقة" لموقعها يقول الزبيدي: (**والزَّلاّقةُ**: بالفتحِ مع التشديدِ: أَرْضٌ بقُرْطُبَةَ كانتْ بها وَقْعَة كبيرةٌ بين الإِفْرِنْج والسُّلْطان يوسف ابن تاشفين).الزبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبوالفيض، الملقّب بمرتضى.تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهدى،ج١، ص٦٣٦١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٤١-١٤٣؛ المراكشي: المعجب، ص١٣٢-١٣٥؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٠٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص٢٨٨-٢٨٩؛ ابن الأبّار: الحلة السيراء، ج٢، ص١٠١.

(٤) عبد الكريم التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، ص٢٣٤-٢٣٥.

وبعد هذا النصر قرر يوسف بن تاشفين أن يضم الأندلس إلى حكمه بالمغرب سنة (٤٨٤هـ/١٠٩٢م) بعدما شاهد الانشقاق في صفوف الملوك الأندلسيين واتفق المؤرخون بأن قرار ضم الأندلس للمغرب جاء بسبب رؤية يوسف ابن تاشفين تواطؤ ملوك الطوائف مع ألفونسو السادس الأمر الذي أدى إلى هزيمته في معركة لييط[١] سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م[٢].

وعلى كل حال؛ فقد أصبحت الأندلس ولاية تابعه للمغرب بعد استقلالها سياسياً وإدارياً بأمورها وأصبح على المرابطين حمايتها من اعتداءات النصارى[٣]، ويذكر لنا عبدالواحد المراكشي أن سبب قرار ابن تاشفين هو تطلعهم لحكم بلاد الأندلس فيقول: (لأن جزيرة الأندلس هي حاضرة المغرب وأُمُّ قراه ومعدن الفضائل منه) [٤]. وهذا لا يمنع أن الدافع الشرعي والحماس الديني كان مقدمة الأسباب، بل وأهمها.

واستطاع المرابطون استعادة بلنسية التي سقطت سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)[٥]، وتوفي بعدها ابن تاشفين سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م) ووصل الخبر إلى ألفونسو السادس الذي ظن أن بلاد المسلمين من الرجال قد خلت، ومن ذوي النجدة قد فرغت، وظنّ أنه من هذا الحادث قد اضطربت الأمور، وانحل نظام التدبير، فازداد طمعه بالأندلس وحشد

---

(١) **معركة لييط** (٤٨٠هـ/١٠٧٨م):حدثت عند حصن لييط ونسبت إليه انهزم فيها المسلمون بسبب تواطؤ بعض ملوك الطوائف مع ألفونسو السادس. ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١٤٢-١٤٣، ١٥٤-١٥٧؛ ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص٢٤٦-٢٤٧؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٥٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص١٤١-١٤٣.

(٢) التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، ص٢٣٤-٢٣٥.

(٣) ج.س.كولان: الأندلس، ص١٣٣؛ محمد عبده حتاملة:الأندلس، التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، مطابع الدستور التجارية، عمّان،الأردن، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٥٤٧.

(٤) المعجب، ص١٦٣.

(٥) سقطت على يد السيد القنبيطور(الكمبيطور) واستعادها المرابطون سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م.

جيشاً كبيراً بقيادة ابنه الوحيد سانشو قصد به شرقي الأندلس فأرســــل الأمير علي بن تاشفين (ت٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)[(١)] أخاه **تميما** لمواجهة العدو[(٢)]

واجه تميم جيش الفونسو وألحقوا به الهزيمة في معركة كبيره قرب مدينة أقليش (Ueles)[(٣)] في سنة (٥٠١هـ/١١٠٨م) وهي آخر معركة يقودها جيش الفونسو السادس بسبب هزيمتهم فيها ومقتل سانشو الأمر الذي أدى بوفاة والده ألفونسو هماً وحسرة عليه بعده بسنة أي في سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م[(٤)].

وفي عهده كان تعيين يحي بن أبي بكر والياً على سبتة وفاس[(٥)] التي ضموها منذ سنة ٤٦٤هـ/١٠٧٢م وكان لها دور كبير في التسهيل على المرابطين للاحتكاك بالحضارة المغربية الأندلسية التي كانت مزدخرة فيها[(٦)]، و لم يجعلوا منها عاصمةً لدولتهم، لكنها كانت من مدنهم الرئيسة.

---

(١) **علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني (ت** ٥٣٧هـ /١١٤٢م)، أبوالحسن، أمير المسلمين بمراكش، وثاني ملوك دولة المرابطين، ولد بسبتة، وبويع بمراكش بعد وفة أبيه، كان ملكاً عظيماً، ذو همة، ومعرفة وحلم وذكاء، عظيم السياسة، كانت له معارك مع الفرنج، حالفه فيها الظفر، وفي أيامه ظهر محمد بن عبد الله الملقب بالمهدي (ابن تومرت) فعجز علي عن دفع فتنته، واضطربت أموره، فمات غما في مراكش. السلاوي: الاستقصا، ج١، ص٦١؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص٨٤-١٠٢، ١١٩-١٢٠؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٢، ص٦٥.

(٢) يذكر ابن الأثير أن علياً خرج بنفسه لمواجهته فيقول (فسمع أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الخبر، فسار إليه في عساكره وجموعه، فلقيه، فاقتتلوا، واشتد القتال، وكان الظفر للمسلمين، وانهزم الفرنج، وقتلوا قتلاً ذريعاً، وأسر منهم بشر كثير، وسبى منهم، وغنم من أموالهم ما يخرج من الإحصاء، فخرج الفرنج، بعد ذلك، وامتنعوا من قصد بلاده، وذل أذفونش حينئذ وعلم أن في البلاد حامياً لها، وذاباً عنها). ابن الأثير: الكامل، ج٨، ١٥٧وما بعدها.

(٣) **أُقليش**: وهي بلدة من أعمال طليطلة، لها حصن في ثغر الأندلس، بناها الفتح بن موسى بن ذى النون، ثم اختار أقليش داراً وقراراً، فبناها ومدنها، وهي على نهرٍ منبعثٍ من عين عاليةٍ على رأس المدينة.الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١١؛ الحموي: معجم البلدان،ج١، ص١٦١.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص٥٠؛ السلاوي: الاستقصا،ج٢، ص٦٤؛ ابن الكردبوس: صلة السمط، ص١١٤.

(٥) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج١، ص٢١٢.

(٦) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ب.ت، ص٢٠٥.

عمل ابن تاشفين في فاس على هدم الأسوار التي تفصل بين العدوتين عدوة القرويين، و عدوة الأندلسيين وربطهما بعدة قناطر، وصيرهما مدينة واحدة بعدما ضاق أهاليها من التقسيم واشتكوا له بذلك[1].

كما عمل يوسف على تحويلها لقاعدة عسكريه ليذهب منها إلى الأندلس في جهاده فيها[2].

وبعد ذلك بدأت نهاية المرابطين في الأندلس تظهر بضعفهم في مواجهة النصارى خاصةً بعد سقوط (سرقسطة سنة٥١٢هـ/١١١٨م)[3] وهزيمتهم في وقعة (قُتَنْدة أو كُتندة سنة٥١٤هـ/١١٢٠م) التي استشهد فيها كثير من العلماء[4].

و لم يلبث الأندلسيون أن ضاقوا بحكم المرابطين لتسليطهم الفقهاء على الناس، ولتضييقهم شيئاً مما تعوده أهالي الأندلس من حرية شبيهة بالفوضى، كما أن المرابطين تشبهوا بالأندلسيين في الأخذ بأسباب التحضّر وجنح بعضهم إلى الاستبداد[5].

وضعفت الدولة المرابطية بعد ذلك وساءت الأوضاع الداخلية فيها وظهر دور النساء في الاستيلاء على الحكم يذكره لنا المراكشي في المعجب: (واستولى النساء على الأحوال وأُسندت إليهن الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة، مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور)[6].

---

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٤١؛ روجيه لوترنو: فاس في عصر بني مرين، ص٢٢.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٤٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص١٨٥.

(٣) لتفاصيل سقوطها انظر: ابن الكردبوس: صلة السمط، ١١٧-١٢٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣١٧؛ صفة جزيرة الأندلس، ص٣٥؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٦٣؛ عنان: عصر المرابطين، ص٩٠؛ الحجي: التاريخ الأندلسي، ص٤٢٨.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج٢، ص٥٨٠؛ أزهار الرياض،ج٢، ص٢٨٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٢٠٨؛ ابن الأبّار: المعجم، ص٤؛ التكملة، ج٢، ٤٨٠-٤٨١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٦٥ـــ ١٦٦؛ ويذكر الذهبي أنها كانت في سنة (٥١٥هـ/١١٢١م)، تاريخ الإسلام، ج٨، ص٧١.

(٥) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، ص٣١.

(٦) المعجب، ص٢٦٠؛ ويذكره السلاوي: الاستقصا، ج١، ص٢٧.

وبفساد المرابطين ظهرت الدولة الموحدية على دولتهم وفي هذه الظروف القاسية، وبينما كان الصراع بين المرابطين والموحدين في الأندلس في أدواره الأولى، اندلعت نيران الفتنة وقضت على ما كان للمرابطين في الأندلس من سلطان قبل أن يفرغ الموحدون من أمرهم في مراكش[١]، حيث قام القضاة والمغامرون فيها وأعلنوا استقلالهم وبقيام ممالك الطوائف التي استمرت ثلاثين عاماً إلى ضم بلاد الأندلس لمملكة الموحدين[٢] التي رحبت بدخولهم إليها بعد ظهور أمرهم في المغرب وتشوف أهالي الأندلس إليهم[٣].

وبدأ استيلاء الموحدين على مدن المرابطين فافتتحوا مدينة فاس سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)[٤]، وفي الأندلس أعادوا مدينة المرية لحكم المسلمين سنة (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م)، وكانت قد سقطت في أيدي النصارى سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)[٥].

وبدخولهم للأندلس صادف الموحدين مشكلتان هما: العدو النصراني الذي ازداد في تهديده لبلاد الأندلس خاصة وأن الموحدين انشغلوا في مواجهة الثورات فيها.

وثورة ابن مردنيش[٦] في شرقي الأندلس ومما زاد من قوة ثورته هو محالفته للنصارى على الموحدين بحكم مجاورته لبلادهم وبموجب ذلك كان يدفع الجزية السنوية

---

(١) حسين مؤنس: نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، ص٤٣٢.

(٢) ج.س.كولان: الأندلس، ص١٣٦؛ إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، ص٣١؛ حتاملة: الأندلس، ص٥٥٣.

(٣) المراكشي: المعجب، ص٣١٠؛ حتاملة: الأندلس، ص٥٥٥.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ص٢٣-٢٤.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٤٦١-٤٦٢؛ الحجي: التاريخ الأندلسي، ص٤٣٩،٤٤٠؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص٩٤.

(٦) **ابن مردنيش**: أبوعبد الله، محمد بن سعد بن مردنيش ملك مرسية وشرق الأندلس (بلنسية وشاطبة ودانية)، استعان بالفرنج على حرب الموحدين، واستفحل شأنه بعد وفاة عبد المؤمن ليستولي على جميع بلاد الأندلس، فنهض الموحدون لقتاله وحاصروه بمرسية، مات أثناء الحصار، بعد أن أمر أهله بتسليم البلاد إلى الموحدين سنة (٥٦٧هـ/١١٧٢م). الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص٨٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص٤٨٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ص١١١، ١١٤؛ شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، ص٤٦-٤٧.

إليهم وبالتالي أصبح للموحدين عدوان متحالفان، وانتهت ثورته بالاتفاق مع الموحدين سنة(٥٦٧هـ/١١٧١م)، بعد محاصرتهم له في بلنسية[١].

ولم تقم للموحدين قائمة مع النصارى للحد من أطماعهم إلا في سنة (٥٩١هـ/١١٩٥م) حيث تمكنوا من إلحاق الهزيمة بهم في معركة الأرك[٢].

وفي سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م) تلقى الموحدون هزيمة قاسية من النصارى قتل فيها عدد كبير من المسلمين حتى إن الذهبي وصفها بـــ: (الملحمة الكبرى بالأندلس)[٣]، ونعتها الحميري بـــ: (المصيبة العظمى والحادث الشنيع)[٤]، واعتبرها صاحب الحلل: (الهزيمة العظمى)[٥]، وقد عرفت بوقعة العقاب، وكانت بين الناصر محمد بن يعقوب المؤمني[٦] والفرنج[٧].

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص٢٥٩- ٢٦٣، ٢٧٠- ٢٧١؛ سهيل: تاريخ الأندلس، ص٥٣٤.

(٢) سبب تسميتها **بالأرك** نسبةً إلى حصن الأرك الذي بناه ألفونسو الثامن، وهوحصن منيع تحصن فيه بعد انهزامهم في المعركة. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩،ص ٨٦؛ أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـــ). المختصر في تاريخ البشر، المطبعة الحسنية المصرية، القاهرة، ط١، بدون تاريخ، ج١، ص٣٤٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٩ ـــ ١٠؛ يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن حسين (ت٨٩٣هـ). بهجة المحافل وبغية الأماثل، تصحيح وتعليق:محمد ناجي العمر، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.، ص٤٦٤، ٤٦٥.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـــ، ج٢٢، ص٢٢٩.

(٤) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٩١.

(٥) مجهول: الحلل الموشية، ص١٦١.

(٦) **محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الزناتي الموحدي** الناصر لدين الله (ت٦١٠هـ/١٢١٣م)، كان له المغرب الأقصى وإفريقية والأندلس، بويع له في حياة أبيه، وجددت له البيعة بعد وفاته، وكان في مراكش فانتقل إلى **فاس**،وثار عليه يحيى بن إسحاق المسوفي المعروف بابن غانية،فاستولى على طرابلس والمهدية وتونس، فقاتله الناصر، واستخلصها منه، توفي في رباط الفتح بمراكش. الذهبي: دول الإسلام، دار المعارف النظامية، حيدر أباد، ط١، ١٣٤٧م، ج٢، ص٨٥؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٦٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص١٥؛ السلاوي: الاستقصا، ص١، ص١٨٩،١٩٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٤٦؛ مجهول: الحلل الموشية، ص١٦٠-١٦١.

(٧) سبب تسميتها **بالعقاب**: نسبة لموقع يقال له العقاب قرب حصن سالم. ولتفاصيل المعركة ينظر: المراكشي: المعجب، ص٤٥٦- ٤٥٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ص٢٦٢، ٢٦٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤١٦؛ صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٧، ١٣٨.

وقد استشهد فيها الكثير من العلماء منهم: محمد بن إبراهيم الحضرمي(١)، ومحمد بن حسن بن محمد الأنصاري المعروف بـــ (ابن صاحب الصلاة) (٢)، ومحمد بن إبراهيم الحضرمي القرطبي(٣)، والحافظ الإمام الثقة أبو عمر أحمد بن هارون النفزى الشاطبي(٤)، وغيرهم كثير.

أما بالنسبة لمدينة فاس فقد كان لها دور جهادي ضد نصارى الأندلس في عهد علي بن يوسف فحين عزم على جهاده ألزم مدينة فاس بثلاثمائة غلام من العبيد السود الذين يملكونهم أهالي فاس ليغزون في العساكر، على أن يتكلف الأهالي برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم ويخرجون ذلك من أموالهم(٥)، وجعلوا منها قاعدة لدولتهم لكنهم أدركوا مثل المرابطين أهمية أن يجعلوا من فاس إحدى قواعدهم الرئيسية للعمليات العسكرية لاسيما أعمالهم الحربية بالأندلس إذ كانت الممر الطبيعي للبلاد(٦)، فاتخذوها قاعدة تنطلق منها جيوشهم للدفاع أو الهجوم على المغرب الأقصى والأندلس(٧).

---

(١) **محمد بن إبراهيم الحضرمي**: فاضل، عارف بالرجال، مشارك في العربية واللغة، من أهل اليسانة من عمل قرطبة، روى عن أبي القاسم بن بشكوال وصحب أبا محمد القرطبي وأخذ عنه، وولي القضاء، من مؤلفاته: "الدرة الوسطى في السلك المنظوم في رجال الموطأ". ابن الأبّار: تكملة الصلة، ص٣٠٠، ٣٠١.

(٢) **محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف بن يوسف بن خلف الأنصاري**: من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الحاج، وبابن صاحب الصلاة، كان مقرياً صدراً في أئمة التجويد، محدثاً متقناً ضابطاً، حسن الخط والتقييد،وصنف في الحديث، واستمر في نشر العلم وبثه إلى أن كرمه الله بالشهادة في وقيعة العقاب. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١،ص ٣٦٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج٩، ص٣٨٦.

(٣) **محمد بن إبراهيم الحضرمي القرطبي الفقيه**: قاضي اليسانة وخطيبها، له مؤلف في "رجال الموطأ "، روى عن ابن بشكوال. الذهبي: تاريخ الإسلام،ج٩، ص٣٨٦.

(٤) **الحافظ أبو عمر أحمد بن هارون النفزى الشاطبي**: كان من حفاظ الأندلس، يسرد المتون، ويحفظ الأسانيد عن ظهر قلب، لا يخل منها بشيء موصوفا بالدراية والرواية، يغلب عليه الورع والزهد على منهاج السلف، له تواليف دالة على سعة حفظه مع حظ من النثر والنظم. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٩٠؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص٣٦.

(٥) ابن القطان: نظم الجمان، ص١٠٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ص٧٢.

(٦) التازي: جامع القرويين، ج١، ص١٠٨.

(٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٢٠٩؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص٩٧.

وبضعف الدولة الموحدية أمام النصارى تجزأت دولتها في المغرب والأندلس ففي الأندلس أدى ضعفها إلى تقلصت الدولة باستيلاء النصارى على بلادهم حصناً بعد حصن، ومدينة بعد مدينة[(١)]، ومن المدن التي سقطت قرطبة سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م) وبلنسية سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) [(٢)] وشاطبة سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) ودانية سنة (٦٤١هـ/ ١٢٤٤م) وجيان سنة (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م)[(٣)] واشبيلية سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)[(٤)].

فلم يعد للدولة الإسلامية في الأندلس سوى مملكة غرناطة الإسلامية التي صمدت أمام دول النصارى في حكم بنو نصر (٦٣٥هـ) قرنين ونصف من السنين حتى سقوطها (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) [(٥)].

يقول المقري: (ولما أُخذت قواعد الأندلس مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة ومُرسية وغيرها، انحاز أهل الإسلام إلى غرناطة والمرية ومالقة ونحوها.وضاق الملك بعد اتساعه،وصار تنين العدو يلتقم كل وقت بلداً أو حصناً،ويهصر من دوح تلك البلاد غصناً،وملك هذا النذر اليسير ملوك بني الأحمر،فلم يزالوا في تعب وممارسة وربما أثخنوا في الكفار كما علم من أخبارهم) [(٦)].

أما في المغرب؛ فقد قامت عدة دول على أنقاض الموحدين الذين كانوا يحاولون استعادة إمبراطوريتهم لكن قد انهارت معنوياتهم وقواهم التي تفرقت في سبيل الحفاظ على

---

(١) المراكشي: المعجب، قسم الموحدين، ص٤٧٥.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص٤٥٨ـــ ٤٥٩؛ اليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي (ت٧٦٨هـــ). مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دارالكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـــ/ ١٩٩٧م، ج٤، ص٦٦ ـــ ٦٧؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين، ج٦، ص٥٩٨.

(٣) الحجي: التاريخ الأندلسي، ص٤٧٦ـــ ٤٧٨، ٢٥٢.

(٤) الحميري: الروض المعطار، ص٦٠؛ عنان: نهاية الأندلس، ص٩٠ ـــ ٩١.

(٥)الحجي: التاريخ الأندلسي، ٥١٥.

(٦) نفح الطيب، ج٤، ص٥١٠.

دولتهم فتركت الفرصة للنصارى ليستولوا على دولتهم[1] ومن أشهر دول المغرب دولة بني مرين[2] في فاس[3] التي كان لها دور سياسي وجهادي في الأندلس إذ ذكرت كتب المصادر أن دولتهم أكثر تماسكاً من دول المغرب آنذاك لذلك تحملت هي مسئولية الجهاد في الأندلس عن الدولة الموحدية.

وفي هذه الفترة **ظهر دور فاس السياسي** وقوة اتصالها مع الأندلس، بصورة أكبر، وذلك للأسباب التالية:

ـــ لجوء سلاطين بني الأحمر في الأندلس لسلاطين بني مرين في فاس لطلب مساعدتهم في الوقوف أمام النصارى الذين يهددون الوجود الإسلامي في الأندلس.

---

(١) أمبروسيوهويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تعريب: عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٤م،، ص٥٢٢.

(٢) من الدول كانت دولة بني حفص في تونس، وبنويفرن في تلمسان، ودولة بني عبد الواد الزيانيون في الجزائر. ابن خلدون: العبر، ج٧، ص١٤٥، ١٤٨، ١٥٦، ٢٠٢،٢٠٣.

(٣) ابن أبي زرع، الذخيرة، ص٢٦؛ عبد الله كنون: مشاهير علماء المغرب، ق ٥، ص٣٥.

وقد اختلف المؤرخون في نسبهم فمنهم من يرجعهم إلى البربر من قبيلة زناتة البترية. انظر: القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ص٣٨٢.

والبعض الأخر يرجعهم إلى أنهم عرب من نسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه،منهم ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٩٩؛ وابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٥.

ويرى ابن الأحمر أنهم من أصل عربي الذي ينتمي إليه البربر يقول في ذلك: (بأن برين قيس بن عيلان جد زناتة عربي خرج عن قومه العرب واستوطن مع أخواله البربر، وله ولدين هما: مادغيس وعلوان، أما علوان فمات صغيراً ومادغيس كان يلقب بالأبتر وهو أبوالبتر من زناتة وإليه يرفعون أنسابهم ومن ولده جميع قبائل زناتة، فنشأ بين البربر ينطق بلغتهم البربرية ويتزيا بزيهم، وانتشرت ذريته فيهم حتى صاروا ألوفاً لاتحصى كثرة، يتكلمون بكلامهم البربري ويتحلون بحلاهم). ابن الأحمر: أبو الوليد اسماعيل (ت٨٠٧هـ): روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص٩، ١٠.

وكان بنو مرين يمثلون قسماً قوياً له عراقته وسطوته بين قبائل زناتة فهم أعلى قبائلها حسباً وأشرفها نسباً وأغزرها كرماً وأشدها بأساً في الحروب وإقداماً وكانوا أمراء على قومهم من زناتة قبل دخولهم المغرب. ابن أبي زرع: الذخيرة، ص٢٥؛ ابن الأحمر: روضة النسرين في دولة بني مرين، ص٣١.

ــ استقبال مدينة فاس النازحين من الضغط النصراني في بلاد الأندلس وسقوط المدن في أيديهم ومما زاد من أهميتها هو اتخاذها عاصمة لبني مرين دون مراكش.

ــ ولقد أدرك ملوك غرناطة صعوبة الوضع السياسي في بلادهم فعملوا على تكييف سياسيتهم الخارجية حسب الوضع الذي وُجدوا فيه فقاموا بعقد علاقات ود وصداقة مع ملوك المغرب الأقصى وخاصة بني مرين، وحاولوا أن يُوجدوا توازناً بعلاقاتهم الخارجية مع مملكتي قشتالة وأراغون[1].

ولقد نشر الأمير شكيب أرسلان في كتابه "الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية" عدداً كبيراً من الرسائل التي وجهها ملوك غرناطة إلى ملوك أراغون وقشتالة،استطاعت بها المملكة الأندلسية أن تصمد على الرغم من تهديدات القشتاليين لها، إلى جانب بعدها عن أيديهم وسهولة اتصالها بالمغرب التي توصل إليها النجدات المرينية بسرعة في حال استدعائها، ويضاف أن البلاد الأندلسية أصبحت دار جهاد لذلك قامت المملكة الإسلامية بتدريب سكانها على حمل السلاح واستعماله والاستعداد الدائم لملاقاة العدو[2] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَاللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[3] .

ومما لاشك فيه أن هذه الأحداث السياسية أوجبت قوة العلاقات بين بني الأحمر في غرناطة وبني مرين في فاس حيث التدخل المستمر للقوات المرينية في الأندلس للمحافظة على ما بقي من الثغور الإسلامية فيها إذ لم يتبق سوى مملكة غرناطة.

فلو نظرنا إلى الأسباب التي دعت سلاطين الأندلس إلى طلب العون من بني مرين دون دول المغرب مثل بني عبد الواد والحفصيين، نجد من أبرزها:

---

(١) محمد طاهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي أفريقية ٦٤- ٨٩٧هـ/٦٨٣- ١٤٩٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت،لبنان،ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٩٨.

(٢) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص٣٩؛ الحجي: التاريخ الأندلسي،ص٥١٦- ٥١٩؛ سهيل: تاريخ الأندلس،ص٥٧٧؛ محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس، ص٩٦.

(٣) سورة الأنفال، آية ٦٠.

ـــ قوة بني مرين وتماسكهم أكثر من دولتي بني عبد الواد وبني حفص.

ـــ خروجهم مع الموحدين في غزوة الأرك واشتراكهم في الجهاد[١].

ـــ نظرة المرينيين إلى الميدان الأندلسي على أنه بقايا من إرث الموحدين، لذلك فكروا في استئناف الجهاد ضد النصارى كما فعل أسلافهم من المرابطين والموحدين، فاستعان بهم بنوالأحمر لما رأوا رغبتهم في الجهاد[٢].

ـــ عدم رغبة بني عبد الواد والحفصيين للجهاد في الميدان الأندلسي فقد اقتصروا على مملكتهم خوفاً من استنزاف قواهم وسقوطها فيما بعد[٣].

ـــ إحساس بني الأحمر بتخطيط إسبانيا النصرانية التي وضعت في مخططها توحيد البلاد وتنصيرها وأن قوى المسلمين باتت ضعيفة أمامهم[٤].

ـــ أهم سبب هو التقارب الجغرافي بين الأندلس وفاس مما سهل الاتصال بينهما وسرعة الإجابة لنجدة الأندلس، فلو نظرنا لطلب الإمدادات من دول العالم الإسلامي التي اعتذرت عن إمدادهم بسبب البعد الجغرافي مثلاً ما طلبه الغني بالله ابن الأحمر من السلطان المملوكي محمد بن حاجي الأول بن محمد الناصر بن قلاوون الذي اعتذر عن المساعدة.

للأسباب السابقة التي ذكرتها وغيرها كانت سرعة نجدة بني مرين لبني نصر، ونجد أن السلطان المريني أبا يوسف يعقوب بن عبد المؤمن الملقب بالمنصور قام بالإسراع بالنجدات العسكرية سنة ٦٧٣هـ/١٢٤٧م التي طلبها منه السلطان النصري محمد الأول بن يوسف الغالب بالله وجعل من جزيرة طريف معسكراً جيوشه[٥]، فتوغل في الأندلس

(١) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص١٦٧؛ شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، ص٥١.

(٢) الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص٤٣.

(٣) الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م، ص٣١٦.

(٤) شوقي أبوخليل. مصرع غرناطة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٣م، ص٢٠.

(٥) اشترط السلطان المريني أبو يوسف على السلطان محمد الفقيه ابن محمد حينما استنجد به أن يتنازل للمرينيين عن بعض الثغور والقواعد الأندلسية لتنزل بها قواتهم فتنازل له عن طريف ورندة والجزيرة الخضراء، وقد أوصاه والده عند وفاته بأن يستدعي أمير المسلمين أبا يوسف للجهاد،ويعطيه ما يري. الذخيرة السنية، ص٧٦ -٧٧؛ ابن ⇦

موقعاً بالأسبان عدة هزائم التي رآها أهل الأندلس ثأراً لمعركة العقاب(٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)[(١)]، في ظل هذا الانتصار قدم صاحب مالقة محمد بن أبي محمد بن عبد الله على أبي يوسف وهو في الجزيرة الخضراء وتنازل له عن مالقة والغربية[(٢)]، الأمر الذي أحدث الجفاء بين السلطان النصري والسلطان يعقوب خوفاً من أن يسيطر المرينيون على الأندلس مثلما فعل الموحدون ومن قبلهم المرابطون لاسيما بعد تنازل صاحب مالقة له عنها؛ فتحالف مع القشتاليين ضده[(٣)] ولم يكتف بذلك بل قام بالتراسل مع يغمراسن بن زيان وتبادل معه الهدايا واتفقا على أن يهجم يغمراسن على حدود الدولة المرينية لصرف أبي يوسف عن العبور إلى الأندلس[(٤)].

استغل هذا الخلاف ملك قشتالة ألفونسو العاشر (ELFONSO X)[(٥)]، فقام بنقض العهد الذي كان بينه وبين السلطان أبي يوسف المريني[(٦)] فأرسل أساطيله إلى الجزيرة الخضراء فحاصرتها وهاجمت معسكر الجيش المريني فيها فبادر السلطان أبو يوسف بتوجيه حملة بحرية بقيادة ابنه الأمير يوسف فنجحت حملته في إلحاق الهزيمة بالأسطول القشتالي.

ويذكر ابن خلدون أن أساطيل ابن الأحمر عاونت الأساطيل المرينية بعد رؤيتهم خطورة التحالف مع القشتاليين ضد أبي يوسف، وندم على ما أصاب أهل الجزيرة

خلدون: العبر، ج٧، ص٣٩٦؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣١٢، ٣١٣؛ المقري: نفح الطيب،ج١، ص٤٤٩.

(١) السلاوي: الاستقصا،ج٢،ص ٢٢٠، ٢٢٤.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٥٦٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٤٠٦، ٤٠٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٤٠٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص١٨٣، ١٨٤

(٥) هو **الملك ألفونسو العاشر** (ELFONSO X) والملقب بالعالم والحكيم (El Sabio)، (ت ٦٨٣هـ/١٢٨٤م)، كان محبا للعلم والثقافة ومجالسة المهتمين بها، مارس سياسة انفتاح على الأدب والفكر الشرقيين. ورغم مخاصمته العرب سياسياً، فقد بلغ الاهتمام بالثقافة العربية في عهده ذروته. محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس ص ١٦٩ ــ ١٧٠؛ محمد القاضي: طليطلة ومدرسة المترجمين المدرسة الأولى للاستعراب الإسباني، مجلة التاريخ العربي، العدد، ص.

(٦) ابن خلدون: العبر، ج٧،ص٤٠٨، ٤٠٩

الخضراء من جراء ذلك، وبعد انتصاره على القشتاليين كان لابد من إرسال حملة تأديبية إلى يغمراسن بن زيان حليف القشتاليين وقادها أبو يوسف بنفسه وتمكن من القضاء على ثورته(١)، ثم بعث أبو يوسف المريني بعد ذلك لابن الأحمر بوجوب التفاهم بينهما خشيةً على مصير المسلمين في الأندلس من جراء خلافاتهما والتحالف ضد بعضهما مع العدو، فعُقد التحالف وتم التفاهم وبموجبه أصبحت مالقة لبني مرين لتكون قاعدة لقواتهم ووضعوا فيها عدداً من فرسانهم لمواصلة الجهاد مما ساعد على صمود غرناطة، ومن نتيجة هذا التحالف أيضاً إنشاء منصب جديد في غرناطة وهو مشيخة الغزاة ومهمته تنظيم أمور الجهاد في الأندلس وتولى هذا المنصب بنو العلاء من أقارب بني مرين تقديراً لجهودهم في مساعدتهم وكان أول شيخ للغزاة هو: عثمان بن أبي العلاء الذي استشهد سنة(٦٩٣هـ/١٢٩٤م) (٢).

وبعد وفاة سلطان المغرب أبي يوسف المريني سنة (٦٨٥هـ/١٢٨٥م) والسلطان النصري محمد الثاني الفقيه سنة (٧٠١هـ/١٣٠١م) ساءت العلاقات المرينية النصرية بتحالف أبي عبد الله محمد الثالث المخلوع(٣) مع ملك قشتالة، ويذكر لنا الناصري أن العلاقات بين محمد المخلوع والسلطان المريني أبي يعقوب يوسف كانت طيبة في بادئ الأمر وأنه أرسل وفداً إلى المغرب وتلقاه أبو يعقوب بالترحاب، ثم لما طلب من الوفد أن يمدوه بعسكر من الأندلس ساءت بعد ذلك العلاقة بينهما، فنقض محمد المخلوع صداقة أبي يعقوب المريني ووالى فرديناند الرابع وانتهز فرصة الاضطراب السياسي في المغرب واستولى على سبتة الأمر الذي أغضب السلطان المريني منه(٤).

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٤١٩- ٤٢٣؛ محمد كمال شبانة. يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، مطبعة الرسالة، مصر، ١٩٦٩م، ص٢٩.

(٢) العبر، ج٧، ص٧٦١- ٧٦٤؛ الحجي: التاريخ الأندلسي، ص٥٣٨، ٥٣٩.

(٣) لتزعم أخوه نصر الثورة عليه بمساندة أعيان الدولة بسبب نظام القهر الذي فرضه عليهم فاعتقلوه وأجبروه على التنازل عن الحكم ونفوه إلى حصن المنكّب حيث قضى خمسة أعوام في الأسر ثم أُعيد إلى غرناطة وتوفي بها سنة (٧١٣هـ/١٣١٣م). ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٤٧٣؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة،ج١، ص٥٥٢، ٥٥٤.

(٤) الاستقصا،ج٢، ص٨٢.

وانتهز هذا الخلاف كل من فرديناند الرابع الذي هاجم الجزيرة الخضراء سنة (٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ثم ارتد عنها واستولى على جبل طارق وألفونسو الرابع صاحب برشلونة الذي غزى مدينة المرية في السنة نفسها(١).

وأمام هذا الواقع أدرك السلطان الناصري نصر ما ارتكبه من خطأ فادح وهو عدم توثيق العلاقات مع المرينيين حين توليه الحكم فأرسل إلى السلطان سليمان أبي الربيع المريني يبدي أسفه ويطلب منه الصلح متنازلاً له عن الجزيرة الخضراء ورندة وحصونهما، وزوجه إحدى شقيقاته غير أن أوضاع المغرب وسيطرة القشتاليين على جبل طارق أخرت مساعدة بني نصر(٢).

وقد عمد بعدها نصر إلى التقرب من القشتاليين لتجنب خطرهم حينما رأى نفسه وحيداً في مسرح الأحداث السياسية وتعهد لفرديناند الرابع بدفع الجزية مما أثار سخط الغرناطيين عليه وإجباره على التنازل عن الحكم سنة (٧١٣هـ/١٣١٣م)(٣)، فخلفه إسماعيل الأول بن فرج الذي تلقى هزيمة شنيعة في أول حكمه بوادي فرتونة على يد الطاغية دون بيدرو الوصي على ابن أخيه ألفونسو الحادي عشر عام (٧١٧هـ/١٣١٧م) مما شجعه على مهاجمة غرناطة(٤) فتقدم بجيش يقوده هوودون خوان الوصي الثاني واشترك معهما عدد من الجنود الأوربية وخاصةً من الإنجليز مما أضفى الصفة الصليبية للحملة(٥)، وقد تصدى لهم المسلمون بقيادة شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء على الرغم من قلة عددهم، ويصف لنا المقري ذلك: (وبعد مدة ألّب ملوك النصارى سنة تسع عشرة وسبعمائة على غرناطة، وجاءها الطاغية دون بطره في جيش لا يحصى ومعه خمسة وعشرون ملكاً، وكان من خبر هذه الوقعة أن

---

(١) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص٧٥، ٧٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٥١٧، ٥١٨؛ محمد شبانة: يوسف الأول، ص٣١؛ سهيل: تاريخ الأندلس، ص٥٩٥.

(٣) ثار عليه أبو سعيد فرج بن إسماعيل النصري عم والده وصاحب مالقة، فدخل إلى غرناطة من ناحية ربض البيازين، ونقل السلطان المخلوع إلى وادي آش التي أُعطيت له ليحكمها وبقي فيها حتى وفاته سنة (٧٢٢هـ/١٣٢٢م)، ودفن بغرناطة. انظر التفاصيل في: الإحاطة، ج٣، ص٣٤٠؛ اللمحة البدرية، ص٨٢، ٨٣، ٨٤.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٣٨٩.

(٥) عنان: نهاية الأندلس، ص١٧١،١١٨.

الإفرنج حشدوا وجمعوا وذهب سلطانهم دون بطره إلى طليطلة، ودخل على مرجعهم الذي يقال له البابا، وسجد له، وتضرّع، وطلب منه استئصال ما بقي من المسلمين بالأندلس، وأكد عزمه، فقلق المسلمون بغرناطة وغيرها، وعزموا على الاستنجاد بالمريني أبي سعيد صاحب فاس، وأنفذوا عليه رسلاً، فلم ينجع ذلك الدواء، فرجعوا إلى أعظم الأدوية وهو اللّجوء إلى الله تعالى، وأخلصوا النيّات، وأقبل الإفرنج في جموعٍ لا تحصى، فقضى ناصر من لا ناصر له سواه بهزم أمم النصرانية، وقتل طاغيتهم دون بطره ومن معه، وكان نصراً عزيزاً ويوماً مشهوداً)[1].

وأرخها ابن خلدون بقوله: (وأطالت أمم النصرانية بغرناطة وطمعوا في التهامها ثم إن الله نفس مختنقهم ودافع بيد قدرته عنهم وكيف لعثمان بن أبي العلاء وعصبته واقعة كانت أغرب الوقائع صمموا إلى موقف الطاغية بجملتهم وكانوا زهاء مائتين أو أكثر وصابروهم حتى خالطوهم في مراكزهم فصرعوا بطرة وجوان وولوهم الأدبار واعترضتهم من ورائهم مسارب الماء للشرب من شقيل فتطارحوا فيها وهلك أكثرهم واكتسحت أموالهم وأعز الله دينه وأهلك عدوه ونصب رأس بطرة بسور البلد عبرة لمن يذكر وهو باق هنالك لهذا العهد.)[2] و(ثم كان من تكييف الله تعالى في قتله وقتل رديفه، واستلحام جيوش النصرانية بظاهر غرناطة ما ظهرت فيه معجزة من معجزات الله)[3].

وفي سنة (٧٣٢هـ/١٣٢٤م) ذهب السلطان محمد الرابع إلى فاس واجتمع بالسطان أبي الحسن بن عثمان فأكرمه وزوده بالخيل والذخيرة والعدة وساعده في استعادة جبل الفتح جبل طارق، ثم اغتيل بعدها السطان النصري فخلفه أخوه أبو الحجاج يوسف الأول بن أبي الوليد إسماعيل الأول[4]، وعُقد بعدها صلح بين غرناطة وأراغون في فاس سنة (٧٣٤هـ/١٣٢٦م) وقد تولت فاس عقد الصلح بينهما وكان يكتبه ابن الخطيب[5].

---

(١) نفح الطيب، ج١، ص٤٤٩، ٤٥٠.

(٢) العبر،ج٧، ص٥١٩، ٥٢٠.

(٣) العبر،ج٤، ١٧٣، ويذكر أنها كانت في سنة ٧١٨هـ، والمقري يذكر أنها في سنة ٧١٩هـ.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٥٣٩؛ اللمحة البدرية، ص٩٢- ٩٣؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٥١.

(٥) مجهول: الحلل الموشية، ج٢، ص٣١١، ٣١٣.

وفي عهد يوسف الأول[1] دخلت جيوش القشتاليين مملكة غرناطة بعد هزيمة المسلمين في المعركة البحرية سنة (٧٤٠هـ/١٣٣٩م)[2]، وتجهز المسلمون على إثرها للرد على القشتاليين ونشبت بينهم معركة قرب طريف وسميت باسمها خسرها المسلمون سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م)[3]، وشبهوها بمعركة العقاب التي خسرها الموحدون ولم تقم لهم قائمة بعدها.

ولقيت أنباء هذه المعركة صدى سلبياً كبيراً في الجانبين الأندلسي والمريني واعتبرها بنو مرين نهاية جهادهم في الأندلس فتُرِك مصير الأندلس لأبنائها الذين ناضلوا بعد هذه الموقعة مائة وثلاثاً وثمانين سنة في صراع مع أعدائها محاولين البقاء على مملكتهم لأن أوضاع المرينيين لم تعد تسمح للقيام بأي جهاد في الأندلس فاقتصرت العلاقات بعد ذلك في عهدي السلطان النصري يوسف الأول والسلطان النصري أبي عنان على العلاقات الدبلوماسية وهي انحصار السفارات وتبادل الرسائل بينهما.

وكانت رسائلهم تدور على التهنئة لأبي عنان في فتوحه بالمغرب أو لانتصاره على الثائرين[4] عليه أو لشرح الأحوال الداخلية لمملكة قشتالة[5] أو لما قام به الجيش الغرناطي من جهاد ضد النصارى[6].

---

(١) **يوسف الأول**: هو أبو الحجاج بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الخزرجي أبو الحجاج بن أبي الوليد **بن الأحمر** (**ت** ٧٥٥هـ/١٣٥٤م)، سلطان الأندلس، ولي السلطنة في ذي الحجة سنة (٧٣٣هـ/١٣٣٢م) بعد أخيه، وأمه أم ولد، وكانت في زمنه الوقعة العظمى بظاهر طريف بين المسلمين والفرنج وفرج الله عن المسلمين على يديه وكان موته مقتولا بيد شخص مجنون رمى بنفسه عليه وهو في صلاة عيد الفطر. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص١٦٥.

(٢) الحجي: التاريخ الأندلسي،ص٥٤٣.

(٣) أسماها ابن الخطيب بـ: (الوقيعة العظمى) لما لحق المسلمون من هزيمة كبيرة. انظر: اللمحة البدرية، ص ١٠٥؛ الإحاطة، ج١، ص٤٨٦، ج٢، ص١٧٠. ولتفاصيل المعركة ينظر: المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٥٢؛ السلاوي: الاستقصا،ج٢، ص٧٦؛ ج٣، ص١٣٤، ١٣٥؛ الحجي: التاريخ الأندلسي، ٥٤٣؛ محمد شبانه: يوسف الأول، ص١٣٦- ١٣٨.

(٤) ابن الخطيب: كناسة الدكان، ص٦٤، ٧٥، ٧٩، ٨٤، ٩٢؛ ريحانة الكتاب، ج١، ص١٧٠- ١٨٦؛ المقري: أزهار الرياض،ج١، ص٢٨٦.

(٥) ابن الخطيب: كناسة الدكان، ص٩٤- ١٠٣.

(٦) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص١٢٩.

وقد تبادل السلاطين الهدايا التي حرص بنو مرين فيها أن تكون مما يساعد به المسلمين في الجهاد وكانت تشتمل على الخيل والسيوف[(١)].

ومن هذه العلاقات إرسال أبي عنان بشأن أخيه أبي الفضل الذي كان لاجئاً سياسياً في غرناطة[(٢)] ومن ذلك ما أعطاه أبو سالم المريني السلطان النصري محمد الغني بالله ابن الأحمر ووزيره لسان الدين ابن الخطيب من حق اللجوء السياسي للدولة المرينية وذلك بعد أن تعرض سلطان غرناطة لانقلاب أطاح به في رمضان (٧٦٠هـ/١٣٥٨م)[(٣)] واستدعاه أبو سالم فاستقبله هو بنفسه في فاس(٧٦١هـ/ ١٣٥٩م) وسلّم عليه وبالغ في حفاوته وقد لقي السلطان اللاجئ ووزيره كل رعاية وتكريم في البلاط المريني[(٤)].

وفي سنة (٨٦٩هـ/١٤٦٤م) سقطت الدولة المرينية في المغرب على أيدي الوطاسين[(٥)] بعد أن دامت قرنين من الزمان في مساعدة الأندلس غير أن بني وطاس لم يكونوا بمستوى القوة التي كان عليها بنو مرين ليقوموا بواجبهم مع مجاهدي الأندلس ونصرتهم كما فعل أسلافهم.

---

(١) ابن الخطيب: كناسة الدكان، ص٥٧- ٦٢؛ ريحانة الكتاب، ج١، ص٢٥٣- ٢٦٥؛ ٣٨٨- ٤٢٣.

(٢) ابن الخطيب: كناسة الدكان، ص١٣٣- ١٣٧- ١٤٠- ١٤٧؛ ريحانة الكتاب،ج١، ١٥١- ١٩٥؛المقري: نفح الطيب،ج٤، ص٤٢٠- ٤٢٤؛ محمد شبانه:يوسف الأول، ص٤٥٥- ٤٧٣.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة،ج١، ص٥٢٥، محمد شبانه:يوسف الأول، ص٤٥٥- ٤٧٣.

(٤) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص١٢١، ١٢٢؛ الإحاطة في أخبار غرناطة،ج١، ص٥٢٥، ٥٢٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٦٩٢؛ المقري: أزهار الرياض، ج١، ص١٩٤- ٢٠٤.

(٥) **الوطاسيون**: هم فرع من بني مرين، كانوا أصحاب نفوذ، وسلطان، وشوكة في الدولة المرينية، وأنزل بهم السلطان عبدالحق آخر سلطان الدولة المرينية نكبة عظيمة، واستطاع محمد الشيخ الوطاسي أن يفلت من تلك التصفية الجسدية، وبعد أن تولى حكم المغرب الشريف محمد بن علي الإدريسي في عام (٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، استطاع محمد الشيخ أن يجهز جيشا لنزع السلطة والحكم من الإدريسي، فاستولى على فاس عام (٨٧٧هـ / ١٤٧٢م)، وكلفه ذلك ضياع مدينة أصيلا من يده، حيث وقعت هي وأسرته بيد البرتغاليون، فاضطر للمفاوضة معهم، فتنازل عن أراضٍ من المغرب، مقابل إطلاق سراح ابنه وزوجاته، واستطاع البرتغاليون أن يستولوا على موانئ المغرب مثل سبتة وطنجة وأصيلا، وحين سقطت غرناطة في عهدهم، قدم أهالي الأندلس في هجرات عظيمة نحو المغرب. ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٣٩٩؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م،، ج٣، ص٢٣، ٢٤.

وقد بدأت إشارات سقوط الأندلس في الظهور للأسباب التالية:

ــ عدم وجود مساعدات للأندلس من قبل المغرب على الرغم من أنها أقرب البلاد الإسلامية إليهم والتي لم تتخل عن الأندلس طوال فترة بقاء المسلمين فيها وذلك للوضع السياسي السيئ المفكك لبلاد المغرب لهذا السبب لم تستجب لنجدة المسلمين[١].

ــ حقد النصارى على المسلمين وإنزال غضبهم على مسلمي غرناطة وتكثيف جهودهم للقضاء عليهم بعد فتح القسطنطينية سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) بقيادة السلطان العثماني محمد الفاتح[٢].

ــ إتحاد إسبانيا النصرانية قشتالة وأراغون سنة (٨٨٤هـ/١٤٦٩م) بزواج فرديناند الخامس (FERNANDO. V)[٣] الأراغوني وإيزابيلا[٤] القشتالية وكان من أحد شروط هذا الزواج هو أن يتعهد فرديناند باستمرار الحرب على مسلمي الأندلس[٥].

ــ انشغال بني نصر بالفتن الداخلية في ظل الظروف المحيطة به[٦].

---

(١) حتاملة: التنصير القسري لمسلمي الأندلس، ص٩١.

(٢) شوقي أبوخليل: مصرع غرناطة،ص٦٥. **محمد الفاتح:** بن مراد بن محمد بن بايزيد بن عثمان (ت ٨٨٦هـ)، تولى الحكم سنة (٨٥٥هـ/١٤٥١م)، من أعظم سلاطين العثمانيين، لقب بالفاتح لفتحه مدينة القسطنطينية. السيوطي: نظم العقيان في أعيان الأعيان، بعناية فيليب حتي، المطبعة السورية، نيويورك، ١٩٢٧م، ص١٧٣؛ السراج: الحلل السندسية، ج٢، ص٢٧٣- ٢٧٥.

(٣)فرديناند الخامس (FERNANDO. V): هو ملك أرغون، تزوج من ابنة عمه ملكة قشتالة إيزابيلا عام (١٤٦٩م)، وكان لهذا الزواج أثره البعيد المدى في التاريخ الإسلامي. عنان: نهاية الأندلس، ص١٧٦، ١٨٠ -١٨٤.

(٤) هي الملكة إزابيلا (ESABELLA) ورثت عرش قشتالة بعد وفاة أخيها سنة (٨٧٩هــ/١٤٧٤هــ)، تزوجت من ابن عمها فرديناند الخامس (FERNANDO. V)، وكانت تتمتع بالزكاء والعزم وحب الشعب القشتالي النصراني لها. عنان: نهاية الأندلس، ص١٨٢ـــ ١٨٥.

(٥) عنان: نهاية الأندلس، ص١٨٠-١٨٤؛ عبد الواحد ذنون طه: تحالف الممالك الإسبانية في الأندلس وأثره على سقوط غرناطة، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٧٧، ١٧٨.

(٦) عبده محمد عواجي: الخلافات السياسية في الدولة النصرية ودورها في سقوط الأندلس،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام، ص٢٣١.

ولقد قام المسلمون في الأندلس بتوجيه ندائهم للعالم الإسلامي لنصرتهم، فهبت لنجدتهم الدولة العثمانية والتي استطاعت أن تدخل أوروبا خاصة وأن المغرب في ذلك الوقت كان يعاني من الضعف والتفكك و لم يكن مهيأ لنجدتهم(١) فتوجهوا بندائهم إلى بايزيد الثاني(٢) في قصيدة مطلعها:

سـلامٌ كـريـم دائـم متجـدد   أخص به مولاي خير خليفـة

سلامٌ على مولاي ذي المجد والعلا   ومن ألبس الكفار ثوب المذلة

ويصف له حال الأندلس

سلامٌ عليكم من عبيد تخلفوا   بأندلس بالغرب في أرض غربةٍ

أحاط بهم بحرٌ من الروم زاخرٌ   وبحر عميق ذو ظـلامٍ ولجةٍ

سلامٌ عليكم من عبيدٍ أصابهم   مصابٌ عظيمٌ يالها من مصيبةٍ(٣)

غير أن بايزيد الثاني لم يستطع نجدتهم لانشغاله بخلافاته الأسرية(٤)، فاستبسل الأندلسيون في الدفاع عن غرناطتهم التي ضاق عليهم الحصار فيها وقطع عنهم العدو المؤونة وعظم البلاء فيها، واشتد الأمر على أهلها الذين قبلوا بدخول ملك قشتالة إلى غرناطة وتنازل له سلطان غرناطة عن الحمراء ودخلها بموجب معاهدة تألفت من ٧٦ شرطاً سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) ذكرها المقري ومن عاصر الحادثة من المؤرخين(٥)، منها:

ـــ تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال وإبقاء الناس في مساكنهم ودورهم وعقارهم. وإقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم أحد عليهم إلا بشريعتهم.

ـــ أن تبقى المساجد والأوقاف كما كانت.

---

(١) أحمد عبد الرحمن السحاوي. رحلة مصورة إلى بلاد الأندلس المفقود، دار الفكر، بيروت، ب ط، ص١٦٧.

(٢) **بايزيد الثاني** ابن السلطان محمد الفاتح، تولى الحكم سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)، وهو من أعيان السلاطين العظماء، توفي سنة (٩١٨هـ/١٥١٢م). السراج: الحلل السندسية،ج٢، ص٢٧٥- ٢٨١.

(٣) غير معروف قائلها، ووردت القصيدة كاملة في: عنان: نهاية الأندلس، ص٣٤٦- ٣٤٨؛ حتاملة: التنصير القسري لمسلمي الأندلس، ص٩٣- ٩٩.

(٤) أحمد السحاوي: رحلة مصورة إلى بلاد الأندلس المفقود،ص١٧١.

(٥) المقري: نفح الطيب،ج٤، ص٥٢٥- ٥٢٦.

ــ من أراد الجواز للعدوة لا يمنع، ويجوزون في مده معينة ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم إلا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء.

ــ وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحداً.

ــ وألا يولى على المسلمين إلا مسلم أو يهودي ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل.

ــ وأن يفك أسر جميع من أسر في غرناطة من حيث كانوا، وخصوصاً أعياناً نص عليهم، ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا سواه، والسلطان يدفع ثمنه لمالكه.

ــ وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره.

ــ وأن لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم.

ــ وأن من تنصر من المسلمين يوقف أياماً حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى، فإن أبى الرجوع إلى الإسلام تمادى على ما أراد.

ــ ولا يعاتب على من قتل نصرانياً أيام الحرب، ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة، ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى.

ــ ويسير المسلم في بلاد النصارى آمناً في نفسه وماله.

وحتى يتم التوثيق على المعاهدة طلب النصارى أربعمائة رهينة من خيرة العائلات حتى يضمنوا الدخول للمدينة ويتم بعد ذلك تسليمهم لأهاليهم وفعلاً أرسلهم الأمير أبو عبد الله محمد الصغير تنفيذاً لنصف المعاهدة وأرسل معهم بعض الهدايا واتفق معهم على تسليم غرناطة في (٨٩٧هـ/١٤٩٢م)وشاع في غرناطة الحزن والشعور بالمهانة.

وقد رُفع اسم الأمير أبي عبد الله كأمير حارب حتى آخر رمق له، من أجل خلاص أمته، الأمير الذي حفظ كرامة تاجه من الخضوع بالعبودية لهم(١).

في حين كان رأي كثيرين في الأمير أبي عبد الله أنه سلمهم غرناطة على طبقٍ من ذهب كما فعل الكامل الأيوبي الذي سلمهم بيت المقدس(٢).

---

(١) واشنطن ايرفنغ:أخبار سقوط غرناطة، ترجمة: هلاني يحي النصري، مؤسسة الإنتشار العربي،ب ت، ص٣٥٤.

(٢) وقد وقف أبو عبد الله الصغير في شعب من الشعاب المطلة على غرناطة فأجهش بالبكاء، فصاحت به أمه عائشة الحرة: (إبك مثل النساء مُلكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال). انظر: علي محمد الصلابي: دولة الموحدين، دار البيارق، عمان،ط١، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٥٧.

وما كاد النصارى يجوزون إلى داخل قصر الحمراء حتى رفعوا فوق برجه الأعلى صليباً فضياً كبيراً، معلنيها مُلكاً للملكين الكاثوليكيين(١) وتحويل مساجدها إلى كنائس كما فعلوا في بلنسية إذا حولوا مسجدها الجامع إلى كنيسة وتقسيم دور المدينة وأموالها بين أشرافها(٢). ورفع علم مملكة أراغون على قمة أعلى برج في المدينة(٣).

وأكد هذا العمل على الحقد الصليبي المدفون في قلوبهم وهو ما دعاهم للإعلان بنهاية حكم الإسلام في الأندلس بسرعة، نسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان.

ولم يفِ أحد من هؤلاء الصليبيين بشرط من الشروط، مما حدا بمؤرخي إسبانيا النصارى يصفونهم بعدم وفائهم بعهدهم ويقولون في ذلك (مما يبعث على الأسف الشديد والعجب أن تقرر هذه الحقيقة بأن الأسبان قليلو العهد والذمام غدّارون لا يرحمون الضعيف ولا يغيثون اللاجئ وأنهم مجردون من كل المُثل الإنسانية)(٤).

وسبب آخر قوى عندهم لنقض الشروط وهو ما يذكره صاحب أزهار الرياض بقوله: (و كان من قدر الله تعالى أنهم لمّا وصلوا مدينة فاس أصاب الناس بها شدة عظيمة من الجوع والغلاء والطاعون حتى فر كثير منها بسبب ذلك ورجع بعض أهل الأندلس إلى بلادهم فأخبروا بتلك الشدة فتقاعس من أراد الجواز وعزموا على الإقامة والدجن ولم يجز النصارى أحد بعد ذلك إلاّ بالكراء والمغرم وعشر المال فلما رأى الطاغية أن الناس قد تركوا الجواز وعزموا على الاستيطان والمقام في الوطن أخذ في نقض الشروط التي اشترط

---

(١) شوقي أبو خليل: مصرع غرناطة، ص٨٨؛ الحجي: التاريخ الأندلسي، ص٥٥٤.

(٢) ابن الأبّار: الحلة السيراء، ج٢، ص١٢٦، هامش رقم ٢؛ ناصر بن ماجد الهاجري:أوضاع المسلمين في بلنسية في عهد الملك الأراغوني خايمي الأول (٦٠٤- ٦٧٤هـ/١٢٠٧- ١٢٧٦م)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤، ص١١٥.

(٣) دوزي. ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة. كامل كيلاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٥١هـ، ص٢٧٥، ٢٧٦،ص٢٧٥، ٢٧٦.

(٤) ضياء باشا: الأندلس الذاهبة، ترجمة: عبد الرحمن أرشيدات، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الأردن، ١٩٨٩م، ص٩٥، ٩٦، ص٩٥، ٩٦.

عليه المسلمون أول مرة و لم يزل ينقضها فصلا فصلا إلى أن نقض جميعها وزالت حرمة المسلمين وأدركهم الهوان والذلة واستطال عليهم النصارى وفرضت عليهم المغارم الثقيلة وقطع عنهم الأذان في الصوامع وأمرهم بالخروج من غرناطة إلى الأرباط والقرى فخرجوا أذلة صاغرين ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنصر وأكرههم عليهم وذلك سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م)، فدخلوا فيه كرها وصارت الأندلس كلها دار كفر و لم يبق من يجهر بكلمة التوحيد والأذان وجعلت في المساجد والمآذن النواقيس والصلبان بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فإنا لله وإنا إليه راجعون لا راد لّما قضاه الله الملك الديان.[١]).

وهكذا اختتمت الدولة الإسلامية بهذه النهاية ونزح الناس للهجرة ألوفاً بفاس وألوفاً آخر بتلمسان من وهران وغيرهم بتونس والإسكندرية بعد انهيار دولتهم وكان لهم تأثير على مختلف نواحي الحياة في المجتمعات التي نزلوا بها[٢].

أما الأمير عبد الله الصغير فأمره ملك قشتالة بجوازه إلى العدوة المغربية فيصف المقري لنا ذلك في أزهار الرياض: (وأمر لعنه الله بانتقال سلطة غرناطة أبي عبد الله إلى قرية أدرش من قرى البشرة فارتحل أبو عبد الله بعياله وحشمه وأقام بها ينتظر ما يؤمر به ثم ظهر للطاغية أن يجيزه إلى العدوة فأمر بالجواز وأعد له المراكب العظيمة وركب معه كثير من المسلمين ممن أراد الجواز حتى نزلوا بمليلة من ريف المغرب ثم ارتحل السلطان أبو عبد الله إلى مدينة فاس حرسه الله)[٣].

وذكر ذلك أيضاً لكن مع زيادة في نفح الطيب، فقال: (ثم أمر سلطان المسلمين أن ينتقل لسكنى البشرات (Albujarras) وأنها تكون له وسكناه بأندرش (Andarax)، فانصرف إليها وأخرج الأجناد منها، ثم احتال في ارتحاله لبر العدوة، وأظهر أن ذلك طلبه

---

(١) أزهار الرياض، ج١، ص٢٠.

(٢) خليل إبراهيم السمرائي وَ عبد الواحد ذنون طه: تاريخ المغرب العربي، دار الكتب، الموصل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣٤٥؛ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المهجّرون الأندلسيون "الموريسكيون" من خلال وثائق محكمة الإسكندرية في العصر العثماني في مصر، الدارة، العدد الأول، السنة العاشرة، شوال١٤٠٤ﻫ/ يونيه١٩٨٤م، ص١٧٩.

(٣) المقري: أزهار الرياض، ج١،ص ٦٧.

منه المذكور، فكتب لصاحب المرية أنه ساعة وصول كتابي هذا لا سبيل لأحد أن يمنع مولاي أبا عبد الله من السفر حيث أراد من بر العدوة، ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه ويقف معه وفاء بما عهد له، فصرف في الحين بنص هذا الكتاب، وركب البحر، ونزل بمليلة، واستوطن فاساً)[1] وبقي في فاس حتى توفي سنة (٩٢٤هـ / ١٥١٨م) في ولاية بني وطاس.

*** تأثير الأحوال السياسية على العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس:**

تأثرت العلاقات العلمية بين فاس والأندلس بالأحوال السياسية بصورة كبيرة، ويمكن أن ندرك أن ذلك إما بسبب الهجرة القسرية الناجمة عن هجمة الصليبيين على الأندلس، أو ما كان من تشجيع الساسة للعلماء للقدوم على بلادهم وتولي المناصب الإدارية بدولهم.

أولاً: الهجرة القسرية:

استمرت هذه الهجرة القسرية طيلة فترات الفتن، إلا أنها برزت بوضوح في القرن (٧هـ/١٢م) حيث انحصرت الدولة الإسلامية في مملكة غرناطة، ثم ثار الصراع على الحكم بين أبناء يوسف الأول، والذي أدى إلى هجرة عدد ملحوظ من الشخصيات البارزة إلى المغرب من أمراء وعلماء وأدباء وعسكريين[2].

يقول ابن الخطيب في ذلك: (إن سقوط غرناطة على أيدي النصارى لم يبق للمسلمين معقلاً أو مدينة تضمهم تحت حكم الإسلام؛ لهذا السبب فضلوا الهجرة إلى فاس واستقروا فيها)[3].

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٥٢٧.

(٢) نورة بنت محمد بن عبدالعزيز التويجري: الصراع بين أبناء يوسف الأول وأثره في إضعاف مملكة غرناطة، جامعة أم القرى، العدد١٥، السنة١٠، ١٤١٧هـ، ص٣١٨.

(٣) لسان الدين ابن الخطيب: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق: محمد رضوان الدايا، دار حسان، دمشق، ١٩٨٤م، ص٤٦-٤٨

فمن علماء الأندلس ممن هاجر قبل ذلك: محمد بن أحمد البغدادي الخزرجي (ت٥٤٦ﻫ/ ١١٥١م) من أهل جيان، يعرف بالبغدادي لطول إقامته فيها، خرج من جيان في الفتنة والشدة التي لحقت أهلها عند تقلبها في أول عهد الموحدين فكان ممن استقر بفاس[١].

ومن العلماء من رجع بعد انقضاء الفتن، مثل لسان الدين ابن الخطيب (٧٧٦ﻫـ/١٣٧٤م) الذي خرج مع السلطان الغني بالله[٢]، وقد أقاما في فاس سنة (٧٦١ﻫ/١٣٥٩م) ثم رجعا إلى الأندلس بعد انتهاء الفتنة فيها[٣].

ثانياً: اهتمام الساسة بالعلماء وإسناد المناصب إليهم.

استدعى الكثير من أمراء فاس العلماء من الأندلس للاستقرار فيها، وليتولوا شأناً من شؤون الدولة، ومنهم: عبد الملك بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي (ت٥٤٠ﻫ/ ١١٤٥م)، من أهل شقورة (Segura)، استعمله ولاة لمتونة[٤] في الكتابة بفاس ومراكش[٥]. أبو أمية، مفضل بن محمد العذري (ت ٦١٨ﻫ/ ١٢٢١م)، ولاه الخليفة أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (ت٦٨٥/١٢٨٦م)[٦] قضاء فاس، فكان من اختصاصه

(١) الحميدي: جذوة الاقتباس، ق١، ص٢٦٢؛ المقري: نفح الطيب، ج٢، ص١٥٦

(٢) **السلطان الغني بالله** محمد الخامس، تقلد الإمارة واستمر بها من (٧٥٥ هــ إلى ٧٩٣ هــ). تعرض حكمه خلالها لأحداث دامية. فقد تعرض لانقلاب سنة (٧٦٠ هــ/١٣٥٨م) فرَّ على إثره إلى المغرب ثم عاد سنة (٧٦٣هــ/١٣٦١م) وقد تعرضت غرناطة خلال هذه السنوات الثلاث لثلاثة انقلابات متوالية وانتهى بفرار السلطان الغني بالله إلى المغرب وتولي أخيه إسماعيل الثاني مكانه. والانقلاب الثاني في شعبان سنة (٧٦١ هــ/١٣٥٩م)، قتل فيه إسماعيل الثاني وتولى الملك قاتله وزوج شقيقته أبو سعيد البرميخو، والانقلاب الثالث في جمادى الثانية سنة (٧٦٣هــ/١٣٦١م) أفضى الأمر فيه إلى عودة الغني بالله إلى عرشه، وقتل البرميخو على يد ملك قشتالة. ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص٣٣، ٣٤، ص٣١.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج٥، ص٨٤-٩٠

(٤) يطلق على المرابطين لأنهم من قبيلة لمتونة البربرية كما تقدم بالتمهيد.

(٥) الحميدي: جذوة الاقتباس، ص٢٥٨؛ المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ص٤٧.

(٦) **يعقوب بن عبد الحق**، أبو يوسف المريني (ت٦٨٥هــ/١٢٨٦م)، سلطان المغرب، كان ملكاً شجاعاً، مقداماً، مهيباً. خرج على الواثق الملقب بأبي دبوس فالتقاه بظاهر مراكش، فقُتل أبو دبوس، وقد دخل الأندلس وتملك الجزيرة الخضراء واتسعت ممالكه. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٣، ص١٩٧.

الإشراف على الشرطة والحسبة، وعلى يديه بُنيت مدرسة الصفارين في فاس[1]. أبو عبد الله، محمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)، أندلسي من أهل غرناطة، شاعر من كتاب الدواوين السلطانية، استكتبه أبو الحجاج يوسف بن الأحمر النصري، ثم ضربه بالسياط من غير ذنب اقترفه؛ فانتقل إلى المغرب وأقام بفاس عند ملكها المتوكل على الله أبي عنان المريني وتوفي فيها، له كتاب في تاريخ غرناطة[2]. أبو القاسم عبد الله بن يوسف النجاري المالقي (ت٧٨٣هـ/١٣٨١م)، وهو صاحب القلم الأعلى بديوان الإنشاء بالباب السلطاني لما عُرف عنه في إجادته في فقه الوثائق والبلاغة والترسل والشعر[3]. أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن سودة المري القريشي المكنى بأبي القاسم (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، قدم من غرناطة الأندلس إلى مدينة تلمسان (٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م) طلبا للعلم والمعرفة وذلك لما احتوت عليه من أسواق عامرة ببضائع العلوم وأشياخ الرواية والدراية[4]، ولما عرفوا من حصافته ونبوغه وإتقانه لفنون علمه، قام سلطان فاس باستقدامه إلى مدينته بعد أن اشترى له دارا بإحدى عدوتيها ، ودارت مقابلة علمية أو بالأحرى مناظرة بينه وبين السلطان أبي عنان المريني المشهور له بتميزه في فنون العلم والأدب ووزيره الشاعر لسان الدين ابن الخطيب، ولما بدى لهم منه كونه العالم العارف والفقيه المحدث والمتقن لفنون العلم والأدب دعاه السلطان للمكوث بمدينة فاس حاضرة العلم والحكمة والتيقظ بعدما قلده منصب كاتب السلطان أبو بكر السعيد بن أبي عنان المريني سنة (٧٥٩هـ/١٣٥٣م)، وتوفي سنة (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) بمدينة فاس، حيث دفن

---

(١) الحميدي: جذوة الاقتباس، ص٢٢٠.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٤، ص١٦٥؛ المقري: أزهار الرياض، ج٣، ص١٨٩ – ١٩٥؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص١٨٦ – ١٩٥.

(٣) **عبد الله بن يوسف:** أصله من مالقة، ولد وتعلم بها وقصد المغرب فخدم السلطان أبا الحسن (علي بن عثمان المريني، وكان معه إلى أن وقعت هزيمته في " طريف " قرب الجزيرة الخضراء (سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) فعاد إلى الأندلس، ولما تم الأمر لابنه أبي عنان (فارس) بفاس (سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م) جاءه ابن رضوان فولي له. ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص٣٨٦.

(٤) ابن حجر: الدرر الكامنة ج٣/ص١٥٣.

بروضة أصهاره في رأس القليعة قرب روضة الولي الصالح أبي مدين، فكانت بذلك بداية استقرار بني سودة في فاس[1]. محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصَّريحي، ولد عام (٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، يعرف بابن زمرك، طلب العلم وعُرف بإجادته وترقى إلى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين أبي سالم بالمغرب[2]. أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الصقر الأنصاري الخزرجي (ت٥٥٩هـ/١١٦٣م)، يكنى بأبي العباس، من سرقسطة، تولى قضاء غرناطة في عهد عبد المؤمن الموحدي (ت٥٥٨/١١٦٢م)، ثم قضاء إشبيلية، استقر بفاس فترة ثم انتقل إلى مراكش وتوفي بها[3].

ومن علماء فاس: ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي، المعروف بابن خبَّازة (ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، من أهل فاس، له رحلات لطلب العلم إلى المشرق وبلاد الأندلس[4]، يذكره ابن سعيد في كتابه "الرايات" مع شعراء إشبيلية، فقال فيه: (ميمون بن الخبازة شاعر أبي العلاء مأمون بن عبد المؤمن، نهض في خدمته من إشبيلية إلى مراكش

ومن أبياته التي قال فيها عن المأمون حين دخل مراكش

انظـــر إلى القبـــةِ الحمراءِ لمـــا رأت مُضـــر الحمـــراء من كثبِ

من كان أولى بها إن كنت ذا بصرٍ العُجم أو معدن العلياء من العرب)[5].

---

(١) ابن الحوت: أبو ربيع سليمان (ت١٢٣١هـ). الروضة المقصورة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة، دراسة وتحقيق: عبد العزيز عبد القادر تيلاني، مطبوعات مؤسسة أحمد بن سودة الثقافية، فاس، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، الباب الأول، ص١٣.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٢، ص٣٠٠-٣١٤.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص١٨٢-١٨٧؛ ابن فرحون: الديباج، ق١، ص١٨٤.

(٤) المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص٣٧٨-٣٨٠.

(٥) ابن سعيد: رايات المبرزين، ص٤٩-٥٠.

الأوضاع الاقتصادية

أدى اتساع بلاد الأندلس إلى تنوع طبيعتها الجغرافية والمناخية، فتنوعت تبعاً لذلك مصادر ثرواتها النباتية والحيوانية والمعدنية، مما ساعد على تنوع النشاط الاقتصادي لسكانها،وباستقرار الأندلسيين في مدينة فاس حملوا معهم خبراتهم الاقتصادية إليها فشهدت كلٌ منهما ازدهاراً اقتصادياً،وذلك لعناية حكامهما بتلك النواحي وسأحاول بقدر ما لدي من مادة علمية إظهار ما كانت عليه الحياة الاقتصادية في الأندلس وفاس وأبدأ الحديث عن:

الزراعة والثروة النباتية في الأندلس، فقد أشارت أكثر المصادر إلى خصوبة بلاد الأندلس التي يغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والأنهار العذبة[1]، وتوفر مصادر المياه وتنوعها بها[2] من الأنهار الكبيرة والصغيرة والجوفية وما لا يحصى من العيون في مدنها[3] وقد بلغت شهرة خيراتها المائية في الآفاق أن قيل: إن المسافر لا يسير فيها فرسخين دون ماء أصلاً[4].

ولقد استطاع المسلمون أن يجعلوا من الأندلس جنة خضراء. فلم يتركوا شبراً واحداً دون أن يزرعوه مستخدمين لذلك ما يعرف اليوم بوسائل الهندسة الزراعية التي استمرت من عصر الخلافة إلى نهاية حكم المسلمين فيها، (فأكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة، فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة مابين قرى ومياه ومزارع، والصحارى فيها معدومة)[5].

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٠٤.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص٣٢؛ الإصطخري: المسالك والممالك، ص٣٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٠٤؛ المقري: نفح الطيب،ج١، ص٢٢٦.

(٣) العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، نشر المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، بدون تاريخ. ص١٩.

(٤) المقري: نفح الطيب،ج١، ص١٢٥.

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٤، ص١٩٥.؛ المقري: نفح الطيب، ج١،ص ١٩٠.

وكان لتشجيع الأمراء والخلفاء أثر كبير في ازدهار الزراعة وزيادة استغلالها، فأوصوا أن تكون الزراعة على أسس علمية صحيحة كما أوصوا أن يُعامل المزارعون برفق، واعتبروا الموارد الزراعية ركن مالية الدولة، وبها تصبح البلاد أكثر أمناً واستقراراً وأرفع مكانة بين سائر البلدان، لأن الزراعة أساس مهم من أسس المدنية.

أما بالنسبة للري فلقد برع فيه الأندلسيون براعة عجيبة وظهر نبوغهم في تنظيم وسائل الريّ والصرف، فأنشأوا القناطر والمجاري والترع، والجداول والنواعير والأقنية، كما جلبوا الماء ووزّعوه بالطرق الفنيّة (١).

وحظيت العلوم الزراعية بعناية فائقة من قبل علماء الزراعة في الأندلس حتى بلغت في هذا المجال حداً من الكمال لم تبلغه في أماكن أخرى، فأقيمت البساتين والحدائق التي كان يشرف عليها هؤلاء العلماء فكانت بمثابة مختبرات فيها تجرى تجاربهم، مستعينين بأحدث ما ألف من الكتب في العلوم الزراعية، وبفضل توجههم بلغت الزراعة في الأندلس من التقدم أكثر مما بلغته في أوربا، بل إن أوربا اقتبست الأسس العلمية للتجارب الزراعية التي توصل إليها العرب في الأندلس ولا يوجد في الأندلس من أعمال الري خلا ما أتمه العرب(٢).

وبلغت خبرة أهل الأندلس في حفر الآبار واستغلال المياه الجوفية أن نعتوا بكونهم يونانيين في استنباطهم للمياه(٣) ومما يدل على أهمية الآبار في الري المثل السائر بين عامتها إذ قالوا: الرزق في البير(٤).

---

(١) ضياء باشا الوزير: الأندلس الذاهبة، ص٤٣٠، مونتغمري وات: فضل الإسلام على الحضارة العربية، ترجمة: حسين أحمد أمين، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ترجمة، محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ص٣٦.

(٢) الدوميلي. العلم عند العرب، ترجمة. عبد الحليم النجار،القاهرة،١٩٦٢م، ص٤٧٦.

(٣) ابن غالب: فرحة الأنفس، ٢٨١؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص١٥١.

(٤) أحمد الطاهري: الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، ص١٩١.

وتزخر المصادر الأندلسية بذكر السدود المبنية والقناطر الممدودة ضمن الوسائل المستعملة في أنظمة الري وتحويل المياه[١].

كما انتشرت الحدائق والبساتين ببلاد الأندلس حتى قيل عنها أنها جنات الأرض[٢]، وبما أنها وافرة بالمياه؛ فقد كثرت فيها البساتين، وقد أطلق كثير من الحكام العرب العنان لرغباتهم وراحوا يجمعون في حدائقهم من النباتات كل نادر وغريب[٣].

ويعود ازدهار الزراعة ببلاد الأندلس إلى خصوبة أرضها، ووفرة المياه بها، وتنوع مناخها، فزرع فيها العديد من الحبوب كالحنطة والقمح والأرز والشعير[٤]، إضافة إلى أصناف عدة من الفواكه [٥]، كالزيتون والرمان واللوز[٦]، ومن أهم المدن التي اشتهرت بالزراعة غرناطة وطليطلة وجيان مرسية وقرمونة وشبرب وبلنسية[٧].

---

(١) انظر: الادريسي: نزهة المشتاق، ٥٧٩؛ ابن ابي زرع: الأنيس المطرب،ص ٢١١؛ مجهول: الاستبصار، ص١٣٧.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١١.

(٣) مثلاً كان عبد الرحمن الداخل مغرماً بالأزهار والنباتات، استجلب أشجار النخيل والرمان لزراعتها فى الأندلس. كما جلب لحديقته (منية الرصافة) شمالي قرطبة غرائب وأكارم الشجر من كل مكان. السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٦م، ص٥٣. ويذكر العذري أن المعتصم بالله بنى خارج مدينة المرية بستاناً وقصوراً متقنة البناء،غريبة الصناعة، وجلب إليها من جميع الثمار الغريبة وغيرها، ففيها من كل شيء غريب مثل الموز الكثير وقصب السكر وأنواع سائر الثمرات مما لا يقدر على وصفه. العذري: نصوص عن الأندلس، ص٨٥.

(٤) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٨٨؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٤٤٧؛ ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص٩٠؛ محمد أحمد أبو الفضل. (شرق الأندلس في العصر الإسلامي ٥١٥-٦٨٦هـ/ ١١٢١-١٢٨٧م)، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٦م، ٢٧٥.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٢٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٣. يرجع السبب في ذلك لتفاني أمراء بني أمية وخلفائهم طوال القرون السابقة في جلب غرائب من الفواكه انتشرت بعد ذلك في أراضي الأندلس، النفح، ج١، ص٤٦٧.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٦٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٦؛ صفة جزيرة الأندلس، ص٢٤؛ أحمد الطاهري: الفلاحة والعمران القروي بالأندلس، ص٢٢٧.

(٧) الحميري: الروض المعطار، ص١٨٣؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٨٥.

واهتمّ الأندلسيون بدودة القز لإنتاج الحرير، واشتهرت كورة جيان بكثرة الحرير فيها فكان يقال لها جيان الحرير لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها بدود الحرير[1]، إذ كان فيها أكثر من ثلاثة آلاف قرية كلها يُرَبّى فيها دودة القز[2]، ومن الأصباغ الشائعة في البلاد القرمز الذي ينزل على شجر البلّوط فيجمعه الناس ويصبغون به، فيخرج منه اللون الأحمر الذي لا تفوقه حمرة، ومن الأندلس يحمل إلى الآفاق[3].

و لم تختلف فاس عن الأندلس من ناحية الاهتمام بتوفير المياه والاهتمام بالزراعة و الري، فقد كان في وسط مدينة فاس نهر عظيم، كما كان يوجد فيها أيضاً أعين كثيرة ومياه غزيرة عذبة، ويقال إن أعينها على عدد أيام السنة[4].

ويتحدّث الحميري عن عمارة مدينة فاس سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م) فيقول: (وجلب لها ماء عين هو في أيام الحرّ في نهاية البرد، وفي أيام البرد فيه بعض الحرارة، كذلك صنع بجوفي جامع القرويّين سقاية متقنة البناء، ومياهها جارية مع عتبة الباب الجوفي، وفوّارة مرتفعة نصف قامة داخل الصحن[5] ويصف ياقوت في معجمه عيون فاس وجريانها داخل المدينة وصفاً مدهشاً، فيقول تفجّرت فاس كلّها عيوناً تسيل من قرارة واديها إلى نهر متوسط مستنبط من الأرض، منبجس من عيون، فيغرب بها على ثلثي فرسخ منها بجزيرة (ددي) ثم ينساب يميناً وشمالاً في مروج خضر، فإذا انتهى النهر إلى المدينة طلب قرارها، فيتفرّق منه ثمانية أنهار تشق المدينة، عليها نحو ستمائة رحى في داخل المدينة، كلها دائرة لا

---

(١) المقري: نفح الطيب،ج٣، ص٢١٧.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص١٨٣؛ صفة جزيرة الأندلس، ص٧٠.

(٣) المقري: نفح الطيب،ج١، ١٤١، ٢٠١، أبو عبيد البكري (ت٤٨٧هـ): جغرافية الأندلس وأوروبا، من كتاب "المسالك والممالك"، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٨م، ص١٢٣.

والقرمز: عبارة عن حب أحمر مستدير لاصق بورقه تتفاوت أنواعه من حيث الجودة ونضارة اللون. فلاحة ابن العوام، ص٣١٣.

(٤) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٤.

(٥) الروض المعطار، ص٤٣٤، ويذكره مجهول: الاستبصار،ص١٨٠.

تبطل ليلاً ولا نهاراً، تدخل من تلك الأنهار، في كل دار ساقية ماء كبار وصغار)[١]، ويذكر ابن حوقل أن نهرها كبير غزير الماء[٢].

ويقول فيها الإدريسي: (وجهاتها مخضرة مؤنقة وبساتينها عامرة وحدائقها ملتفة)[٣]، ويشبهها ابن سعيد بدمشق لكثرة بساتينها، قال فيها الحميري: (ومدينة فاس كثيرة الخصب والرخاء، كثيرة البساتين والمزورعات والفواكه وجميع الثمار، ولها أنظار واسعة متصلة العمائر، وعدوة القرويين من هذه المدينة أكثر بساتين وأشجاراً ومياهاً وعيوناً من عدوة الأندلسيين، وكلاهما خصيبة عظيمة القدر)[٤]، كما أيده في ذلك البكري إذ قال: (وهي أكثر بساتين ومياها)[٥].

وقد تمتعت فاس بوجود دعائم لازمة للزراعة بتربتها الخصبة حتى وصفت بأنها من أخصب جهات المغرب[٦] حيث وفر لها نهر سبو تربة خصبة جيدة للزراعة وتنوع مناخها كان له الأثر في تنوع محاصيلها وثمارها[٧]، قال فيها الحميري: (ومدينة فاس كثيرة الخصب والرخاء، كثيرة البساتين والمزروعات والفواكه وجميع الثمار، ولها أنظار واسعة متصلة العمائر، وعدوة القرويين من هذه المدينة أكثر بساتين وأشجاراً ومياهاً وعيوناً من عدوة الأندلسيين، وكلاهما خصيبة عظيمة القدر)[٨]، ويضيف المراكشي قائلاً: (وما أظن في الدنيا مدينة كمدينة فاس أكثر مرافقَ وأوسع معايش وأخصب جهات، وذلك أنها مدينة يحفّها الماء والشجر من جميع جهاتها،

---

(١) معجم البلدان، م ح، ص٣٣٠.

(٢) صورة الأرض، ص٨٩.

(٣) نزهة المشتاق، ١ج، ص٧٣.

(٤) الروض المعطار، ص٤٣٥.

(٥) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص١١٦.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٩؛ الحميري: الروض المعطار،ص ٤٣٤، ٤٣٥.

(٧) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب،ص ٣٤؛ ابن القاضي:جذوة الاقتباس، ج١، ص٤٥.

(٨) الروض المعطار، ص٤٣٥.

ويتخلّل الأنهار أكثر دورها زائداً على نحو من أربعين عيناً ينغلق عليها أبوابها ويحيط بها سورها)[١].

ولقد توفرت الزراعة في منطقة المصارة التي بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين[٢]، وفي سهل الجبل المطل على فاس من ناحية الشرق، وفي غرب فاس حيث سهل السايس، وقد أمدت منطقتي أزغار[٣] وبني مود[٤] مدينة فاس بالكثير من غلال القمح التي كانت تحصد بهما[٥] ودعت وفرة إنتاج القمح فيها إلى عمل مخازن لتلك الغلال التي يوجد بداخلها مطامير القمح وهي مجموعة في مكان واحد يستدير بها سور منيع عليه باب محكم القفل[٦].

وبها من الخضار: الخيار، والقثاء، واللفت، والباذنجان، والقرع، والجزر، واللوبيا، والكرنب، والشمار، والصعتر، والزعفران[٧] وقصب السكر[٨]، ومن الحبوب الفول والشعير والحمص والعدس والأرز والسمسم وسائر البقول[٩].

وأما فواكهها، ففيها أصناف الفواكه المختلفة الأنواع التي لا توجد في غيرها من بلاد المغرب إلا متفرقة في أقاليم شتى ومنها النخل، والعنب، والتين، والرمان، والزيتون، والتمور[١٠].

---

(١) المُعجِب، ص٣٥٨.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب،ص ٤٤

(٣) أزغار: منطقة من إقليم فاس تنتهي في اتجاه الشمال على المحيط الأطلنطي، وتنتهي غرباً عند نهر سبو، الوزان: وصف أفريقيا، ص٣٠١.

(٤) بني مود: منطقة بإقليم فاس لا يفصلها عن مدينة فاس سوى النهر، الوزان: وصف أفريقيا،ص ٣٠١.

(٥) الوزان: وصف أفريقيا، ص٣٠١.

(٦) صبح الأعشى، ج٥، ١٥٦ – ج٢، ٢٧١

(٧) أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني: حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق: محمد العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٠٨؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٩؛ البكري: المغرب، ٤٦، ٥٣، ١٤٦؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٩٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص٦.

(٨) ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب،ج١،ص ٨.

(٩) الزهري:كتاب الجغرافيا، ص١١٤؛ صبح الأعشى، ج٢، ٢٧٩– ج٥، ١٧٥، ١٧٦

(١٠) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٣؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ٨٧؛ مجهول: الاستبصار،١٨٥.

وانتشرت الغابات في المغرب الأقصى وبما أن فاس من مدنها فتشمل وجود الغابات والأشجار البرية التي أتاحت للأهالي قطع هذه النباتات البرية وبيعها للاستفادة من أخشابها للاحتطاب وبناء المنازل والسفن وأعشابها النافعة وغير ذلك(١).

أما الثروة الحيوانية فلقد ساعدت خصوبة الأندلس و كثرت الغابات فيها على توفر الثروة الحيوانية، ففيها من الغنم والبقر والغزال والإبل وغير ذلك ممّا يوجد في غيرها كثير(٢).

وقد كانت هذه الثروة الحيوانية وسيلة مواصلاتهم الرئيسة إضافة إلى اشتغالها في المناطق الزراعية، حيث يذكر ابن الخطيب في الإحاطة أن اشتغال السكان بحرفة الرعي واستفادتهم أيضاً منها في حرث الأراضي الزراعية(٣).

واختصت الأندلس بالبغال القوية كما ذكرها ابن حوقل وفضلها على البغال المشهورة في أرمينية أذربيجان(٤) ووصفها المقري بالبغال الفارهة(٥).

وتعتبر فاس كغيرها من دول المغرب الأقصى لها ثروة هائلة من المواشي ساعدت على قيام الصناعات فيها التي تعتمد على جلودها من الدباغة والغزل والنسج لأصوافها فمن مواشيها الدواب من الخيل، والبغال، والحمير، والإبل، والبقر، والغنم، والحيوانات الوحشية ففيها من أنواع الوحش الحمر، والبقر، والنعام، والغزال، والمها وغير ذلك(٦)، ويوجد بها الزرافة(٧) واللمط(٨).

---

(١) الجزنائي: زهرة الآس، ص٦٩؛ تؤدة بنت محمد علي الشريف: العلاقات بين الحجاز وبلاد المغرب في العصر العباسي الأول، ص٢٠٨.

(٢) نفح الطيب، ج١، ص١٩٩.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص١٢٦.

(٤) ابن حوقل:صورة الأرض، ص١٠٩.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج١،ص ١٨٨،.

(٦) القلقشندي:صبح الأعشى، ج٢، ٢٧٩- ج٥، ص١٧٥- ١٧٦.

(٧) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٠٣.

(٨) **اللمط**: وهو من جنس الظباء إلا أنه أعظم خلقاً أبيض اللون، له أذنان كأذن الماعز وله قرنان طويلان حادان،وهو يوجد في بلادالسوس في المغرب الأقصى ويكثر في مدينة (كاكدم) في المغرب الأقصى القريبة من بلاد السودان.

⇦

ولقد فضل إدريس الثاني عدوة الأندلس لتربية ماشيته ودوابه يقول ابن أبي زرع: (وأنزل جميع أجناده وقواده بعدوة الأندلس، وجعل كسبه من الخيل والإبل والبقر والغنم بأيدي قفاته، ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير مواليه وحشمه وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقة...) (١)، وإلى جانب ذلك فكان يقوم سكان القرى فيها بتربية الطيور أو بعض أنواع الدواجن من الدجاج والحمام والأرانب والأوز (٢).

وكذلك اهتم سكان بلاد المغرب بتربية خلايا النحل – وتدخل مدينة فاس من ضمن مدن المغرب – أعانهم على ذلك كثرة ما كان بها من نباتات مزهرة ورياحين، ويعد العسل عندهم من الأغذية الرخيصة في بلادهم مما أدى إلى قلة استخدامهم للسكر(٣).

أما الثروة السمكية في الأندلس فتشير المصادر الجغرافية إلى كثرة الأسماك فيها حيث أنشئ لها مصائد متخصصة في مواقع متعددة من السواحل الأندلسية الجنوبية والجنوبية الشرقية والغربية(٤)، وذلك لأن ثلاثة أرباع البلاد تطل على المياه، وتكثر بها الأنهار والوديان التي تساعد طائفة من سكان المدن على ممارسة مهنة الصيد من شواطئ البحار والأنهار، والتي منها نهر "الوادي الكبير" الذي كان من أشهر ما يُجلب منه حيتان البوري والشابل وغيرها من الحيتان(٥)، ووصف ابن غالب حوته بأنه أطيب حوت يُؤكل بالأندلس(٦).

الحموي: معجم البلدان، ج٣،ص٤٦٢؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ج١، ص٢١؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص١٧١؛ محمد بن عبد الرحيم أبو حامد الغرناطي: تحفة الألباب، باعتناء جبريل فيراند، باريس، ١٩٢٥م، ص٤٣؛ ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص١١٢؛ الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٨.

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٢٧٩؛ ج٥، ص١١٣، ١٧٧؛ حسن علي حسن: الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى، ص٢٨٥؛ محمد الحريري، تارخ المغرب والأندلس، ص٢٩٠.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٧٥، ٧٨؛ البكري: المغرب، ص١١٧، ١٦٢؛ العمري: مسالك الأبصار، ١٢٨؛ مجهول: الاستبصار، ص١١٩؛ ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي (ت٧٧٩هـ). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار (رحلة ابن بطوطة)، بيروت، دار صادر، مؤسسة الرسالة تحقيق: علي الكتاني، ١٩٨٥م، ص٦٥٨؛ الحميري: الروض المعطار، ص١٦٣.

(٤) ابن سعيد: حلى المغرب، ج١، ص٤١١؛ العذري: ترصيع الأخبار، ص١١١

(٥) الزهري: كتاب الجغرافية، ص٨٨؛ مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص٦٢.

(٦) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٣٠٨.

وفي فاس أثرى نهر سبو فيها أنواعاً عديدة من الأسماك منها الشايل، والبوري، والقرب[1]، وأصناف الحوت[2]، ومن قاع نهر سبو يصاد الصدف الثمين الذي يقوم بالجواهر ولهذا سمي هذا النهر بـــ (نهر الجواهر)[3].

كما كان للصناعة دورها في ازدهار الحياة الاقتصادية في الأندلس ومدينة فاس طيلة عصورها الإسلامية ويقصد بالصناعة هو تصنيع مواد الخام المعدنية أو الزراعية أو الحيوانية، وهذا موجود بهما إلى جانب توفر المواد الخام، فكان لابد من وجود الأيدي العاملة المحترفة للقيام بهذه الأمور، مما جعل كلٌ منهما تتميز بصناعة عن الأخرى.

فلقد توفرت المواد الخام في الأندلس بكميات كبيرة، كمعدن الزئبق والحديد والرصاص والذهب والفضة والكبريت الأحمر والأصفر والتوتيا، والكحل[4]، إضافة إلى توفر الأحجار الكريمة كالياقوت والبلور واللازورد والمغناطيس [5].

وفي فاس توفرت المواد الخام اللازمة للصناعة من الحديد والذهب والنحاس والفضة والتوتيا والنحاس الأصفر[6] كذلك توفرت المواد الخام التي تدخل في صناعة البناء من الجبس والصلصال وأنواع الحجارة وأنواع الرمال[7]، ومعدن الملح والذي تفوقت به على غيرها من البلاد [8].

(١) مجهول: الاستبصار، ص١٨٤، ١٨٥.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٦.

(٣) الزهري: كتاب الجغرافية،ص١١٤؛ الجزنائي: زهرة الآس،ص٦٨-٦٩.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٠٩؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٤٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٣؛ صفة جزيرة الأندلس، ص١٠.

(٥) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ج١، ص٢٠٦؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٤٢.

(٦) المراكشي: المعجب، ص٣٦٢؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص١٥٢. والنحاس الأصفر هو نتيجة صبغ النحاس الأحمر بالتوتيا ليعطيه اللون الأصفر.

(٧) الجزنائي: زهرة الآس، ص٦٩؛حسن علي حسن: الحياة الاقتصادية والإدارية والاجتماعية في المغرب الأقصى،ص ٢٩٣.

(٨) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٥.

كما كان يستخرج من نهرها الأصداف الثمينة[1] وقد ذكر ابن أبي زرع أن الحبة من هذه الأصداف كانت تباع بمثقال من الذهب أو أقل أو أكثر[2]، هذا إلى جانب ثروة فاس والمدن التي بجانبها بالغابات التي أمدتها بالأخشاب بأنواعها مثل توفر غابات جبال بني يزغة التي تبعد عن فاس ثلاثين ميلاً بأخشاب الأرز[3].

أما بالنسبة للصناعات في الأندلس وفاس فقد تنوعت فيهما بتنوع المواد الخام، كما أن فاساً التي استقبلت أهل الأندلس ومنهم الصناع الذين ساهموا في الارتقاء بالمستوى الاقتصادي في المدينة بسبب خبرتهم الصناعية التي اكتسبوها من بلادهم، إذ يذكر ابن حيان أن موسى بن أبي العافية طلب من الناصر لدين الله أن يُوفد له عدداً من الصناع والأدوات لبناء قلعة فلبى طلبه[4].

ولقد تنوعت أشكال الصناعة في الأندلس ومدينة فاس، ففي الأندلس كانت صناعة آلات الحرب من التّراس والرّماح والسّروج والألجم والدروع والمغافر من أكثر همم أهل الأندلس[5]، كما ظهرت صناعة السفن نظراً للامتداد الساحلي لبلاد الأندلس وإطلالها على البحر الأمر الذي ساعد على قيام المرافئ ومن ثم في بناء قوة البلاد البحرية[6] والتي يعتمد عليها النشاط التجاري[7]، ونشطت صناعة تجهيز الأخشاب لأجل بناء السفن والمنازل والمساجد والقصور، أو استخدم لأغراض الري حيث تُصنع منه رافعات الماء، أو لصناعة الأرحاء

(١) الجزنائي: زهرة الآس، ص٦٨.

(٢) الأنيس المطرب، ص٣٥.

(٣) الجزنائي: زهرة الآس، ص٦٩.

(٤) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٣٨٨.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٠٢.

(٦) الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ١٩٨١م، ص٣٨.

(٧) السيد عبد العزيز سالم وَ أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ج١، ص٣.

المستخدمة لطحن الحبوب، وقد كانت كثيرة الانتشار في الأندلس(١)، فضلاً عن الاستخدامات اليومية للخشب في المنازل كحطب(٢).

أما فاس فبحكم موقعها الجغرافي تعتبر من المدن الداخلية لبلاد المغرب، ولوجود نهر سبو فيها، كانت تصنع القوارب والسفن الصغيرة التي تعمل على النقل وصيد الأسماك(٣).

وقد برع أهلها في الصناعات الخشبية، إذ قال عن أهلها العمري: (ولأهلها اليد الطولى في صناعة المخروطات من الخشب والنحاس)(٤)، وذكر الوزان أنها حوت أسواقاً خاصة بإنتاج المحاريث وعرائش العربات ودواليب الطواحين وأدوات وحدات الكيل الخشبية والأمشاط والقباقيب التي كانت ذات شهرة عالية ويتفاوت سعرها حسب طبيعة الخشب المستعمل فيها(٥).

أما بالنسبة لصناعة الزجاج في الأندلس فيعتبر عباس بن فرناس(٦) أول من ابتكر صناعة الزجاج فيها، ويُصنع الزجاج في مرسية والمريّة ومالقة، ومنه الغريب العجيب والمفصّص

---

(١) حسن الشوكاني: تجارة الأندلس، ص٣٤١؛ مُوريس لومبار: الإسلام في مجده الأول من القرن ٢ إلى القرن ٥هـ (٨ ــ ١١م)، ترجمة وتعليق: إسماعيل العرسي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ص٢٥٥-٢٦٠.

(٢) لومبار: الإسلام في مجده الأول، ص٢٥٥-٢٦٠.

(٣) الجزنائي: زهرة الآس، ص٧٠؛ محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، طبعة دار المغرب، الرباط، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٢٥٥؛ عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٢٦٧.

(٤) العمري: مسالك الأبصار،ص ١١٩.

(٥) وصف أفريقيا، ص٢٤٨- ٢٤٩.

(٦) **عباس بن فرناس** أبو القاسم (ت٢٧٤هـ /٨٨٧م)، من أهل قرطبة، شاعر وأديب ومخترع، له علم بالفلك، وهو أول من استنبط في الأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، وصنع (الميقاتة) لمعرفة الأوقات، ومثل في بيته السماء بنجومها وغيومها وبروقها ورعودها.وأراد تطيير جثمانه، فكسا نفسه الريش، ومد له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة، ثم سقط فتأذى في ظهره، فهذه أول محاولة طيران قام بها عباس بن فرناس. الطبيب: محمد بن الكتاني. التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ص٤٥؛ الحميدي:جذوة المقتبس،ج١، ص١١٤؛ حسين مؤنس: معالم تاريخ ⇦

المعروف في المشرق بالفسيفساء(١) ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزّليجي يشبه المفصّص، وهو ذو ألوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملّون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم كالشاذروان(٢).

وحوت مدينة فاس أحد عشر مصنعاً لصناعة الزجاج(٣)، واهتم أهلها بصناعة الثريات وتزيينها في منشآتهم المعمارية من المساجد والمدارس والدور، المصنوع أغلبها من الزجاج(٤).

أما صناعة الحلي فقد ازدهرت في مدن الأندلس، إضافة إلى وجود أنواع من الجواهر التي تستخدم في تزيين الحلي يقول ابن الخطيب واصفاً لنساء غرناطة في عصره بأنهن: (قد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المصبغات، والتنفيس بالذهبيات والديباجيات، والتماجن في أشكال الحلي) (٥)، فكانت نساء غرناطة يتقلدن الجواهر النفيسة لاسيما ما كان مرصعاً بالزمرد والياقوت الأحمر على شكل قلائد وأقراط

المغرب والأندلس، ص٣٣٤؛ مصطفى الجيوسي: موسوعة علماء العرب والمسلمين وأعلامهم، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠٠٥م، ص٢٤٩-٢٥٢.

(١) **الفسيفساء**: أَلوان من الخرز يُؤَلَّفُ بعضها إِلى بعض ثم تُرَكَّب في حِيطان البيوت من الداخل كأنه نقش مُصَوَّر. الزَّبيدي: تاج العروس، ج٤،ص ٢٠٩، الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد. تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤،ص٢٤٧؛ الطالقاني: الصاحب إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس. المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٤، ج٢، ٢٤٥.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٠٢، **والشاذروان**: مظلة حجرية تتوج المآذن وواجهات المباني وأركانها، ومنه شاذروان الكعبة، وهو الذي ترك من عرض الأساس خارجا ويسمى تأزيراً لأنه كالإزار للبيتِ، الفيومي: المصباح المنير، ج١، ص٣٠٧.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب،ص ٤٨؛ الجزنائي: زهرة الآس،ص ٨٠.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٦٦-٦٧؛ عز الدين عمرو موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس عشر الهجري، دار الغرب الإسلامي، ب. ط، ٢٠٠٣هـ، ص٢٥٢.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١،ص ١٢.

وخواتيم وخلاخل مصنوعة من الذهب والفضة[1]، وقد اشتهرت كلٌ من غرناطة ومالقة وبجانة بصناعة هذه الحلي[2].

أما في فاس فقد كثرت فيها دور الصاغة إذ بلغت في عصر الموحدين مائة وستة عشر داراً للصياغة[3]، ولم يقتصر الذهب على صناعة الحلي فقط بل استخدم في تزيين بعض المنشآت المعمارية كالمساجد مثل ما هو موجود على رأس وجدار محراب جامع قرطبة من الذهب على الفسيفساء[4].

كما ازدهرت صناعة الأواني وتنوعت المواد الخام المستخدمة في صناعتها مثل: الذهب والنحاس والفخار، وقد اشتهرت المرية ومالقة بصناعة الأواني المترلية[5] خاصة الأواني الفخارية كالقدور وأقداح الوضوء والأغلال[6].

واشتهرت مالقة بالفخار المذهب، وكان يصدر إلى خارجها أيضاً[7]، وكانت تنتج أطباقاً من الخزف ذي البريق المعدني مزخرف برسوم نباتية[8].

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج١،ص ١٤٢، ١٥٨؛ ابن غالب:فرحة الأنفس،ص ٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) ويقول ابن الخطيب عن أهل غرناطة: (وحليهم في القلائد، والدمالج، والشنوف، والخلاخل الذهب الخالص، إلى هذا العهد، في أولى الجدة، واللجين في كثير من آلات الرجلين، فيمن عداهم، والأحجار النفيسة من الياقوت، والزبرجد والزمرد ونفيس الجوهر). الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١،ص ١٢- ٩٨.

(٣) عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص٩٨.

(٤) الحميري: الروض المعطار، ص٤٥٦-٤٥٨؛ صفة جزيرة الأندلس، ص٥٤، ٥٥؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٨٦؛ المقري: نفح الطيب،ج١،ص٥٤٧؛ القلقشندي:صبح الأعشى،ج٢، ص٢٩٤.

(٥) الحميري: الروض المعطار، ص٥٣٨؛ صفة جزيرة الأندلس، ص٥٤، ٥٥؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٩٨؛ المقري: نفح الطيب، ج١،ص ١٥٤- ١٦٢، ٢٠٢؛ ابن بطوطة: الرحلة، ج١،ص ١٨٦، ١٨٧.

(٦) ابن سعيد: حلى المغرب، ج١،ص ٤٢٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢،ص٢٩٥؛ ج٥، ص٢١٩.

(٧) المقري: نفح الطيب،ج١،ص١٤٥؛، ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس. مجموعة رسائل جمعها أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص٥٩،٧٧؛ ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ب ط، ١٢٥.

(٨) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الفكر العربي، ص٣٣٣، ٣٣٤.

وفي فاس التي بلغت شهرة عالية في إنتاجها من الأدوات النحاسية والفضية وخاصة فيما يتعلق بالأدوات المترلية(١)، والأواني المصنوعة من الزجاج(٢).

أما صناعة المنسوجات فقد تقدمت صناعة الحرير بمختلف أنواعه مثل الخز والإبريسم(٣)، والديباج (٤) وكان هذا بفضل عناية أهلها بتربية دودة القز ووفرة أشجار التوت في بلاد الأندلس، خاصة في غرناطة وجيان التي كان يقال لها جيان الحرير لكثرة اعتنائها بدودة الحرير(٥). كما كانت مدينة المرية في شرق الأندلس، من أهم مراكز صناعة المنسوجات الحريرية، يقصدها التجار لشراء الحرير(٦)، ويقدر عدد الأنوال فيها بحوالي ١٨٠٠ نول(٧)، قال فيها المقري: (وبها من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد)(٨).

أما صناعة السجاد والبسط والحصير فأهم مراكزها كانت مرسية وغرناطة و بسطة وشنتجالة (٩).

---

(١) الوزان: وصف أفريقيا، ص٣٢٩.

(٢) ابن رزين التجيبي، أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم (عاش في القرن ٧هـ). فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق. محمد بن شقرون، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص٤١، ٧٩.

(٣) **الخز**: ويصنع من الحرير والصوف أو الوبر، **والإبريسم**: هو ثياب الحرير، ابن سيدة: المخصص، ج١، ص٣٢٩.

(٤) **الديباج**: وهو نوع من الأقمشة الحريرية أو نسيج حريري موشى بخيوط من الذهب أو الفضة. سامية مصطفى مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين (من ٤٨٤إلى ٦٢٠هـ/ من ١٠٩٢إلى ١٢٢٣م)، مكتبة الثقافة الدينية، ص١٢٨ هامش رقم (٥).

(٥) الحميري: الروض المعطار، ص٤٦.

(٦) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٨٣-٢٨٤؛ الزهري: كتاب الجغرافية، ص١٠١-١٠٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٨٤؛ الأنصاري: نخبة الدهر، ص٢٣٤.

(٧) المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٦٣.

(٨) المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٦٢.

(٩) المقري: نفح الطيب، ج٣،ص ٢١٩؛ ابن سعيد:حلى المغرب، ج١،ص ١٦٣؛ الإدريسي: نزهة المشتاق،ص٢٠٢؛ الحميري: الروض المعطار،ص١١٣؛ صفة جزيرة الأندلس،ص٤٥؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٨٥؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص٩.

كما كان للأندلس دور كبير في زراعة قصب السكر وعصره وتصنيعه ثم تصديره إلى العالم الخارجي، ومن أهم مراكز إنتاجه وتصنيعه غرناطة والمنكب (Almunecar) وإلبيرة (Elvira)، وشلوبينة (Salobiena)(١).

أما صناعة الصابون فقد ساعد توفر إنتاج الزيت في العصر الموحدي إلى ازدهار صناعة الصابون فيها إذ تمتعت فاس بأنها الأكثر إنتاجاً للزيت ومشتقاته ففي عصر الموحدين امتلكت سبعاً وأربعين داراً لصناعة الصابون الذي كان يباع في حوانيت عديدة، وكان لونه أسود وهو نوع لا يوجد غيره بأفريقية(٢).

كما قامت صناعة العطور في الأندلس في المناطق التي تكثر بها الأزهار والورود والريايحين(٣).

أما في فاس فنجد أن أهلها كانوا يجلبون أنواعاً من العطور الهندية لاستخدام الورود والأزهار في صناعة ماء الورد(٤).

وبالنسبة لصناعة الأدوية والعقاقير فقد اشتهرت الأندلس بزراعة أنواع متعددة من النباتات والأعشاب التي تدخل في تركيب وتحضير العديد من الأدوية الطبية، وازدهرت صناعة العقاقير والأدوية والدهانات الطبية نتيجة لتقدم علم الكيمياء وازدهار الدراسات الطبية(٥)

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة،ج١، ص٨٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص٢٤، ٣٤٣. صفي الدين البغدادي: عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ). مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، وهو مختصر من معجم البلدان لياقوت، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط.١، ١٣٨٤هـ/١٩٥٥م، ج٣،ص ١٦٤؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٩٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٢٩٤؛ ابن غالب: فرحة الأنفس،ص ٢٨٣.

(٢) الجزنائي: زهرة الآس، ص٨٠؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٨.

(٣) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٤٧.

(٤) المراكشي: المعجب، ص٤٤٤.

(٥) ابن أبي أصيبعة: أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المطبعة الوهابية، ط١، ١٢٩٩هـ، ج٢،ص ٥٢، ٥٣؛ محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عصر الموحدين، ص١٢١.

وقد ازدهرت مدينة إشبيلية بإنتاج زيت الزيتون، ومدينتي لشبونة وباجة (Beja) بإنتاج العسل[1]، واشتهرت الأندلس بتصدير الكحل بنوعيه الشلوذي[2] والمشبه بالأصفهاني[3]، والحجر اليهودي[4].

أما صناعة طحن الغلال كالقمح والشعير فتقوم على الإنتاج الزراعي وذلك لوفرته، فقلما تجد مدينة من مدن الأندلس لا يوجد بها طواحين لطحن الغلال[5].

وفي فاس أنشأ الأندلسيّون الطواحين لطحن الغلال فوجدت فيها من الأرحاء المائية بأعداد كثيرة، وذكر ابن أبي زرع أن بها من الأرحاء أربعمائة واثنين وسبعون رحى، هذا ما كان بداخل سور المدينة[6].

كما تنوعت المصنوعات الغذائية، فبالنسبة لصناعة الألبان ومشتقاتها فمما لاشك فيه أن توفر المراعي في البلاد ساعد على تنوع الأطعمة الغذائية فيها، وقد تناول ابن سيده في كتابه المخصص مراحل صناعة الحليب ومشتقاته وذكر مسميات كل نوع من الناحية اللغوية[7]. كما كان للزيت أهمية في حياة المسلمين فهو مادة غذائية مهمة، إضافة عن فوائده فقد قال النبي ﷺ ((كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة))[8].

---

(١) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٩٠-٢٩٣؛ ابن الشباط: وصف الأندلس، ص١١٠.

(٢) من مدينة شلوذ التي ينسب إليها الكحل الشلوذي يصنعه أهل هذه المدينة من الرصاص ويحمل إلى سائر البلاد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٥٨؛ البغدادي، مراصد الاطلاع؛ ج٢، ص٨٠٩.

(٣) بناحية مدينة طرطوشة. المقري، نفح الطيب، ج١، ١٤٣

(٤) **الحجر اليهودي**: هو على شكل البلوط سواء، ومن خاصيته تفتيت الحصى التي تكون في المثانة والكلية. الحميري: الروض المعطار، ص٣٣؛ صفة جزيرة الأندلس،ص ٣؛ المقري: نفح الطيب، ج١،ص ١٤٢؛ القزويني: آثار البلاد،ص٥٥، ٢١٦.

(٥) الحميري: الروض المعطار،ص ٦٠٧

(٦) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب،ص٤٨؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٤٣؛ المراكشي: المعجب، ص٤٤٤؛ العمري: مسالك الابصار، ص١١٦.

(٧) المخصص، ج١، ص٤٠١- ٤٠٤.

(٨) أخرجه الترمذي، في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل الزيت، ج٤، ص٢٨٥؛ برقم (١٨٥١)؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج١، ص٣٧٨.

إضافة إلى استخداماته الأخرى كالإنارة وصناعة الصابون. ففي الأندلس اشتهرت إشبيلية بزراعة الزيتون وصناعة زيته وكان أكثر متاجر أهلها[1].

ومما يدل على رواج صناعة الزيت هو أمر ولي العهد هشام المؤيد بإسقاط ضريبة الزيتون بقرطبة، وكانت إلى الناس مستكرهة؛ فسروا بذلك أعظم سرور[2].

وفي فاس انتشرت صناعة زيت الزيتون لكثرة زراعته بها ولقربه من الأراضي المزروعة بالزيتون [3]، حتى أن كمية الزيت المنتجة في فاس بلغت أضعاف غيرها من مدن المغرب في عصر الموحدين[4].

واشتهرت الأندلس بصناعة الأنسجة الصوفية فاستخدموا فراء السمور، وفراء القنلية، وماصنعوه من شعر الماعز، إلى جانب الملابس الصوفية[5]. وقد اشتهرت كل من طليطلة، وسرقسطة، وجنجالة بهذه الصناعة[6].

وفي فاس احتلت الثروة الحيوانية مكانة مهمة لكونها من الحرف التي تمس حياتهم اليومية، وقد كان العمل بدار الدباغة مصدراً للغنى، على مختلف عصوره ففي العصر

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ١٥٨؛ أحمد بن محمد بن حجّاج الإشبيلي من أعيان القرن الخامس الهجري.المقنع في الفلاحة، تحقيق: صلاح جرار، جاسر أبو صفية، تدقيق وإشراف. د.عبداعزيز البدوي، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٥٥.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ٢٥٥

(٣) حسن علي حسن. الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٩٨٠م، ٢٦٣؛ جمال طه. (الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي، عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٥٥ في سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، ص٢١٤؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص٢٣٩.

(٤) القلقشندي: صبح الاعشى، ج٥، ص٥٣٩.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٩٧، ١٩٨؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٩٠.

(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٨٠.؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٩٧؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. ص٥٨٤.

المريني مثلاً كانت طائفتهم بالمترلة الثانية بعد طائفة العاملين بالصناعات النسيجية(١)، وقد قُدِّرت دور الدباغة على عهد الموحدين بـــ (٨٦) داراً(٢)، وازدهرت في العصر المريني؛ فقد عدها ابن خلدون مع صناعة الألبسة الصوفية أهم صناعتين سادتا في المغرب، معللاً ذلك بتوفر مقومات الصناعة في بلادهم(٣).

أما **التجارة** كمظهر من مظاهر الأحوال الاقتصادية، فقد سبق دراسة ذلك في المبحث الأول، **وإذا نظرنا إلى تأثير الأوضاع الاقتصادية على العلاقات العلمية بين مدينة فاس والأندلس، فإننا نجد بعضاً من الأمثلة الإيجابية:**

فمن العلماء الأندلسيين الذين مارسوا مهنة التجارة في الأخشاب المخروطة، ابن خروف: علي بن محمد الذي عاش في فاس وتوفي بحلب عام (٦٠٩هـ / ١٢١٢م)، كان يتاجر في أواني الخشب المخروطة، ويتردد في ذلك بين مدن الأندلس كأبذة وإشبيلية ومدن المغرب كسبتة وفاس ومراكش، وكان يقرئ الطلبة بِجُعْل خاص(٤).

وفي مجال صناعة السفن، استفاد أهل فاس من الخبرة الأندلسية في هذا الأمر، ولاسيما أن حكام فاس وهم بني مرين قد بنوا أول دار لصناعة السفن في مدينة سلا(٥)، التي تعد ميناء فاس سنة (٧١٤هـ/١٣١٤م) بإشراف المهندس محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج الإشبيلي (ت ٧١٤هـ/١٣١٤م) في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق(٦).

---

(١) روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة: د. نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، سلسلة مراكز الحضارة، ١٩٧٧م، ص١٣٣، ١٥٣.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب،ص ٤٨؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص٨٠.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص٩٢٩؛ مزاحم علاوي الشاهري: الأوضاع الإقتصادية في المغرب على عهد المرينيين ٦٦٨- ٧٥٩هـ/ ١٢٦٩- ١٣٥٨م، دار الشؤون الثقافية العامة"آفاق عربية"، بغداد، ط١، ٢٠٠١م، ص١٢٧.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٢٨٤.

(٥) **سلا:** مدينة على ساحل البحر المتوسط قريبة من فاس ومراكش اشتهرت بالقطن والكتان، تدخلها السفن الكبيرة لوقوعها على الساحل. الحميري: الروض المعطار، ص٣١٩؛ حسين مؤنس: (تاريخ الجغرافية والجغرافيين)، مكتبة مدبولي، مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٥٨٧.

(٦) الجزنائي: زهرة الآس، ص٣٧؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١،ص ٢٨٨؛ السلاوي: الاستقصا، ج٣، ص٢٢.

وفي ضرب السكة (النقود) نجد أن فاساً تابعت الأندلس في ذلك، فحينما أمر الخليفة الناصر ببناء دار السكة في قرطبة عام (٣١٦هـ /٩٢٨م) أمر أن تُضرب بالذهب والفضة(١)، وهي أول دار للسكة في الأندلس(٢)، ومن ثم نجد أن الخليفة الموحدي أبا عبد الله الناصر قام بنقل دار السكة في فاس إلى دار أعدها لها سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) والغالب في سباكها الذهب(٣) ثم أضاف إليها المرينييون داراً أخرى في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م(٤).

كما أن بعض المؤلفات العلمية في النواحي الاقتصادية ظهرت في الأندلس، والغالب أنه استفاد منها أهل فاس، فمثلاً وضع ابن العوام الإشبيلي في القرن (٦هـ/١٣م) كتابه "الفلاحة الأندلسية" على أساس علمي يجمع بين معارف العرب القديمة في الزراعة والنبات، وبين المعارف العميقة التي استفادها من تجاربه المباشرة. وقد ذكر ابن العوام طريقة الري بالتنقيط لأول مرة في التاريخ(٥).كما تناول ابن الحجاج الإشبيلي عدة طرق لصناعة زيتون الطعام في كتابه "المقنع في الفلاحة"(٦).

ورغم أهمية الأوضاع الاقتصادية كعامل مؤثر في الاتصال العلمي إلا أني لم أجد الكثير من الأمثلة، وقد يعزى هذا لأمور:

أولاً: أن هذا التأثير قد لا يذكر صراحة في ثنايا التراجم، فمثلاً فنحن نعلم أن الحالة الاقتصادية الحسنة للفقهاء بفاس،كانت مثار جذب للعلماء في عهد المرابطين

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٢٢٧.

(٢) ابن سعيد: حلى المغرب، ج١، ص٣.

(٣) أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم. الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق. حسين مؤنس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السادس، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص٤٩.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب،ص ٤٣؛ الوزان: وصف أفريقيا، ص٢٨٣-٢٨٤؛ عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي لبلاد المغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطبعة فضالة، المحمودية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج١،ص ١٢٧.

(٥) ابن العوم: الفلاحة الأندلسية، ص٦٨٦.

(٦) ابن حجّاج الإشبيلي: المقنع في الفلاحة، ص٥٦

والموحدين[1]، وقد مر في المبحث الأول كيف كانت الهجرة الأندلسية لفاس قد كثرت بغرض تولي المناصب الدينية، ولابد أن حالة الفقهاء الحسنة كانت عاملاً من عوامل هذا الجذب.

ثانياً: أن أكثر العلاقات العلمية كانت تتعلق بالعلوم الشرعية واللغوية، وبعض هذه المظاهر الاقتصادية لم تكن تجذب هؤلاء العلماء ليدخلوا في مجالاتها، مثل عمارة القصور والحدائق، وبعض أنواع الصناعات.

ثالثاً: التشابه الكبير في المظاهر الاقتصادية بين الأندلس ومدينة فاس يؤكد على انتقال الخبرات بين المكانين، بحيث يستفيد أحد الموضعين من خبرات الآخر، وفي هذا دلالة على وجود علماء مهرة في المجالات الاقتصادية استطاعوا أن ينقلوا الخبرات العلمية بين البلدين، ولكن أغفلت كتب التاريخ عن ذكر أسمائهم، أو ما زالت أخبارهم حبيسة المخطوطات المفقودة أو تلك التي تحتاج إلى تحقيق لترى النور.

(١) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص٤٤٥.

المظاهر الجغرافية

رغم أن فاساً تنتمي إلى قارة إفريقيا، والأندلس تنتمي إلى القارة الأوروبية إلا أن أكثر الجغرافيين السابقين يعتبروهما كتلة واحدة عبارة عن عُدوتين.

فنجدهم عندما يتحدثون عن المغرب يتحدثون معه عن الأندلس، وقد يعزى ذلك إلى أن التسمية كانت عامة في أول الأمر بمعنى أنها تعني كل الأقاليم الغربية من الدولة العربية الإسلامية[1].

يقول المقدسي: (وقد جعلنا المغرب مع الأندلس)[2]، ويـــذكر الإصـــطخري أن: (المغرب نصفان يمتدان على بحر الروم، نصف من شرقيّه ونصف من غربيّه، فأما الشرقي فهو برقة وإفريقية وتاهرت وطنجة والسوس وزويلة وما في أضعاف هذه الأقاليم، وأمـــا الغربي فهو الأندلس)[3].

وتقع الأندلس في جنوب غرب أوروبا، وتشمل الجزء الأكبر من شبـــه جزيرة إيبريا، وأهم مدنها قرطبة، إشبيلية، بلنسية، سرقسطة، المرية، غرناطة، مرسية، ولها ساحل طويل على البحـــر المتوسط في الشرق والجنوب الشرقي.

وكان يطلق على بلاد الأندلس شبة جزيرة إيبيريا[4] وسميت بجزيرة وذلك لأنها شكل مثلث، ولإحاطة البحر من جهاتها الثلاث فجنوبيها البحر الشامي الأبيض المتوسط، ويفصلها مضيق جبل طارق عن المغرب جنوبا، وغربها البحر المظلم "المحيط الأطلسي"[5]، وتقع في جنوب غرب أوربا يفصلها عن فرنسا شمالاً سلسلة جبال (البُرتات Pir ineos) التي تتخللها ممرات ومضايق تصل بين البلدين[6].

---

(١) أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢١.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢١٦.

(٣) الإصطخري: المسالك والممالك، ص٣٢.

(٤) وهي تشمل اليوم إسبانيا والبرتغال وتبلغ مساحتها ٦٠٠ ألف كم٢ . انظر: حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٦٣ .

(٥) الحميري: الروض المعطار، ص٣٣؛صفة جزيرة الأندلس، ص٢.

(٦) العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٨.

وكان المسلمون يطلقون لفظ الأندلس على شبه الجزيرة الإيبرية كلها وهو معروف عند الفتح الإسلامي في جميع مناطق البلاد، وعندما اقتصر الحكم الإسلامي فيها على مملكة غرناطة ظل المسلمون يطلقون على مملكة غرناطة اسم الأندلس [١]

أما بالنسبة لمناخها فيذكر الجغرافيون أنها شامية في طيب أرضها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها،وحسنة الهواء وطيبة الماء[٢].

وإذا ذهبنا لبلاد المغرب نجد أن مناخ فاس يقترب كثيرا من مناخ الأندلس، إذ تقع بين خطي عرض ٢٨ درجة،٣٦درجة شمالاً، وخطي طول ١٢ درجة غرباً، وهي تتأثر إلى حد كبير بمؤثرات مناخ البحر المتوسط الذي تتأثر له الأندلس وهو سقوط الأمطار في فصل الشتاء ودفئه، وجفاف فصل الصيف، وارتفاع درجة الحرارة.

إلا أن الأندلس تميزت بقربها من قارة أوروبا الأمر الذي ساعد على تأثرها بالمناخ الأوربي، وتميزت فاس باعتدال حرها وبردها، كما يعتدل مناخها في فصلي الربيع والخريف[٣].

ومن جهة التضاريس الجغرافية فإننا نجد في الأندلس شبهاً بتضاريس بلاد المغرب إذ يتخلل الأندلس جبال "البُرتات" التي تشبه في تكويناتها جبال أطلس في المغرب، وقد ساعدت هذه الجبال في تكوين شبكة دفاعية قوية للأندلس[٤] لأنها كانت دوماً داراً للجهاد والرباط إذ يحيط بها النصارى[٥].

وفاس حاضرة المغرب[٦]، وتتكون المدينة من قسمين: فاس البالية أي القديمة، التي أسسها إدريس الثاني سنة (١٩٢هـ/٨٠٧م) والتي استقبلت النازحين الأندلسيين

---

(١) حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط.٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٨٧.

(٢) الزهري: كتاب الجغرافية، ص٨٠؛ الحميري: الروض المعطار،ص٣٣؛ صفة جزيرة الأندلس، ص٣؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٨١.

(٣) لأجل موقعها بالنسبة لخط العرض المار بها، ولنسيم البحر الذي يهب عليها.

(٤) انظر في جهاد المسلمين ودفاعاتهم خلف هذه الجبال كتاب: وفاء المزروع: جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، دار القاهرة، ط١.

(٥) الحميري: الروض المعطار، ص٣٣؛ صفة جزيرة الأندلس، ص٣؛ العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٩.

(٦) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٤.

والقرويين، وفاس الجديدة التي أُسست سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٥م) بأمر السلطان المريني ببناء عاصمة جديدة وسميت البيضاء(١).

وكان يقال عنها أنها بلد بلا ناس لأنها احتوت على عدوتين لكل منهما سكانه واسمه الخاص منذ بداية بنائها والسكن فيها. ففي سنة (١٩٣ه/ ٨٠٨م) أسس إدريس الثاني مدينة جديدة على الضفة اليسرى لوادي فاس بحي القيروانيين نسبة إلى أصل ساكنته المنحدرة من القيروان بإفريقية، واستقر الأندلسيون الذين أرغموا على الهجرة من الأندلس ليكونوا حي عدوة الأندلسيين، وكانت عدوة الأندلسيين محاطة بالأسوار، تخترقها ستة أبواب ولها مسجد جامع(٢).

بينما أُطلق اسم فاس على العَدْوتَين معاً -عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين-، التي أحاطهما إدريس بسور يدور حولهما بحيث لا يفصل بينهما سوى نهر سبو نفسه(٣).

أما بالنسبة لموقعها فهي تقع في المغرب الأقصى في أقصى الشمال الشرقي وبذلك تربط شمال المغرب بشرقه وغربه وجنوبه.

ففاس ذات موقع جغرافي متميز فشرقها يوجد نهر وادي فاس أو وادي الجواهر في واد خصيب بين التلال المحيطة بها من كل الجهات. ويوجد قرب المدينة الغابات التي تتوفر فيها أشجار البلوط والأرز والتي يستخرج منها أخشاب عالية الجودة، وتحيط بها أراض كثيرة صالحة لكافة أنواع الزراعة حيث تنمو الحبوب والكروم والزيتون وأنواع عديدة من أشجار الفاكهة، واشتهرت أيضاً بكثرة بساتينها.

وشبهوها بدمشق الأمر الذي جعل من الأندلسيين يستأنسون لها لقربها من مواصفات بلادهم(٤).

---

(١) مجهول: الحلل الموشية، ص١٧٦.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ص

(٣) مجهول: كتاب في خطط مدينة فاس، دار الكتب القومية، رقم (٦١) بلدان، تيمور، ق ٦ـــ ٧؛ ونهر سبو من أعظم أنهار المغرب يبلغ طوله ٦٠٠كم ويتفرع منه عدة أودية تسقي نواحي فاس ومكناس والغرب ويصب في البحر المحيط، الصديق ابن العربي: كتاب المغرب، ص٢٢٨ رقم ٣٥٥.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص ١٨٧.

وهذا ما يوضحه لنا حديث ابن سعيد على مدينة فاس التي تشبه كثيراً بلاد الأندلس بقوله: (منذ خرجت من جزيرة الأندلس وطُفْتُ في بر العُدْوة، ورأيت مدنها العظيمة كمراكش وفاس وسلا وسبتة، ثم طُفْتُ في إفريقية وما جاورها من المغرب الأوسط فرأيت بجاية وتونس، ثم دخلت الديار المصرية فرأيت الإسكندرية والقاهرة والفسطاط، ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما، لم أر ما يشبه رونق الأندلس في مياهها وأشجارها إلا مدينة فاس بالمغرب الأقصى، ومدينة دمشق بالشام)(١).

وقبله وصفها ابن حوقل بقوله: (وهي مدينة جليلة يشقها نهر، ...، ونهرها كبير غزير الماء، عليه أرحية كثيرة، وهي مدينة خصبة، مفروشة بالحجارة) (٢).

وكانت مدينة فاس من أحسن المدن إذ اجتمع لها الخمسة الأشياء التي أجمع الحكماء على وجوب توفرها في المدينة لتصبح من أحسن المدن، وهي: (النهر الجاري، والمحرث الطيب، والمحطب القريب، والسور الحصين، والسلطان إذ به صلاح حالها وأمن سبلها و كف جبابرتها)(٣).

ومع أن يوسف بن تاشفين اختار مراكش عاصمة له، فإنه لم يهمل فاساً بل اهتم بها وزارها سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م)، وحصّنها وأتقنها وأمر بهدم الأسوار التي كانت تفصل بين عَدْوَتَيها وردّها مصراً واحداً، وأقام المساجد وبنى الحمّامات والفنادق والأرصاد وأصلح الأسواق(٤).

ويتضح مما قاله المراكشي أن فاس كانت مدينة عظيمة في عصر المرابطين، ومما يدل على ازدهارها في عصرهم أنها أصبحت تُسمّى لدى شيوخ هذه الدولة ببغداد المغرب، غير أن المرابطين آثروا عليها مراكش لقربها من بلاد المصامدة وصحراء لمتونة فلهذا السبب كانت مراكش تكرّس المملكة، وإلا فمدينة فاس أحق بذلك منها(٥).

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٨٧ نقلا عن ابن سعيد.

(٢) صورة الأرض، ص ٨٩؛ سامية مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد الخلافة الأموية، ص ٢٠٩.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٣.

(٤) المعجب، ص ٣٥٨.

(٥) المراكشي: المُعجِب، ص ٣٥٨.

ظلت فاس العاصمة الثانية لدولة المرابطين ثم الموحدين حيث اتخذوا من مراكش عاصمة لهم، غير أنه بعد سقوط دولة الموحّدين، اتخذ بنو مرين من مدينة فاس حاضرة لدولتهم، وقام السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) ببناء باب عجيب من أبواب فاس، كما أمر بإصلاح السور القبلي من عدوة الأندلس، فجدّد أكثره ورمم ما تهدّم منه. وأقام هذا السلطان نفسه مدينة جديدة بجوار مدينة فاس القديمة سمّاها فاس الجديدة أو المدينة البيضاء، وأنشأ فيها قصوره وقصور قواده وثكنات جيشه، والمسجد الجامع بفاس الجديدة، ذكرها ابن الخطيب في مشاهداته فيقول: (وأما مدينة الملك، يقصد بها فاس الجديدة، فبيضاء كالصباح، أفق للغُرَر الصُباح، يحتقر لإيوانها إيوان كسرى، وترجع العين حسرى، ومقاعد الحرس، وملاعب الليث المفترس، ومنابت الدوح المغترس، ومدرس من دَرَّس أو درس،ومجالس الحكم الفصل، وسقائف التُرس والنصل،وأهداف الناشبة أولى الخصل، وأواوين الكتاب، وخزائن محمولات الأقتاب، وكراسي الحجّاب، وعنصر الأمر العجاب...ثم قال إلا أن حر هذه المدينة مذيب، وساكنها ذيب، ومسالكها وعرة، وظهائرها مستعّرة، وطينها هائل، وزحامها حرب وائل) [(١)].

وتعتبر مدينة فاس من أكبر مدن المغرب في وقتنا الحاضر على الرغم من أنها ليست العاصمة[(٢)] وهي تحظى بموقع استراتيجي مهم باعتبارها ملتقى للطرق التجارية بين الشرق والغرب خاصة تلك التي كانت تربط سجلماسة بشمال المغرب.

ويذكر مارمول فاساً أنها أصبحت في آخر العصر الوسيط صورة صادقة جداً من غرناطة، من ذلك التشابه في موقعهما على ضفتي نهر من الأنهار وانحدار الضفاف انحداراً شديداً، ومن ذلك وفرة النباتات والماء الجاري فيهما،ولا تزال هذه الصفات المشتركة تستبين لأول وهلة أمام من يشاهدهما[(٣)].

---

(١) مشاهدات ابن الخطيب، ص١١٢

(٢) عبد الكريم عفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٣٥٣.

(٣) مارمول: إفريقيا، ج١، ص ٧٣.

ويلاحظ مما سبق وجود الوحدة الطبيعية بين الأندلس وفاس على الرغم من التقسيمات الموجودة فيهما إلى درجة أن البلاد تكوّن وحدة واحدة من الناحية الجغرافية. وما يميز مدينة فاس أنها من مدن المغرب الأقصى التي تميزت عن بقية بلاد المغرب بأن له واجهة غربية مطلة على البحر المحيط الأطلسي تحيط بها جبال أطلس والذي يقابله من جهة الأندلس جبال البرانس (Pyrennees – Sierra de Almaden) وذلك إلى جانب حده الشمالي المشترك المطل على البحر المتوسط، وتشق جبال أطلس أودية الأنهار التي تتجه نحو المحيط، ومن أهمها وادي سبو في فاس الذي يقابله منخفض الوادي الكبير في الأندلس.

وكما ذكرت سابقاً أن الوحدة الطبيعية الجغرافية بين الأندلس والمغرب كان لها الأثر في العلاقة بين العدوتين وإلى تشابه الأحداث السياسية بينهما بالإضافة إلى سهولة الاتصال بينهما سواء بطلب المعونات العسكرية، أو الهجرة والاستقرار إلى مدينة فاس، أو إلى أي مدينة من مدن المغرب، كما سهلت لعملية التبادل الاقتصادي بين البلدين.

ولا شك أن العلاقات العلمية تتأثر بهذا العامل بقوة، وإن كان تأثراً خفياً، لكن نجد مظاهره فيما يلي:

أولاً: سهولة الانتقال والسكنى من الفاسيين بالأندلس، أو من الأندلسيين بفاس، بحيث إذا نزل أحدهم الموضع الآخر لا يشعر بالغربة والوحشة، وهذا مما يزيد العطاء العلمي ولا شك.

ثانياً: أن تخطيط مدينة فاس لتتشابه مع الأندلس كان بناء على عمل مهندسين قاموا بذلك، سواء كانوا من أهل فاس، ومروا بالأندلس ليبنوها مشابهة، أو كانوا من الأندلسيين استعين بهم في بناء فاس.

ثالثاً: أن بقاء العلماء سنين كثيرة في كل من الموضعين كان لابد أن يكون للمناخ الجغرافي أثره البالغ في ذلك.

العوامل الاجتماعية

أدى التقارب الجغرافي والوحدة الطبيعية بين الأندلس والمغرب، وما كان بينهما من احتكاك سياسي وتفاعل مستمر في النواحي الاقتصادية، إلى تشابه الحياة الاجتماعية في الأندلس والمغرب بمدنها في (فاس، مراكش، القيروان، تطوان، سلا....).

ومن أبرز جوانب الحياة الاجتماعية: تشابه الأندلس وفاس في عناصر السكان الناتجة عن الهجرات المتبادلة بينهما، وتأثر مدينة فاس بالأحرى من الأندلس بالعادات والتقاليد، وفي مظاهر الحياة الاجتماعية فيها من الأعياد والزواج، وبناء العمران على الطريقة الأندلسية حتى أن الذي يراها لا يشك في أنها مدينة مغربيه بل يقر أنها مدينة أندلسية.

وأتحدث أولا عن عناصر السكان، وهم سكان البلاد في الأندلس وفاس الذين يكونون وحدة جنسية مثلها مثل الوحدة الطبيعية الجغرافية.

١. **العرب**

وقد توافدوا إلى المغرب الأقصى منذ الفتح الإسلامي للبلاد وهي التي كانت طريقهم إلى فتح الأندلس والاستقرار فيها بعد ذلك، وقد ذكر لنا ابن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب بعض الأماكن التي استقرت فيها القبائل العربية في الأندلس، فبعض عرب بني ثقيف استقر بشرقي قرطبة، وعرب بني غافق في شمالها، وعرب بني ربيع من الأوس فسكناهم بمقبرة بني العباس في الجانب الشرقي من قرطبة، وأولاد عبادة بن الصامت من الخزرج في باب العطارين من المدينة، واستقرت قبائل بلي العربية في شمال قرطبة حيث نسبت المنطقة إليهم وحافظوا على نقاوة جنسهم واستمروا حتى القرن (ق٥ه/٦هـ) متقنين للغتهم العربية لا يحسنون لغة العامة في قرطبة،متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم العربية مثل إكرام الضيف(١).

وقد أطلق هؤلاء العرب على أنفسهم اسم البلديين، وعدوا أنفسهم أهل البلاد وأصحابه بوصفهم الفاتحين الذين تغلبوا على دولة القوط في الأندلس،واستقروا في

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ص٣٢٨،٢٦٦، ٣٣٣، ٣٥٤

الأراضي المفتوحة لاعتبارهم أول من استقر في الأندلس من المسلمين[1]. وتميز عرب الأندلس بالقبائل والأفخاذ إلى أن قطع المنصور بن أبي عامر ذلك قاصداً تشتيتهم وقطع التحامهم وتعصبهم في الاعتزاء[2]، وبعد سقوط الخلافة الأموية أسس العرب أهم وأعظم دولة من دول الطوائف، وهي دولة بني عباد[3] في اشبيلية Sevilla ، وبني هود في سرقسطة Zar agoza.

أما بالنسبة للعرب الأندلسيين الذين استقبلتهم مدينة فاس فكانوا من أهل الربض وأهل القيروان وظلت فاس تستقطب نخبة من مهاجري الأندلس، قبل سقوط غرناطة سنة (٨٩٧هـ /١٤٩٢م) وبعدها، مباشرة أو عن طريق مدن أخرى. وأصبحت للعائلات الأندلسية الفاسية الدور الهام والرائد في المجالات العلمية والمالية والسياسية والثقافية والحرفية و توجد اليوم بفاس مئات العائلات الأندلسية، منها من حافظ على اسمه ، و منها من تغير اسمه، و منها من نسب إلى مدن الأندلس و قراه. ولقد ذكر ابن الأحمر في كتابه بيوتات فاس الكبرى جميع القبائل العربية الأندلسية التي سكنت فاس، فمن الأسر العربية التي سكنت فاس أسرة الإدريسي انتقلت إلى السكنى فيها سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م)، من غرناطة Gr anada، وتشتهر حالياً بعائلة الدباغ، وأسرة السراج Abencer r age من رندة Ronda التي انتقلت سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، وأسرة المري من غرناطة Gr anada التي اشتهرت بعد الانتقال لمدينة فاس سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م) بأسرة بني سودة المشهورة، وأسرة ابن جد الفهري من مالقة Malaga والتي سكنت في فاس سنة (٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، وعرفت بأسرة الفاسي، ومن الأسر العربية التي استقرت في فاس أسرة الشريف الحسني من وادي أش Guadix،

(١) محمد سهيل طقوش:تاريخ المسلمين في الأندلس، ص٦٠؛ عبد الواحد ذنون طه: الفتح والإستقرار العربي في شمال أفريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨٢م، ص٢١١: التنظيم الإجتماعي في الأندلس في عصر الولاة) من كتاب دراسات أندلسية المجموعة الأولى، مكتبة بسام، بغداد،العراق، ط١، ١٩٨٦م، ص٨١-٨٢.

(٢) لطفي عبد البديع: الإسلام في اسبانيا، ص٢٠.

(٣) مصطفى أبو ضيف أحمد: القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية ٩١-٤٢٢هـ/ ٧١٠-١٠٣١م، ص٣٩٧.

وانتقلت إلى فاس قبل سقوط غرناطة وكان في سنة (٨٩٠هـ/١٤٨٥م)، وعرفت بأسرة القادري[١].

ولقد احتفظت الكثير من الأسر الأندلسية التي هاجرت إلى مدن المغرب بألقابهم التي تشير إلى أصلهم الأندلسي ويعتزون بها[٢] منها من انقرض، و منها من لازال قائما، فمنهم من ينتسب إلى قرى و مدن أندلسية مثل الأندرشي نسبة إلى مدينة (أندرش Andar ax)، و الأندلسي (الأندلسAndalucia)، والإشبيلي من (إشبيلية Sevilla)، و ابن سليمان الغرناطي من (غرناطة Gr anada) و الباجي من(باجة Beja) و البرجي من(برجة Ber ja)، والقمارشي من(قمارش Comar ex)،و البلنسي من(بلنسية Valencia)، والبيري من(البيرة Elvir a)،والرندي من(رندة Ronda)،والطليطلي من(طليطلة Toledo)،واللوشي من (لوشة Loja)،والمالقي من(مالقة Malaga)،والمرسي من (مرسية Mur cia)،والشقوري من(شقورة Ricote)،والقرطبي من(قرطبة Cor dova)، و الشاطبي (شاطبة Jativa) [٣].

وحافظت بعض العائلات على الأسماء التي كانت تعرف بها في الأندلس كما ذكرها ابن الأحمر في بيوتات فاس[٤] الأحمر والأبار والأزرق والأموي وابن الأمين والبلاج والبزار والبواب والبيار والبيطار والجنان والدراج وابن عزمون وابن شقرون وابن حيون وابن جلون وابن المليح والكوي والمدجن والكاتب وابن فرحون وابن وعدون وبنو عشرين وبنو رضوان ، وتكلم كتاب بيوتات فاس أيضاً عن الاختلاط والتزاوج الذي كان بين سكان فاس من العرب والبربر[٥]، فالإدريسي يقول إنه (كان يسكن حول فاس

(١) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، دار للمنصور لطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص١٩-٢٠.

(٢) عبد الرحمن علي الحجي: هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٤٦ حاشية رقم(٤).

(٣) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص٢٠.

(٤) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص٧٠.

(٥) صباح إبراهيم: العناصر السكانية بمدينة فاس من خلال كتاب بيوتات فاس الكبرى، مجلة آداب المستنصرية، العدد الثاني، ١٩٨٤م، ص٤٠٢-٤٠٣.

من البربر لكنهم كانوا يتكلمون العربية، وهم بنو يوسف وفندلاوة وبهلول وخياته وزواوة ومحاصته)[١].

٢. البربر

يعد البربر العنصر الأغلب من عناصر السكان في بلاد المغرب[٢]، وأطلق الرومان عليهم هذا الاسم، لأنهم كانوا يعتبرونهم أعاجم على حضارتهم ولذلك كانوا يسمونهم بالبرابرة Bar bar i أي همج لا يُفهم كلامهم لأنهم أقل منهم حضارة[٣]، وعربت إلى بربر، وبرابر[٤]، ومن العوامل التي ساعدت على كثرة أعدادهم في الأندلس هو سهولة المجاز من العدوة المغربية إلى الأندلس وتوفر الثروات في البلاد وتضاؤلها في المغرب بسبب كثرة السكان وقلة الموارد. والأهم من هذا وذاك هو استخدامهم بأعداد كبيرة في الجيش الأندلسي وفي خدمة حكام الدولة الأموية[٥].وكان قرب بلادهم من الأندلس وسهولة العبور إليها واتصالهم السابق بها[٦]،و تشابه الخواص الطبيعية المشتركة بين البلدين كوحدة المناخ ووجود السلاسل الجبلية، إضافة إلى توفر الثروات في البلاد وتضاؤلها في المغرب بسبب كثرة السكان وقلة الموارد[٧].

---

(١) المغرب وأرض السودان، ص٧٩:وصف أفريقيا الشمالية، ص٥٣.

(٢) سليمان عبد الغني مالكي: بعض ملامح الحياة الاجتماعية في مدينة مراكش في عصر المرابطين والموحدين، الدارة، الرياض، العدد ٣، السنة ١٢، ربيع الآخر ١٤٠٧هـ/ديسمبر ١٩٨٦م، ص١٦٩.

(٣) شارل أندريه جوليان: تاريخ إفريقيه الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي ٦٤٧م، تعريب: محمد مزالهي وَالبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، النشرة الرابعة، ب.ت، ج٣، ص١٢؛ السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،د.ت، ج٢، ص١٣٣.

(٤) حياة عبود محمد العامودي: الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى زمن المرابطين والموحدين، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، محرم ١٤٢٧هـ/ يناير ٢٠٠٦م، العدد ١٣، السنة السابعة، ص١٣٢.

(٥) عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م، ج١، ص٧٩.

(٦) لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص٣٢؛ السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج١، ص٧٩.

(٧) فؤاد محمد أرزقي، القوى المغربية في الأندلس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص٨

وقد دخل البربر الأندلس مع المسلمين بدءاً من جيش الفتح بقيادة طارق بن زياد سنة (٩٢هـ/٧١٠م)[١]، وانتصاره في موقعة وادي لكة Guadalete في رمضان سنة (٩٢هـ/٧١٠م)[٢] إلى استعانة عبد الرحمن الداخل بهم؛ لأنه خاف جانبهم، فاستعان بالمماليك والبربر[٣].

وقد اندمج البربر مع سكان الأندلس حيث (استقر كثير من جند الجيش الغازي ببلاد الأندلس و لم يعد أحد منهم إلى أفريقية بل تزوجوا من نساء أهل البلاد)[٤].

غير أن البعض من البربر لم يلبث أن رجع إلى فاس نظراً للظروف السياسية وهي حادثة الربض في قرطبة التي انتقل منها الكثير من أهالي الربض وأقاموا في فاس كما يذكره ابن الأحمر في كتابه بيوتات فاس الكبرى حيث يقول: (إن بني القباب من البربر، بيتهم بيت فقه وعدالة وعلم وثروة، وهم من الأندلس الواردين على إدريس بن إدريس الكامل)[٥].

واستقر البربر في الأندلس نتيجة الصراع القائم بين الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا والدولة الأموية في الأندلس، خاصة بعدما أصبحت بعض المدن المغربية خاضعة لحكم الناصر الأموي ففتح باب الاتصال بين الأندلس والمغرب فاضطر الكثير منهم إلى الالتجاء للأندلس للاستقرار في البلاد[٦] والانخراط في الجيش فعمل الأمويون على استخدامهم في أعمالهم

---

(١) **طارق بن زياد الليثي** (ت١٠٢هـ/ ٧٢٠م): فاتح الأندلس، أصله من البربر، أسلم على يد موسى بن نصير، فكان من أشد رجاله، ولما تم لموسى فتح طنجة ولى عليها طارقاً. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٥٦، المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٣٩٥.

(٢) **وادي لكة**: موضع من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الأندلس. ولتفاصيل المعركة انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٩ ومابعدها؛ مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة فيها، طبع في مدينة مجريد، بمطبعة مربدميل، ١٨٦٧م، ص٥ ومابعدها؛ ابن القوطية: تارخ افتتاح الأندلس، ص٢٩-٣٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص٦٠٥- ٦٠٦.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٣٦.

(٤) لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص٣٢.

(٥) بيوتات فاس الكبرى، ص٤٤.

(٦) حسين مؤنس: فجر الأندلس، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٣٨١. فيذكر أنه استقر البربر في جنوب بلاد الأندلس ووسطها وشرقها.

العسكرية ضد الممالك المسيحية شمالاً[١]، وفي مواجهة الخطر الفاطمي في المغرب[٢]، وقد أصبحوا عنصر أساسي في جيوش الأندلس في الثلث الأخير من القرن (٣هـ/٩م)[٣]، فاستكثر منهم عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم بحيث صار الكثير من البربرة المرتزقة في الجيش[٤]، بعدما رضي عنهم وأمر باستدعائهم فأحسن قبولهم وأجزل عطاءهم وغض الطرف عن مذاهبم[٥]، ويشير ابن حزم إلى أن البربر قد زادت أعدادهم بنسبة كبيرة في عهد المنصور بن أبي عامر وابنه عبد الملك[٦]. وبعد سقوط الدولة الأموية ازدادت الهجرة البربرية إلى الأندلس[٧]، وظهور قادة سياسيين منهم كونوا دويلات لهم في البلاد وحكموها في عصر ملوك الطوائف مثل بني حمود في مالقة والجزيرة Algeciras (٤٠٩- ٤٤٩هـ/ ١٠١٨-١٠٥٧م)[٨]، وبني الأفطس في بطليوس Badajoz (٤١٣-٤٨٧هـ/١٠٢٢-١٠٩٤م)، وبني ذي النون في وطليطلة Toledo، وبني زيري في غرناطة Granada (٤٠٣-٤٨٣هـ/١٠١٢- ١٠٩٠م)[٩].

(١) محمد حقي: البربر في الأنلس، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ص١٩٣، ١٩٤.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ج١،ص٨٠-٨١؛ محمد عبدالله عنان. دولة الإسلام في الأندلس(تراحم إسلامية شرقية وأندلسية)، دار المعارف،مصر،ط١، ١٩٤٧م، العصر الأول، القسم الثاني، ص٤٤٨.

(٣) محمد حقي: البربر في الأندلس، ص١٩٠.

(٤) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٦٣، ٨٨. ويذكر عن الناصر أنه التزم مع البربر سياسة الحذر منهم حيث لم يستخدم منهم إلا أراذلهم وعبيدهم، وعن الحكم المستنصر أنه اجتمع ما يقارب ٧٠٠ فارس من قبائل مختلفة من البربر من زناته ومغراوة معلنين طاعتهم له وانضمامهم تحت لوائه. ابن حيان: المقتبس، ج٦، ص١٩٠؛ ج٢، ص١٧٤-١٧٥، ١٩٣.

(٥) ابن حيان: المقتبس، ج٢، ص ١٧٥، ١٩٣.

(٦) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٨، ص ٥٠٢. ويذكر حسين مؤنس أن الأندلسيين نفروا من الجيش البربري المغربي نفوراً شديداً، وكرههم أهل قرطبة بسبب دالتهم العظيمة على صاحب السلطان وكان ذلك في صالح المنصور بن أبي عامر الذي استغل نفور الأندلسيين من البربر في إحالة اتحاد عناصر الجيش القديم ضده،وليُشعر البربر أن مستقبلهم معتمدٌ عليه. معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٩٣.

(٧) محمد عبدا لله عنان: دولة الإسلام في الأندلس (عصر ملوك الطوائف)، ص٤٤، ١١٨.

(٨) **بنو حمود**: من سلالة الأدارسة، وقد أسسوا إمارة مستقلة بهم في مالقة والجزيرة وانتهت دولتهم بإستيلاء بنو زيري ملوك غرناطة عليها سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م). مشاهدات ابن الخطيب، ص٦١، حاشية (١).

(٩) **بنو زيري**: يرجع أصلهم إلى قبيلة صنهاجة البربرية. مشاهدات ابن الخطيب، ص٦١ حاشية رقم (٢).

واستعان المرابطون ببربر المغرب في معركة الزلاقة سنة(٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)، وسار الموحدون على سنة أسلافهم فأسكنوا البربر في معظم مدن الأندلس[١].

ولقد كان الأندلسيون يبغضون البربر في الأندلس وفي مدينة فاس وأهل العدوة يكرهون أهل الأندلس[٢] وهو ما ذكره لنا المؤرخون أن أهل الأندلس عرفوا ببغضهم وعداوتهم للبربر فلا تجد أندلسيا إلا مبغضاً بربرياً، وبالعكس[٣]، وهو ما يسميه ابن الخطيب بالنفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة[٤] ويذكر الحسن الوزان أن سكان فاس ظلوا حتى عصره يتميزون بالعجرفة، وببغض الغرباء من سكان المدن الأخرى، ويظهر هذا في هجاء بعض الشعراء للبربر في الأندلس.

ـــ من أشهرهم الشاعر ابن سهل اليكي (ت ٥٥٥هـــ/١١٦٠م) من أكثر شعراء الأندلس هجاءاً للبربر[٥] وخاصة لأهل فاس لما لقيه فيها من فجوة وخشونة وسوء معاملة، لذلك أفحش في هجائهم من قوله فيهم:

يا أهل فاسٍ لقد ساءت ضمائركم   فأصبحت فيكم الآراء متفقة
كلُّ امرئٍ منكم قد حاز منقصــــةً   بها أحاط كدور العين بالحدقة
وربما اجتمعت في بعض سادتكم   نقائص أصبحت في الناس مفترقة
كالقرن والقود المشهور والكذب ال   معروف والخلّة الشنعاء والسرقة[٦]

---

(١) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص٢١٠.

(٢) الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص٢٤٤.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٢٨-٢٢٩، ط ١٩٤٩م؛ الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص٢٤٤.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الأندلسي، تحقيق: ليفي برفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط٢، ١٩٥٦م، ص٢٢٧.

(٥) فوزي عيسى: الهجاء في الأدب الأندلسي، دار الوفاء للطباعة، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٧م، ص٦٥.

يحيى بن عبد الجليل بن سهل اليكي، أبو بكر: شاعر هجاء، متصرف في المعاني، ينعت بهجاء المغرب. وهو من أهل مرسية. كان كثير الهجاء للمرابطين وأميرهم علي بن يوسف بن تاشفين، وسماه أكثر مترجميه يحيى بن سهل نسبة إلى جده. ابن سعيد: حلى المغرب، ج١، ص١٦٨؛ ابن دحية الكلبي: المطرب من أشعار أهل المغرب ١٣٢.

(٦) القرن والقود المشهور: يشير للدياثة وعدم الغيرة، الفيومي: المصباح المنير، ج١/ص٢٦٨.

فلا تهـــابنّ فاســـيّاً مـــررت به   وإن تقل فيه خيراً حول الورقة

فلا سقى الله فاسيـــاً صوب غادية   نعم ولا أخضّر في أرجائها الشرقة

ويهجو أيضاً ابن سهل أحد أعيان فاس في عصره وهو ابن ملجوم فيقول[1]

وما سمى الملجوم إلا لعلة   وهل تُلجم الأفراس إلا لتركبا؟

٣. أهل الذمة[2]

أهل الذمة: يعرفون في الفقه بأنهم الكفار من النصارى واليهود الذين أبوا الدخول في دين الإسلام لكنهم رغبوا في البقاء في دار الإسلام والتمتع بحماية المــسلمين لهــم في دينـــهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم، مع دفع الجزية، سواء كانوا من أهل تلك الــبلاد المفتوحـــة أو قدموا من ديار الكفر بناء على عقد يعقد بينهم وبين دولة المسلمين يعرف بعقد الذمة[3].

أ- نصارى الأندلس

ويطلق عليهم المستعربون,los Mozarabes وهم الذين بقوا بعد الإسلامي في البلاد و عاشروا العرب وتعربوا وأقاموا في ديارهم، محتفظين بهويتهم الدينية والثقافية وقد كفلت لهم الدولة الإسلامية حرية العقيدة فأبقت لهم كنائسهم وأديرتهم يزاولون فيها شعائرهم الدينية، وكان لهم قضائهم الخاص بهم المستند إلى القانون القوطي القديم و لم تتعرض لهم الدولة الإسلامية في ذلك بشيء[4]، لذلك أصبح بموجب القوانين الإسلامية داخل الأندلس يخضع

---

(١) ابن سعيد: حلى المغرب، ج١، ص١٦٨؛ ج٢، ص٢٦٧.

(٢) الذِّمَّة و الذِّمام، بمعنى العَهْد والأمانِ والضمانِ والحُرْمَةِ، وسُمِّيَ أَهل الذِّمَّةِ ذِمَّةً لدخولهم فـــي عهد المسلمين وأمانهم. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر،بيروت، ط١، ب ت.، ص١٢، ص٢٢١.

والذمة: الأمان في قوله ﷺ: ((المؤمنون تكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم)) أخرجه أبو داود في كتاب الديات، باب أيقاد المسلم بالكافر، (ج ٢/ ص ٥٨٨) برقم ٤٥٣٠؛ وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط.المكتب الإسلامي، برقم ٢٢٠٨.

(٣) انظر الموسوعة الفقهية، محمد روّاس قلعه جي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م،مج٤، ج٧، ص١٢١-١٢٢.

(٤) لطفي عبد البديع، الإسلام في أسبانيا، ص٢٧؛ سامية مصطفى مسعد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص٢١٩ حاشية رقم (٢)؛ عبد الواحد ذنون طه: التنظيم الإجتماعي في الأندلس في عصر الولاة من كتاب دراسات أندلسية المجموعة الأولى، مكتبة بسام، بغداد،العراق، ط١، ١٩٨٦م،ص٩٦.

المسيحيون لسلطات طوائفهم الخاضعة بدورها على الصعيدين المالي والسياسي للدولة الإسلامية[١]، إضافة إلى ما أطلقه بعض المؤرخين عليهم من مصطلحات مثل الروم[٢] أو الروم المعاهدة[٣] أو النصارى المعاهدين[٤] أو المعاهدين[٥]، في حين أطلق عليهم ابن عذاري وابن سلمون اسم العلوج[٦].

وفي الأندلس كان الأكثرية من النصارى يقيمون في قرطبة Cordova ، واشبيلية Sevilla وطليطلة Toledo [٧]، وغرناطة Granada[٨]، وبطليوس Badajoz[٩]، وطركونة Tarragona [١٠]وكانت لهم أحياء خاصة بهم في المدن وكان لهم رئيس يعرف بالقومس (Gomez) وقاض يعرف بقاضي النصارى أو العجم يقوم

---

(١) ميكيل دي إيبالزا: المستعربون. أقلية مسيحية مهمة في الأندلس المسلمة، ترجمة: يعقوب دواني، مقالة في كتاب الحضارة العربية العربية الإسلامية في الأندلس، الجزء الأول، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م، ج١، ص٢٤٥.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص١٠٢؛ مؤلف مجهول:الحلل الموشية، ص١٢٧.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص٤٠.

(٤) الونشريسي: المعيار المعرب، ج٨، ص٥٦؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص٩٠-٩٧،٩٣؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص١٠٦، ص١١٤.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص٧٠-٧١؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص١١٤-١١٩.

(٦) ابن سلمون: العقد المنظم للحكام، ورقة ١٣٤ ب؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص٢٣.

العلوج: جمع علج، وهو الرجل الشديد الغليظ، والعلج الرجل من كفار العجم والأنثى علجة ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار. ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص ٣٢٦.

(٧) لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص٢٧.

(٨) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص٧٧.

(٩) ابن رشد: أبو محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي. فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق: المختار الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط.١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٤٢.

(١٠) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٩١.

بفصل المنازعات التي بينهم فقط[١]، غير أن سكناهم في أحيائهم الخاصة لم يحل دون مخالطتهم سكان الأندلس[٢].

وقد كان للمستعربين دور في نقل الحضارة العربية الإسلامية بعاداتها وتقاليدها إلى أسبانيا المسيحية وأوروبا وذلك بحكم معرفتهم للغتين العربية واللاتينية الحديثة، فكانوا أداة اتصال بين شطري أسبانيا،وهم من الفتح لم ينقطعوا عن الهجرة إلى الأراضي المسيحية، وقد كثر ذلك على عهد المرابطين والموحدين.

ب- **اليهود** ,Los Mar r anos

ويطلق عليهم ابن الخطيب: المعاهَدين[٣] ويطلق عليهم ابن صاحب الصلاة: باليهود الإسلاميين[٤]، وقد برع اليهود في الصياغة[٥] وتجارة الرقيق وبخاصة الصقالبة[٦]، وهيمنوا على المناصب الإدارية والاقتصادية في عصر الطوائف[٧]، وفي عصر المرابطين أصبحوا يشكلون قوة مالية هامة كما ذكرها صاحب كتاب الاستبصار بأن البعض من اليهود صار عنده المال

---

(١) لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا،ص٢٨.

(٢) فقد ذكر الطرطوشي أن للفقيه ابن الحصار بقرطبة جار نصراني يقضي حوائجه وينفعه. أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٣١٩ه، ص١٥٤.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص١٠٦- ص١١٤.

(٤) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص١٨١.

(٥) الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، ص١١٥- ١١٦. ويقول: (وكان سبب دخول أهل الذمة في الصياغة والصرافة أنه لما اتسع نطاق ملك المغرب، وسمت همة أمرائه أن يتميز مكانهم بالأمتعة والأسلحة المصنوعة من الذهب والفضة والمموهة بهما والمكللة بالأحجار النفيسة الرفيعة، أبهة للإسلام ونكاية لعبدة الأصنام، استدعوا الصياغ من سائر الأفاق والأصقاع واجتمع منهم جملة وافرة. فأبدعوا الصنائع العجيبة الفاخرة، فداخلهم إذ ذاك أهل الذمة من اليهود بصناعة الصياغة. واختلفوا بها وأقاموا لها سوقاً لأنفسهم بعد أن كانوا في الحرف الممتهنة).

(٦) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٧١.

(٧) إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص٩٣؛ وفاء بنت عبد الله سليمان المزروع: نفوذ الصقالبة في الأندلس في عصر الإمارة والخلافة (١٣٨ــ ٣٦٦هــ)/(٧٥٥ ــ ٩٧٨م)، السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة، الرياض، القسم الأول، ط١، ١٤١٧هــ / ١٩٩٦م، ص١٠٤

الكثير[١]، ومن المدن التي كان يقطنها اليهود في الأندلس: طركونة[٢] وقرطبةCor dova [٣]، واليسانة Lucena [٤].

وكان لهم أحياء خاصة ويذكر ليفي بروفنسال أنهم استقلوا بأحيائهم الخاصة في المدن الأندلسية وعُرِف الباب المؤدي إلى حي اليهود بباب اليهود[٥]، وكانت أحياؤهم بعيدة عن الشوارع الرئيسية في المدينة الإسلامية، مُشكِّلة مراكز منفصلة لها مدخل واحد أو مداخل قليلة وصفت بأنها شوارع ضيقة جداً بعضها غير نافذ ومزوَّد بمداخل تغلق ليلاً عرفت باسم الدروب. وقد توافرت في أحياء اليهود الكرالات أو الصحون الداخلية، وهو فناء داخلي مزود بمدخل واحد محاط بمساكن، وقد انتشر هذا الأسلوب الخاص بأحياء اليهود في المدن النصرانية، وقد ساعد هذا الوضع على الانعزال وعلى أمن السكان[٦]. ففي غرناطة عرف أحد أرباضها بربض اليهود[٧] لكثرة ساكنيها منهم، وكان يطلق على مدينة غرناطة مدينة اليهود، وغرناطة اليهود[٨]. وقد لقي اليهود التسامح الكبير والمعاملة الجيدة من المسلمين الفاتحين في عصر الولاة أو في العصور التي تليها حتى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس في القرن (٥هـ/١١م)[٩].

وقد أشاد غوستاف لوبون بالمعاملة الحسنة التي لقيها اليهود في الأندلس فيقول: (أن أسبانيا العربية هي البلد الأوربي الوحيد الذي كان اليهود يتمتعون فيه بحماية الدولة ورعايتها)[١٠].

---

(١) مجهول: الاستبصار، ص٢٠١-٢٠٢.

(٢) مجهول: الحلل الموشية، ص١٩١.

(٣) مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص٢٥.

(٤) الإدريسي: صفة المغرب، ص٢٠٥.

(٥) ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص٦٤-٦٥.

(٦) بالباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص٣١٤.

(٧) مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص.٢٥

(٨) الحميري: الروض المعطار، ص٤٥.

(٩) عبد الواحد ذنون طه: التنظيم الإجتماعي في الأندلس في عصر الولاة، ص٨٩.

(١٠) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص٢٩٦.

ومما يدل على تمتع اليهود بالأمن والطمأنينة والحرية في ظل الدولة الإســلامية في الأندلس مشاركة عدد منهم في مناصب الدولة ومنهم حسداي بن شبروط طبيب الخليفة عبد الرحمن الناصر ومبعوثه إلى شانجة Sancho ملك ليون[1]، إضافة إلى نبوغ علمائهم فقد كان للخليفة المرابطي أبو عمر ينالة اللمتوني والي غرناطة كاتب يهــودي الأعــراق والأخلاق[2]، ومن شعراء اليهود الذين نبغوا في عصرهم الشاعر موسى بن عزرا الهالــك (ت ٥٢٢هـ/١١٢٨م) وهو من أهل غرناطة[3].

أما بالنسبة لمدينة فاس فإنها كما يذكر عنها الجغرافيون أنها أكثر بلاد المغرب يهوداً لذلك سُميت بفاس اليهود[4]، ومن المعروف أن فاساً ظلت تابعة للصراع الفاطمي الأموي ولم يلتزم اليهود وقتها بدفع الجزية إلا بعد انضمام المدينة لحكم المرابطين فاعتبروا الجزية ثقيلة عليهم لأنهم لم يلتزموا بدفعها قبل ذلك[5].

وهؤلاء اليهود كانوا يشغلون شارعاً طويلاً جداً وعريضاً للغاية[6]، كما أمر السلطان أبو سعيد المريني سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م) ببناء حي خاص باليهود في مدينة فاس الجديدة[7] يعرف بحي الملاح[8].

---

(١) ابن حيان: المقتبس، ص ٥.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص٧٧.

(٣) محمد مجيد السعيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، بيروت، ١٩٨٥م، ص٥٤-٥٥.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٠؛ القزويني: آثار البلاد، ص١٠٣.

(٥) جمال طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي - عصري المرابطين والموحدين -، دار الوفاء، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٥٥ في سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، ص١٥٥.

(٦) الوزان: وصف أفريقا، ص٢٨٤.

(٧) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤١٤؛ الوزان: وصف أفريقيا، ص٢٨٤.

(٨) **الملاّح**: اسم مكان يطلق على الحي الذي يقيم به الذمي في فاس ومنذ القرن (٨هـ/١٣م) أي في نهاية العصر المريني أطلق على أحياء اليهود في سائر المدن المغربية اسم (الملاّح)، ويسميه ليفي بروفنسال بــ (النبع المالح). انظر: ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص ٣٣٧؛ ليفي بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ص١٠٠.

ومع مرور الزمن أصبح حي الملاح ساحة كبيرة محاطة بدكاكين وبيع وديار حسنة البناء، يعيش فيها اليهود كأنهم منفصلون،وازداد عددهم إلى عشرة آلاف شخص، معظمهم ممن طردوا من أسبانيا سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) (١).

ويعد السبب في تخصيص حي الملاّح لسكن اليهود وبنائه من أجلهم، إلى اعتداء أهل فاس القديمة عليهم نتيجة قيامهم بأعمال أثارت حفيظة المسلمين في هذه المدينة(٢)، وكان ليهود الأندلس تجارة واسعة مع شمال أفريقيا وبقية البلدان الإسلامية.

وكان التجار اليهود الأندلسيون يجلبون معهم إلى المغرب الأقمشة الحريرية والنحاس والسقمونيا وصبغة النيلة وصبغة اللُّك، ويستوردون منها الكحل.

وكانوا يجلبون الشَّب بكميات كبيرة من مراكش، وأنَّ السلع الأندلسية المصنَّعة كانت تنقل من قبلهم إلى الشمال الأفريقي.

وقد تكلم عنهم صاحب الاستبصار الذي كان شاهداً لأوضاع اليهود في المغرب خلال القرنين (٥ و٦هـ/١١و ١٢م) فقال: (أما الآن فهم تجار أهل البلاد كلها وأغنياؤها، وخاصة بمدينة فاس فإني عاينت منهم من يقال عنده المال المحدود رجالاً كثيرين،وقد تنبه لهم الأمر العالي أيد الله دوامه سنة٥٨٢هـ فلبس المرتشون وشوش المشوشون وخوف المفتشون)(٣).

ومن علماء اليهود الأندلسيين الذين أقاموا في مدينة فاس الفيلسوف (موسى بن ميمون Mois ibn Maimind) الذي نزح من قرطبة سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) واستقر بفاس في موضع بدار المحنة أو كما يسمى مترل الساعاتي أو مترل التوقيت لمدة

---

(١) عطا علي محمد شحاته ريّه: اليهود في بلاد المغرب الأقصى، ص٨١ ولقد ورد سؤال على قاضي الجماعة في فاس أورده المهدي الوزاني في نوازله المسماه ب(المعيار الجديد) يقول فيها بجواز انفراد اليهود في حارة خاصة بهم والحرية في العمل فيها بشرط أن لايكون ذلك فيه ضرر على المسلمين في فاس. الوزاني: أبو عيسى سيدي المهدي (ت١٣٤٢هـ). المعيار الجديد المُعرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب، تصحيح: عمر بن عبّاد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٣، ص١٠٩.

(٢) ابن أبي زرع: الذخيرة، ص١٦١؛ الأنيس المطرب، ص٤٠٤.

(٣) مجهول: الاستبصار، ص٢٠١. وكأنه أراد أنه تنبه لهذا الحكام لكن اليهود سعوا بالرشوة لصرفه عنهم.

خمسة أعوام في عهد عبد المؤمن بن علي ثم انتقل منها إلى فلسطين سنة (٥٦٠هـ/١١٦٥م)[١].

٤. **المولدون**

أطلق اسم المولدين في بادئ الأمر في المغرب، وهو الجيل الذي ولد من أمهات من البربر وآباء من العرب خلال الفترة التي استغرقها فتح بلاد المغرب من سنة(٢٠هـ/ ٦٤١م) إلى (٩٠هـ/ ٧٠٩م)، فالفاتحون العرب تزوجوا نساء من البربر وملكوا الكثير من سبايا البربر أثناء فتوحاتهم وعن طريق هذا الزواج اختلطت دماء العرب الفاتحين بدماء البربر، وأنشأوا جيلاً من سكانها، وتزوجوا منهم وكان من نتائج الزواج بسكان الأندلس نشوء جيل جديد أُطلق عليه (المولدون) وهم الذين ولدوا من آباء مسلمين ونشأوا على الإسلام[٢]، نشأ هذا الجيل متأثراً بأصله وآبائه وأجداده، فضلاً عن تأثره بمجتمعه، ومن ثم كان لهم سمات خاصة، وشخصية متميزة أسهم في تكوينها إقليمهم وأصلهم، وموضع بلادهم، واقتصاد بيئتهم[٣].

وكان من شأن كثرة أبناء المولدين انتشار اللغة الرومانسية بين الأندلسيين وهي اللاتينية الحديثة[٤]، ومن المولدين تداخلت العربية والرومانسية تداخلاً كان من مظاهره

---

(١) **موسى بن ميمون أبو عمران،** (ت ٦٠١هـ/١٢٠٤م)، أحد أعمدة الفكر الفلسفي اليهودي العربي في القرون الوسطى،من أكبر أحبار اليهود، ولد في قرطبة، وقد عرف عند مؤلفي كتب التراجم العرب بـ(الرئيس)، وعند الغربيين بـ (ميموند)، كما أطلق عليه اليهود (رمبم)، وهو مختصر لـ (الربي موسى بن ميمون)، توفي في مصر ونقل جثمانه إلى طبرية. أحمد شحلان: من الفكر الفلسفي اليهودي العربي أبو عمران موسى بن ميمون وكتابه دلالة الحائرين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، العدد ٥ و٦، ١٩٨١م، ص١-٢٥.

(٢) لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٦٩، ص٢٤؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص١٢٨-١٣٠.

(٣) أحمد هيكل: الأدب الأندلسي،دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٤٩.

(٤) لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص٢٥. **والموشحات** هي: شعر عربي بني على أغنية شعبية كانت شائعة باللغة اللاتينية الحديثة التي تعرف بالرومانسية، وكان مخترع الموشحات هو مقدم بن معافى القبري من شعراء الأمير عبد الله، ويعرف الجزء الأخير من الموشحة با (الخرجة)، وهو الذي يتضمن ألفاظاً رومانسية، لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص٧٩.

نشأة فن الموشحات[1]، انتقل هذا الفن مع الأندلسيين من خلال هجرتهم واستقرارهم في مدينة فاس وهو ما ذكره لنا ابن خلدون: (ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فناً آخر من الشعر، في أعاريض مزدوجة كالموشح، نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضاً وسموه عروض البلد وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير، فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الإعراب إلا قليلاً مطلعها:

أبكاني بشاطي النهر نوح الحمام على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف السحر يمحو مداد الظلام وماء النـــدى يجري بثغر الأقاح
باكرت الرياض والطل فيها افتراق كثـــير الجواهر في نحور الجوار
ودمع النواعــــير ينهرق انهراق يحاكي ثعـــــابين حلقت بالثمار)[2].

٥. **الصقالبة** Esclaves

ويطلق على أسرى الحروب الذين كان يأسرهم الجرمان والإسكندنافيون ويبيعونهم للأندلسيين[3]، أو من الأسرى الذين اعتقلوا أثناء حملات المسلمين على حدود الأندلس في العهد الثاني من الخلافة الأموية[4].

ثم شمل لفظ الصقالبة الرقيق الذين هم من أصل أجنبي سواء من أوروبا أو من أسبانيا ذاتها[5]، وكانوا ينخرطون في سلك الجندية أو يتخذون لخدمة الحرم في القصور[6]،

---

(١) لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص ٧٩.

(٢) المقدمة، ج١، ص٣٨٩.

(٣) العبادي: الصقالبة في أسبانيا، مدريد، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، ص٩؛ لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص٣٦.

(٤) ج.س.كولان، الأندلس، ص٩١-٩٢.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٦؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت،ط٤، ١٩٦٥م.

(٦) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٠٦.

وقد جاء أغلب الصقالبة إلى أسبانيا أطفالاً وربوا تربية إسلامية ودربوا على أعمال القصر والحرس والجيش(١).

وأصل كلمة صقلبي Esclaves فرنسي قديم معناه عبد أو رقيق(٢)، وكان الخلفاء يحرصون على شرائهم صغاراً من كلا الجنسين حتى ينشئوا على الولاء التام للأمير أو الخليفة، فيكسبوا ثقته، وأول من استخدمهم الأمير الأموي الحكم الربضي، وعظم شأنهم في أيام الناصر لدين الله فتولوا المناصب الهامة وقيادة الجيوش،واستكثر منهم الحكم المستنصر(٣) فكثرت أعدادهم في الخلافة الأموية حتى بلغوا أكثر من (١٥) ألفاً في قرطبة وحدها(٤)، وكان لهم دور في اقتصاد الدولة إضافةً إلى مساهمتهم إلى حد كبير في انهيار الدولة الأموية(٥).

وبعد انهيار الدولة الأموية في الأندلس ظهر الصقالبة في المسرح السياسي كقادة سياسيين من أبرزهم زهير الفتى الذي كان عبداً للمنصور بن أبي عامر(٦)، واستأثروا بشرق الأندلس وأنشأوا فيه الممالك، فكان في بلنسيةValencia مبارك والمظفر الصقلبي، وفي طرطوشة Tor tosa لبيب، وفي دانية Denia أبو الجيش مجاهد، وفي المرية Almer ía

(١) العبادي: الصقالبة في أسبانيا، ص٨-٩؛ حسين مؤنس:معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٩٧؛ وفاء المزروع: نفوذ الصقالبة في الأندلس في عصر الإمارة والخلافة، ص٩٣.

(٢) العبادي: الصقالبة في أسبانيا، ص٨؛ عمر مصطفى لبيب: تاريخ الصقالبة في الأندلس، مركز البرنس للطباعة، ط١، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٣م، ص٦.

(٣) لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص٣٧.

(٤) إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص٤٥؛ وفاء المزروع: نفوذ الصقالبة، ص١٠٣.

(٥) ج.س.كولان: الأندلس، ص٩٢.

(٦) ابن بسام: الذخيرة، ج٢، ٦٥٩؛ ابن خاقان: محمد بن عبد الله (ت ٥٢٨هـ). قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق وتعليق: حسن يوسف خليوش، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٩م، ج٥، ٤٠.

خيران وزهير في مرسية Mur cia [١]،وفي العصر المرابطي استُعْمِلَ مصطلح الروم والحشم و العلوج والفتيان بدلاً عن الصقالبة[٢]، وقد وفدت عناصر الصقالبة لتعمل في دولة نكور أو لتابع في أسواق الرقيق[٣].

٦. الأندلسييون

اختلفت الآراء في الأندلسيين فمنهم من يذكر أنه يشمل العرب والبربر.

يقول كحيلة: (وصار يشار إلى أهل الأندلس القدامى من العرب والبربر باسم الأندلسيين أو البلديين أو أهل البلد)[٤]، ومنهم من يُسمي المولَّدين بالأندلسيين[٥]،

وبغض النظر عن الأصول الأولى لهذه الجماعة عربية كانت أم بربرية، أم من السكان الأصليين الذين أسلموا؛ فقد اندمج أحفادهم في المسلمين، أما العبيد الذين اعتنقوا الإسلام فقد غدوا جزءاً من مجتمع أسيادهم الأولين بالولاء[٦].

وقد اتسمت حياة الأندلسيين بالهجرة إلى فاس وغيرها من المدن المغربية واستقرارهم فيها فراراً من الفتن في بلادهم [٧]، ومعظمهم كان من أرباب الحرف والصناعات وكان لذلك دور كبير في النواحي الحضارية في فاس، ويذكر المراكشي فرار الأندلسيين من قرطبة بعد اضطراب الدولة الأموية فيها وموت الحاجب محمد بن أبي عامر

---

(١) لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص٣٧؛ عباد كُحيلة: تاريخ النصارى في الأندلس، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٣٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة،ج١، ص٤١٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ص٢١؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص٢٥.

(٣) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص٩٣.

(٤) تاريخ النصارى في الأندلس، ص٢٥.

(٥) سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص٢١٥.

(٦) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص٨٥.

(٧) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٧، وانظر مبحث الهجرة.

وابنه، فقد رحل من كان فيها من العلماء والفضلاء من كل طبقة فراراً من الفتنة فنزل أكثرهم مدينة فاس[1].

العادات الاجتماعية

ساعدت العوامل السياسية والاقتصادية والمظاهر الجغرافية بين الأندلس وفاس إلى وجود نوع من التأثير والتأثر بينهما، وإن كان هذا التأثير قد ظهر أكثر وضوحاً في مجتمع فاس بسبب المهاجرين إليها من الأندلس، هذا، وقد انتقلت بعض من عادات المغرب بصفة عامة إلى الأندلس التي تأثرت بعادات الوافدين إليها. وفيما يلي تبيان لمظاهر التأثير والتأثر بين الأندلس وفاس.

انتقل إلى الأندلس مع الفتح الإسلامي بعض مظاهر الحياة على أرض المغرب، منها الاحتفالات العامة والخاصة، فمن ذلك الاحتفال بالأعياد الإسلامية، عيد الفطر، وعيد الأضحى[2]، خاصة وأن بلادهم لم تعرف هذين العيدين قبل الإسلام، واهتم المسلمون بإحيائها في المغرب والأندلس، وكانوا يستعدون لهذا اليوم بتجهيز أفخر الثياب وأطيب الرياحين، ليظهروا بمظهر رائع، حتى إذا جاء العيد وسّعوا على أنفسهم، وعلى أولادهم بالإنفاق، وينشد الشعراء الشعر وذلك بعد صلاة العيد[3].

ومن الاحتفالات أيضاً المولد النبوي الشريف[4]، ويتعللون في الاحتفال به بأن الرسول ﷺ هو المثل الأعلى، وأفضل الخلق، والوساطة بينه وبين الحق وسبب الهداية [5]، إلا أن الاحتفال بالمولد النبوي لم يصبح له صبغة رسمية في المغرب والأندلس إلا في أواخر

---

(١) المعجب، ص١٠٥.

(٢) عبد المرضي محمد عطوة زايد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص٣٤٦.

(٣) الخشني: تاريخ قضاة الأندلس، ص٤٨؛ خلاف محمد عبد الوهاب: قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر ميلادي/الخامس الهجري، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص٣٠٣،٣٠٢.

(٤) أحمد مختار العبادي: الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مدريد، المجلد ١٥، ١٩٧٠م، ص٨.

(٥) ابن الخطيب: ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، دراسة وتحقيق: محمد الشريف ماهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ١٩٧٣م، ص٢٨٠-٢٨١.

القرن (٧هـ/١٣م)[١]، ويذكر ابن خلدون بأن صاحب سبته وطنجة الشريف أبو القاسم العزفي (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م) أول من استن مشاركة الدولة في الاحتفال بالمولد النبوي، وجعله عيداً وطنياً رسمياً في إمارته، وقد ألف الشريف أبو القاسم العزفي كتاباً حول هذه المناسبة أسماها: "الدرُّ المنظم في مولد النبي المعظم"[٢].

ثم انتقلت هذه **البدعة** إلى فاس،وغرناطة، وتلمسان وتونس، حيث شاركت حكومات هذه الدول في الاحتفال بالمولد النبوي[٣].

وأول من اعتنى بالاحتفال بالمولد النبوي السلطان يوسف بن يعقوب بن عبدالحق المريني، ففي سنة (٦٧١هـ/١٢٧٢م) أمر بعمل المولد النبوي وتعظيمه والاحتفال له وصيره عيداً من الأعياد في جميع بلاده[٤].

وأصبحت **بدعة الاحتفال بالمولد النبوي** عادة عند سلاطين بني مرين من بعد، ففي عهد السلطان أبي الحسن المريني كان يستعد الناس لهذه المناسبة بأنواع الطعام والحلويات، والطيب والبخور، وإظهار الزينة والتأنق فيها[٥]، وبالغ أبو عنان المريني في الاحتفال بالمولد النبوي حتى اعتبره ابن أبي دينار أول من اعتنى بهذه المناسبة من بين سلاطين بني مرين[٦].

وقد ذكر الحسن الوزان أنه في العصر المريني كان شعراء فاس يجتمعون كل عام بمناسبة المولد النبوي وينظمون القصائد وكانوا يجتمعون كل صباح في ساحة القناصل.

(١) أحمد العبادي: الأعياد في مملكة غرناطة، ص١٦.

(٢) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، نشر: محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة، ١٩٥١م، ص٣٠٩.

(٣) يحيى بن خلدون: بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق. د. عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٢، ص٤٠؛ المقري: نفح الطيب،ج٨، ص٢٦٤.

(٤) السلاوي: الإستقصا، ج٢، ص٤٣؛ ابن القاضي: جذوة الإقتباس، ص٢٤٥.

(٥) محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٣٣٣.

(٦) ابن أبي دينار: أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني. المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية،ط١، ١٢٨٦هـ، ص١٤٥.

يصعدون منصة ويلقون قصائدهم الواحد تلو الآخر أمام الجماهير ويختار أحسن الشعراء نظما وترتيلا أميرا للشعراء في تلك السنة وكان ملوك بني مرين يقيمون مأدبة للشعراء في مدح الرسول يحضره السلطان وتقام منصة ويحكم الحاضرون على أحسن شاعر، ويخلع عليه خلعة عبارة عن مائة دينار وفرس وأمة مع خمسين دينارا للباقين، ولكن منذ مائة وثلاثين سنة تقريبا توقفت هذه العادة(١).

ومن الأعياد التي انتقلت إلى فاس وانتشرت في بلاد المغرب عيد النيروز(٢).

ومن أعيادهم: عيد المهرجان أو العنصرة(٣)، وهو عيد فلاحي كان الأندلسيون يحتفلون به في كل عام(٤) وهذه الأعياد شاركها المسلمون مع المستعربين في الأندلس(٥).

ولطالما اشترك المسلمون والنصارى في الأعياد الإسلامية و المسيحية واستخدموا المبنى الواحد مسجداً وكنيسة(٦)، وترجع مشاركة المسلمين للنصارى في أعيادهم إلى الحياة المشتركة التي عاشها المسلمون والمسيحيون جنباً إلى جنب قروناً طويلة، وترجع أيضاً إلى نظرة الاحترام التي يكنها المسلمون نحو المسيح عليه السلام(٧).

---

(١) الوزان: وصف أفريقيا، ص

(٢) **عيد النيروز**: هو اليوم الأول من العام الشمسي في فارس، وانتقل الاحتفال به إلى الأندلس،وجعلوه في الربيع دون أن يرتبط بأول العام الجديد. محمد زغروت. العلاقات بين الخليفة الناصر الأموي ومعاصريه الفاطميين في الشمال الإفريقي، رسالة دكتوراة، كلية دار العلوم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م،ص١٧٦.

(٣) **عيد المهرجان**: ويسمى أيضاً بعيد (العنصرة)، فيحتفلون به ما بين اليوم السادس واليوم الرابع والعشرين من شهر يونية من كل عام. عبد العزيز بن عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، ج١، ص٤٠؛ محمد زغروت: العلاقات بين الخليفة الناصر الأموي ومعاصريه الفاطميين بالشمال الإفريقي،ص ٣٤٥.

(٤) ولا يزال المغاربة يحتفلون به إلى الآن. انظر: عبد العزيز بن عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، ج١، ص٤٠.

(٥) عثّباد كُحيلة: تاريخ النصارى في الأندلس، ص١٧٥- ١٧٦.

(٦) نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ج١، ص٨٨.

(٧) أحمد مختار العبادي: الأعياد في مملكة غرناطة، ص٨. إلا أن الصحيح تحريم مشاركتهم في هذه الأعياد لأن المسلمين يعتقدون نبوة عيسى عليه السلام، وهم يعتقدون إلهيته.

أما ملابس أهل الأندلس فقد اعتاد الناس على لبس الملابس البيضاء في الحزن خلاف أهل المشرق العباسيين الذين يميلون إلى ارتداء الملابس السوداء[١] فصاروا معروفين بالملابس البيضاء عند الحزن [٢].

وكان لون البياض في الأندلس من الألوان المحببة إلى أهلها، إذ يمثل الطهر والنقاء وهو ما كان يفضله الجند في ملابسهم وبعض أمراء البيت الأموي[٣]، وكان شيوع استخدام الملابس البيضاء من التأثيرات المشرقية التي تأثر بها أهل الأندلس تأثيراً واضحاً في عادات اللبس لاسيما مع دخول زرياب[٤] إلى قرطبة سنة (٢٠٦هـ/٨٢٢م)[٥]،فإنه رأى أن يلبس الناس اللون الأبيض ابتداء من أول يوم في عيد العنصرة المهرجان ٢٤ يونيه إلى أول أكتوبر[٦] يقول المقري في ذلك بأن زرياب دفعهم إلى ترك الثياب الملونة بقية أشهر السنة، كما جعلهم يلبسون الثياب القاتمة اللون والمصنوعة من الثقيلة كالصوف والفراء في الشتاء)[٧].

---

(١) أحمد هيكل: الأدب الأندلسي، ص٥٢؛ سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال في الأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، ج٢٧، ١٩٩٥م، ص١٧٠.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق١، ج٢، ص٩١٤.

(٣) سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال في الأندلس، ص١٧١.

(٤) **زرياب**: هو أبو الحسن علي بن نافع (ت٢٣٨هـ/٨٥٢م)، فارسي الأصل، مولي الخليفة العباسي المهدي، الملقب بزرياب، أحد تلامذة إسحاق الموصلي(ت٢٣٥هـ/٨٥٠م) ومن كبار الموسيقيين في العصر العباسي، هاجر إلي القيروان من جراء منافسة إسحاق له و مضايقته إياه لما كان يتمتع به من موهبة، و من القيروان انتقل زرياب إلي الأندلس سنه (٢٠٦ هـ /٨٢١م) فأسس بها أول مدرسة موسيقية، و زاد وترا خامسا للعود، كما اخترع له مضربا من قوادم النسر عوضا عن الخشب، اشتهر بكثرة ألحانه التي قيل إنها بلغت عشره آلاف مقطوعة، ابتدع طرقا جديدة في الغناء، وذلك بافتتاحه بالنشيد يليه ما كان علي وزن البسيط ويختم بالمحركات وهي القاعدة التي أصبحت تعتمد في التأليف الموسيقي في المشرق و المغرب العربيين. المقري: نفح الطيب، ج٢، ص٧٤٩؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر ، بيروت، ط٢، ج٤، ص٣٥٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١، ص ٢٨٦.

(٥) ريم حمد إبراهيم العيدي: الحياة العامة في إشبيلية من الفتح الإسلامي وحتى نهاية الخلافة الأموية (٩٢-٤٢٢هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود،١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٤٥.

(٦) سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال في الأندلس، ص١٧١؛ عبد المرضي محمد عطوة زايد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص٣٤٩.

(٧) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٢٢

ويذكر المقري نقلاً عن ابن سعيد أن الغالب على أهل الأندلس ترك العمائم لاسيما في شرقها، بينما أهل غرب الأندلس كانوا لايتركون لبس العمائم، فلا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيها مشارا إليه إلا وهو بعمامة، وقد تسامحوا بشرقها في ذلك(١).

وكانت المرأة في الأندلس تلبس الخمار، وهو من الأقمشة الحريرية التي تختلف من حيث درجة الجودة والشفافية والثمن، فتضعه على رأسها وينسدل على وجهها، واستعملت المعاجر وهو أشبه بما يسمى الآن بالشيفون، وهو حرير شفاف تغطي به الوجه أو تشد به الرأس(٢)، وتفننت النساء في لبس المصبغات والمذهبات والديباجات من الملابس،وحُلِيّهن من القلائد والخلاخل من الذهب الخالص، والفضة والأحجار الكريمة من الياقوت والزبرجد والزمرد ونفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة إلى ظل دولة أو أصالة معروفة، وبالغن في استعمال أشكال الحلي(٣).

أما بالنسبة لتأثر فاس بعادات الأندلسيين في الملابس، فيظهر ذلك في كونهم فضلوا الملابس البيضاء.

ويُذكر أن المغاربة اتبعوا هذه العادة الأندلسية، وهي ارتداء الملابس البيضاء، في عيد المهرجان أو العنصرة (٤) كما أن سلاطين بني مرين اختصوا لأنفسهم بلبس البرنس(٥) الأبيض الرفيع، وكان لا يلبس هذا النوع من الثياب ذو سيف غير السلطان(٦).

---

(١) نفح الطيب، ج١، ص٢٠٧.

(٢) عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص١٥٨.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص١٣٨.

(٤) عبد العزيز بن عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، ج١، ص٤١.

(٥) **البرنس**: هو كل ثوب رأسه منه متصل به سواء أكان دراعة أم ممطراً أم جبة، انظر: ابن سيدة: المخصص، ج٤، ص٨١. ويعرفه دوزي بأن: (كلمة البرنس قد عنيت في الأزمنة القديمة طاقية، إلا أنها تشير إشارة في العصور الحديثة إلى معطف ضخم له قلنسوة). انظر: دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة. أكرم فاضل، طبعة وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧١م، ص٦٦؛ ويذكر ابن حيان أن البربر في المغرب والأندلس يفضلون ارتداءه.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٣- ٢٠٤.

وأصبح لبس السروال من ملابس المجتمع المغربي، كما كان لباساً مهماً شاع بين طبقات المجتمع المغربي في العصر الإسلامي من الخلفاء والسلاطين والحكام[1]،والكتاب والفقهاء والقضاة وقادة الجيش والجند[2]، وكانت من الكتان بألوانه الأبيض والأسود والأزرق، لذلك فقد كانت سراويل الجند في الأندلس والمغرب متشابهة يتضح هذا من الرسومات المحفورة في علب العاج التي تصنع في الأندلس، ويتبين أيضاً أن الفرسان من الصيادين كانوا يرتدون سراويل تصل حتى الأقدام وتكاد تلتصق بالسيقان بحيث تبدو كما لو كانت جوارب[3].

أما عن ملابس اليهود في الأندلس، فلم يُلزموا بزي خاص بهم خلال فترة الدولة الإسلامية قبل الموحدين يدل على ذلك ما حدث في الأندلس أيام المرابطين حيث قال ابن عبدون: (يجب أن تكون لهم علامة يعرفون بها على سبيل الخزي لهم)[4]، كما أن الفقهاء في فترات لاحقة نهوا عن محاولة الذمي التشبه بالمسلم في زيّه[5]،وكانت لليهود عمائم خاصة بهم ذات اللون الأصفر[6].

ويفهم ذلك من رواية للمراكشي أن يهود الأندلس لم يلزموا بزي خاص قبل عصر الموحدين حيث يقول: (وفي آخر أيام أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي أمر

---

(١) صالح بن يوسف بن قربة. مقدمة لدراسة الملابس المغربية – الأندلسية في العصر الإسلامي من خلال المصادر التاريخية والأثرية، مجلة التاريخ العربي، العدد١٤، ربيع ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٥٥-٥٦.

(٢) الخالديان: أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابني هاشم: كتاب التحف والهدايا، مجموعة نصوص عربية ودراسات إسلامية، العدد ١١، دار المعارف، مصر، ب ط، ب ت.ص١٥٧.

(٣) زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ب.ط، ١٤٠١هـ/١٩٨١م؛ ص١٤٣؛ محمد عبدالعزيز مرزوق. الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ، المجمع العراقي، بغداد، ص ١٧٩، ١٩٢.

(٤) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص٥١.

(٥) الونشريسي: المعيار المعرب، ج٦، ص٦٩.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٢٣.

أن يميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم، فقد مُنعوا من ارتداء زي الفقهاء والرجال الأخيار) [١].

ويظهر مما سبق أن اليهود كان لهم زي خاص حتى يمكن التمييز بينهم وبين غيرهم من المسلمين خاصة بعد تظاهرهم بالإسلام[٢].

ويذكر الونشريسي نازلة مسألة وردت على أحد أصحاب القاضي أبو بكر ابن العربي بطنجة من مدينة فاس أن رجلاً يهودياً كان يرتدي عمامة وخاتماً،ويركب السروج على فاره الدواب، ويجلس في حانوته دون غيار ولا زنار يعرف به، ويمشي كذلك في الأسواق بغير غيار يعرف به، بل بأفضل زي كبار المسلمين وأحسنه، فبَيِّن لنا كيف الواجب عليهم من التزامهم حكم أهل الذمة؟[٣].

٦. المأكل والمشرب: اشتهرت الأندلس بأنواع وأصناف متعددة من الأطعمة، وقد ألفوا كتباً في ذلك منها كتاب "الطبيخ في المغرب والأندلس" لمؤلف مجهول[٤] وكتاب "فضالة الخوان في طيبات الطعام" لابن رزين التجيبي[٥].

ودخل الأندلس ألوان من مأكولات العدوة المغربية مثل الكسكسى[٦] ولون المخلل الذي عرف بالمغرب بطعام الغرس والكنافة[١]، وكان لليهود ألوان من الطعام خاص بهم

---

(١) المعجب، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٢) الزركشي: محمد بن إبراهيم بن لؤلؤ (ت بعد ٩٣٢هـ). تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٢، ١٩٨٤م، ص١١.

(٣) المعيار المعرب، ج٢، ص٢٥٢- ٢٥٤؛ ويذكره أبو عيسى الوزّاني: المعيار الجديد، ج٣، ص١٠٩.

(٤) عن الكتاب انظر: مؤلف مجهول. كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحقيق: أمبروزيو أويثي ميراند، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد ٩-١٠،١٩٦١- ١٩٦٢م

(٥) عن الكتاب انظر: ابن رزين التجيبي: أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم (عاش في القرن ٧ه). فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق. محمد بن شقرون، بيروت، ١٤٠٥ه/١٩٨٤م.

(٦) طعام مشهور يصنع من البر، ويسقى بالمرق ويضاف عليه اللحم والخضار. عبد الأحد الرايس: الفوائد التاريخية لتصنيف النباتات بفاس من خلال كتاب حديقة الأزهار لأبي القاسم الغساني، مجلة التاريخ العربي، العدد الثامن عشر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٣٨.

مثل حجلة يهودية وفروخ يهودي[2]. ومن الأطعمة التي أدخلها زرياب ولم يكن أهل الأندلس يعرفونها من قبل الإسفنج وهو معروف عند المشرق الإسفراج[3] والتفايا[4] وتقلية زرياب[5]، ولم يقتصر تأثيره على الأطعمة فقط بل نجد أنه يُنسب إليه استخدام الموائد الخشبية والكؤوس والأواني الزجاجية وأسمطة الطعام الجلدية[6]، وينسب إليه أيضاً تعليم الأندلسيين الأكل بالملاعق والسكاكين بدلاً عن الأصابع[7].

وخرج بهم عن الأطعمة البدائية القديمة وهي العصائد والثريد إلى الألوان المعروفة عند أهل المشرق [8]، وباعتبار هذه العادات في الأكل من عادات الأندلسيين فلابد من انتشارها في مدينة فاس بعدما هاجروا إليها واستقروا فيها.

٧. العادات والتقاليد

كان للعائلة الأندلسية دور هام داخل المجتمع، وكان المسؤول عن الأسرة الأب صاحب القرارات فيها وتساعده المرأة في إدارة أمور المترل وتسييره[9]، وأثر الإسلام فيها واضح في تنظيم الأسرة من نكاح وطلاق، ومن خلال مناقشة أهل الحسبة لقضايا الزواج والتأكيد عليها في مسائل بذاتها يدل على وجود مشاكل واجهت المجتمع فيها من تشديد

---

(١)مجهول: كتاب الطبيخ، ص٢٦؛ ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص١٨.

(٢) مجهول: كتاب الطبيخ، ص ٦٧- ٦٨، ٧٠- ٧١، ٧٤.

(٣) هو طعام معروف عند العباسيين في المشرق مثل بقلة الهليون. انظر: ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص١٨.

(٤) وهي من أنواع التفايا البيضاء التي تحضر من لحم الضأن. انظر: مجهول: كتاب الطبيخ، ص٨٥- ٨٨، ١١٨، ١١٩.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص١٢٨. وذكرت بقلية زرياب؛ مجهول: كتاب الطبيخ، ص١٦٠.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص١٢٨.

(٧) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٣٣؛ شوقي ضيف. الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية،مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد ٢٣،سنة ١٩٨٥-١٩٨٦م، ص١٠.

(٨) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٣٣.

(٩) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص١٩٢.

أهل الحسبة في النكاح على الولي والشهود والصداق، وأن يكون أقل الصداق ربع دينار كما في مذهب مالك، وأن يكون الزوج من ذوي الدين والكفاءة(١).

أما بالنسبة لموضوع الخِطبة فكانت عملية اختيار الزوجة تتم عن طريق الأهل والأصدقاء أو عن طريق الأمهات وأحياناً عن طريق النساء المسنات اللاتي لم يتزوجن، وكانت حفلات الزواج تجري بالاتفاق بين والد العروس والزوج، وقد تستمر الحفلات أسبوعاً كاملاً في مترل العروس التي تزف وسط الموسيقى والغناء في موكب كبير(٢)؛ ونهى أهل الحسبة عن اختلاط الرجال بالنساء وعن تقديم الخمر والطرب ما عدا الدف العربي في مثل هذه المناسبة(٣).

أما بالنسبة للأسرة فإنها تعتبر مقدسة عند المجتمع الفاسي لأنها الخلية الطبيعية لنشأة الطفل،كما هو الحال تخضع لسلطة الأب بوصفه الرئيس المطلق للعائلة(٤)، لذلك فما كان من عادات هذه الأسرة ما هو إلا من أصول التعليم الإسلامي أو من صنع الحضارة العربية،أو من خصائص الحضارة المغربية الأندلسية ذات الطابع الثقافي والأسلوب الفني المميز(٥).

ويستنتج من د.عبد الهادي التازي أن من عادات فاس في الخطبة والزواج هو يشبه تماماً كما في الأندلس تتم الخطبة عن طريق الأم أو باستعانتها بإحدى السيدات من رفيقاتها أو قرابتها أو جيرانها لتتصل بأم العروس(٦)، وإضافة لدور الأم في الخطبة، وهو أمر

---

(١) ابن عبد الرؤوف: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ص٧٩- ٨٣؛ ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام، ص٢٨٣.

(٢) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص٥١.

(٣) الجرسيفي: رسالة في الحسبة، ص١٢١.

(٤) إدريس الكتاني:الأسرة المغربية التقليدية- تكوينها-عاداتها وتقاليدها-بنياتها الاجتماعية، مجلة البحث العلمي، الرباط، العدد٧،السنة ٣، رمضان- محرم/ يناير إبريل، ١٣٨٥-١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص١٢٨-١٢٩.

(٥) الكتاني: الأسرة المغربية التقليدية، ص١٢٨.

(٦) عبد الهادي التازي: أعراس فاس، ص٤.

يعتبر من العادات المتبعة في القديم؛ وجود دكاكين خاصة في بعض الأحياء يعتريها شيوخ عرفوا بتقصيهم لحالة منطقتهم، فهم يعرفون الأسر والعائلات الموجودة في أحيائهم كبيراً وصغيراً ولذلك فإن الناس يلتجئون إليهم لاستشارتهم فيما يعتزمون عليه من الخطبة، وهم يعرفون الصالح لهذا الزوج من النساء والصالح لهذه الزوجة من الرجال... وما يزال نهج إلى الآن من أحياء فاس يدعى نهج الأبارين قرب جامعة القرويين لكن وظيفة هذه الدكاكين انقرضت على أن جامع الأباريين ظل إلى عهد قريب مكاناً مقصوداً لاجتماع العائلات من أجل كمالة العطية – أي الاتفاق النهائي بين الطرفين – [1].

ونقل الوافدون إلى مدينة فاس طباع العرب والبربر وأخلاقهم التي كان لها طابع أندلسي إسلامي حيث يذكر أن مدينة فاس وتطوان غلبها الطابع الأندلسي بفعل المهاجرين إليها في ميدان التجارة والاقتصاد والموسيقى حتى أنه يلاحظ وجود الأعراف والتقاليد التي يرجع أصلها إلى المهاجرين الأندلسيين[2].

وانتقل احترام المرأة مع الفاتحين المسلمين للمغرب والأندلس وهو مما رفع شأنها في البلاد ويشهد ليفي بروڤنسال على ما كان للمرأة المسلمة الأندلسية فيقول: (فقد ثبت أن المرأة في إسبانيا الإسلامية كانت تتمتع بقدر من الحرية، وكان لها في حياة الأسرة والمجتمع دور أهم بكثير مما كان لبنات جنسها في بقية العالم الإسلامي)[3].

٨. التأثير الأندلسي في عمارة فاس

تعتبر مدينة فاس ذات شخصية أندلسية حيث تأثرت بالفن الإسلامي الأندلسي الراقي الوافد عليها من سكان الأندلس تأثراً واضحاً ينطق به كل جزء فيها، ابتداءً من المساجد والأسواق والساحات العامة، وانتهاء بالبيوت والأحياء والعادات حتى نرى أن المتجول في المدينة يُخيل إليه أنه في داخل مدن الأندلس وليس في مدينة فاس.

---

(١) عبد الهادي التازي: أعراس فاس، ص٦، ٣١ هامش رقم(٧).

(٢) عبد العزيز بن عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، ج١، ص٣٩.

(٣) ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص٢٩٩.

فوصل إلى المدينة تصميم شوارع الأحياء الأندلسية التي توصّل إلى بوابات سور المدينة الواقعة في الاتجاه المضاد مارة بالنواة السكنية المركزية التي كان يتوسطها عادةً المسجد الجامع والمركز التجاري المهم داخل القيصرية، فوجود هذه الأماكن بالإضافة إلى وجود المسجد الجامع مع حركة المرور والمسافرين الداخلين والخارجين عبر تلك الشوارع، كل هذا يجعل البلدة مزدحمة وصاخبة. وكانت أبواب الأسوار في المدينة تعطي أسماءها لأزقة تنفتح عليها مثل باب اليهود في غرناطة والذي يدل على حي اليهود(١).

وهذا بالإضافة إلى أن أزقة المدن الأندلسية كانت ضيقة ومتعرجة ومُبَلطَة تأثرت بها فاس فيذكر أنه يوجد بها زقاق يسمى سبع لويات(٢) أي منعطفات ونضيف أيضاً ما ذكره ليون الأفريقي بأن ساحة مدينة فاس التي أمام مسجد الأندلسيين كانت مرصفة كما هو الحال في ساحات بعض مدن الأندلس وأزقتها(٣)

أما بالنسبة للمنازل فنجد أن المترل الفاسي لا يختلف عن المترل الأندلسي الذي نقله الأمويون من دمشق إلى بلاد الأندلس، ويكون تصميم المترل عبارة مساحة واسعة داخل البيت تحتوي على بئر في وسط الدار غالباً،وشمل على عدة غرف وأحياناً غرفة أو غرفتين علويتين من الداخل يصل إليها عن طريق درج مبني بالطوب أو السلالم الخشبية والتي تصنع من أخشاب سميكة وتثبت بمسامير،ويحتوي على فرش نظيفة تختلف في قيمتها من دار إلى أخرى،وأكثر ديارها لا تخلو من الماء الجاري والأشجار الكثيفة كالنارنج والليم والليمون والزنبوع وغير ذلك(٤).

---

(١) ليوبولدو تورِّس بالباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ترجمة: إليو دورودي لابنيا، مراجعة: نادية محمد جمال الدين، عبد الله بن إبراهيم العمير، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص٤٨٩. ليوبولدو طريس بالباس: الحواضر الأندلسية،ترجمة: محمد يعلى، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط١، ٢٠٠٧م، ج١، ص٥١٣.

(٢) بالباس: المدن الأسبانية الأندلسية، ص٤٩٨.

(٣) الوزان: وصف أفريقيا، ص١٣٥؛ بالباس: الحواضر الأندلسية،ج١،ص٥٣٤

(٤) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٢١٤.

أما بالنسبة لعلية القوم فكانت قصورهم مفروشة بالفرش الوثيرة،وأنواع البسط الفاخرة التنتلية، والستور الجميلة من الديباج وغيره، وكانت الحيطان تغلف بالحصر الفاخرة المبهجة للنظر والتي يؤتى بها من بسطة التي اشتهرت بصنعها، ويبسط في قاعات ديارهم نوع من المفصص، المعروف في المشرق بالفسيفساء ويعرف عندهم بالزيلجي، ويشبه الرخام الملون وكانت له ألوان عجيبة[1]، ويحيط بالمنزل حديقة تتخللها ممرات تتفاوت من منزل إلى آخر بها نافورات وبرك، وكانت الزهور والماء يؤلفان عنصراً حيوياً للبهجة في المساكن الأندلسية، والأحواض والبيلات من الرخام المصقول المصنوع في المرية[2].

وفي القرن (٩هـ/١٤م) أي قبل سقوط غرناطة يتحدث ليفي بروفنسال عن مدينة فاس وغرناطة ومدى التشابه فيهما فيقول[3] (فحمراء غرناطة وفاس الجديدة التي بناها بنو مرين كلتاهما تمثل النموذج الكامل عن قصور الخلفاء الدائمة. ولكلتيهما أسوارها الحصينة ذات الأبراج والأبواب الضخام وفي داخل كلٍ منهما قصر وثكنات واصطبلات وأحياء شعبية ينزل بها مرتزقة الأمير وخدمه).

وقد ذكر المقري عن ابن غالب أن أهل الأندلس تفرقوا في المغرب الأقصى مع إفريقية، فمال أهل البادية إلى ما اعتادوه فاستنبطوا المياه وغرسوا الأشجار وأحدثوا الأرحي الطاحنة بالماء وعلموا أهل البادية أشياء جديدة[4].

وكان الأندلسيون يحتكرون ببلادهم تجارة الأغذية، ويضعون يدهم على المحاصيل عند نضجها، وهم لا يشترون العقارات، حفاظاً على حرية رواج أموالهم، بينما كان مهاجرو حاضرة القيروان من الفَعَلة الذين أقاموا في عدوة القرويين الخلايا الأولى للحرف

(١) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٢٢٠.

(٢) مانويل جوميث مورينو: الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة: عبد العزيز سالم، ص٣٣٤.

(٣) أدب الأندلس وتاريخها، ص١٠٥.

(٤) نفح الطيب، ج ٢، ص٧٦٤.

والصنائع اليدوية مدرجين بذلك في المصطلح الصناعي والتجاري مفردات دخلت منذ ذلك الوقت في التقاليد الحرفية لا نستطيع تحديدها بالضبط.

وإذا اعتبر أن الوضع الحالي بفاس لا يختلف كثيراً عما كان عليه من حيث الهيكل العام، فإنه يلحظ أن عدوة القرويين تضم معظم مقومات الاقتصاد والثقافة والاجتماع: ففيها القيساريات والحرف والمدارس والزوايا والفنادق، ويبلغ عدد أحيائها اثني عشر مقابل نصفها في عدوة الأندلس، و١٧حماماً، و٩٦ كتاباً قرآنياً بدل ٢٤، وست مدارس بدل اثنتين، هذا وإن جامع القرويين الذي أسس عام (٢٤٥هـ/٨٥٩م) مع شبيهه جامع الأندلس على يد أم البنين وأختها مريم الفهرية القيروانيتين لم يكن يثير الانتباه بفن جديد نظراً لعدم اختصاص بنائيه القيروانيين عدا تصميمه الغريب الذي تتوازى بلاطاته مع القبلة على غرار مسجد الشرفاء الإدريسي وجامع ابن طولون بالقاهرة وجامعي بعلبك ودمشق. وقد أضاف إليه الناصر الأموي عام(٣٤٥هـ/٩٥٦م) بعد مرور قرن كاملٍ على بنائه، اثني عشر بلاطاً جديداً وحول المنارة إلى مكانها الحالي مغشياً بابها بصفائح النحاس الأصفر مع قبة صغيرة محلاة تفافيح مموهة بالذهب وبذلك انبثقت النواة الأولى للفن الأندلسي المغربي البارز في مسجد قرطبة ومدينتي الزهراء والزاهرة حيث امتزج العنصر السوري بالفارسي والبيزنطي. ولعل عهد الناصر الذي ازدهرت فيه الفلاحة والصناعة والتجارة والفنون والعلوم بالأندلس كان عهد تحول وانقلاب في تاريخ الحضارة المغربية التي بدأت تتخذ بالعاصمة الإدريسية سمات جديدة في شتى المجالات، تقل مع ذلك روعة وفخامة عن أصولها(١).

ويلاحظ مما سبق مدى التشابه الوثيق بين الأندلس وفاس في عناصر السكان، و ما للبربر من دور في المشاركة مع الجيوش العربية الإسلامية لنشر الإسلام في الأندلس واختلاطهم بأهل البلاد اختلاطاً وثيقاً، إضافة إلى الأندلسيين في فاس ودورهم في نقل التراث الأندلسي بعاداته وتقاليده وطريقة بناء منازلهم، حتى غدت مدينة فاس من إحدى

(١) عبد السلام بن ميس: نموذج من رسالة الكندي في اللثغة... المنطق في الفكر المغربي الوسيط، مجلة التاريخ العربي،العدد، السنة،.

مدن الأندلس لوجود الصبغة الأندلسية فيها، مما كان له أعظم الأثر في تكوين شخصية فاس حضارياً وعمرانياً وثقافياً. فاحتكاك الأندلس بفاس واتصالهما ببعضهما، حتى في الحروب والمنازعات، أكدت ضرورة التفاهم والتواصل فيما بينهما حتى في العادات والتقاليد والأخلاق، ومن ثم في المأكل والملبس والمشرب وطريقة التفكير، وما عند كل منهما من العلوم والمعارف . وساعد كثرة الوافدين عليها في ازدهارها حضارياً واقتصادياً حيث ضمت القيروانيين والأندلسيين واليهود واجتمعت ثقافتهم وعاداتهم في المدينة وتبلورت فيها بحيث أعطتها طابعاً جميلاً في ثقافتها وعاداتها واقتصادها.

وليس خافياً أن العوامل الاجتماعية تأثيرها على العلاقات العلمية أشد من غيرها من العوامل، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: قد يصبر العالم على شظف العيش، وضيق ذات اليد وباقي تأثير العامل الاقتصادي، في حين أن تأثير العوامل الاجتماعية تكون أشد عليه، بل من المعلوم أن أكثر العلماء لم يكونوا رغيدي العيش، ومن الطرائف في ذلك أنه لَمَّا تناظر الإمام ابن حزم الظاهري مع الإمام المالكي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، قال الفقيه أبو الوليد: تعذرني فإن أكثر مطالعتي كان على سرج الحراس. قال ابن حزمٍ: وتعذرني أيضاً فإن أكثر مطالعتي كانت على منابر الذهب والفضة!!، أراد أن الغني أضيع لطلب العلم من الفقر(1). فأفحمه بذلك

ثانياً: أن العوامل السياسية وإن كانت سبباً في الهجرة والانتقال كما تقدم، إلا أن العامل الاجتماعي قد يكون أشد، ولذا لَمَّا كانت الهجرة تحت ضغط الهجمة النصرانية من الأندلس إلى فاس اعترضها العامل الاجتماعي، أجدها قد انعكس اتجاهها، يقول المقري: (و كان من قدر الله تعالى أنهم لمّا وصلوا مدينة فاس أصاب الناس بها شدة عظيمة من الجوع والغلاء والطاعون حتى فر كثير منها بسبب ذلك ورجع بعض أهل الأندلس إلى

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص ٢٨.

بلادهم فأخبروا بتلك الشدة فتقاعس من أراد الجواز وعزموا على الإقامة والدجن و لم يجز النصارى أحد بعد ذلك إلاّ بالكراء والمغرم وعشر المال)[١].

ثالثاً: أن العامل الاجتماعي يكون أحياناً أبلغ في قرب الناس من العالم الذي يواسيهم، ويكون هذا أدعى لنشر علمه، كما قام ــ في أيام القحط ــ الفقيه محمد بن إبراهيم المهدوي (ت٥٩٥هـ/١١٩٩م) ببيع الغلال التي كانت مخزونة عنده للمحتاجين وأخرهم بالثمن إلى أجل[٢] وتصدق أبو زكريا يحيى من إنتاج زراعته من القمح عام (٥٧١هـ/١١٧٦م) على المساكين عندما اشتدت المجاعة في فاس[٣].

(١) المقري: أزهار الرياض، ج١، ص ٢٠.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب،ص ٢٧٠.

(٣) ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م). التشوف لمعرفة رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٧م، ص ٢٣٢، ٢٣٣.

الفصل الثاني

مظاهر العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس

- أعلام أندلسيون في مدينة فاس.
- أعلام فاسيون في الأندلس.
- القضايا العلمية المتبادلة بين الأندلس وفاس.
- تبادل الإجازات العلمية.
- تداول الكتب العلمية والبعثات الدراسية بين الأندلس وفاس.
- العلاقات بين المراكز العلمية في الأندلس وفاس.

أعلام أندلسيون في فاس

تأثرت الحياة العلمية في مدينة فاس بأعلام الأندلس الذين استقروا فيها، وساعدوا على رفع وتقدم الحركة العلمية فيها، وذلك بتوليتهم التدريس أو القضاء أو الإمامة والخطبة في جامع القرويين أو الجوامع الأخرى الموجودة في فاس.

كما استفاد أبناء مدينة فاس بالمدرسين الذين أخذوا ينهلون من علومهم وثقافتهم وآدابهم حتى إن بعضهم اقتصر عن الرحلة في طلب العلم إلى بلاد الأندلس بهؤلاء العلماء الذين زخرت بهم المدينة.

ويعتبر وجود أعلام الأندلس في مدينة فاس خير دليل على حركة التواصل الثقافي بينهما، ويتم ذلك عن طريق وجود الأساتذة والطلاب بين البلدين، وهذا يعتبر تبادلاً تلقائياً في كل اتجاه، كما أنه يتم فردياً ولا تحدده اتصالات دبلوماسية أو رسمية لأن الحدود مفتوحة بين الأقطار المذكورة.

ولقد أوردت تراجم لبعض العلماء بناءً على ما وجدته في كتب التراجم، ورتبتها على تاريخ وفاتهم، وذلك لأهميتهم في العصور الإسلامية التي اشتملتها الرسالة.

ومن أعلام الأندلس الذين برزوا في مدينة فاس:

– **إبراهيم بن موسى بن الجياب الفاسي (ت٤٤٨هـ/ ١٠٥٦ م)**، من أهل مدين سالم، روى عن أبي عمر الطلمنكي، سمع منه بسرقسطة، وحضر القراءة على أبي الحسن علي بن حسن صاحب الصلاة بمدينة سالم، حدّث عنه بشنتمرية القاضي أبو مروان بن نذير(١).

– **أبو العباس، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن مسعود الشارقي**، من ناحية بلنسية له رحلة روى فيها بمكة عن كريمة المروزية، وحج وسمع الحديث ودخل العراق وبلاد فارس والأهواز ومصر، ثم رجع إلى المغرب **وسكن سبتة ومدينة فاس** وغيرهما. وكان فقيهاً فاضلاً واعظاً كثير الذكر والعمل والبكاء.

---

(١) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٥٣؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٨٣-٨٤.

وألف كتاباً مختصراً نبيلاً مفيداً في أحكام الصلاة.وتوفي قريباً من سنة خمسمائة[(١)].

– **أبو القاسم، جبر الله بن القاسم الأندلسي**، الفقيه الصالح الورع، نزيل عدوة الأندلس من مدينة فاس، وهو أول من أدخل علم مالك إليها، ويعتبر من مشاهير فقهائها ومتقدميهم[(٢)].

– **محمد بن علي بن الصيقل الأنصاري (ت ٥٠٠هـ/١١٠٦م)**، من أهل مدينة شاطبة، صحب طاهر بن المفوز وبه انتفع، وصحب أبا عبدالله بن سعدون، وأبا علي الجياني، ودخل سجلماسة وسمع بها من بكّار بن الفرديس، كان من أهل الحديث تصدّر لإقرائه في مدينة فاس[(٣)].

– **أبو العباس، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري**، توفي قريباً من سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م)، من بلدة شارقة من نوحي بلنسية، وسكن سبتة وفاساً وغيرهما[(٤)].

– **محمد بن علي بن محمد الطليطلي** (ت ٥٠٣هـ/١١٠٩م)، من أهل طليطلة، يعرف بابن الربوطي، سمع ببلده من أبي سلمة، وقاسم بن هلال وغيرهم، سكن **فاساً** مدة وتولى بها الخطابة، ثم سكن سبتة وبها توفي، وقد أخذ عنه كثير من الناس[(٥)].

– **يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الأنصاري** (ت٥٠٥هـ/١١١١م)، من أهل مدينة شرَّيون[(٦)]، كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، حافظاً ذكياً، واشتهر في علم

---

(١) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٤٠؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٢، ص٤٦٠-٤٦١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج١، ص٣٥.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١،ص١٧٤-١٧٥.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٤٠٨-٤٠٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥١؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص٢٦٣.

(٤) ابن بشكوال: الذيل والتكملة، ج١، ص٧٥؛ ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٢٦؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٩٦؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٣٧.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥٢.

(٦) **شُرِيون**: حصن من حصون بَلنسبة بالأندلس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٥.

الحديث؛ أخذ عن أبي عمر بن عبد البر كثيراً، وسمع بطليطلة من أبي بكر بن جماهر بن عبد الرحمن وغيره، سكن طليطلة مدة، وتفقه فيها ثم انتقل إلى بلاد العدوة وتوفي فيها[(١)].

– **إبراهيم بن أبي الفضل بن صواف الحجري** (ت٥٠٦هـ/١١١٢م)، من أهل شاطبة، روى عن أبي عمر بن عبد البر، وأبي الحسن بن سيدة، وكان من أهل المعرفة بالعربية واللغة والآداب، وتجول في البلاد معلماً بها، وأخذ عنه إبراهيم بن خفاجة، ثم تعلم الطب وقعد للعلاج بطنجة، واستقر آخر عمره بفاس، وتوفي بها[(٢)].

– **أبو بكر، محمد بن أغلب بن أبي الدَّوس** (ت٥١١هـ/١١١٧م)، من أهل مرسية، كان عالماً بالعربية والأدب، من أحسن الناس خطاً، وأصحهم نقلاً وضبطاً، وكان من العلماء المتجولين، أدّب ولدي المعتمد محمد بن عباد (يزيد والمأمون)، سكن المرية وقتاً، ثم تابع نشاطه العلمي في فاس بعد استقراره فيها، ثم استقر بعد ذلك في أغمات، وتوفي في مراكش ودفن بها، روى عن عدد من علماء الأندلس والمغرب، كما انتفع به طلبة العلم ومحبيه، وروى عنه الكثير[(٣)].

– **أبو القاسم، خلف بن محمد بن غفول** (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، من أهل شاطبة، وسكن مدينة فاس وأخذ عنه الكثير من طلابها[(٤)].

– **القاضي أبو الوليد، محمد بن أحمد بن رشد** (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)، قاضي قرطبة، وأحد أعيان العلماء المالكية بها، وجد الفيلسوف ابن رشد (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، **دخل فاساً** فأخذ عنه طلابها[(٥)].

---

(١) المراكشي: الذيل والتكملة، ج٢، ص٦٤٤؛ الضبي: بغية الملتمس، ص٤٦٧.

(٢) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٤٠. وفيها (ابن صواب)؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٨٨.

(٣) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٤١٢-٤١٣؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥٤؛ الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات، ج٢، ص٣٥١.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٩٢؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص١٦١.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥٤-٢٥٥؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص٤٥٠-٤٥١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص٢٧٨؛ محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٣٤٩هـ، ج١، ص١٢٩.

– **عبدالله بن يحيى الثقفي** (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م)، من أهل سرقسطة، **انتقل إلى فاس** حيث أقام بها معلماً[١].

– **أبو القاسم، خلف بن يوسف بن فرتون** (ت٥٣٢هـ/١١٣٧م)، من كبار علماء شنترين، **انتقل إلى مدينة** فاس حيث أقام بها مدة، وتوفي بقرطبة[٢].

– **القاضي أبو محمد، عبد الحق الكناني الغرناطي** (ت٥٣٣هـ/١١٣٨م)، أحد رؤساء **جامع القرويين** على عهد المرابطين، وكان يحتفظ بأربع خططٍ: فقيه، مشاور، إمام، قاضٍ، وبظهور دعوة الموحدين كان على رأس علماء القرويين الذين حضروا مجالس ابن تومرت في **مسجد الطالعة**، ثم تأثر بدعوتهم، ومما يدل على ذلك أنه حينما قام طلبة ابن تومرت بتكسير آلات الطرب واللهو عند التجار الذين التجأوا إلى عبد الحق فأجابهم قائلاً: (لولا أن ابن تومرت لم ير فيها منافاة للشرع، لما أمر طلبته بذلك)، وكان هذا سبب عزله من قبل علي بن يوسف بن تاشفين؛ لأن قوله يشجع التمرد على سلطة المرابطين[٣].

– **أحمد بن علي بن محمد بن سعيد المعافري** (ت ٥٣٧هـ/١١٤٢م)، من أهل غرناطة، أخذ عن أبي محمد بن السيد البطليوسي، وأبي القاسم بن الأبرش، وأبي يزيد بن المهلب القرطبي وغيرهم، وكان من الفقهاء النبلاء، ممن برع في الأدب والعربية، وارتسم في ديوان الكتابة والطبع فيها، ذا خط بارع وقريحة جيدة في النظم والنظر[٤].

– **محمد بن حكم بن أحمد بن باق الجذامي** (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، من أهل سرقسطة، سكن غرناطة **ثم فاساً**، يكنى أبا جعفر[٥]، توفي بتلمسان[٦].

---

(١) ابن الأبَّار: التكملة، ص٤٦٤؛ المعجم، ص٢٠٨.

(٢) ابن بشكوال: الصلة، ص ٥٦؛ ابن الأبَّار: تحفة القادم، ص ٥.

(٣) البيذق، أبو بكر الصنهاجي: أخبار المهدي ابن تومرت، تحقيق: ليفي برفنسال، باريس، ١٩٦٤م، ص٦٣-٦٤؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٨.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٣٧-١٣٨.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ٣٦٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب،ج٢، ص٢٦٣-٢٦٤؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٦٩.

(٦) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٤٤١. وفيها وفاته سنة ٥٣٤هـ؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص ٣٦٩؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٦، ص١٧٧-١٧٨؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥٥-٢٥٦.

– **أحمد بن محمد بن علي العامري الغرناطي** (ت٥٣٩هـ/١١٤٤م)، من أهل غرناطة، من علماء الحديث، ومن جلة الفقهاء والنبلاء، بارعاً في الأدب والعربية، كاتباً مجيداً، مشهور الإحسان، وله منظوم ومنثور[(١)].

– **محمد بن أحمد بن إبراهيم بن خلف الأنصاري** (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م)، من أهل قُونْكة، كان أديباً بارع الكتابة، مجيداً متين المعارف، كتب عن بعض أمراء لمتونة، **وقتل بمدينة فاس**[(٢)].

– **محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي** (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م)، من أهل شقورة، سكن قرطبة اشتهر في علم الحديث والإتقان فيه، والمعرفة برجاله، والتقييد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية، واللغة والأدب، والنسب والتاريخ، كان إمام الكتابة والنظم[(٣)]، روى عن أبي الحُسين بن سِراج، والصدفي، وأبي عبد الله النفري المالقي وغيرهم، وأجاز له أبو علي الغساني ما رواه، سكن مدينة فاس، وصحب فيها محمد بن الحاج المسوفي[(٤)]، ومن مؤلفاته كتاب "ظل الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصه رسول الله ﷺ بالكرامة"، و منظومة "معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب" في نسب الرسول ﷺ[(٥)].

– **محمد بن أحمد بن محمد بن مطرف التجيبي** (ت بعد سنة٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، من أهل قلعة أيوب، **توفي بفاس،** كان من أهل العلم بالحديث والفقه، مقيداً ضابطاً، روى عن أبي بحر سفيان بن العاصي، وأبي بكر غالب بن عطية، وأبي علي الصدفي، وأبي الوليد

---

(١) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٩٨؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٣٧٣.

(٢) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٦، ص٣٥-٣٦.

(٣) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص٥٤٠؛ الإعلام بمراكش وأغمات، ج٣، ص٥؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٠٤-١٠٥؛ الضبي: بغية الملتمس، ص١٢١؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ص٧١٦؛ البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٨٩.

(٤) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص٥٤٠؛ الإعلام بمراكش وأغمات، ج٣، ص٥؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٠٤-١٠٥؛ الضبي: بغية الملتمس، ص١٢١؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ص٧١٦؛ إسماعيل باشا البغدادي. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول سنه ١٩٥١م. أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، ج٢، ص٨٩.

(٥) كحالة، معجم المؤلفين، ج١٢، ص١٨-٢٩.

بن رشد وغيرهم، وروى عنه ابنه أبو الخطاب، من مؤلفاته كتاب "المستفاد في مناقب العباد من أهل فاس وما يليها من البلاد"[(١)].

ــ **القاضي الشهير الحافظ** الإمام أبو بكر محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن أحمد **بن العربي** المعافري الأشبيلي (ت٥٤٣ هــ/١١٤٨م)، رحل إلى المشرق، فدخل الشام، والحجاز، ودخل بغداد مرتين، أخذ عنه بمصر والإسكندرية جماعة، وتوفي رحمه الله بالعدوة، ودفن بمدينة **فاس** [(٢)].

– **أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن إبراهيم البغدادي** (ت ٥٤٦هـ/١١٥١م)، من أهل جيان، وقد عرف بالبغدادي لطول مقامه بها للدراسة، وقد أخذ أيضاً في مصر والإسكندرية والقيروان، كان من الفقهاء المشاورين الذين تصدروا لتدريس الفقه بالقيروان منذ سنة (٥١٥هـ/١١٢١م)، أخذ عنه الطلبة واستفادوا من علمه، منه أبو القاسم عبد الرحيم بن الملجوم الذي قال فيه: (لزمناه، وقرأنا عليه، وسمعنا منه)، ورجع بعدها إلى بلده **جيان** سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م)، ثم عاد إلى فاس بعد أربع سنوات، وأقام يدرس الفقه وأصوله ومسائل الخلاف، ولم يزل مقبلاً على نشر العلم في المدينة إلى أن توفي بها[(٣)].

– **محمد بن أحمد بن إبراهيم بن لواء الأنصاري** (ت ٥٤٦هـ/١١٥١م)، كان فقيهاً حافظاً عارفاً بأصول الفقه، قام بتصنيف مسائل الخلاف في سبعة أسفار، وقد ذكر أنه حين قدم إلى فاس بعث بشيء منها إلى أبي موسى عيسى بن الملجوم[(٤)].

---

(١) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٤٥١؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج١،ص٢٥٨؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٦، ص٥٦-٥٧.

(٢) المقري: أزهار الرياض، ج١، ص ٢٥٦.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة،ج١، ص٤٧٤؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٦٢-٢٦٣؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٤) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٥، ص٥٨٣.

- **أبو بكر، محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي** (ت٥٥٣هـ/ ١١٥٨م)، يعرف بالفلنقي، من أهل اشبيلية، قرأ وتأدب بها، أخذ القراءات عن شريح بن محمد، وابن الأخضر، وأبي مروان الباجي، وعاد بن سرحان وغيرهم، وأخذ عنه أبو محمد بن عبيد الله الباجي وأبو ذر الخشني وغيرهما، استوطن مدينة فاس وتصدر للإقراء في أحد مساجدها وهو **مسجد الحوراء**، كان إماماً في العربية والآداب، من مؤلفاته كتاب "الإشارة في قراءة الأئمة السبعة المختارة"، وأرجوزته التي أسماها "اللؤلؤة الغرّاء" [١].

- **أبو الحسن، علي بن عبد العزيز بن محمد القيسي البسطي** (ت٥٥٤هـ/ ١١٥٩م)، من أهل بسطة، روى عن عدد من الأعلام بالأندلس، انتقل إلى الإقامة في مدينة فاس، وأقرأ فيها علوم القرآن، وكان ممن أخذ منه المقرئ أبو محمد قاسم بن محمد بن محمد بن عبد الله بن طويل إمام **جامع القرويين**[٢].

- **أبو العباس، أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدميري** (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، من أهل تدمير، نشأ في المرية، وكان له دور في نشر علم النحو في فاس وتوفي بها.[٣]

- **يحيى بن عبد الجليل اللخمي اليكي** (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، اشتهر في شعر الهجاء، كما اشتهر أيضاً بهجائه لأهل فاس[٤].

- **قاسم بن محمد بن مبارك الأموي** (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، تصدّر للإقراء في مدينة فاس، وأخذ عنه جماعه من أعلام فاس منهم ابن خروف وأبو الصبر بن أيوب[٥].

- **أبو الحجاج، يوسف بن فتوح بن محمد القرشي** (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)، حدّث في مدينة فاس بعد أن استقر فيها، وكان على علم بالتفسير وأصول الفقه، وبخصائص النبات

(١) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٤٨٨، ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٦٣.

(٢) ابن الأبَّار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص ١٩٦.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة، ج١،ص٦٥؛ المعجم، ص٤١؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج١، ص١٣٨؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٣٨؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج١، ص ٦٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٤) مجهول: الاستبصار، ص١٨٢؛ ابن أبي جعفر أحمد: صلة الصلة، ص.٣٥٠.

(٥) ابن الأبَّار: التكملة، ج٢، ص٧٠١.

والعشب، ولهذا كان يعرف بالعالم العشّاب، وكان يعلّم الصيدلية في المدينة، وكان ممن أخذ عنه من أهل فاس الخطيب أبو محمد قاسم، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد الورداخي وغيرهما[(١)].

– **محمد بن عمر المالقي** (ت٥٦٣هـ/١١٦٧م)، من أهل مالقة، كان بصيراً بعلم الحديث، ومقيداً ضابطاً[(٢)].

ـــ **علي بن محمد بن خليد** الأصولي الأندلسي، يعرف **بابن الإشبيلي** استقر بمدينة **فاس** وكان أصولياً ماهراً متكلما حاذقا وهو الذي **قرر علم الأصول وعلم الكلام بمدينة فاس،** أخذ عنه بها الأصولي الكبير أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلالقي المسرتي وإلى أبي عمرو هذا مرجع **الفاسيين** في هذا العلم توفي عام (٥٦٧هـــ) [(٣)].

– **إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الوهراني** (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م)،من أهل المرية، يعرف بابن قرقول، واشتهر بالحمزي، نشأ في بلده وسمع من جده لأمه وعدد من علماء بلده، كان رحالاً في طلب العلم، حريصاً على لقاء الشيوخ، وله معرفة بالأدب والحديث والرجال، لقي إبراهيم بن خفاجة في جزيرة شقر فحمل عنه ديوان شعره، وخرج إلى تلمسان وبها أخذ عن ابن غزلون صاحب أبي الوليد الباجي، ثم عاد إلى الأندلس في مالقة، ثم انتقل منها إلى سبتة سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) ثم إلى سلا، **واستقر مقامه في مدينة فاس** وتوفي ودفن بها[(٤)].

– **علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني** (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م)، من أهل قرطبة، أخذ العلم ببلده، ثم رحل إلى المشرق واستقر بعدها في فاس سنة (٥٥٣هـ/١١٥٨م)، فتعّلم فيها، وعلّم بها، وممن أخذ عنهم بها أبو القاسم خلف بن فرتون، ومن تلامذته الخشني وعبد الرحمن الأموي الإشبيلي، وينسب إليه مسجد سيدي حنين في فاس حيث كان يقرأ ويؤم المصلين فيه[(٥)].

---

(١) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٧٣٣. و لم يذكر تاريخ وفاته؛ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج٢، ص٥٥٤.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٣) ابن أبي جعفر أحمد: صلة الصلة، ص ١٠١؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص ٢٨٠.

(٤) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٥١؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٨٨-٨٩.

(٥) ابن الأبّار: التكملة، ج٣، ص ٢١٠.

– **محمد بن عبد الله بن محمد بن خليل القيسي** (ت٥٧٠هـ/١١٧٤م)، من أهل لبلة، سمع من عدة مشايخ وصحبهم، **ثم استقر في فاس فترة**، انتفع منه عدد من طلابها، انتقل بعدها إلى مراكش(١).

– **محمد بن إبراهيم بن مكحول** (ت٥٧٠هـ/١١٧٤م) من أهل إشبيلية **استوطن مدينة فاس**، يضبط فيها المصاحف(٢).

– **أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن موسى القيسي** (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، من أهل إشبيلية، روى عن أبي بكر بن عبد الله بن العربي، كان من أهل العفاف والزهد، معروفاً بالصلاح والخير، ذو معرفة بالطب، ولّي الصلاة والخطبة بجامع سلا، وتوفي بمدينة فاس(٣).

– **الشاعر أبو عبد الله، محمد بن غالب الرصافي** (ت٥٧٢هـ/١١٧٦م)، من أهل الرصافة، دخل مدينة فاس، وكانت له مجالس أنس مع أدباء فاس وشعرائها وطلبتها(٤).

– **فتح بن محمد بن فتح الأنصاري المقرىء**، يكنى أبا نصر (ت ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م)، من أهل إشبيلية، أخذ القراءات بمالقة عن أبي علي منظور بن الخير وبالمرية عن أبي العباس القصبي وأبي الاصبغ بن حزم وأخذ عن أبي الاصبغ بن شفيع قراءة نافع وأبي عمرو إلا رواية أبي شعيب السوسي، وأقرأ بقرطبة ثم شلب، ثم انتقل **واستقر في مدينة فاس**، وتصدّر للتدريس فيها، وأخذ عنه جماعه من الأعلام منهم أبو القاسم بن الملجوم وعبد الجليل بن موسى(٥).

---

(١) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٢٣٣.

(٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ق١، ص٢٦٤-٢٦٥

(٣) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج١، ص١٨٥؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٤٠-١٤١؛ محمد المنوني: العلوم والفنون، ص١٢٤.

(٤) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٥٢٠؛ المراكشي: المعجب، ص٢٩١؛ ابن سعيد: حلى المغرب، ج٢، ص٣٤٢-٣٥٣؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٦٦.

(٥) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص٥٩.

– **أبو جعفر، عبد الرحمن بن أحمد الأزدي** (ت٥٧٦هـ/١١٨٠م)، من أهل غرناطة، ويعرف بابن القصير، كان فقيهاً مشاوراً، رفيع القدر جليلاً، بارع الأدب، عارفاً بالوثيقة نقاداً لها، **رحل إلى مدينة فاس** فأخذ عنه الناس بها، أخذ عن أبي الوليد بن رشد، وأبي محمد عبد الحق بن عطية، أبي الفضل عياض بن موسى، وله تآليف وخُطب ورسائل ومقامات، وجمع منقب من أدركه من أهل عصره، واختصر كتاب "الجُمَّل" لابن خاقان الأصبهاني وغيره، وألّف برنامجاً يضم رواياته(1).

– **عبد الملك بن عمر بن خلف بن جحفون الأزدي** (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م)، من أهل إشبيلية، كان شاعراً، فصيح العبارة، سكن **فاساً** وتوفي بها، وكان يعيش من بضاعة يديرها في تجارة له في فاس(2).

– **محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري** (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م)، من أهل إشبيلية، يعرف بالخِدَب، أخذ علم العربية عن أعلام وقته، ورأس الناس فيها، كان قيّماً على كتاب "سيبويه"، و"أصول" ابن السراج، و"معاني القرآن" للفراء، و"الإيضاح" للفارسي، **انتقل للإقامة في مدينة فاس فترة من الزمن**، فتصدّر للإقراء فيها، وقد أخذ عنه الكثير من الأعلام منهم أبو ذر الخشني وأبو الحسن بن خروف وغيرهما، ثم ارتحل إلى المشرق فوفاه الأجل في بجاية، من مؤلفاته كتاب "الطُّرَر"، وهو تعليق على كتاب سيبويه(3).

– **أبو بكر، محمد بن طفيل** (ت٥٨١هـ/١١٨٥م)، من أعلام الفكر الذين استفادت منهم مدينة فاس أثناء تردده على المغرب، وقد كانت أرجوزته الطبية تدرس بجامع القرويين(4).

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٤٨٢-٤٨٣؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص٤٢٩-٤٣٠؛ المقري: أزهار الرياض، ج٣، ص١٥، ٦٣.

(٢) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ص٢٥-٢٦.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة، ص ٢٤٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص ١٦٨.

(٤) المراكشي: المعجب، ص٦٩.

– **أبو جعفر، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي** (ت٥٨٢هـ/١١٨٦م)، من أهل قرطبة، سكن في مدينتي غرناطة وبجاية مدة من الزمن، استوطن بعدها مدينة فاس، روى عن أبي بكر بن العربي وأبي جعفر بن عبد الرحمن البطروحي وغيرهما، عُرِف بالذكاء والنبل، واشتهر بالحفظ للحديث، ذاكراً للتواريخ والقصص، ممتع المجالسة متين الأدب، لما استقر في فاس التزم إسماع الحديث والتكلم على معانيه بجامع القرويين، واستمر على ذلك صابراً محتسباً، وكان يلازمه كثير من الخلق، من مؤلفاته كتاب في الرد على رهبان طليطلة بعد أن امتُحِن بالأسر في طليطلة وأسماه: "مقامع الصّلبان ومراتع رياض أهل الإيمان"، ونسخه جماعة من المسلمين المُبتلين في الأسر معه، و كتاب "أفاق الشموس وأعلاق النفوس" في الأقضية النبوية، ومختصره "إشراق الشموس"، و"نَفَس الصباح" في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه، وكتاب "حُسن المرتفق في بيان ما عليه المتفق فيما بعد الفجر وبعد الشفق"،، و "قصد السبيل في معرفة آيات الرسول ﷺ"، و"مقام المدرك في إفْحام المشرِك"[(١)].

ــ **علي بن أحمد بن علي الأنصاري**، من طليطلة وسكن مدينة **فاس** يكنى أبا الحسن روى عن أبي عبد الله بن مكي وأبي جعفر البطروجي وأبي الحسن عبد الرحيم بن قاسم الحجاري وأبي بكر بن فندلة، وأبي الحسن شريح بن محمد، وأبي بكر بن طاهر العبسي سمع من جميعهم وأخذ القراءات عن شريح وعبد الرحيم منهم، **وأجاز له** أبو بكر بن العربي، وتصدر **بفاس** للإقراء، وحدث وروى عنه يعيش بن القديم وأبو الحسن بن القطان، **وأجاز له** في سنة (٥٨٢/١١٨٦م) سكن **فاساً** وكان يتحرف بها بالتجارة[(٢)]

(١) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٨٥؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٤١؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة،ج١،ص٢٣٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٨٨-١٨٩؛ محمد المنوني: العلوم والفنون، ص٤٤.

(٢) ابن الأبَّار: التكملة، ج٣، ص ٢١٦)؛ ابن أبي جعفر أحمد: صلة الصلة، ص ١٠٣.

– **إبراهيم بن إبراهيم بن محمد الأنصاري** (ت ٥٨٣هـ/١١٨٧م)، من أهل أشبونة، يعرف بابن العشّاب، أديب نحوي، وصيدلي خبير، نزل بمدينة فاس، فكان يتعاطى الأمرين إقراء النحو وبيع الأعشاب[١].

– **عيسى بن محمد الغافقي** (ت ٥٨٦هـ/١١٩٠م)، ارتحل من الأندلس **إلى فاس،** فلزم مهنة التعليم خلال إقامته فيها، وكان فقيهاً أديباً كاتباً[٢].

– **أبو الوليد، زكريا بن عمر بن أحمد الأنصاري** (ت ٥٩٠هـ/١١٩٣م)، من أهل قرطبة، استقر في فاس بعد أن روى عن كبار علماء الأندلس منهم أبو بكر بن العربي، وكان يعقد الشروط في فاس إلى جانب ما اشتُهر به من علمه في الأدب والفقه، روى وحدث عن جماعة من العلماء، وأخذ عنه الكثير من طلاب العلم والمهتمين به [٣].

– **عبد الله بن محمد بن علي الحجري الألميري** (ت٥٩١هـ/١١٩٤م)، من أهل المرية، قرأ على شريح "صحيح البخاري" بإشبيلية، قال ابن الأبَّار: (وقد اجتمع للسماع عليه نحو ثلاثمائة من أعيان طلبة البلاد)، **وانتقل بعد ذلك إلى مدينة فاس ردحاً من الزمن** يقرئ ويسمع فيها [٤].

– **الخطيب أبو الحسن، علي بن موسى الأنصاري السالمي الجياني،** (ت٥٩٣هـ/١١٩٥م)، ولم ينظم أحدٌ في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معانٍ، وفصاحة ألفاظٍ، وعذوبة تراكيب، حتى قيل فيه: إن لم يعلمك صناعة الذهب علمك الأدب. وفي عبارة بعضهم: إن فاتك ذهبه، لم يفتك أدبه. وقيل فيه: إنه شاعر الحكماء، وحكيم الشعراء. **نزل فاساً** وتصدّر للإقراء بها وولّى خطبة الجامع فيها، أخذ عنه جماعة من العلماء، من مؤلفاته في علم الكيمياء كتاب "شذور الذهب في صناعة الكيمياء"[٥].

---

(١) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص١٥٨؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٨٩-٩٠.

(٢) ابن الأبَّار: التكملة، ص٢٦.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة، ص٣٢٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٩٩-٢٠٠.

(٤) ابن الأبَّار: التكملة، ص ٨٦٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ٤٢٧-٤٢٨.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص٣٠٨؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص ٦٠٦.

– **أبو عبد الله، محمد بن عمر** (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م)، من أهل مالقة، انتقل إلى فاس، وتصدر للكتابة والإقراء فيها، وكان حافظاً للتاريخ والآداب[١].

– **أبو مروان، عبد الملك بن حيون الصدفي الأندلسي** (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)، كانت له يد بيضاء على القرويين ورجالها ومرافقها، وتحتفظ الحوالات الوقفية بوصاياه لمصالح المؤذنين بالجامع، ومصالح المجاهدين الذين يقعون في الأسر [٢].

– **القاضي أبو بكر، خلف الأنصاري** (ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، يعرف بالموّاق، من أهل قرطبة، اشتهر في علم الفقه الخلاف ولزم التدريس في فاس بعد أن انتقل إليها، تام النظر لا يدانيه أحد في ذلك، وله تنبيهات ومقالات مفيدة منها في المكاييل والأوزان، وعني بالحديث على جهة التفقه والتعليل والبحث عن الأسانيد والرجال والزيادات وما يعارض أو يعاضد بالرواية، ولّي قضاء فاس وتوفي بها[٣].

ـ **يوسف بن أحمد بن محمد القرشي المقرىء** يكنى أبا الحجاج، من أهل القرن (٦هـ/١٢م) أخذ القراءات عن أبي داود سليمان بن نجاح وأبي بكر محمد بن المفرج وأبي الحسن بن أخي الدوش ونزل مدينة **فاس** وأقرأ هنالك وأُخذ عنه بها[٤]

– **محمد بن عبد الغني الفهري المعروف بابن الجنّان** من أهل القرن (٦هـ/١٢م)، سكن مدينة فاس، واستقر بها، وجعلها موطناً له، واشتهر بالشعر وله:

قالوا المشيب نجومٌ والشَّباب دُجًى... لو يَحْسُنُ القبحُ أو لو يقبحُ الحَسَنُ

ما كانَ أغناكَ يا ليلَ الذوائبِ عن... نجوم شيبك ذي لو أنصفَ الزمنُ[٥].

– **أحمد بن موسى بن عبد الله بن بكر بن مزاحم اللخمي، توفي بعد سنة** (٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، يكنى بأبي جعفر وأبي العباس، من أهل شلب، تلا بالقراءت السبع في

(١) ابن الأبَّار: التكملة، ص٣٢٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٩٩-٢٠٠.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٧.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة، ص٢٦٢؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج١، ص١٠٦؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ص٢٢٤.

(٤) ابن الأبَّار: التكملة، ج٤، ص٢١١؛ ابن أبي جعفر أحمد: صلة الصلة، ص٢٠٧.

(٥) ابن الأبَّار: تحفة القادم، ص٢١.

بلده على أبي الحسن عقيل بن محمد بن العقل، وأبي الوليد هشام بن الطلاء وله إجازة من أبي الخليل مفرج بن سلمة، وكان من المتقدمين في إتقان القراءات وتجويدها، ماهراً في علم العربية، **نزل فاساً**، وتصدّر للإقراء فيها في علمي القراءات والعربية(1).

– **أبو الحسن، علي بن فرحون القيسي الفاسي** (ت٦٠١هـ/١٢٠٤م)، من أهل قرطبة، ورد على مدينة فاس وأقام بها زمناً يعلم الرياضيات

وهو صاحب كتاب "لب اللباب في مسائل الحساب"، وكان كتابه ضمن المؤلفات التي تدرس في جامع القرويين(2).

– **أبو ذر، مصعب بن محمد بن مسعود الخشني** (ت ٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، من أهل جيّان، أخذ عن أبيه علم العربية والآداب واللغات، وأخذ عن ابن حنين وابن الرمامة **بفاس**، وكان رئيساً في صناعة العربية، عالماً بها، قائماً عليها، مكث في تدريسها طوال حياته، ورحل الناس إليه فيها، ولّي الخطبة بجامع إشبيلية، وولي قضاء جيّان، **واستوطن بعد ذلك مدينة فاس ثانية**، وأقام بها يُقرئ العربية ويُدرّس كتاب "الأحكام"، وكان له إشراف مطلق على القرويين في فترة من الزمن، ولذلك يعد من كبار رجالاتها(3).

– **علي بن محمد بن خروف الحضرمي النحوي** (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م)، من أهل إشبيلية، أقرأ بقرطبة ورُندَة و إشبيلية وسبتة، **وبمدينة فاس** أخذ عنه كتاب سيبويه جُلّة من العلماء وأقرؤوه بعدَه، من مؤلفاته شرح على كتاب سيبويه سماه: "تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب"، وله شرح على كتابة الجمل، كما أن له رد في العربية على أبي يزيد وابن مضى(4).

---

(١) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٩٥؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٤٠، ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٢، ص٥٥٢؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٧١.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٣٠٦، ٤٨٣؛ محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، ص١٠٣.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٩؛ ابن الأبّار: التكملة، ص٣٨٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص٧١-٧٢؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص١٠٣٧.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٢٨٤.

– **إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي** (ت٦١١هـ/١٢١٤م)، من أهل مالقة، سكن مرسية، ثم دخل مدينة فاس، وروى عن عدد من العلماء، وحدّث بالموطأ، كان فقيهاً حافظاً للرأي، مشاوراً، يشارك في الأدب، وغلب عليه علم الكلام، فرأس فيه واشتهر به(١).

– **أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير** (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، الرحالة المعروف بابن جبير، ولد في مدينة بلنسية، **ثم عاش في مدينة فاس** فترة من الزمن للتدريس، حيث روى عنه "الموطأ" إبراهيم بن يوسف الأوسي، وقد باع أملاكه في فاس ثم طاف في البلاد، وتوفي بعدها في الإسكندرية(٢).

– **أبو القاسم، أحمد بن عمر الأنصاري الخزرجي** (ت ٦١٦هـ/١٢١٩م)، من أهل قرطبة، خرج منها بأهله زمن الفتنة، واستوطن مدينة لبلة، ثم خرج منها وسكن بمكناسة، وصار يعرف بالمكناسي، **وسكن أيضاً مدينة فاس** (٣).

– **الخطيب أبو عبد الله، بن عبد الرحمن الخزرجي الشلبي** (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)، كان يروي عن أبي الحسن بن خروف وأبي الحسن بن جبير، ولّي الخطبة بجامع القرويين، كان بصيراً بالعلوم العقلية و النقلية(٤).

– **عبد العزيز بن علي بن زيدان السماتي** (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، من أهل قرطبة، **استوطن فاساً**، وروى عن جماعة من العلماء، وحدث بالموطأ، وكتب للقاضي أبي حفص عمر بن أبي عمر أيام ولايته القضاء **بفاس**(١).

---

(١) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٦٤. ولم يذكر أنه دخل مدينة فاس؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٣٣٣؛ الإعلام بمن حلّ من الأعلام بمراكش وأغمات، ج١، ص١٥٣؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٩٠.

(٢) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٥، ص٥٩٥.

(٣) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١١٠؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص ١٣٨-١٣٩، ١٤٤-١٤٥؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج١، ص٣٤٧- ٣٤٨.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٨؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص٣٥؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص٥٩.

– **أحمد بن علي بن محمد بن هارون السماتي** (ت٦٤٩هـ/١٢٥١م)، من أهل إشبيلية، نزل بمراكش، كان أحد شيوخ الحديث في المغرب والأندلس، وذلك لكثرة انتقاله بين مدنها من الأندلس وسبتة **وفاس** ومراكش وغيرها من مدن العدوة، اشتهر بتقييد العلم وتخليد التواريخ، فقيهاً حافظاً عاقداً للشروط بصيراً بها، مبرزاً في المعرفة بعللها والضبط لأحكامها، ذاهباً في كتبها إلى الاختصار مع جودة إحكام عقودها، توفي بمراكش[٢].

– **القاضي أبو الحسن، علي بن قطرال الأنصاري** (ت٦٥١هـ/١٢٥٣م)، تولى القضاء في قرطبة وبلنسية وشاطبة وسبتة، ثم مدينة فاس وأخذ عنه الكثير من الطلبة [٣].

– **أبو عبد الله، محمد بن علي بن محمد الطليطلي** (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، من أهل طليطلة، يعرف بالربوطي، سمع العلم من بلده ثم انتقل إلى مدينة فاس، فتولى التعليم بها، وكان يخطب ويصلي الجمعة بالناس [٤].

– **مالك بن عبد الرحمن بن فرج المالقي** (ت٦٦٩هـ/١٢٧٠م)، من أهل مالقة، أصله من موالي بني مخزوم، أديب شاعر، جمع بين سهولة اللفظ وسلامة المعنى، وقد دون شعره مختارة سماها بـــ "الجويدات والصدور المطالع"، وأخرى سماها "الوسيلة الكبرى"، وله قصيدة طويلة سماها "الواضحة"، وله أرجوزة "اللؤلؤ والمرجان"[٥]، وقد أمر أن يكتب على قبره بمدينة فاس:

زر غريب المغرب ... نازحا ماله ولى
تركـــوه مـــوسدا ... بين ترب وجندل
ولتقل عند قبره ... بلـــسان التـــذلل

---

(١) ابن الأبّار: التكملة، ص٦٣٣.

(٢) ابن فرحون: الديباج، ص٥٣؛ الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج١، ص٣٥٤.

(٣) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص٣٠٨.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥٢.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٣٠٤-٣٠٥.

يرحم الله عبد ه مالك بن المرحل[1].

– **الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي**، كان حياً سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، من أهل مرسية، استوطن مدينة سبتة، كان مشاركاً في كثير من الفنون، متبحراً بالتاريخ، أديباً شاعراً، عظيم الاستنباط، برز بمدينة سبتة، وكتب عن أميرها، استدعاه السلطان يوسف المريني فاستكتبه، وكان معه في فاس[2].

– **أبو عبد الله الشريشي الحراز** (ت ٧١٨هـ/١٤١٥م)، من أهل شريش (Xeres)، سمع من عدة شيوخ في علم القراءات والضبط، من مؤلفاته: رجز ألفها في علوم القرآن بعنوان: "مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن"، وله نظم آخر في رسم القرآن سماه: "عمدة البيان"[3].

– **أبو الحسن، علي بن سليمان الأنصاري القرطبي** (ت٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، من أهل قرطبة، كان من شيوخ علم القراءات في عصره، ومن مؤلفاته "التجويد" و"مختصره"، و"المنابع في قراءة ابن نافع"، و "ترتيب الآداء"، و"الجمع بين الروايات في الإقراء"، و"تبيين طبقات المد وترتيبها"[4].

– **أحمد بن محمد بن حزب الله الخزرجي** (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)، من بني حزب الله الخزرجيين، أصلهم من الأندلس، كان بيتهم بفاس بيت أصالة وعلم، واستوطنوا **فاساً**، واستشهد أحمد الخزرجي في موقعة طريف[5].

– **أبو تمام، غالب بن علي اللخمي الشّقوري** (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)، من أهل غرناطة، رحل إلى المشرق؛ فحج وقرأ الطب في القاهرة، وزاول العلاج وعاد إلى المغرب **فولّي الحسبة في فاس**، وتوفي بسبتة[1].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٣٢٤.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٤٨٠؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٨٠-١٨٢.

(٣) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص١١٤.

(٤) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص١٤٩.

(٥) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص٥٥؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١١٩.

- السلطان المستعين بالله: **أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب** المريني(ت٧٦٢هـ/١٣٦١م) من ملوك بني مرين في المغرب الاقصى، كان أخوه أبو عنان قد بعثه إلى الأندلس، فاستقر بها إلى أن مات أبو عنان وبويع لابنه الطفل (أبي بكر السعيد بالله) فركب أبو سالم البحر إلى ساحل بلاد غمارة، ودعا أهل المغرب لمبايعته، فأقبلوا عليه، استقر بالمغرب، وقرأ بعض الفنون العقلية **بفاس**(٢).

-**إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم النميري** (ت٧٦٨ه/١٣٦٦م)، من أهل غرناطة، ويعرف بابن الحاج، برع في الشعر وإجادة الخط، وكان حاضر بالأبيات ومليح الدعابة طيب الفكاهة، رحل للمشرق ورجع إلى الأندلس سنة (٧٣٧ه/١٣٣٦م)، ثم استقر في بجاية مصطنعاً للكتابة، **ثم انتقل في خدمة سلطان فاس أبي الحسن المريني،** وارتسم في كاتبة الإنشاء سنة (٧٣٤ه/١٣٣٣م)، ثم خرج للحج ورجع لبلاده بعدها، فولى قضاء بناحية غرناطة، وروى عن مشيخة بلده، وأخذ منه خلق كثيرون، من مؤلفاته كتاب "المساهلة والمسامحة، في تبيين طرق المداعبة والممازحة"، وكتاب "أيقاظ الكرام في أخبار الأنام"، و"تنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح"، و"التورية على حروف المعجم"، و"فيض العباب وإجالة قدح الآداب في الحركة إلى القسطنطينية والزاب"، وله رجز في الفرائض على طريقة بديعة، ورجز في الجدول والأحكام(٣).

وله من أشعاره الكثير منها ما يذكر في **خدمته بفاس**:

أيا عجباً كيف تهوى الملوك　　　محلي وموطن أهلي وناسي
وتحسدني وهـــي مخدومة　　　وما أنا إلاّ خديمٌ بفاسِ(٤).

---

(١) الحميدي: جذوة المقتبس، ص٣١٣؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٨، ص٣٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة:، ج ١، ص ١٣٣.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٣٥٠. ذكر ولادته ولم يذكر تاريخ وفاته؛ ابن الأحمر: نثير فرائد الجُمان في نظم فحول الزمان، دراسة في حياته وأدبه، دراسة وتحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة لطباعه والنشر(م. فهد ١٩٨٢م)، ص٣١٣؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٩١-٩٢؛ المقري: نفح الطيب، ج٧، ص١٠٨.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٩١-٩٢.

– **محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسي** (ت٧٧٨هـ/١٣٧٦م)، اشتهر في علم الحديث، من مؤلفاته "الجامع المعد" في جزأين، و "تحفة الناظر ونزهة الخاطر" في غريب الحديث[1].

– **محمد بن علي بن حياتي الغرناطي** (ت٧٨١هـ/١٣٧٩م)، من أهل غرناطة، أخذ عنه عدد من طلبة العلم، وهو أول من أدخل كتاب المرادي على ألفية ابن مالك لمدينة فاس[2].

ـــ أبو القاسم وأبو محمد عبد الله بن يوسف البخاري المالقي ثم الفاسي (ت ٧٨٢ هـــ/١٣٨٠م) الشاعر الناثر المؤلف كاتب الإنشاء بديوان السلطان أبي الحسن المريني، ووالي خطة العلامة لولده السلطان أبي عنان، وله ألّفَ بأمر منه كتابه "الشهب اللامعة في السياسة الملوكية والسير السلطانية"، يشتمل على خمسة وعشرين باباً تتخللها عدة فصول، وهو يدل على اطلاع واسع[3].

– **أبو القاسم، عبد الله بن يوسف النجاري الخزرجي** (ت٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)، من أهل مالقة، كان متفنناً لزم الكتابة للسلطان أبي عنان المريني، وكان ممن يشتركون في مجالسه العلمية، وممن أخذ عنه لسان الدين ابن الخطيب وغيره[4].

– **ابن عباد، محمد بن يحيى بن إبراهيم الرندي** (ت٧٩٢هـ/١٣٩٠م)، من أهل رندة، درس في بلده على والده ثم رحل إلى فاس، وأكمل دراسته بجامعة القرويين، ثم تولى الخطابة، وظل خطيباً بالقرويين خمس عشرة سنة، وكانت له مكانة كبيرة عند أهل فاس،

(١) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٢) ابن القاضي: درة الحجال، ج٢، ص٢٧٥؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٣) ابن القاضي، جذوة الاقتباس ص ٢٤٦، ٢٤٧؛ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت٩١١هـــ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهر، ط١، ١٣٨٧هـــ، ج١، ص ٢٠٣.

(٤) ابن الأحمر: روضة النسرين، ص٢٩؛ أعلام المغرب والأندلس، ص٢٣٣-٢٣٥؛ ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة عيتاني، بيروت، ص٢٥٤؛ أحمد بابا: نيل الابتهاج، ص١٤٥.

و من مؤلفاته "التنبيه والرسائل" وغيرها [١]، قال فيه المقري: (ابن عباد عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند أهل مصر)[٢].

– **يحيى بن أحمد النفزي الرُّندي الفاسي** (ت٨٠٥هـ/١٤٠٢م)، يعرف بالسراج، صاحب ابن عباد وتلميذه، وهو صاحب "الفهرست" الشهير، ويعرف بالسراج الأكبر[٣].

– **الأمير النصري أبو الوليد، إسماعيل بن يوسف بن الأحمر** (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، من أهل غرناطة، استوطن مدينة فاس بعد خروج والده من غرناطة بسبب خلافات حول الملك مع السلطان النصري إسماعيل بن الأحمر، ويقول في ذلك: (فلولا أن هدر الملوك بنو عمي بوطني دمي لسرت إليه على رأسي لا على قدمي....)[٤]، أخذ في فاس من عدة أعلام، وقد أجازه الكثير سواء من الأندلسيين المقيمين في فاس أم من علماء فاس؛ ونبغ في عهد السلطان المريني أبي عنان الذي قربه في جملة العلماء والأدباء والشعراء، كان يتصل بالوفود الغرناطية الأندلسية الزائرة لمدينة فاس، ويلتقي بالعلماء والأدباء من مؤلفاته كتاب "روضة النسرين في دولة بني مرين"و"مستودع العلاّمة ومستبدع العلاّمة"، و"عرائس الأمراء ونفائس الأمراء"،و"شرح البردة"، و"تأنيس النفوس في إكمال نقط العروس"، و"نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان"، و"نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان"، وله تأليف في أعيان مدينة فاس وأهلها أسماه "بيوتات فاس الكبرى"[٥].

---

(١) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص١٤٣،١٣٣.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٧، ص٢٦٥.

(٣) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص٣٣٩؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٤) ابن الأحمر: مُستودع العلاَمة ومُستبدع العلاّمة)، تحقيق: محمد التركي التونسي، مراجعه وتعليق. محمد بن تاويت الطنجي، منشورات كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص ١٥-١٦؛ أعلام المغرب والأندلس، ص٨٥.

(٥) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص٢٤؛ ابن القاضي: درة الحجال، ج١،س ص٢١٣؛ جذوة الاقتباس ج١، ص١٦٦-١٦٧؛ حمد بابا: نيل الإبتهاج، ص٩٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٣٦٩؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٩٧؛ محمد مخلوف: شجرة النور الزنكية، ص٢٣٨؛ حاجي خليفة: إيضاح المكنون، ج١، ص١٧٢؛ البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٢١٥.

-**محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري** (ت ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م)، من أهل غرناطة، يعرف بابن المواق الغرناطي، دخل مدينة فاس، وأخذ عنه الحافظ أبو عبد الله المنتوري[١].

ومما سبق يمكن ملاحظة عدة أمور:

أولاً: أن فاساً كانت محطة جذب للعلماء الأندلسيين طيلة فترة البحث، فلم يخلُ زمان إلا وقد نزلها عالم أندلسي، ونشر علمه فيها.

ثانياً: أن من هؤلاء من كان مقرئاً، ومنهم من كان محدثاً، وكثير منهم من الفقهاء وعلماء اللغة، ومنهم الطبيب والعشاب، ومن كان من أهل السياسة والحكم وغير ذلك، مما يدل على اتساع الخريطة العلمية في فاس فترة البحث.

ثالثاً: من حيث كون العالم محباً للعلم، فنزول علماء أندلسيين بفاس، وإقامتهم بها حتى الوفاة، ومنهم من دخلها مراراً، مرتين فأكثر، هذا يدل على بيئة علمية متميزة يجدها العالم فيحب البقاء بها.

رابعاً: يدل على حب الأندلسيين لفاس أن منهم من صنف في بيوتات فاس الكبيرة، وهذا يدل على قمة الاندماج الفكري، بحيث يشعر أنه ابن هذه المدينة وإن كان أصله أندلسياً، ويؤكد هذه فكرة الاندماج أيضاً تغني بعضهم وافتخاره أنه (خويدم لمدينة فاس).

كل هذا وغيره يصب في متانة العلاقات العلمية بين مدينة فاس والأندلس فترة البحث.

---

(١) ابن القاضي: درة الحجال، ج٢، ص١٤١؛ جذوة الاقتباس، ج١، ص٣١٩؛ أحمد بابا: نيل الإبتهاج، ص٣٢٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٩٨، وفيه وفاته سنة ٨٣٨هـ؛؛ أحمد خلوف: شجرة النور الزنكية، ج٢، ص٢٦٢.

أعلام فاسيّون في الأندلس

رغم أن انتقال الأندلسيين إلى العيش بفاس كان أكثر من انتقال الفاسيين للأندلس، إلا أني قد وقفت على جماعة من علماء فاس سكنوا الأندلس لطلب العلم وتعليمه، وبعضهم أرغم لأسباب سياسية، أو غير ذلك، وممن وقفت عليهم من هؤلاء:

– **دراس بن إسماعيل** (ت٣٥٧ﻫ/٩٦٧م)، يكنى بأبي ميمونة، من أعلام فاس وحفاظ المغرب المعدودين من أهل الفضل والدين والأمانة، سمع من شيوخه في بلده، رحل في طلب العلم إلى الأندلس ثم استقر فيها طالباً ومجاهداً، وسمع منه غير واحد فانتشر علمه في الأندلس بعدما رحل إليها طالباً، وكان أول من أدخل "مدونة سحنون" إلى فاس بعد رحلته إلى الحج، وتوفي في مدينة فاس(1).

ـــ **مُوسَى بن يحيى الصّديني**(ت٣٨٨هــ/٩٩٨م)، من أهل فاس؛ يُكَنَّى: أبا هارون، كان فقيهاً حافظاً للمسائل، عالماً بالرّأي، وله رحلة إلى المشرق لقي فيها أبا جعفر الاسْوَانِيّ المَالكي وغيره. دخل الأنْدَلُسَ وترَدّد في الثّغر، وكتِبَ عنه هناك. حَدَّثَ عنه عَبْدُوس وغيره، وتُوفِّي بمدينة فاس(2).

– **أبو الحسن، علي بن سعيد الهواري الفاسي** (ت٣٩٩ﻫ/١٠٠٨م)، فقيه فاس، كانت له رحلة إلى المشرق، ورحلة للأندلس، قدم طليطلة سنة (٣٩٩ﻫ/١٠٠٨م)، وحدّث بها وسمع منه أبو اسحاق إبراهيم بن شنطير الطليطلي (ت ٤٠٢ﻫ/١٠١١م)، وصاحبه أبو جعفر بن ميمون، وكانا رفيقين في الرواية، ولهما حلقة واحدة في جامع قرطبة(3).

---

(١) الجزنائي: زهرة الآس، ص٢١–٢٢؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٩٤–١٩٦؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص١٧٦–١٧٧؛ إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن (٩هــ / ١٥م)، الجزء الأول، العلوم الإنسانية والعقلية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ص٩٧.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص١٩٤.

(٣) ابن بشكوال: الصلة، ص ١٣٧.

- **أبو علي، الحسين بن علي الفاسي** (ت٤١٢هـ/١٠٢١م)، رحل إلى الأندلس طالباً فاستفاد الناس من علمه، صحبه الحافظ أبو محمد علي بن حزم القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) لما عقل وانتفع به كثيراً وقال عنه في كتابه "طوق الحمامة": (ما رأيت مثله علماً وعملاً)[1].

وبهذا تكون فاس قد أسهمت في تكوين الحافظ ابن حزم العلمي وهو الذي يعد من أجمع الناس لعلوم الإسلام في عصره بالأندلس[2].

- **أبو العباس، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الشارقي الواعظ**، سمع بالمشرق، ودرس ودخل العراق وفارس والأهواز ومصر، ثم انصرف إلى الأندلس، وسكن سبتة وفاس وغيرهما مدة، وسمع منه بعض الناس، وكان رجلاً صالحاً ديناً، كثير الذكر والعمل والبكاء، وكان يجلس للوعظ وغيره، توفي بشرق الأندلس في بداية القرن(ق٦هـ/ق١٢م)[3].

- **منصور بن مسلم بن عبدون الزرهوني الفاسي** (ت ٥٥٦هـ/١١٥٩م)، ودخل الأندلس فروى بمرسية عن أبي علي الصدفي (٥١١هـ/١١١٧م) صحيح مسلم، وقرأ عليه جامع الترمذي، وكان فقيهاً مشاوراً، روى عن عدد من العلماء، وحدّث عنه أبو القاسم بن الملجوم[4].

- **أبو عبد الله محمد بن حبوس** (ت٥٧٠هـ/١١٧٤م)، من أهل مدينة فاس وكانت طريقته في الشعر على نحو طريقة محمد بن هانئ الأندلسي في قصد الألفاظ الرائعة إلا أن محمد بن هانئ كان أجود منه طبعاً، ولابن حبوس قصائد كثيرة وكان حظياً عند الموحدين، وكان في دولة المرابطين مقدماً في الشعراء حتى نقلت إليهم عنه حماقات فهرب

---

(١) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، طوق الحمامة في الألفة والآلاف.تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مطبعة الإستقامة، القاهره.، ص٢٧٣.

(٢) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص ٤٤؛ د. عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج١، ص١٥٧.

(٣) ابن بشكوال: الصلة ٢٤/١.

(٤) ابن الأبَّار: التكملة، ص٣٩٢؛ المعجم، ص١٩٥.

إلى الأندلس ولم يزل بها مستخفياً ينتقل من بلد إلى بلد حتى انتقلت الدولة المرابطية للموحدين(١).

– **الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن الربعي، من أهل فاس** (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، روى عن جماعة من علماء مدينته منهم عباد بن سرحان الشاطبي، واستقر في مدينة بسطة وروى بها عن بعض شيوخها، وحدّث عنه أبو عبد الله بن خليل وغيره(٢).

– **أبو عبد الله، عبد الله بن محمد بن حجاج بن الياسمين** (ت٦٠١هـ/ ١٢٠٤م)، من أهل مدينة فاس، رياضي، برع في عدة علوم منها المنطق والهندسة والتنجيم والهيئة، وخاصة الحساب والعدد، فكان لا ينازع في الاختصاص بمعرفة دقائق الحساب وغوامض مسائله، له أرجوزة في الجبر، نشر علم الحساب في الأندلس وخاصة إشبيلية إذ أقرأ فيها سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م) وسمع منه، وتوفي في مراكش(٣).

– **إسحاق بن إبراهيم بن يعمر الفاسي** (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م)، **من** فقهاء المالكية في المغرب، كان متبحراً في الفقه حتى قيل إنه كان يحفظ المدونة مدونة سحنون، درّس الفقه المالكي في المغرب والأندلس.

– **أبو محمد، تاشفين بن محمد المكتب** (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م)، كان زاهداً عابداً، معلماً بالقرآن له حظ من الشعر؛ دخل الأندلس غازياً ودخل قرطبة سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م)، فأقام بها أياماً يلقى فيها الزاهدين(٤).

– **عبد الرحمن بن القاسم بن يوسف بن محمد المغيلي** (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، من أهل فاس نشأ ودرس بها، فأخذ عن مشيخة بلده، ثم انتقل إلى سبتة فسمع من ابن عبيد الله، وأبي ذر الخشني، وأبي العباس الجراوي وغيرهم، وروى عنهم؛ ثم سكن غرناطة

---

(١) المراكشي: المعجب، ج، ص٦٠؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص١٦٧.

(٢) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢٧١؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١،ص١٧٨.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٣٧؛ ابن الأبّار: التكملة، ص٥٣١؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص٢٣٧؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص١٥٧.

(٤) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢٣٥؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٧٢.

وتصدّر للإقراء بها بعد إجازة ابن رشد له، توفي في غرناطة، أخذ عنه كثير من شيوخ الأندلس منهم أبو القاسم بن الطيلسان، وأبو عبد الله بن سعيد بن الطراز، وأبو محمد القرطبي وغيرهم(١).

– **أبو الفرج بن مهاجر** (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، كان متقدماً في علم الأصول والكلام والفقه، وكان نحوياً عارفاً أخذ بفاس "كتاب سيبويه" عن ابن خروف تفقهاً، وأقرأ بإشبيلية هذه العلوم، وتفقه به الكثير(٢).

ـ **علي بن عبد الله** بن محمد بن يوسف بن أحمد **الأنصاري، فاسي** المولد، يكنى أبا الحسن ويعرف **بابن قطرال**(ت٦٤٩هـ/١٢٥١م)، دخل الأندلس في عام (٦٤١هـ/١٢٤٣م)، فترل المرية وأقام بها ثم انتقل إلى مالقة ودخل غرناطة، فأخذ عنه جميع طلبتها إلا النادر، إلى أن أتته منيته بمالقة غريقاً (٣).

– **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي الكرسوطي من أهل فاس، ولد عام** (٦٩٠هـ/١٢٩١م)، ولم تحدد وفاته، إلا أنه توفي في القرن (ق٨هـ/ق١٤م)، الفقيه المتكلم، قرأ القرآن على أبيه والأستاذ أبي الحسن القيجاطي البلوي، وأبي إسحاق الجزيري، وأبي الحسن بن سليمان، وأبي عبد الله بن أقدوم، وقرأ الفقه على عبد الرحمن الجزولي، وأبي الحسن الصغير وغيرهم، روى الحديث بسبتة عن أبي عبد الله الغماري، وأبي عبد الله بن هاني، قدم إلى الأندلس سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، وروى فيها الحديث بمالقة عن الخطيب أبي عبد الله الطنجالي، وأبي عمرو بن منظور، وبغرناطة عن أبي الحسن القيجاطي، وببليش عن أبي جعفر بن الزيات؛ ثم أقام بالأندلس مقرئاً بمسجد الصوامع فيها ومسجد الرايات، قال عنه ابن الخطيب: (غزير الحفظ، متبحر

(١) ابن الأبّار: التكملة، ص٥٩٢؛ ابن أبي جعغر أحمد: صلة الصلة، ص١٠٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٣٠٧. وفيه وفاته سنة ٦١٩هـ.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٠٨.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٤، ص١٦٠.

الذكر، عديم القرن، عظيم الإطلاع)[1]، من مؤلفاته "الغرر في تكميل الطرر" طـــرر أبي إبراهيم الأعرج، وكتاب "الدُّرر في اختصار الطرر"، وتقييدان على الرسالة كبير وصغير، ولخص "التهذيب" لابن بشير [2].

– **إبراهيم بن محمد بن أحمد بن هارون المرادي الفاسي** (ت٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م)، من أهل فاس، يعرف بابن الكماد، روى عن أبي ذر الخشني، وأبي القاسم بن زانيف، وأبي عبد الله التُّجيبي وغيرهم، وكان أحفظ الناس في زمانه للحديث، وأذكرهم للتاريخ والرجال والجرح والتعديل، سكن إشبيلية مدة طويلة، ثم رجع إلى العدوة فسكن سبتة وتوفي بها يوم[3].

– **محمد بن علي بن العابد الأنصاري** (ت٧٦٢هـ/١٣٦١م)، سكن غرناطة ومات بها، كان إماماً في الكتابة والأدب واللغة والإعراب والتاريخ والفرائض والحساب والبرهان عليه، ومن البارزين في حفظ الشعر ونظمه ونسبته إلى قائله، و اشتهر في علوم الحديث درسه وحفظ الأحكام لعبد الحق الإشبيلي، ونسخ الدواوين الكبار واختصر "تفسير الزمخشري"، وإزالة الاعتزال عنه، أخذ بمدينة فاس عن أحمد بن القاسن بن البقال الأصولي، وأبي عبد الله المقري، وأبي الحسن الجزالي وغيرهم؛ ومن نظمه:

طرقت تَتِيهُ على الصـــــبح الأبلج   حســـناءُ تختالُ اختيالَ تبرجِ
في ليلةٍ قد أَلْبست بظلامها   فضفاضُ بردٍ بالنجومِ مُدَبّجِ [4].

هذا، وقد استفادت الأندلس من سفراء فاس[5] الذين دخلوا بلادها وانهال عليهم الطلبة للاستفادة من علومهم ومنهم:

ـــ أبو الحسن الصغير، علي بن عبد الحق الزرويلي (ت٧١٩هـ/١٣١٩م)[6].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص١٣٠-١٣١.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١،ص٢٢٢-٢٢٣؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢، ص٢٧٥.

(٣) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٨٤-٨٥؛ مخلوف: شجرة النور الزكية، ج١، ص٢٠٠.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٢، ص٢١١؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٣١.

(٥) للتعرف على تأثير السفارة في العلاقات العلمية: انظر مطلب السفارات.

(٦) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص٢٠٤-٢٠٥.

ـــ القاضي إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي التازي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)[١].

ومن العلماء غير الفاسيين الأصل إلا أنهم استقروا في فاس مدة ثم انتقلوا منها إلى الأندلس:

– **أبو القاسم، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي** توفي من بعد (٥١٠هـ/١١١٦م)، من أهل سبتة ومن جلة فقهائها؛ روى عن أبيه وحجاج بن المأموني وغيرهما وكان يميل إلى الحجة والنظر، ولي قضاء الجزيرة الخضراء مدة ثم قضاء مدينة سلا. ورجع إلى فاس وتوفي بها[٢].

– **الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري** (ت ٥٩٨هـ/١٢٠١م)، أصله من ناحية بجاية، سكن مراكش، وروى عن أبيه وغيره، وتفقه بالقاضي أبي موسى بن عمران، و كان أديباً فصيحاً سماه أبو الربيع بن سالم في مشيخته؛ دخل الأندلس مراراً وولى الخطبة بها في إشبيلية سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) بعد أبي الحسن المالقي، توفي بمدينة فاس واحتمل منها إلى مراكش ليدفن بها[٣].

– **القاضي أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر السُّلمي** (ت٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م)، من أهل أغمات، **سكن مدينة فاس،** روى عن جده لأمه أبي محمد عبدالله بن علي اللخمي، وأخذ عن أبي بكر بن طاهر كتاب سيبويه تفهماً، وكان من أهل المعرفة والفقه، أديباً شاعراً مجيداً، اشتهر بالأدب مع جودة الخط، تولى القضاء بفاس بعد أبيه ثم ولي قضاء تلمسان ثم أعيد لقضاء فاس، ثم إشبيلية، وكان سبب نقله من فاس إلى إشبيلية هو تحريض

---

(١) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص٧٤؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص ٤٥؛ المقري: نفح الطيب، ج٥، ص ٣٨٧؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين،ج ١، ص ٤٤.

(٢) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص١١٣.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٢٧١؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٨٠.

أعدائه لإقصائه عن قضاء فاس وذلك لأنهم عدّوه من أهل الغزل وانهماكه في العشق بأشعاره، ولي قضاء أشبيلية واستمر إلى أن مات [(١)].

– **إبراهيم بن جابر بن عمر بن عبد الرحمن المخزومي** (ت ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)، من أهل مراكش، ونشأ في مدينة فاس، يعرف بالقفال، أخذ عن علي بن حرزهم وغيره، ومال إلى التصوف وغلب عليه الوعظ والتذكير، وكان من أهل العلم والعمل به صابراً على ذلك، دخل الأندلس واستوطن إشبيلية وأقام بها فترة من الزمن ثم انتقل إلى مراكش سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م)، فلم يزل بها حتى توفي[(٢)].

ومما سبق يمكن ملاحظة عدة أمور:

أولاً: كان عدد الفاسيين الذين نشروا علومهم بالأندلس أقل من الأندلسيين الذين نشروا علومهم بفاس، وقد يرجع هذا إلى أن اتجاه الرحلة من الأندلس إلى فاس كان أقوى تدفقاً من الاتجاه المضاد.

ثانياً: أن بعض هؤلاء الفاسيين كان خروجه للأندلس لأسباب سياسية، ومع ذلك فقد حل بالأندلس ناشراً لعلمه، ولم يمنعه فراره من نشر العلم، مما يؤصل حقيقة حب الفاسيين للعلم ونشره.

ثالثاً: لم يستوعب علماء فاس الذين نزلوا الأندلس نشر مختلف العلوم، وإنما كان أكثر ما أخذ عنهم الحديث والفقه والشعر، وهذا أكثر ما يحسنه أهل فاس.

رابعاً: لم يكن للفاسيين ذاك الأثر البارز في الأندلس، وقد يعزى هذا إلى قلة وجودهم بها، مع ظهور علماء كُثر بالأندلس استفاد منهم طلبتهم.

---

(١) أبو سعد السمعاني. الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن المُعَلِّمي اليماني، حيدر أباد الدكن، ١٩٦٢م، ج١، ص٤٤٢؛ ابن أبي جعفر أحمد: صلة الصلة، ص ٧٢؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص١٦٨-١٦٩.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٩٠-٩١؛ العباس: الإعلام بمن حل من الأعلام بمراكش وأغمات، ج١، ص١٧٣.

القضايا العلمية المتبادلة بين الأندلس وفاس

تبادل القضايا العلمية دأب العلماء في كل عصر، فالعلم رحم بين أهله، ولا شيء أحب للعالم من أن ينفتح له وجه مسألة أو يظفر بفائدة.

وثمة قضايا علمية تثار على مستوى واسع، ويدلي كل عالم فيها برأيه، وهذه القضايا تكون عادة مرجعاً للعلماء بعدهم، فهي بمثابة مجامع فقهية، وعلمية، تتداول فيها الآراء، وتظهر فيها أكثر من وجهة، وينتصر كل فريق بحججه، وهي من أبرز مظاهر العلاقات العلمية عادة.

وقد وقفت على بعض هذه القضايا العلمية التي اشترك في الحكم عليها كل من أهل فاس والأندلس معاً، وهي:

الإمام الغزالي وكتابه "إحياء علوم الدين":

من أبرز القضايا العلمية التي برزت في فترة البحث، ما تباينت فيه آراء العلماء بشأن كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام أبي حامد الغزالي، والغزالي مر في حياته بعدة مراحل من متصوف، وفيلسوف، ومنظِّر أشعري، ومات وصحيح البخاري على صدره(1).

قال عنه أبو بكر بن العربي: (شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم، فما استطاع)(2).

ومن معجم أبي علي الصدفي، تأليف القاضي عياض له، قال: (والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف العظيمة، غلا في طريقة التصوف، وتجرد لنصر مذهبهم، وصار داعية في ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة، والله أعلم بسره، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها، فامتثل ذلك).

---

(1) انظر ترجمة الغزالي في: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٢٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٤٩١؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٤، ص٢١٦ - ٢١٩.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٢٢.

علق الذهبي بقوله: (قلت: ما زال العلماء يختلفون، ويتكلم العالم في العالم باجتهاده، وكل منهم معذور مأجور، ومن عاند أو خرق الإجماع، فهو مأزور، وإلى الله ترجع الأمور)[1].

وإنما أنكروا على كتب الغزالي عامة، والإحياء خاصة لأنه (فيه كثير من الآثار عن النبي ﷺ لفق فيه الثابت بغير الثابت، وكذا ما أورد عن السلف لا يمكن ثبوته كله، وأورد من نزغات الأولياء ونفثات الأصفياء ما يجل موقعه، لكن مزج فيه النافع بالضار، كإطلاقات يحكيها عن بعضهم لا يجوز إطلاقها لشناعتها، وإن أخذت معانيها على ظواهرها، كانت كالرموز إلى قدح الملحدين)[2]

وقال محمد بن الوليد الطرطوشي في رسالة له إلى ابن مظفر: (فأما ما ذكرت من أبي حامد، فقد رأيته، وكلمته، فرأيته جليلا من أهل العلم، واجتمع فيه العقل والفهم، ومارس العلوم طول عمره، وكان على ذلك معظم زمانه، ثم بدا له عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال، ثم تصوف، وهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر، وأرباب القلوب، ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة، ورموز الحلاج، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين، فلما عمل " الإحياء "، عمد يتكلم في علوم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، وشحن كتابه بالموضوعات)[3].

ولا ننكر أن بعض فقهاء المغرب تواطأ مع فقهاء الأندلس على رأيهم في الإحياء.

ولكن كان هناك ــ في مقابل ذلك ــ من عارض هذا الاتجاه؛ فأبو الفضل بن النحوي (ت٥١٣هــ/١١٢٠م)، من علماء المغرب الأوسط، وهو ممن نزل فاساً، نجده يعارض فتيا ابن حمدين وينتصر للغزالي وكان قد انتسخ كتاب الإحياء وجعله ثلاثين

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٢٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٣٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٣٩.

جزءاً، فإذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم منه جزءاً، وكان يقول وددت أني لم أنظر في عمري سوى هذا الكتاب[1].

وكذلك **أبو الحسن البرجي** (ت٥٣٦هـ/١١٤١م)، من فقهاء المرية عارض في هذه الفتيا وأوجب في نسخ الإحياء لما أحرقها ابن حمدين تأديب محرقها وتضمينه قيمتها لأنها مال مسلم وقيل له أتكتب بما قلته خطّ يدك؟ فقال سبحان الله كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون، ثم كتب السؤال في النازلة وكتب فتياه بعقبه ودفع إلى أبي بكر بن عمر بن أحمد بن الفصيح وأبي القاسم بن ورد وغيرهما من فقهاء المرية ومشايخها، فكتب كلٌّ واحد منهم فيه بخطه وبه يقول فلان مسلّمين لعلمه وزهده.

فغاظ ذلك ابن حمدين لما بلغه وكسر من حدته، وكتب إلى قاضي المرية حينئذ أبي عبد الملك بعزله عن الخُطّة التي له؛ فأخبر بزهده وانقباضه عن الدنيا. وكان علي بن حِرزهم من فقهاء فاس قد وافق أولاً تلك الفُتيا التي تُدين كتاب الإحياء، ثم بدا له فرجع عنها[2].

والظاهر أن الإحياء انتشر في فاس بعدها حتى إن هناك من النساء الأندلسيات النازلات بفاس من نسخته، وهي سيدة بنت عبد الغني بن علي بن عثمان العبدري، وهي من أهل غرناطة وسكن أبوها مرسية تكنى أم العلاء وكان أبوها أبو محمد قاضيا بأوريولة وتوفي وتركها يتيمة صغيرة، ثم انتقلت إلى مدينة فاس ثم عادت إلى غرناطة وكتبت بخطها كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي من أصل أبي زكرياء ولم تزل قائمة على التلاوة ومحافظة على الأدعية والأذكار والسعي في الخيرات والتوفر على أعمال البر والإيثار بما تملك وفك الرقاب من الأسر إلى أن توفيت سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م)[3].

وقد أدى فعل ابن حمدين هذا إلى وجود حالة من السخط على هذا التسلط، فالفكر يرد عليه لا أن يقاوم بمثل هذه الطريقة، ويصور حالة الرفض التي نشأت قول

---

(١) ابن قنفذ: الوفيات، ج١، ص ٩.

(٢) ابن الأبّار: التكملة، ج٥، ص١٨٤.

(٣) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص٢٦٥.

الشاعر أبي جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن البني من أهل مدينة جيان من جزيرة الأندلس.

أهل الرياء لبستمو ناموسكـــم   كالذئب أدلج في الظلام العاتم
فملكتمو الدنيا بمذهب مالـــك   وقبضتمو الأموال بابن القاسم
وركبتمو شهب الدواب بأشهب   وبأصبغ صبغت لكم في العالم

وإنما عرض أبو جعفر هذا في هذه الأبيات بالقاضي أبي عبد الله محمد بن حمدين قاضي قرطبة وهو كان المقصود بهذه الأبيات ثم هجاه بعد هذا صريحاً(١).

وهكذا نرى أن الفتنة أندلسية في الأصل وأن رجال الدولة إنما أخذوا برأي الأغلبية من رجال الفقه، وتشترك الأندلس مع المغرب في ذلك، لأن يوسف ابن تاشفين وحّد البلدين وجعلهما وطناً واحداً يتبادل سكانه المصالح والمنافع.

يقول صاحب المعجب: (ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي - رحمه الله - المغرب أمر أمير المسلمين — أي: علي بن يوسف بن تاشفين- بإحراقها وتقدم بالوعيد الشديد من سفك الدم واستئصال المال إلى من وجد عنده شيء منها واشتد الأمر في ذلك)(٢).

ــ **وثمة مسألة أخرى ثارت بالأندلس في النصف الثاني من القرن** (ق٨هـ/ ق١٣م)، وهي هل يصح طريق الصوفية دون شيخ؟ وإنما يكتفي فيه بالكتب الموضوعة لأهله، وكانت هذه القضية موضوع مناظرات شارك فيها الفقهاء والصوفية بالأندلس(٣).

ونظراً لهذه المناظرات أراد فقهاء الأندلس معرفة رأي فقهاء فاس في ذلك فرفع أبو إسحاق الشاطبي(٤) سؤالاً يستطلع فيه رأي بعض أعلام مدينة فاس، وكان السؤال موجهاً بالخصوص إلى شيخين هما: ابن عباد، محمد بن إبراهيم الرندي وأبي العباس أحمد

---

(١) المراكشي: المعجب، ص ٤٥.

(٢) المراكشي: المعجب، ص ٤٩.

(٣) محمد المنوني. التيارات الفكرية في المغرب المريني، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، ذو الحجة ١٣٩١هـ/فبراير ١٩٧٢م، ص١٥-١٦، ص١٥-١٦.

(٤) كحالة: معجم المؤلفين، ج١، ص١١٨-١١٩.

بن قاسم الجذامي الشهير بالقباب، وقد أجاب كلٌّ منهما بجواب على حده احتفظ بهما معاً الونشريسي في معياره[1].

ــ وربما أخذت العلاقات **صورة مراسلات علمية**، وكان ابن رشد تأتيه المسائل لحلها من مختلف مدن الأندلس، وكذلك من المغرب[2]، ويكفيه فخراً ما نعته به الإمام أبو عبد الله القوري (ت٨٧٢هــ/١٤٦٨م) مفتي فاس في قوله: (جرت عادة الشيوخ بتقديمه على غيره من الشيوخ لرسوخه في العلم، ودرايته بالروايات، وتحقيقه لها، وتقديمه للقضاء والفتيا بإجماع من جل معاصريه)[3].

ــ وفي أواخر سنة (٧٨٧ﻫ/١٣٨٥م) قام أبو عثمان سعيد الرندي الأندلسي الأصل مستوطن فاس (ت ﻫ/م) و أبو الحسن علي الشريف الحسني السجلماسي ورفيقه محمد بن إبراهيم العمري [4]. بالحث على الدفاع عن الأندلس، وقد كان سعيد الرندي مفوضاً من جهة سلطان الأندلس ورؤسائها للدعوة إلى إنقاذ الأندلس، وهو الذي ندب علماء فاس إلى الكتابة لأبي الحسن بن المحروق في صدد الحض على الجواز للأندلس وذلك أثناء سنة (٨٤١ﻫ/ ١٤٣٨م)[5].

ويذكر ابن الخطيب هذه الرسالة بقوله: (توجه شيخ الصوفية السّفارة أبو الحسن بن المحروق رسولاً إلى المغرب يستدعي الإمداد، ويحض على الجهاد)[6].

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج٥، ص٣٤١.

(٢) ابن رشد: الفتاوى، ص٦١.

(٣) أبو عيسى سيدي المهدي الوزّاني (ت١٣٤٢ﻫ)، النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من القرى. المسماه بــ المعيار الجديد المُعرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب، تصحيح: عمر بن عبّاد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٨ﻫ/١٩٩٧م، ج١٠، ص٤٨١.

(٤) محمد المنوني: التيارات الفكرية في المغرب المريني، ص٤٣.

(٥) محمد المنوني: التيارات الفكرية في المغرب المريني، ص٤٣.

(٦) ابن الخطيب: ريحانة الكتاب، ج٢، ص٦١.

ثم يذكر نص هذه الرسالة: (أيها الناس رحمكم الله إن إخوانكم المسلمين بالأندلس قد دهم العدو قصمه الله ساحتهم، ورام الكفر خيبه الله استباحتهم، ورجفت أبصار الطواغيت إليهم، ومد الصليب بذراعيه عليهم...الجهاد الجهاد فقد تعين، الجار الجار فقد قرر الشرع حقه وبيّن، الله الله في الإسلام، الله الله في أمّة محمد عليه السلام...فقد استغاث بكم الدين فأغيثوه، وقد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه، أعينوا إخوانكم بما أمكن من إعانة...جردوا عوائد الحمية...صلوا رحم الكلمة، واسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة)[1].

وقد انتدب لها من علماء فاس محمد بن عمرو العكرومي القرشي، وعلي بن محمد بن مرشيش، ومحمد ابن املال، وأحمد بن أحمد الماواسي[2].

فهذا من أعظم أنواع العلاقات العلمية، بل وأوجبها، إلا أنه لم يتم المراد لحكمة يعلمها الله، وضاعت الأندلس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقبل الكلام على تقييم تبادل القضايا العلمية بين الأندلس وفاس، لابد من التنويه إلى أن قضية التبادل هذه تحتاج إلى أمرين:

ــ أن يكون العلم الذي يتم تبادل القضايا حوله **موجوداً في الطرفين**، لأن تميز طرفٍ بعلم يجعل المعلومات تنتقل في اتجاه واحد؛ لا أن تتبادل بين الاتجاهين.

ــ أن يكون ثمة تفاضل في أحد العلوم من جهة عنه عن الجهة الأخرى، بحيث تظهر الفروقات ويحصل التبادل العلمي.

وفي حالة العلاقات العلمية بين فاس والأندلس، لم نجد توفراً في هذين الشرطين في كثير من فترات البحث، بسبب أمور:

أولاً: تشابه المساحة الثقافية بين الأندلس وفاس في الجملة، حيث لم يكن ثمة ما يدعو لوجود تفاضل في العلوم بحيث يتم انتقالها من جانب لآخر، فالمذهب الفقهي السائد هو المذهب المالكي، وشيوخ محدثي فاس والأندلس هم من المشارقة، وهكذا.

---

(١) ابن الخطيب: ريحانة الكتاب، ج٢، ص٦٢.

(٢) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص١٢٢؛ ج٣، ص٨٦، ٢٤٥؛ السلاوي: الاستقصا، ج٧، ص٨.

ثانياً: في بعض فترات البحث الزمنية ظهر تفاضل في بعض العلوم بين الجانبين، **كما في الفقه**، إلا أن هذا لم يكن مدعاة للتبادل العلمي بسبب التزام أهل فاس بالاقتصار على المدونة وتقييداتها، وصار هذا منتهى علومهم، مما أقفل عليهم باباً من التبادل العلمي.

يقول المقري: (و لم يظهر من علماء فاس شيء من التآليف المرتجلة ولا الملخصة، إلاّ ما كان سبيله النسيج بها على ما هي عليه فقط، كما في تأليف المدونة المنسوبة للشيخ أبي الحسن وهي التي اعتنى بها طلبته، وبنوها على ما قيدوه عنه من فوائد المجلس، وذلك كله في العشرة الرابعة من المائة الثامنة. ثم تلاهم طلبة الشيخ الجزولي على الرسالة، وتعددت تلك التقاييد أيضاً)[1].

ثالثاً: ذكر ابن خلدون أن ثمة انحساراً في ملكة التعليم عند الفاسيين، وعزا ذلك إلى قصورهم عن الرحلة، ثم إن في فترات زمنية من البحث كانت همة الفاسيين لم تعدُ الفقه، في حين تعدت همة الأندلسيين لعلوم أُخر من الحديث والعربية وغيرها، فما كان من تبادل لقضايا علمية في هذه العلوم لانفراد الأندلس بها[2]، يقول المقري: (وأما ملكة العلوم النظرية، فهي قاصرة على البلاد المشرقية، ولا عناية لحذاق القرويين والإفريقيين إلاّ بتحقيق الفقه فقط) [3]

وينقل المقري عن ابن خلدون قوله: (لم نشاهد في المائة الثامنة من سلك طريق النظار بفاس، بل في جميع هذه الأقطار، لأجل انقطاع ملكة التعليم عنهم، و لم يكن منهم من له عناية بالرحلة، بل قصرت هممهم على طريق تحصيل القرآن، ودرس التهذيب فقط. نعم أخذوا شيئاً من مبادئ العربية من أهل الأندلس، القادمين عليهم من يبتة وغيرها، باستدعاء ملوك بني مرين. قال: ولهذا لم يتصدر من الفاسيين من يقرئ " الكتاب " كما هو متناول بين أهل الأندلس، مثل ابن أبي الربيع والشلوبين وغيرهما، لوجود ملكة النحو في قطر الأندلس، بسبب رحلة علمائها إلى تلقيه من أربابها بالمشرق، كما ارتحل أعلامهم

(١) أزهار الرياض، ج١، ص٢٤٢.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٢، ص ٣٥٢.

(٣) أزهار الرياض، ج١، ص٢٤٢.

إلى بغداد في تحصيل الفقه من الأبهري، وكذا يحيى بن يحيى عن مالك، وغير واحد وكذلك علوم الحديث وغيره، كرحلة الإمام الحافظ أبي بكر بن العربي[1].

ويقول في المعجب: (ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع ــ أعني فروع مذهب مالك ــ فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ. فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه وأنه بدعة في الدين وربما أدى أكثره إلى اختلال في العقائد في أشباه لهذه الأقوال حتى استحكم في نفسه بغض علم الكلام وأهله فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه[2].

ونحو ذلك ما وقع للإمام أبي الفضل بن النحوي حين دخل سجلماسة فجعل يدرس أصول الدين وأصول الفقه، فمر به عبد الله بن بسام أحد رؤساء البلد فقال: ما العلم الذي يدرسه هذا؟ فأخبروه، وكانوا قد اقتصروا على علم الرأي فقال: هذا يريد أن يدخل علينا علوماً لا نعرفها، وأمر بإخراجه، فقام أبو الفضل ثم قال له: أَمَتَّ العلمَ أماتك الله ههنا، قالوا: وكانت عادة أهل البلد أن يعقدوا الأنكحة في المسجد، فاستحضروا ابن بسام لعقد نكاح صبيحةَ اليوم الثاني من ذلك اليوم، فخرج سَحَراً وقعد في المكان المذكور، فمرت عليه جماعة من ملوانة إحدى قبائل صنهاجة فقتلوه برماحهم، وارتحل أبو الفضل إلى مدينة فاس[3].

---

(١) المقري، أزهار الرياض، ج١، ص٢٤٢؛ عبد الإله بنمليح: مدينة فاس في ذاكرة ابن خلدون، مجلة التاريخ العربي، العدد الخامس والأربعون، الرباط، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٢٧٨.

(٢) المراكشي: المعجب، ج١، ص٤٩.

(٣) الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي: المحاضرات في اللغة و الأدب، نشرة محمد الحجي وأحمد الشرقاوي إقبال، بيروت ١٩٨٢م، ج١، ص٣٦.

تبادل الإجازات العلمية

اختص الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بشرف الإسناد[1]، فهي الأمة الوحيدة بين أمم الأرض التي تحمل تراثها الديني والثقافي بالأسانيد والروايات، ومنه ما هو بأعلى أنواع الأسانيد وهو التواتر[2]، ولا يختص ذلك بالكتاب العزيز وحده، بل كثير من الأحاديث النبوية والتواريخ تحمل أيضاً صفة التواتر[3].

وللإسناد أهميته في نقل التراث الفكري، قال الإمام ابن المبارك: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)[4].

ولقد كانت العصور الإسلامية الأولى تعني بالرواية والسماع، وكانت العلوم المتلقاة تقل طبقات أسانيدها باعتبار قرب العهد من النبي ﷺ والصحابة والأئمة المجتهدين، فكانت الأسانيد يقل عدد أفراد رجالها، مما يسهل حفظها على الأمة حتى صار عصر التدوين، وبدأت المصنفات تظهر إلى حيز الوجود بتدوين تلك الأسانيد المحفوظة، وصار الإسناد يدخل في مرحلة جديدة وهي حمل كتاب عن شخص بعد أن كان الأمر حمل عدة أحاديث.

وبهذا ظهر مصطلح جديد في طرق التحمل والرواية، وهو مصطلح (الإجازة العلمية)، وهي إجازة الشيخ مروياته للطالب بأن يرويها عنه، وبهذا تغلب المحدثون على الصعوبة الحاصلة من طول الأسانيد، فيكفي أن يجيز الشيخ كتاباً كصحيح البخاري مثلاً لتلميذه، فيروي التلميذ الجامع الصحيح بأسانيده من طريق هذا الشيخ، ولا تعدو الإجازة

---

(١) المراد **بالإسناد**: سلسلة الرجال الموصلة إلى المتن، كأن يقول الرجل حدثني فلان أن فلاناً قال (كذا وكذا)، انظر في ذلك: محمود الطحان: أصول التخريج ودراسة الأسانيد، مكتبة المعارف، الرياض، ب د، د ت، ص١٥٨.

(٢) **التواتر**: هو التتابع قال تعال: {ثم أرسلنا رسلنا تترا}، [المؤمنون، آية ٤٤]، وعند علماء المصطلح يعرفونه بأنه ما يرويه الجمع الذي تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، وحده بعضهم بعشرة أشخاص في كل طبقة من طبقات السند. انظر تعريف المتواتر في: صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٩٨٤م، ص١٤٦.

(٣) السيوطي: تدريب الراوي، ج، ص٣١.

(٤) أبو الحسين مسلم بن الحجج القشيري (ت٢١٦هـ): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الفيصلية، مكة، ج١، ص١٥.

عبارة واحدة كأن يقول الشيخ لتلميذه (أجزتك رواية صحيح البخاري بإسنادي إليـــه)، وأصبح بعد تدوين الكتب لا فرق بين الإجازة والسماع [١].

واعتمد العلماء هذا النوع من التحمل والأداء، مادام التلميذ سمع الكتـــاب مـــن الشيخ، أو كان الكتاب بنسخة صحيحة بخط مؤلفه أو قوبل على نسخته [٢]، ولا ســـيما فيما اشتهر في الأمصار ككتب الحديث الستة [٣].

والإجازة في اللغة: مصدر: أجاز بمعنى إعطاء الإذن، وأجاز له: أي أذن لـــه [٤]، وهي مشتقة من التجوز، وهو التعدي، فكأن الشيخ عدى روايته حتى أوصلها للـــراوي عنه [٥].

والإجازة عند المحدثين: هي طريقة من طرق التحمل والأداء، وهي الطريقة الثالثة بعد السماع من الشيخ والقراءة على الشيخ [٦]، وهي أعم لأنها عبارة عـــن إذن الـــشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه و لم يقرأها عليه [٧].

وتُمنح الإجازة لطالب العلم إما مشافهة أو كتابة، وذلك بأن يكتب الشيخ إجازاته على الكتاب الذي درسه الطالب عليه، أو يكتبها له الشيخ مستقلة عن الكتاب [٨]، وقد حوى بعضها طرق الرواية، وخلا بعضها من ذلك [٩].

---

(١) السيوطي: تدريب الراوي، ج، ص٣١.

(٢) محمد لقمان السلفي: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٧٧.

(٣) هي صحيح البخاري وصحيح مسلم، والسنن الأربعة لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، وهي أشهر كتب الحديث، ودواوين الإسلام الكبار.

(٤) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج٢، ص١٧٠؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص٣٢٦؛ ابن حجر: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، دار السلطنة السنية العثمانية، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، ص٢١٦.

(٥) محمد جمال الدين القاسمي: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ب، ت، ص٢٠٥.

(٦) وعند بعض العلماء تأتي في المرتبة الخامسة بعد السماع والقراءة والمناولة والكتابة، انظر: عياض اليحصبي: الإلماع، ص٦٨.

(٧) صبحي الصالح: علوم الحديث، ص٩٥.

(٨) مريزن سعيد مريزن عسيري: الحياة العلمية في العرق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٥٠.

(٩) ابن حجر: نخبة الفكر، ص٢١٦.

وكل ما في الأمر أن الأستاذ يحق له أن يمنح الإجازة للطالب الذي تابع دروسه لمدة معينة أو أبان عن كفاءة وتميز في مادة علمية محددة.

وقد كان يسمح بالحصول على إجازة أو إجازات علمية بالتصدي للتدريس بمساجد فاس بعد اجتياز امتحان أمام عدة شيوخ في مواد مختلفة وإلقاء درس رئيس في مادة أو أكثر، وتختلف الإجازات العلمية باختلاف الأساتذة المانحين ومستويات ومدارك الطلبة الحاصلين عليها(١).

ومن الأعلام الأندلسيين الذين أجاز لهم علماء فاس: إبراهيم الأنصاري (ت٥٨٢هـ/١١٨٦م)، أجازه ابن القطان من فاس(٢)، صالح بن خلف بن عامر الأنصاري الأوسي البرجي (ت٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)، اجتاز بفاس وأخذ بها علم الكلام عن ابن باق أحمد بن عبد المؤمن القيسي (ت٦١٩هـ/١٢٢٢م)(٣)، وأجاز له أبو القاسم عبد الرحمن بن عيسى بن الملجوم حينما قدم إلى فاس لطلب العلم، كما أجازه إجازة وهو في إشبيلية و لم يشافهه، وأجاز هو بعد ذلك أبا بكر بن أحمد بن البناء وأبا الحسن بن يحيى الكناني المعروف بابن الفخار اللذين حدثا عنه(٤)، إسماعيل بن الأحمر أجازه محمد بن عبد الرحمن المومناني الحسني إجازة عامة وكذلك أجاز لابنه يوسف(٥)، وأجازه أيضاً فقيه فاس محمد بن سعيد الرعيني الفاسي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)(٦)، وأجازه أيضاً الأستاذ النحوي المعروف بابن آجروم محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (ت٧٧٢هـ/ ١٣٢٣م) وأجازه إجازة عامة(٧).

---

(١) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج١، ص١٢٧.

(٢) ابن الأبّار: التكملة، ص١٩٣.

(٣) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٤، ص١٣٢.

(٤) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١١١؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٤٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص٩٧؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ص٢٦٨-٢٧٠.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٢٤-٢٢٥. ولم يذكر تاريخ وفاته.

(٦) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٧) ابن الأحمر: أعلام المغرب والأندلس، ص٤١٦.

ومن علماء فاس الذين أجاز لهم أندلسيون: إبراهيم بن أحمد بن خلف السلمي من أهل فاس أبو اسحق المغروف بابن فرتون (ت٥٣٧/١١٤٢م)، ذكره أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم. هذا وقد حكي أنه دخل الأندلس وسمع بمرسية من أبي علي الموطأ، وأجاز له وسمي في شيوخه أبا علي الغساني وأبا محمد بن عتاب وعباد بن سرحان وأبا الحجاج بن عديس وغيرهم، وتوفي ببلده.(١)

وممن خلد التاريخ ذكراهم من الرحالة في طلب العلم العلامة عالم مغرب الإسلام أبو الفضل: القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، وأصله أندلسى تحول جده إلى فاس، وقد رحل في طلب العلم إلى الأندلس؛ فأخذه بقرطبة، ثم رحل إلى الشرق، وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم؛ وجمع من الحديث كثيراً وتولى قضاء غرناطة؛ وتوفي رحمه الله بمراكش، مغرباً عن وطنه، وسط سنة (٥٤٤/١١٤٩م) (٢).

وفي خلال هذه الرحلة العلمية في سني حياته المباركة مرَّ على فاس، واستفاد منه أهلها، فقد قال عالمها الشيخ أبو القاسم بن الملجوم: اجتاز علينا القاضي عياض عند انصرافه من سبتة قاصدا إلى الحضرة -يعني قد مرَّ بمدينة فاس في طريقه إلى الحضرة يعني مراكش-، وقد زار والد ابن ملجوم وأعطى الإجازة لولده(٣)، وقد نزل بدار ابن الغرديس التغلبي بزنقة حجامة (٤)، عبد الرحمن بن القاسم بن يوسف بن محمد المغيلي (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، من أهل فاس نشأ ودرس بها، فأخذ عن مشيخة بلدة، ثم انتقل إلى سبتة لطلب العلم، وسكن غرناطة بعدها وتصدّر للإقراء بها بعد إجازة ابن رشد له، توفي في غرناطة، أخذ عنه كثير من شيوخ الأندلس منهم أبو القاسم بن الطيلسان، وأبو عبد الله بن سعيد بن الطراز، وأبو محمد القرطبي وغيرهم(٥).

---

(١) ابن الأبّار: معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ج ١، ص ٢٧؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص٧٦.

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٣٠٤؛ النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ج ١، ص ٥٨.

(٣) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ج ١، ص ٥٨.

(٤) المقري: أزهار الرياض، ج ١، ص ٦.

(٥) ابن الأبّار: التكملة، ص٥٩٢؛ ابن الزبير: صلة الصلة، ص١٠٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٣٠٧. وفيه وفاته سنة ٦١٩هـ.

علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري، فاسي المولد، يكنى أبا الحسن ويعرف بابن قطرال (٦٤٩هـ/١٢٥١م)، استجاز بآخرة مكثراً من الاستفادة، أبا العباس بن الرومية، فأجاز له من إشبيلية، روى عنه جماعة منهم أبو القاسم عبد الكريم بن عمران، وأبو محمد عبد الحق بن حكيم . وحدث بالإجازة عنه، أبو عبد الله بن إبراهيم البكري العباسي، غربه أمير سبتة اليانشتي الملقب بالواثق بالله، غاصاً به لجلالته وأهليته، وكونه قد عرضت عليه فأباها، دخل الأندلس ونزل المرية وأقام بها ثم انتقل إلى مالقة ودخل غرناطة، فأخذ عنه جميع طلبتها إلا النادر [(١)]، محمد بن علي بن أحمد الخولاني (ت٧٥٤هـ/١٣٥٣م)، أبو عبد الله يعرف بابن الفخار وبالإلبيري، النحوي، جدد بالأندلس ما كان قد درس من العربية، من لدن وفاة أبي علي الشلوبين، وتقدم خطيباً بالمسجد الجامع الأعظم، ودرس بالنصرية، وقل في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة. واستعمل في السفارة إلى العدوة مع مثله من الفقهاء؛ فكانت له حيث حل الشهرة، وعليه الازدحام، وأجاز، لا يأخذ على ذلك أجراً [(٢)].

ومنهم من حرص على جمع الإجازات من الأندلسيين والفاسيين معاً منهم: الأمير النصري أبو الوليد، إسماعيل بن يوسف بن الأحمر (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، أخذ في فاس من عدة أعلام، وقد أجازه الكثير سواء من الأندلسيين المقيمين في فاس أم من علماء فاس؛ وقد كان يتصل بالوفود الغرناطية الأندلسية الزائرة لمدينة فاس، ويلتقي بالعلماء والأدباء ويستجيزهم علومهم، ويستنشدهم أشعارهم، ويستكتبهم رسائلهم ويدّون ذلك، ويجمعه، ويحرص عليه؛ كما كان يطلب موافته بعض إنتاجهم ليرسمه في بعض مؤلفاته [(٣)].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٤، ص١٦٠.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٢٣؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج١، ص١٣١.

(٣) ابن الأحمر: مستودع العلاّمة، ص ١٥-١٦ ؛ ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص٢٤؛ ابن القاضي: درة الحجال، ج١، س ص٢١٣؛ جذوة الاقتباس ج١، ص١٦٦-١٦٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٣٦٩؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٩٧.

وبالنظر إلى ما تمتعت به الأندلس وفاس من علماء كثيرين في فترة البحث؛ ثم بالنظر إلى قلة عدد الإجازات التي حصلت عليها، أجد نفسي أمام إشكالية تحتاج إلى تحليل ما؟!

ويمكن أن يقال إن هذا الأمر يرجع إلى أمور منها:

أولاً: العادة أن أكثر الإجازات التي يحرص عليها تكون في القراءات والحديث خاصة، ولم تكن هذه العلوم هي الرائجة في فاس أكثر فترات البحث، بل كانت هممهم منصرفة إلى الفقه خاصة كما يقول المقري: (ولا عناية لحذاق القرويين والإفريقيين إلاّ بتحقيق الفقه فقط) (١)

ثانياً: ترتبط الإجازات كثيراً بالرحلات العلمية، ولم يكن ينشط أهل فاس في بعض فترات البحث لها كما تقدم في الفصل الأول، فإن من أغراض الرحلة لقاء الشيوخ، والأخذ عنهم، والإجازة بمترلة الوثيقة لطالب العلم أنه التقى هؤلاء الشيوخ وسمع منهم، ونهل من علومهم، ولذا ينحى ابن خلدون باللائمة عليهم لأجل هذا، فقد نقل المقري عن ابن خلدون قوله: (لم نشاهد في المائة الثامنة من سلك طريق النظار بفاس، بل في جميع هذه الأقطار، لأجل انقطاع ملكة التعليم عنهم، ولم يكن منهم من له عناية بالرحلة) (٢)

ثالثاً: ثمة أمر ثانوي يرجع إلى طبيعة الإجازات، فإنها تتنوع بحسب تنوع ميول الطلاب، فيمر العالم الفاسي بالأندلس، أو الأندلسي بفاس، فيسارع من له همة من الطلاب لأخذ الإجازات منه، ويؤثر في ذلك عوامل منها: رغبة العالم في منح الإجازات، وفي نفس الوقت تحدد شهرة العالم مدى حرص الطلاب على الأخذ منه، كل هذا يؤثر في انتشار الإجازات.

رابعاً: وقد يضاف إلى ذلك أن الإجازات بمثابة الشهادات التي تؤهل للتدريس، وكان علماء فاس أو الأندلس لهم فرص التدريس بما يشتهر عنهم من قوة علمية، فلم يحتج لإبراز شهادة ما لذلك.

---

(١) أزهار الرياض، ج١، ص٢٤٢.

(٢) المقري: أزهار الرياض، ج١، ص٢٤٢.

تداول الكتب العلمية والبعثات الدراسية بين الأندلس وفاس.

عند الحديث عن تداول الكتب العلمية بين منطقتين، فإن هذا الأمر يثير العديد من الأسئلة حول صناعة الورق، وخزائن الكتب، ومهنة الوراقة وجودة الخط، إضافة إلى نوعية الكتب المتداولة وأهميتها في العلوم، وغير ذلك.

وأحاول في هذا المطلب أن ألقي الضوء على كثير من هذه العوامل لتعطي فكرة واضحة عن تأثيرها في العلاقة العلمية بين فاس والأندلس.

صناعة الورق

ساهمت الأندلس بدور فعال في صناعة الورق الجيد (الكاغد) منذ وقت مبكر سبقت به أوروبا قروناً عديدة، ومما ساعد على انتشار الكتب وازدهار الحياة العلمية انتشار صناعة الوراقة في الأندلس حيث تولى الوراقون نسخ ما يظهر من مؤلفات، كما اشتهرت الأندلس بمصانع الورق حيث أُنشأ فيها أول معمل لصناعة الورق في شاطبة سنة (٥٤٥ هـ/١١٥٠م) وكان لها شهرة واسعة في صناعة الورق الجيد[١].

فلقد كان في شاطبة مصانع كبيرة للورق [٢]، يصدر كثير منه إلى مدن المشرق[٣]، ولا نستبعد منها مدينة فاس.

ثم انتزعت طليطلة منها شهرة صناعة الورق في القرن الخامس الهجري[٤].

---

(١) المقري: نفح الطيب،ج١،ص ١٦٦ يقول فيها: (أعمال بلنسية شاطبة ويضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير له) ؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٣٧.

(٢) عثر في مكتبة اسكوريال في مخطوطة مكتوبة سنة (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) على ورق مصنوع من القطن وهي تدل دلالة قاطعة على أن العرب أول من أحل الورق محل الرق. انظر: غوستاف لبون: حضارة العرب، ص ٤٨٢.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٦٥٦.

(٤) محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ص٢٥٦؛ سعد البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ٤٢٢-٤٨٨هـ/ ١٠٣٠-١٠٩٥م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٥٥٧، ٥٥٨.

وتميزت بهذا الإنتاج أيضاً مدينة بلنسية[1]، وفي عهد الموحدين انتشرت معامل الورق في أكثر من مدينة مغربية وأندلسية، وقد نقلها عرب الأندلس من بغداد التي أنشئت عام (١٧٨هـ/٧٩٤م) كما انتقلت منها بواسطة عرب صقلية والأندلس إلى أوربا[2].

وفي فاس انتشرت معامل الورق فقدرت في عهد السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين، حيث بلغت معاملها: (١٠٤) معملاً للورق، أما في عهد السلطان الموحدي يعقوب المنصور و ابنه محمد الناصر فقد كانت هذه المدينة تحوي ما يناهز (٤٠٠) محجر لعمل الورق[3].

الوراقة[4]: قال الله تعالى: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}[5]. وقوله تعالى{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}[6].من منطلق هذه الآيات الكريمة التي فيها أضاف الله إليه تعليم الخط وامتن به على الإنسان جاء تنافس كثير من العلماء والكتاب في اتخاذ مهنة الوراقة لتولي نسخ ما ظهر من الكتب وتدوين ما استنبط من المعارف والعلوم؛ لينتفع

---

(١) فصناعة الورق فيها احتكرها المدجنون وشاركهم في صنعته بعض اليهود قبل استيلاء الملك خايمي الأول عليها سنة٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م. انظر: ناصر بن ماجد الهاجري: أوضاع المسلمين في بلنسية في عهد الملك الأراغوني خايمي الأول (٦٠٤- ٦٧٤ هـ /١٢٠٧- ١٢٧٦م)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٥ هـ /٢٠٠٤، ص١١٥، ١٥١.

(٢) محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين،ص ٢٥٦، ٢٨٧؛ موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب، ٢٢٣- ٢٢٩.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٩؛ الجزنائي: زهرة الأس، ص٨٠.

(٤) المراد **بالوراقة** مهنة بيع الكتب، أي أشبه ما يكون بمكتبات بيع الكتب في عصرنا، وهي مشتقة في اللغة من الورق: أي صحائف المصحف ونحوه واحدته ورقة والورَّاق مُعاني كتابتها وحِرفته الوِراقة. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج١، ص١١٩٨؛ ابن سيده: المخصص، ج٤، ص٨.

(٥) سورة العلق، الآيات (٣ ـــ ٥).

(٦) سورة القلم، الآية (١-٢).

بها الإنسان، ولتزداد العلوم بتلاحق الأفكار وانتقال الأخبار من زمان إلى زمان، وحملها من مكان إلى مكان(1).

وكانت الوراقة أحد روابط العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس، كما كان دور كبير في ذلك، فلقد كان الحكم المستنصر كان قد جمع بداره الحذّاق في صناعة النّسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد(2).

ولقد أثني المقدسي على وراقي الأندلس ووصفهم بأنهم: (أمهر الوراقين وأحذقهم في هذا العمل، ووصف خطوطهم بأنها مدورة)(3).

ويشير ابن سعيد إلى أن الخطوط الأندلسية لها حسن فائق ورونق وبهاء يأسر اللباب، وترتيب يشهد لمن كتبها بقوة الصبر والجلد والإتقان(4).

ولقد تأثرت مدن المغرب بما فيها مدينة فاس بالخط الأندلسي خاصة عندما افترق أهل الأندلس في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها بعد أن تغلبت الأمم النصرانية عليهم(5).

فيذكر ابن خلدون أنه لاحظ وفود لون من الخط الأندلسي على مدينة فاس المرينية فجمع كُتاب مدينة فاس بينه وبين الخط المعروف لديهم، فأنتج خطأ جديداً(6).

وبما أن الوراقة من **الروابط العلمية** بين فاس والأندلس، فيلاحظ ظهور العديد من الأندلسيين ممن امتهن الوراقة منهم: عيسى بن محمد بن شعيب الغافقي الوراق (ت٥٨٧هـ/

---

(1) طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار الكتاب العلمية، ط١، بيروت، ج١، ص٧٨ـ ٨٢.

(2) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٨٦.

(3) أحسن التقاسيم، ص ٣٩.

(4) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص ١٩٨نقلاً عن ابن سعيد.

(5) محمد الصادق عبد اللطيف: الخط الأندلسي... تاريخ وفكر ومسيرة، مجلة التاريخ العربي، العدد ١٥، الرباط، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص٣٧١؛ يوسف بن علي بن إبراهيم العريني: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، ص ١٣٠.

(6) عبد الإله بنمليح: مدينة فاس في ذاكرة ابن خلدون، ص٢٧٩.

١١٩١م) من أهل قرمونة يكنى أبا موسى روى عن أبي بكر بن العربي، وكان فقيها عارفا بالوثائق والعربية كاتبا شاعرا أخرج من وطنه واستقر بمدينة فاس[١].

ومحمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري (ت٦٤٥هـ /١٢٤٧م) يكنى أبا عبد الله ويعرف بالطراز من أهل غرناطة كان رحمه الله تعالى مقرئاً جليلاً ومحدثاً حافلاً وبه ختم بالمغرب هذا الباب ألبتة وكان ضابطاً متقناً ومقيداً حافلاً بارع الخط حسن الوراقة، كتب بخطه كثيراً وترك أمهات حديثية اعتمدها الناس بعده، وتوفي بغرناطة[٢].

ولم تكن سوق الوراقة نافقة في كل عصور الأندلس وفاس، بل مرت بها فترات مخالفة، يصورها حال الشاعر أبي محمد بن سارة (ت٥١٧هـ/١١٢٤م)، وهو من شنترين بالأندلس، وانتقل منها إلى إشبيلية، فانتجع الوراقة على كساد سوقها، وفساد طريقها. فتركها وأنشد فيها:

أما الوِرَاقة فهي أنكدُ حِرفة   أغصانُهـا وثمارُهـا الحرمـانُ
شبهتُ صاحبها بإبرةَ خائطٍ   تكسو العراةَ وجسمُها عُريان[٣]

وكذلك كان الحال في فاس أيضاً، فالمقري يذكر حال الرميمي لما اضطر لامتهانها فيقول: (لما خلع أهل المرية طاعة عبد المؤمن، وقتلوا نائبه ابن مخلوف، قدموا عليهم أبا يحيى ابن الرميمي، ثم كان عليه من النصارى ما علم، ففر إلى مدينة فاس، وبقي بها ضائعاً خاملا، يسكن في غرفة،ويعيش من النسخ، فقال:

أمسيت بعد الملك في غرفةٍ   ضيقة الساحة والمدخل
تستوحش الأرزاق من وجهها   فما تزال الدّهر في معزل
النسخ بالقوات لديها ولا   تقرعها كفّ أخٍ مفضل[٤].

(١) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص ٢٠؛ ابن أبي حعفر أحمد، ٤٩.

(٢) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص١٣.

(٣) الكلبي: المطرب من أشعار أهل المغرب، ج١، ص٢١؛ الاصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج٣، ص٦٣.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٥٣٣، ٥٣٤

المكتبات وخزانات الكتب:

نبغت الوراقة في الجملة في فاس في عهد بني مرين، لكثرة ما أوقفوه من الكتب وبنوه من المدارس ذات الخزائن الكبيرة، ولذا عرف عهدهم بكثرة بناء المدارس حتى أطلق عليه المؤرخون: (عصر بناة المدارس)[(١)]، وحرصوا على وجود الخزانات فيها التي حفظوا من خلالها على كتب الأندلسيين خاصة في عصر السلطان يعقوب بن عبدالحق بعد سقوطها وقدرت بثلاثة عشر حملاً ووضعوها في المدرسة التي بناها في المدينة، وجعلها وقفاً[(٢)] وقد نهج بعده أحفاده نهجه فجعلوا جميع الكتب التي في خزائن مدارسهم وقفاً وسار على هذه السبيل من بعدهم سلاطين بني مرين كما فعله السلطان أبو الحسن وولده أبوعنان[(٣)].

ومن أشهر الخزانات العلمية التي كانت بمدينة فاس:

- خزانة أبي يوسف المريني، وهي ملحقة بمدرسة الصفارين.
- خزانة أبي سعيد المريني.
- خزانة أبي الحسن المريني، وقد ظلّت تؤدي وظيفتها لمدة قرون من الزمن.
- خزانة القرويين، والتي تعتبر من أهم الخزانات العامة بالمغرب؛ بل في العالم كله، وقد أسسها السلطان أبو عنان المريني حيث بنى لها مقرا بالناحية الشرقية من صحن جامع القرويين عام (٧٥٠ هـ/١٣٤٩م)، ووقف عليها كتباً شتى في مختلف العلوم والفنون، وكُتب فوق باب الخزانة مباشرة كتابة بخط نسخي جميل: (الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده، ورضي الله عن الخلفاء القائمين بالحق من بعده، مما أمر به من أحيا الله بإيالته الأنام، وتدارك بدولته الإسلام، أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، قطب ملوك الزمان، المظفر المنصور المولى أبو عنان، أبي الخلفاء الراشدين المرضيين، أدام الله للمسلمين أيامه، ونصر أعلامه، أنشأ هذه الخزانة السعيدة، الجامعة للعلوم الحميدة، المشتملة على الكتب التي أنعم بها من مقامه

---

(١) عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ شالة الإسلامية، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص٣٣٠؛ نعيمة الحضري: المدارس المرينية بفاس (دراسة تاريخية وحضارية)، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المغرب، العدد ٣٨، خريف ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٣٧٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٧،ص ٢٠٩-٢١٠.

(٣) الجزنائي: زهرة الآس، ص١١٢.

الكريم، المحتوية على أنواع العلوم، الواجب بها التعظيم، والتكريم، جعل ذلك نصره الله وقفاً مؤبَّداً لجميع المسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، حرصاً منه أيده الله على طلبة العلم وإظهاره واتقائه واشتهاره، وتسهيلاً لمن أراد القراءة والنسخ منها والمطالعة والمقابلة، وليس لأحد أن يخرجها من أعلى المودع التي هي فيه، ولا يغفل المحافظة عليها والتنويه، أراد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، ضاعف الله بذلك حسناته، ورقى في الجنان درجاته، وأطال ملكه، ونظم بالصالحات سلكه، وذلك في جُمادَى الأولى عام خمسين وسبع مئة، أوصله الله بالبركات الزكية)(1).

وقد حوت الخزانة على عدد من النفائس والمخطوطات، وأكثر الكتب التي تمت إلى الأندلس بصلة وثيقة، والتي هي إلى الآن في خزانة القرويين، يرجع تاريخ وقفها إلى المرينيين.

ومن المؤكد أن جامعة القرويين ما كان لها أن تواكب المد المعرفي المتنوع، وتحقق المستوى العلمي المنشود الذي عرفته عبر القرون؛ إلا بالرافد الأساسي الذي تمثله خزانة علمية غنية بالكتب والمخطوطات.

*** تداول الكتب بين فاس والأندلس:**

لم تكن ثمة حركة كبيرة لتداول الكتب بين فاس والأندلس، إلا أني وقفت على بعض الكتب التي انتقلت بينهما.

أولاً: الكتب التي انتقلت من فاس إلى الأندلس:

- كتب الفقه المالكي "المدونة".

انتشر الفقه المالكي في بلاد المغرب الإسلامي بواسطة تلامذة الإمام مالك الذين رحلوا إليه منها، فكانوا حجر الأساس الراسي في هيكلة الفقه الإسلامي بالمغرب، وأول من أدخل "مدونة سحنون" مدينة فاس هو درَّاس ابن إسماعيل (ت ٣٥٧هـ/٩٦٧م)، وكان ذلك بعد رحلته إلى الحج، وتوفي درَّاس في مدينة فاس(2).

---

(١) التازي: جامع القرويين، ج٢، ص٣٣١.

(٢) الجزنائي: زهرة الآس، ص٢١-٢٢؛ ابن فرحون: الديباج، ص٢٠٠؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٩٤-١٩٦؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص١٧٦-١٧٧.

ودخل علم مالك الأندلس عن طريق أبي القاسم، خير الله بن القاسم الأندلسي، من فقهاء القرن (ق٤هـ/ق١٠م) الفقيه الصالح الورع، نزيل عدوة الأندلس من مدينة فاس، وهو أول من أدخل علم مالك إليها، ويعتبر من مشاهير فقهائها ومتقدميهم[1].

ويحتمل أن خير الله أخذ مدونة سحنون من دراس للأندلس، ويحتمل أن يكون أدخلها دراس نفسه الأندلس لأن دراساً كان رجلاً صالحاً دخل الأندلس مجاهداً وتردد إلى الثغور[2]. وقد اعتنى العلماء المالكية بمدونة سحنون، ومن المناسب التعريف بها وبصاحبها هنا.

- "**مدونة سحنون**".

سحنون هو: الإمام العلامة، فقيه المغرب، أبو سعيد، عبد السلام بن حبيب بن حسان التنوخي، قاضي القيروان، ويلقب بسحنون، وتفسير سحنون بأنه اسم طائر بالمغرب يوصف بالفطنة والتحرز، وهو بفتح السين وبضمها.

ارتحل وحج، وسمع من: سفيان بن عيينة، والوليد بن مسلم، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم، ووكيع بن الجراح، وأشهب، وطائفة، ولم يتوسع في الحديث كما توسع في الفروع.

وقد لازم سحنون أئمة المالكية: ابن وهب، وابن القاسم، وأشهب، حتى صار من نظرائهم، وساد أهل المغرب في تحرير المذهب، وانتهت إليه رئاسة العلم، وعلى قوله المعول بتلك الناحية، وتفقه به عدد كثير، وكان موصوفا بالعقل والديانة التامة والورع، مشهورا بالجود والبذل، وافر الحرمة، عديم النظير، وتوفي سنة (٢٤٠هـ/٨٥٤م)[3].

---

(١) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١،ص١٧٤-١٧٥؛ القاضي عياض: بن موسى بن عياض السبتي (ت ٥٤٤هـ). ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، خرجه وعلق عليه وقدم له: محمد بن داود الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ج١، ص٤٦١.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص٤٢٣.

(٣) ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٦٣)؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٣، ص١٨٠ ؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج ٢، ص٥٨٥، ٦٢٦؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢، ص٣٠؛ الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص٤٩؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٧٠.

والمدونة هي في الأصل أسئلة، سألها أسد بن الفرات لابن القاسم (ت١٩١هـ/٨٠٦م)، قيل: إنه رجع من العراق، فدخل على ابن وهب، فقال: هذه كتب أبي حنيفة، وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك، فأبى، وتورع، فذهب بها إلى ابن القاسم، فأجابه بما حفظ عن مالك، وبما يعلم من قواعد مالك، وتسمى هذه المسائل "الأسدية".

وحمل عنه سحنون بن سعيد، ثم ارتحل سحنون بـ "الأسدية" إلى ابن القاسم، وعرضها عليه، فقال ابن القاسم: فيها أشياء لا بد أن تغير، وأجاب عن أماكن، ثم كتب إلى أسد بن الفرات: أن عارض كتبك بكتب سحنون، فلم يفعل، وعز عليه، فبلغ ذلك ابن القاسم، فتألم، وقال: اللهم لا تبارك في الأسدية، فهي مرفوضة عند المالكية، ثم رتب سحنون المدونة وبوبها، واحتج لكثير بن مسائلها بالآثار من مروياته[(١)]، واتبع المالكية مدونة سحنون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الأبواب فكانت تسمى المدونة والمختلطة.

وللقاضي عياض، مؤلف على المدونة أسماه: "التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة والمختلطة"، جمع فيها غرائب وفوائد[(٢)].

وفي المقابل رحل من الأندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك في الأندلس ودون فيه كتاب الواضحة، ثم دون العتبي من تلامذته كتاب العتبية.

وقد عكف أهل القيروان على هذه المدونة وأهل الأندلس على الواضحة والعتبية، ثم اختصر ابن أبي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالمختصر، ثم وضع كتابه "الرسالة"، ولخص أيضا أبو سعيد البرادعي[(٣)] المدونة في كتابه المسمى بالتهذيب، واعتمده

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٢٦.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٦٤٤.

(٣) **البرادعي هو**: هو خلف بن القاسم بن سليمان الازدي، القيرواني، المالكي من حفاظ المذهب، من كبار أصحاب أبي الحسن القابسي، خرج هاجرا للقيروان إلي صقلية ثم إلي أصهبان، فدرس بها إلي أن توفي سنة (٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، له تهذيب المدونة، والاختصارات الواضحة وغيرهما. انظر ترجمته: القاضي عياض: ترتيب المدارك ٧٠٨/٣؛ ابن فرحون: الديباج ص١١٢.

المشيخة من أهل إفريقية وأخذوا به وتركوا ما سواه، وكذلك اعتمد أهل الأندلس كتاب "العتبية" وهجروا الواضحة وما سواها، ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح والإيضاح والجمع[1].

يقول الذهبي عن "المدونة": (فيها أشياء لا ينهض دليلها، بل رأي محض، وحكوا أن سحنون في أواخر الأمر علَّم عليها، وهم بإسقاطها وتهذيب "المدونة"، فأدركته المنية رحمه الله، فكبراء المالكية، يعرفون تلك المسائل، ويقررون منها ما قدروا عليه، ويوهنون ما ضعف دليله، فهي لها أسوة بغيرها من دووابن الفقه، وكل أحد فيؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب ذاك القبر ﷺ تسليما، فالعلم بحر بلا ساحل، وهو مفرق في الأمة، موجود لمن التمسه[2].

تدريس الأندلسيين والفاسيين للمدونة:

تميزت فاس عن الأندلس في طريقة تدريس المدونة، فقد برع الفاسيون في ذلك بصورة بارزة، يقول المقري: (و قد كان للقدماء، رضي الله عنهم، في تدريس المدونة اصطلاحان: اصطلاح عراقي، واصطلاح قروي؛ فأهل العراق: جعلوا من مصطلحهم مسائل مدونة كالأساس، وبنو عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس، ولم يعرجوا على الكتاب بتصحيح الروايات، ومناقشة الألفاظ، ودأبهم القصد إلى إفراد المسائل، وتحرير الدلائل، ورسم الجدليين، وأهل النظر من الأصوليينح وأما الاصطلاح القروي: فهو البحث على ألفاظ الكتاب، وتحقيق ما احتوت عليه بواطن الأبواب، وتصحيح الروايات وبيان وجوه الاحتمالات والتنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب، واختلاف المقالات، مع ما انضاف إلى ذلك من تتبع الآثار، وترتيب أساليب الأخبار، وضبط الحروف على حسب ما وقع من السماع، وافق ذلك عوامل الأعراب أو خالفها...) إلى أن قال:

---

(١) صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٧٨، ج٢، ص٤١٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٢٦.

(وأما أهل الأندلس فالغالب عليهم فيهقة البلاغة، في حسن رصف الكلام وانتقائه، مثل عبارة القاضي عياض في تآليفه[1]، التي لا تسمح القرائح بالإتيان بمثلها والنسج على منوالها)[2].

فتبين من هذا النقل كيف كان تناول الأندلسيين للمدونة، وتناول الفاسيين لها، وهذا الاختلاف يؤدي إلى تداول للكتب المصنفة على المدونة غالباً.

إلا أن الفاسيين لم يخرجوا كثيراً عن المدونة لغيرها من كتب المذهب ردحاً من الزمان، واكتفوا غالباً بها وبتهذيبها وبرسالة ابن أبي زيد، رغم أن كثيراً من المصنفات المالكية المفيدة كانت قد انتشرت عند هم.

يصور لنا المقري هذا الأمر بما ينقله عن الونشريسي ـــ صاحب "المعيار" ـــ من تأسفه على عدم انتشار مختصر ابن عرفة[3] الفقهي بين الطلبة بفاس، بل وتحقيرهم له، إذ يقول: (تأمل هاهنا الثناء على شيخ الإسلام، الإمام أبي عبد الله بن عرفة، أسكنه الله دار السلام، وعلى تآليفه، لا سيما مختصره الفقهي، الذي أعجز معقوله ومنقوله الفحول، خلافا لبعض القاصرين من طلبة فاس، فأنهم يقولون: ما يقول شيئاً، يطفئون نور الله، ويحتقرون ما عظم الله، ومستندهم في ذلك بزعمهم حكاية تؤثر عن الشيخ المحقق أبي العباس القباب، لا رأس لها ولا ذنب، وحاشاه من ذلك، وما أراهم في هذا إلاّ كما قال الأول:

و كم من عائب قولا صحيحا... و آفته من الفهم السقم)[4] .

---

(١) سبق قريباً أن للقاضي عياض تنبيهات على المدونة أيضاً.

(٢) أزهار الرياض، ج١، ص٢٤٢.

(٣) **ابن عرفة هو**: محمد بن محمد بن محمد بن عرفة أبو عبد الله الورغمى (ت٨٠٣هـــ/١٤٠٠م)، من افريقية التونسى المالكى عالم المغرب المعروف بابن عرفة، وصنف في كل من الأصلين مختصرا. انظر ترجمته: الشوكاني: محمد بن علي. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ج٢، ص٢٤٨.

(٤) أزهار الرياض، ج١، ص٢٤٥.

ويضيف المقري عن الونشريسي قوله: (ولقد حبس ملوك المغرب، رضوان الله عليهم، بخزانتي القرويين والأندلس، من هذا الديوان المبارك -أي: مختصر ابن عرفة- نسخا عديدة، ثم لا يعرج عليها للمطالعة في هذا الوقت أحد من الطلبة الحضرة، شتاء ولا صيفا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، بخلاف ما قيد عن الشيخ الجزولي، وأبي الحسن الصغير، فإنك تجدهم يزدحمون عليها في كل زمان، وخصوصا فصل الشتاء، لا يلحق الآخر منها ورقة واحدة، مع كثرة عددها بحيث ذكر، بل تجدهم يتنافسون في اقتنائها، بالأثمان العظيمة المجحفة، ومن ملك منهم المسبع من الجزولي، وتقييد اليحمدي، حاز مذهب إمام دار الهجرة على التمام، والقائم بأمره. ولقد كان الحسن المغيلي عندهم في أعلى طبقة من الفقه والتفقه، لقيامه على مسبع الجزولي نقلا، ولقد شاهدهم يتساقطون كالفراش، على نسخة من الجزولي بخزانة القرويين، وزعموا أنها بخط أبي الحسن المذكور، وهي مشحونة بالتصحيف، تعمى البصر والبصائر، نور الله قلوبنا بذكره، وعمر ألسنتنا بشكره، ووفقنا لّما فيه رضاه عنا[(١)].

ومن هذا النقل نعلم أن اهتمام الفاسيين كان بالتقييدات على رسالة ابن أبي زيد القيرواني أكثر من مختصر ابن عرفة، ولعله من المناسب أن تعرف على رسالة ابن أبي زيد وتقييداتها هنا.

-"**رسالة ابن أبي زيد**".

ابن أبي زيد هو: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي شيخ المغرب وإليه انتهت رئاسة المذهب قال القاضي عياض حاز رئاسة الدين والدنيا، ورُحِل إليه من الأقطار ونجب أصحابه وكثر الآخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب وملأ البلاد من تواليفه، وسمع من أبي سعيد بن الأعرابي وغيره وكان يسمى مالكا الصغير، وقيل: إنه صنع رسالته المشهورة وله سبع عشر سنة، ووقع التنافس في اقتنائها حتى كتبت بالذهب[(٢)].

---

(١) المقري: أزهار الرياض، ج١، ص٢٤٥.

(٢) انظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٠؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج٤، ص٤٩٢؛ ابن مخلوف: شجرة النور، ج١، ص٩٦.

وأما عن شروحات الرسالة؛ فأشهر من شرحها الجزولي، وهو الشيخ الفقيه الحافظ أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي أبو زيد: فقيه مالكي معمر، من أهل فاس، كان أعلم الناس في عصره بمذهب مالك، وكان يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيه معظمهم يستظهر "المدونة" وقيدت عنه على "الرسالة" ثلاثة (تقاييد) أحدها في سبعة مجلدات، والثاني في ثلاثة، والآخر في اثنين، قال ابن القاضي: وكلها مفيدة انتفع الناس بها بعده، وقال: عاش أكثر من مئة وعشرين سنة وما قطع التدريس حتى توفي سنة (٧٤١ هـ/١٣٤٠ م) [١]

فهذه كانت أكثر الكتب التي تداولت في فاس، ومعلوم أن الأندلسيين إذا حضروا فاساً، فكانوا يتلقون منهم هذه العلوم من تلك الكتب أيضاً

ثانياً: ما جلب من الأندلس إلى فاس من الكتب:

وقد وقفت على بعض منها، ففي ترجمة محمد بن أحمد بن لواء الأنصاري (ت٥٤٦هـ/١١٥١م)، ذكروا أنه كان فقيهاً حافظاً عارفاً بأصول الفقه، قام بتصنيف مسائل الخلاف في سبعة أسفار، وقد ذكر أنه حين قدم إلى فاس بعث بشيء منها إلى أبي موسى عيسى بن الملجوم[٢].

ولم يتبين لي ما هذه الكتب، والظاهر أنها في مسائل الخلاف في الفقه المالكي، وكونها سبعة أسفار يدل على الاتساع في المناقشات الفقهية بها.

وفي ترجمة محمد بن أحمد البغدادي الخزرجي (ت ٥٤٦هـ/ ١١٥١م) من أهل ، يعرف بالبغدادي لطول إقامته فيها، جلب منها إلى الأندلس كتاب أحكام القرآن وكتاباً في أصول الفقه وكتاب الرد على أحمد بن حنبل.

ويحتمل أنه مر بها على فاس أيضاً لأنه خرج من جيان في الفتنة والشدة التي لحقت أهلها عند تقلبها في أول الموحدين فكان ممن استقر بفاس[٣].

---

(١) ابن قنفذ: الوفيات، ج١، ص١٣.

(٢) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٥، ص٥٨٣.

(٣) الحميدي: جذوة الإقتباس، ج، ص٢٦٢؛ المقري: نفح الطيب، ج٢، ص١٥٦.

لكن أشهر ما جلب من الأندلس إلى فاس كانت كتب النحو، فقد اشتغل أهل الأندلس بالنحو أكثر من الفاسيين، ومن الكتب التي وقفت عليها مما جلب إلى فاس:

- المرادي على "**ألفية ابن مالك**".

المرادي هو: بدر الدين أبو علي الحسن بن قاسم بن علي المصري المرادي (ت٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م)، و"ألفية ابن مالك" هي: الألفية في النحو، للشيخ العلامة جمال الدين أبي عبد الله: محمد بن عبد الله الطائي الجياني المعروف: بابن مالك النحوي، (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، وهي منظومة مشهورة جمع فيها: مقاصد العربية [1]

وقد أدخلها إلى فاس: محمد بن علي بن حياتي الغرناطي (ت٧٨١ه/ ١٣٧٩م)، من أهل غرناطة، أخذ عنه عدد من طلبة العلم، وذكروا في ترجمته أنه هو أول من أدخل كتاب المرادي على ألفية ابن مالك لمدينة فاس[2].

- "**الكتاب لسيبويه**":

وهو من أشهر كتب النحو لأبي بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه لأنه كان يحب شم التفاح، ويكثر ذلك، والسيب: التفاح، وويه: رائحته، فلقبوه بسيبويه، وهو النحوي البصري الحارثي، وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله: علما عند النحويين، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب فيعلم أنه: كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب فلا يشك أنه: كتاب سيبويه، و لم يزل أهل العربية يفضلونه حتى قال المبرد: لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثله، وعليه: شروح وتعليقات وردود نشأت من اعتناء الأئمة واشتغالهم به[3].

وقد نقل المقري عن ابن خلدون وغيره من أئمة التاريخ أن أهل فاس أخذوا اللغة والعربية من أهل الأندلس، واستدل على ضعفهم في اللغة في بأنه: (لم يتصدر من الفاسيين

---

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص١٥٢.

(٢) ابن القاضي: درة الحجال، ج٢، ص٢٧٥؛ جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٣٧؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٤٢٨.

من يقرئ " الكتاب " كما هو متناول بين أهل الأندلس، مثل ابن أبي الربيع[(١)] والشلوبين[(٢)] وغيرهما، لوجود ملكة النحو في قطر الأندلس، بسبب رحلة علمائها إلى تلقيه من أربابها بالمشرق)[(٣)].

ومن درس كتاب سيبويه بفاس: علي بن محمد بن خروف الحضرمي النحوي (ت٦٠٩ﻫ/١٢١٢م)، أخذ عنه كتاب سيبويه في فاس جُلّة من العلماء وأقرؤوه بعدَه، من مؤلفاته شرح على كتاب سيبويه سماه:"تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب"، وله شرح على كتابة الجمل، كما أن له رداً في العربية على أبي يزيد وابن مضى[(٤)].

ومن كتب الأندلسيين التي كانت تدرس بفاس: كتاب "الاكتفا بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفا" للإمام الكلاعي[(٥)]، وكان يدرس بكرسي المحراب[(٦)] بجامع القرويين[(٧)].

(١) **ابن أبي الربيع هو**: عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع. الإمام أبو الحسين القرشي، الأموي، العثماني، الأندلسي، الإشبيلي. إمام أهل النحو في زمانه، توفي سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م)، انظر: السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج٢، ص٢٣٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٦، ص٣٠٥.

(٢) **الشَلَوْبين هو**: محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الأنصاري توفي في حدود سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م)، من أهل مالقة أبو عبد الله الشلوبين، ألف كتابا في الآيات التي استشهد بها سيبويه وأوضح وجه استشهادها وما ينكر عليه في ذلك ووجه تخلصه، وهو من تلامذة ابن عصفور مدة إقامته بمالقة. انظر ترجمته: محمد بن يعقوب الفيروزأبادي: البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٧، ج١، ص ٧٠.

(٣) المقري: أزهار الرياض، ج١، ص٢٤٤.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٢٨٤.

(٥) **هو سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي** الحميري، أبو الربيع: محدث الاندلس وبليغها في عصره، من أهل بلنسية، ولي قضاءها، وحمدت سيرته، وصنف كتبا، منها "الاكتفا بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفا"، توفي شهيدا، والراية في يده، في وقعة أنيشة قرب بلنسية سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م)، النباهي:تاريخ قضاة الأندلس، ص ١١٩؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٢ ؛ ابن الأبّار: التكملة ص٧٠٨.

(٦) وأنشئ هذا الكرسي سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م) حسب ما رآه التازي، جامع القرويين، ج٢، ص ٣٧٢ .

(٧) عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ج٢، ص ٣٧٢.

وعلى الرغم من الحركة العلمية الكبيرة بين فاس والأندلس، إلا أني لم أجد مادة لوجود تداول للكتب أو البعثات الدراسية بين الأندلسيين وفاس، وقد يعزى هذا لأمور:

أولاً: وجود المكتبات العامة بالمدن الرئيسة مما يغني العالم عن استعارة كتاب من آخر.

ثانياً: الحالة المادية المرتفعة لكل من الأندلسيين والفاسيين نسبياً، بحيث يقتني كل منهم نسخ الكتب ولا يحتاج لاقتراضها.

ثالثاً: اتساع المساحة العلمية في كل من البلدين مما أغنى عن البعثات الدراسية، أو الرحلة العلمية نسبياً.

رابعاً: كان كل طالب يتحمل بنفقة رحلته لطلب العلم، ويختلف استمراره في الرحلة من عدمه تبعاً لموارده المادية، ويوضح ذلك ما ذكره القاضي عياض من أنه ذهب إلى مرسية للسماع على الشيخ أبو علي الصفدي، فوجد الشيخ قد رحل هرباً من منصب القضاء، ووجد الكثير من الطلاب القادمين للسماع عليه، وقد نفذت نفقات الكثير منهم، وقرروا الرحيل بسبب نفاذ نفقاتهم، وتبقى من لديه ما يكفيه من نفقة تسمح له بالإنفاق حتى يظهر الشيخ الصدفي(١).

*** البعثات الدراسية:**

المراد بالبعثات الدراسية: هو انطلاق مجموعة من العلماء، وغالباً يكون بأمر من السلطان، للتعلم أو التعليم، وكانت هذه البعثات موجودة في بداية العصر الإسلامي بكثرة حيث كانت الحاجة لتعليم الناس كبيرة، ولم تزل تظهر هذه البعثات حسب الحاجة في العصور والأزمنة المتأخرة، إلا أني لم أجد ما يمكن أن يقال له بعثة دراسية من فاس للأندلس أو العكس، وقد يكون سبب ذلك أمور منها:

---

(١) ابن الأبّار: معجم أصحاب الصدفي، ص ٣٠٦؛ ولاء علي عارف علي: التعليم في المغرب في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ص ١٦٢.

أولاً: ما عرف عن كثير من أهل فاس من القعود عن الرحلة العلمية للأندلس، وقد مر مناقشة هذا في مطلب الرحلات العلمية.

ويضاف أيضاً اقتصارهم على الفقه في غالب فترة البحث، دون غيره من العلوم التي تدعو للرحلة والبعثة، ومر ذكره في أول هذا المطلب.

ثانياً: أن العلماء الأندلسيين ما كانوا يفدون على فاس إلا فرادى، وكانت وجهتهم غالباً للحج، أو ربما للاستيطان، والانتقال مدة طويلة، وليس هذا داخلاً في نطاق البعثات.

ثالثاً: طبيعة البعثة الدراسية تقتضي أن نبحث عن الأسباب في وجودها، إذ الأصل في الأزمنة المتأخرة أن تكون هذه البعثات نادرة، حتى لو كان بحثنا في البعثات بين المشرق والمغرب، أو بين كبرى مراكز العالم الإسلامي العلمية كبغداد والقاهرة ودمشق وغيرها، وإنما كانت هذه البعثات في العهود الأولى لحاجة البلاد إلى من يعلمهم، فتنظم بعثة من عدد من العلماء، كما أرسل النبي ﷺ العدد من الصحابة للآفاق، ثم الخلفاء بعده.

العلاقات بين المراكز العلمية في الأندلس وفاس.

يمكن أن نعتبر المساجد والمدارس، هما أهم المراكز العلمية التي كانت موجودة في فترة البحث، وقد امتلأت الأندلس و فاس بهذه المراكز العلمية، وفتحت أبوابها للطلبة، وقام بالخطابة والتدريس بها جمع من العلماء، وكان ثمة تعاون بين علماء الأندلس وفاس في بث العلوم الشرعية طيلة فترة البحث.

وبالنسبة لفاس؛ فقد استقطبت جميع علماء المسلمين ولم تقتصر على علماء الأندلس فقط، كما كان لجامع القرويين في فاس أهمية علمية في بلاد المغرب طوال العصور الإسلامية ، ومازال يحتفظ بها إلى الآن وكيف أنه الوحيد الذي أطلق عليه (جامعة) فعرف بجامعة القرويين دون جامع الأزهر وجامع بغداد، إضافة إلى بعض المدارس التي أسسها الأندلسيون في مدينة فاس وأصبحت مَعلماً من معالم النهضة العلمية إلى الآن.

وقد بلغت مدينة فاس مكانة سامية تُمكنُها من نشر الثقافة العلمية[1] يُستدل بذلك من وصف المؤرخين لها بأنها حاضرة المغرب[2] وكذلك ما ذكره المراكشي بأنه اجتمع في المدينة علم القيروان وعلم قرطبة، واحتضنت العديد من العلماء فهي اليوم على غاية الحضارة، وكان شيوخ المغرب يدعونها بغداد المغرب[3].

ولهذا كان السبب من قصد الناس إليها من جميع أقطار البلاد بعد أن تناوبت فاس مع عواصم الشرق الإسلامي في حمل راية الحضارة الإسلامية في العالم أيام كان الجهل مخيما على أوروبا فكانت بذلك مركزاً للإشعاع الفكري الروحي حتى أن أهل مراكش العاصمة لدولتي المرابطين والموحدين نصحوا بعض الناس بالتوجه إلى مدينة فاس إذا أرادوا أن يتفرغوا لعلوم الدين[4].

---

(١) د. جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص٣٠٥

(٢) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١١٤.

(٣) المعجب، ص٣٥٨.

(٤) التادلي: التشوف، ص ٣١٧؛ ابن القنفذ: أبو العباس أحمد بن الخطيب القسنطيني (ت ٨٠٩هـ). أنس الفقير وعز الحقير، نشره: محمد الفاسي، أودلف فور، الرباط، المركز الجامعي للبحثا لعلمي، مطبوعة أكوان، ١٩٦٥م، ص ١٢.

وأهم المراكز العلمية بفاس: يعتبر جامع القرويين الذي أسسته السيدة فاطمة بنت محمد الفهري سنة (٢٤٥هـ / ٨٥٩م)[١]، وأصبح جامع القرويين بعد ذلك جامعة علمية تشد الرحلة إليه، ولم يخصص للعبادة فقط؛ بل كان دار علم يلتقي فيها طلبة العلم، ولم يكن قاصراً على العلوم الدينية من الحديث والتفسير والفقه، إنما كان يدرس فيها العلوم العقلية كالرياضيات والفلك والطب[٢]، فأصبح على مر العصور مركزاً للإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي[٣].

وقد عرف العهد المرابطي والموحدي بتروح كثير من العلماء وطلبة العلم من الأندلس إلى مدينة بعد أن ذاع أمر القرويين بها، واشتهرت فاس كعاصمة علمية تُشَد إليها الرحلة لطلب من داخل المغرب وخارجه[٤]، ويمكن القول بأن جامعة القرويين قد انتقلت ابتداء من العصر المرابطي من مرحلة الجامع إلى مرحلة البداية الجامعية؛ لأن المرحلة الجامعية المكتملة لم تنضج بصورة كاملة إلاّ في العصر المريني، وذلك عندما عُزِّز جامع القرويين بمجموعة من المدارس والكراسي العلمية والخزانات[٥].

وقد بقي جامع القرويين الجامع والجامعة العلمية لمدينة فاس، ومركزا للنشاط الفكري والثقافي والديني، وكان السبب في كثرة العلماء وطلبة العلم في المدينة، وتعتبر جامعة القرويين في العصر الحديث أقدم جامعة ثقافية في العالم، أشاد بذلك بروفنسال بقوله: (أن بفضل ملوك بني مرين لم تكن عاصمة فاس في القرن الرابع عشر لتحسد العواصم الإسلامية الأخرى)[٦].

---

(١) **فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري:** (أم البنين) من نساء مهاجري القيروان الذين استقروا في عدوة القرويين بفاس، كان والدها ذا ثراء طائل، ولم يكن لديه إلا ابنتان هما: فاطمة ومريم، يرجع لها الفضل في بناء جامع القرويين، حيث وهبت كل ما ورثته من أموال في بناء المسجد الذي ابتدأ بنائه سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م). انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ج١، ص٧٦؛ السلاوي: الاستقصا، ج١، ص١٧٥.

(٢) ليڤي بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ص ٧٩.

(٣) الحسن السائح الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٢٥٦.

(٤) عبد الله العمراني: فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمي، الرباط، العدد ١١، ١٢، ١٩٦٧م، ص ١٥٩.

(٥) عبد العزيز بن عبد الله. الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل؟،، التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، العدد الثاني، ربيع ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٧٤.

(٦) ليڤي بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخه، ص ٣.

ونستطيع أن نوجز أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار النهضة العلمية في فاس والتي جعلتها من أهم المراكز العلمية في المغرب الأقصى على مدى العصور الإسلامية:

ـــ استقرار المهاجرين من أهل العلم والأدب من القيروانيين والأندلسيين في المدينة، الذين ساهموا بدورهم في نهضة العلوم فيها.

ـــ دور حكام المرابطين والموحدين ومن بعدهم بني مرين في نشر الأمن في بلادهم، ومنها مدينة فاس.

ـــ تشجيع المرابطين والموحدين لشعراء الأندلس الذين كانوا في عاصمتهم مراكش.

ـــ ازدهار النهضة العلمية في فاس باعتبارها عاصمة بني مرين، الذين اشتهروا بحبهم للعلم والعلماء ومجالستهم، بحيث لم يضعوا على العلماء المهاجرين إلى فاس سواء من المغرب أو الأندلس أي عوائق تعوق إقامتهم في ربوع الدولة المرينية، والتمتع بكل المميزات التي يتمتع بها أقرانهم من العلماء المرينيين(١).

ـــ تشجيع سلاطين بني مرين لحركة التأليف، بتقديم الهبات والعطايا للعلماء على مؤلفاتهم، تشجيعاً لهم على مواصلة العمل، حيث كان العلماء يعرضون عليهم إنتاجهم العلمي والأدبي(٢).

ـــ بلوغ ثلة من العلماء الأندلسيين والمغاربة إلى مجالس بني مرين العلمية، وشغل بعضهم مناصب كبرى في الدولة المرينية، كابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٣٣٢م)، وابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/م)، وابن رضوان المالقي (ت٧٨٣هـ/م)، وابن جزي (ت٧٥٧هـ/ ١٣٤٧م)، والمقري (ت ٨٥٧هـ/ ١٣٥٧م)، وغيرهم من العلماء الذين استقروا في مدينة فاس عاصمة بني مرين(٣).

---

(١) محمد الحريري: المغرب والأندلس، ص٣٣٧.

(٢) محمد الحريري: المغرب والأندلس، ص٣٣٩.

(٣) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص١٨٥.

وللأسباب السابقة التي ذكرناها وغيرها استقطبت مدينة فاس عدداً من العلماء الأندلسيين، الذين ساهموا بدورهم في تنشيط الحركة الفكرية، وإثراء المدينة بمختلف أنواع الثقافة الأندلسية، وعملوا على إنشاء المؤسسات العلمية، التي ساعدت بدورها على تقدم النهضة العلمية في المدينة، التي أصبحت فيما بعد من أهم المدن المغربية في كافة العصور الإسلامية، ولازالت مدينة فاس تحتفظ بدورها العلمي إلى الآن.

وقد ساهم الأندلسيون في بناء المساجد والمدارس بفاس، ومن أهم تلك المساجد والمدارس التي بناها الأندلسيّون في مدينة فاس وساهمت في نشر العلوم:

ــ **مسجد ابن حنين**، وكان يقرئ به أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكتاني **القرطبي** المعروف **بابن حنين**(١).

ــ **جامع الأندلس** الذي غدا منارة علمية في فاس إلى جانب جامع القرويين(٢).

ــ **مدرسة الصفارين الحلفاويين**،وتعرف باسم (المدرسة اليعقوبية) نسبة لمؤسسها أبي يوسف يعقوب، وبـــ (مدرسة الصفارين)، وهي أولى المدارس التي أمر ببنائها بنو مرين.وذكر ابن مرزوق أن إنشاء المدارس لم يكن معروفا في المغرب إلى حين بناء مدرسة الحلفائيين بفاس، وذلك سنة (٦٧٠هـ/١٢٧١م)(٣).

ثم تبع ذلك إنشاء مدارس أخر من أجل إيواء طلاب العلوم، وتوفير شروط الراحة، والتفرغ لطلب العلم، وتابع الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب هذه المسيرة العمرانية والعلمية، بتوسيع ما ورثوه من منجزات الملوك السابقين، فكثرت المدارس فيها في العصر المريني.

و من أشهر تلك المدارس: مدرسة **العطارين**، أسست عام (٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، وسميت بالعطارين لمقابلتها سوق العطارين في فاس، أسسها السلطان أبو سعيد المريني، واستغرق بناؤها سنتين وسموها بأعجوبة فاس لاحتوائها بالنقوش الزخرفية المغربية(٤).

---

(١) وقد قرأ بالروايات على أبي الحسن العبسي صاحب أبي العباس بن نفيس، فكان خاتمة أصحاب العبسي، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٥٦.

(٢) الجزنائي: زهرة الآس، ص١٢٣؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٧٦، ٧٧.

(٣) الحميدي: جذوة الاقتباس، ص٢٢٠؛ عبد الهادي التازي:جامع القرويين،ج٢، ص٣٥٧

(٤) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج٢، ص٣٥٨.

ــ المدرسة **المصباحية**، أسست عام (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، وسمين بالمصباحية نسبت إلى أستاذها أبي الضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتي؛ لأنه أول من تصدى للتدريس فيها(١).

ــ المدرسة **العنانية**، أسست عام (٧٥٦هـ/١٣٥٥م)، وتسمى بــ (المدرسة المتوكلية)، وهي المدرسة الوحيدة التي بناها السلطان أبو عنان، وهي الأقرب إلى فاس الجديدة من أية مدرسة أخرى. وتعد من أشهر مدارس فاس والمغرب فبالإضافة إلى دورها كمؤسسة لتعليم وإقامة الطلبة، كانت تقام فيها صلاة الجمعة. وكانت تحوي على صومعة جميلة البناء والزخرفة إضافة إلى ساعة مائية دقيقة الصنع(٢).

وهذه المدارس بنيت في الغالب على نمط واحد لتؤدي الوظيفة التي أنشئت من أجلها، وهي إيواء الطلبة، وتوفير فضاء للدراسة والتعلم، فهي تتكون في الغالب على صحن، يشغل وسطه صهريج أو نافورة، وتقوم في جوانبه الثلاثة سلسلة من الغرف، وفي الجانب الرابع مسجد، كما في مدرسة العطارين، أو حجرة للصلاة، وقد تضاف طوابق عليا للسكن أيضا، كما في المصباحية، أو يلحق بالمدرسة كتاب لتعليم الصبيان، وقد تحتوي بعض المدارس على منارة للآذان، كما كان الشأن في مدارس الصفارين، وفاس الجديد، والبوعنانية، وقد اعتمد في بناء هذه المنشآت المعمارية على مواد متنوعة منها الحجر، والرخام والجص والخشب، وفي التزيين على الأشكال الهندسية والنباتية والكتابات الزخرفية(٣).

كما كانت محل سكن العلماء والمشايخ، قرب جامع القرويين في الأحياء القريبة(٤).

ولعل من أبرز العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس هو قيام العديد من الأندلسيين بالتدريس في مساجد فاس ومدارسها. ومن أبرز مظاهر ذلك: **الكراسي العلمية** التي كانت منتشرة في جامع القرويين، والمدارس الفاسية، ويدرس بها الأندلسيون.

---

(١) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص٥٦.

(٢) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج٢، ص٣٦٣-٣٦٤ هامش رقم (٢٧).

(٣) نعيمة الحضري: المدارس المرينية بفاس، ص ٣٧٧.

(٤) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس،ص٤٤٥.

ومن هذه الكراسي العلمية:

ــ **كرسي مسجد الأندلس**، وقد درس به خير الله بن القاسم الأندلسي من فقهاء القرن (ق٤هـــ/ق١١م) (١).

ــ **كرسي ظهر الصومعة** بجامع القرويين، وقد درس به الشيخ ابن جامع الأنصاري الجياني، (ت٥٤٦هـــ/١١٥١م)(٢).

ــ **كرسي مدرسة العطارين**، وقد درس به الشيخ محمد بن أحمد القشتالي (ت٧٧٧هـــ/١٣٧٥م)(٣).

ــ **مسجد الحوراء**، وتصدر للإقراء به **محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي** من أهل إشبيلية إلى أن توفي بها سنة (٥٥٣هـــ/١١٥٨م)(٤).

كما وقفت على **جماعة من العلماء الأندلسيين** درسوا ونشروا العلم بمدينة فاس، وإن لم يحدد موضع دروسهم، أو كراسيهم، ومنهم:

- **أبو العباس، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري**، توفي قريباً من سنة (٥٠٠ه/١١٠٦م)، من بلدة شارقة من نوحي بلنسية، سكن وفاساً ودرس بها(٥).

- **أبو بكر، محمد بن أغلب بن أبي الدَّوس** (ت٥١١ه/١١١٧م)، من أهل مرسية، استقر بفاس وانتفع به طلبة العلم ومحبيه (٦).

---

(١) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج٢، ص ٣٦٧.

(٢) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج٢، ص ٣٨٧.

(٣) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج٢، ص ٣٨٩.

(٤) ابن الأبَّار: التكملة، ج٢، ص٢١.

(٥) ابن بشكوال: الذيل والتكملة، ج١، ص٧٥؛ ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٢٦؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٩٦؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٣٧.

(٦) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٤١٢-٤١٣؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥٤؛ الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات، ج٢، ص٣٥١.

– **أبو القاسم، خلف بن محمد بن غفول** (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، من أهل شاطبة، **سكن مدينة فاس** وأخذ عنه الكثير من طلابها [١].

– **عبدالله بن يحيى الثقفي** (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م)، من أهل سرقسطة، انتقل إلى فاس حيث أقام بها معلماً [٢].

– **أبو القاسم، خلف بن يوسف بن فرتون** (ت٥٣٢هـ/١١٣٧م)، من كبار علماء شنترين، انتقل إلى مدينة فاس حيث أقام بها معلماً [٣].

– **محمد بن حكم بن أحمد بن باق الجذامي** (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، من أهل سرقسطة، ثم فاس، ودرس بها العربية [٤].

– **أبو العباس، أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدميري** (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، من أهل تدمير، نشر علم النحو في فاس وتوفي بها [٥].

– **محمد بن عبد الله بن محمد بن خليل القيسي** (ت٥٧٠هـ/١١٧٤م)، من أهل لبلة، ثم استقر في فاس فترة، انتفع منه عدد من طلابها [٦].

– **محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري** (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م)، من أهل إشبيلية، انتقل للإقامة في مدينة فاس فترة من الزمن، فتصدَّر للإقراء فيها [٧].

(١) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٩٢؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص١٦١.

(٢) ابن الأبَّار: التكملة، ص٤٦٤؛ المعجم، ص٢٠٨.

(٣) ابن بشكوال: الصلة، ص ٥٦؛ ابن الأبَّار: تحفة القادم، ص ٥.

(٤) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٤٤١. وفيها وفاته سنة ٥٣٤هـ؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص ٣٦٩؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٦، ص١٧٧-١٧٨؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٥) ابن الأبَّار: التكملة، ج١،ص٦٥؛ المعجم، ص٤١؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج١، ص١٣٨؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٣٨؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج١، ص ٦٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٦) ابن الأبَّار: التكملة، ص٢٣٣.

(٧) ابن الأبَّار: التكملة، ص ٢٤٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص ١٦٨.

– **عيسى بن محمد الغافقي** (ت ٥٨٦هـ/١١٩٠م)، ارتحل من الأندلس إلى فاس، فلزم مهنة التعليم خلال إقامته فيها [١].

– **عبد الله بن محمد بن علي الحجري الألميري** (ت٥٩١هـ/١١٩٤م)، من أهل المرية، انتقل بعد ذلك إلى مدينة فاس ردحاً من الزمن يقرئ ويسمع فيها[٢].

– **أبو عبد الله، محمد بن عمر** (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م)، من أهل مالقة، انتقل إلى فاس، وتصدر للكتابة والإقراء فيها [٣].

– **أبو ذر، مصعب بن محمد بن مسعود الخشني** (ت ٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، من أهل جيّان، استوطن مدينة فاس، وأقام بها يُقرئ العربية ويُدرّس[٤].

– **أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير** (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، ولد في مدينة بلنسية، ثم عاش في مدينة فاس فترة من الزمن للتدريس [٥].

– **أبو القاسم، أحمد بن عمر الأنصاري الخزرجي** (ت ٦١٦هـ/م)، من أهل قرطبة، سكن مدينة فاس، وروى عنه جماعة من العلماء[٦].

وقد تولى **الخطابة بفاس** جمع من العلماء الأندلسيين، منهم:

– **علي بن موسى بن خلف**، أبو الحسن بن النَّقَرات، الأنصاري السالمي الأندلسي الجَيَّاني، ولي خطابة فاس[٧].

---

(١) ابن الأبَّار: التكملة، ص٢٦.

(٢) ابن الأبَّار: التكملة، ص ٨٦٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ٤٢٧-٤٢٨.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة، ص٣٢٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٩٩-٢٠٠.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٩؛ ابن الأبَّار: التكملة، ص٣٨٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص٧١-٧٢؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص١٠٣٧.

(٥) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٥، ص٥٩٥.

(٦) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص١١٠؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص ١٣٨-١٣٩، ١٤٤-١٤٥؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج١، ص٣٤٧- ٣٤٨.

(٧) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص٨٢.

– **الخطيب أبو عبد الله، بن عبد الرحمن الخزرجي الشلبي** (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)، وَلّيَ الخطبة بجامع القرويين [١].

– **ابن عباد، محمد بن يحيى بن إبراهيم الرندي** (ت٧٩٢هـ/١٣٩٠م)، ظل خطيباً بالقرويين خمس عشرة سنة[٢]،

ولم أقف على علماء فاسيين كان لهم علاقة علمية مع المراكز العلمية بالأندلس، على كثرة جوامعها ومدارسها، وقد يعزى ذلك إلى ما سبق من إهمال نسبي للرحلة العلمية من فاس إلى الأندلس، وقد سبق بحث ذلك في مطلبي الرحلة والهجرة وغيرهما بما أغنى عن إعادته، ولله الحمد.

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٨؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص٣٥؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص٥٩.

(٢) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص١٤٣،١٣٣.

الفصل الثالث

أهم التأثيرات العلمية المتبادلة بين الأندلس ومدينة فاس

- العلوم الدينية (التفسير،الفقه،الحديث،علم القراءات.....).
- اللغة والنحو والأدب.
- العلوم البحتة (الرياضيات،الطب،الكيمياء،الفلك...).
- التاريخ والتراجم والجغرافيا.

العلوم الدينية

كانت العلوم الدينية من التفسير والفقه والحديث والقراءات، وغيرها من أكثر العلوم المنتشرة في الأندلس وفاس، وذلك يرجع لاعتبارات كثيرة، أهمها أن الشرع منهج حياة، والعالم الرباني هو الموقع عن الله تعالى، وعلماء الشريعة هم حياة الأمة، فإنهم كما قال الإمام ربيعة بن أبي عبد الرحمن رحمه الله، وهو شيخ الإمام مالك: (الناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم ما أمروهم به ائتمروا وما نهوهم عنه انتهوا)، وقد قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: (علامة هلاك الناس هلاك علمائهم فإن بهم صلاح الدين وقمع المعتدين ومعرفة رب العالمين). [(١)]

بل جاء عن التابعي الجليل عطاء في تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[(٢)] قال: (موت علمائها وفقهائها)[(٣)].

فالحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم .. فنعوذ بالله من فتن المضلين[(٤)].

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبدالله: طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم الخيف. دار المنهاج – جدة ، ط١، ١٩٩٧، ج١ ، ص٣٩.

(٢) سورة الرعد، آية ٤١.

(٣) محمد بن عبد الرحمن : طي التعريف ، ج١ ، ص٣٩.

(٤) ابن حنبل: الرد على الزنادقة والجهمية ، ج١ ، ص٦.

وقد تعددت علوم الشريعة، والعلوم الخادمة لها، وقد نبغ في كل علم من هذه العلوم علماء في الأندلس وفاس أسهموا في تعزيز العلاقات العلمية بينهما، وكان لهم التأثير الأكبر في النشاط العلمي الذي لم يتوقف طيلة فترة الدراسة.

وفيما يلي إطلالة على ذلك، فنذكر من أهم تلك العلوم:

*** علوم القرآن الكريم:**

القرآن الكريم هو كتاب الله المبين والذي ختم به الكتب السماوية، وأنزله على أشرف الرسل وخاتمهم، وجعله نوراً وهداية للناس، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (1)، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بتلاوة القرآن وتدبره قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ (2)، وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (3).

ولقد حث النبي ﷺ على قراءة القرآن وتدبره فقال ﷺ: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) (4)، وقد اعتنى الصحابة رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم بالقرآن الكريم سواء بحفظه وتلاوته والعمل بما فيه، أو بما كان يتصل به من علوم قائمة على خدمته مباشرة، وهي علوم القرآن من قراءات وتفسير وغيرها.

أ- علم القراءات

بلغ القرآن الكريم الغاية في التوثيق، فقد حفظه الله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (5)، كما ثبت في المتواتر من الحديث أن النبي ﷺ قال: ((إن

(1) سورة المائدة، آية ١١٥.

(2) سورة البقرة، آية١٢١.

(3) سورة النساء، آية ٨٢؛ سورة محمد، آية ٢٤.

(4) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ح٥٠٢٧).

(5) سورة الحجر، آية ٩.

هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه))[١]، وقد تلقى الصحابة القـــرآن مشافهة من النبي ﷺ بحروفه المتعددة[٢].

ومع قيام حركة الفتوحات الإسلامية وانتشار الصحابة في الأمصار يقرءون القرآن بما سمعوه عن النبي ﷺ وتعددت أوجه القراءة، فبدأ الخلاف ينشأ من الاختلاف على هذه الأحرف، فقام الخليفة الراشد عثمان بن عفان (ت٣٥هـــ/٦٥٥م) بجمع القرآن الكـــريم في القراءات المتواترة عن الرسول ﷺ وأرسل بنسخ من المصحف إلى عدد من الأمـــصار الإسلامية، وترك لقراء الأمصار أن يقرؤوا الحرف الواحد بأوجه الأداء التي تلقوها مـــن رسول الله ﷺ من تحقيق الهمز أو تسهيلها أو الإمالة وما إلى ذلك بشرط موافقة الرســـم وصحة التلقي[٣]

حتى كان عصر (ابن مجاهد) القاريء العلم (ت٣٢٤هـــ/٩٣٥م) [٤] فكتب كتابه (القراءات السبعة)، لأنه اختار سبعة قراء من أئمة القراءات في زمانه، وهم: ابن عــــامر[٥] وابن كثير[٦] وعاصم[٧]

(١) أخرجه البخاري في مواضع من الجامع الصحيح؛ في كتاب الخصومات (ح٢٤١٩)، وفي كتاب بدء الخلق (ح٣٢١٩)، وفي كتاب فضائل القرآن (ح٥٠٤١،٤٩٩٢،٤٩٩١)، وفي كتاب التوحيد، (ح٧٥٥٠)، وأخرجه مسلم : الجامع الصحيح، في كتاب صلاة المسافرين، (ح٨١٨-٨٢١).

(٢) انظر في المراد بالأحر ف السبعة، ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ب ت، ج٩، ص٢٣.

(٣) ابن الجزري: محمد بن محمد. النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه ومراجعته . علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج١، ص، ٧، ٨.

(٤) هو: **أبو بكر أحمد بن مجاهد** ابن موسى البغدادي المقرئ، صنف في القراءات كتاب (القراءات السبعة)، وكان شيخ القراءات في وقته قصده الطلبة واشتغلوا عليه. انظر: الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص٢٦٩.

(٥) هو: عبد الله **بن عامر** اليحصبي، (ت١١٨هـــ/٧٣٦م)، ابن الجزري: محمد بن محمد. غاية النهاية في طبقات القراء، نشر بعناية برجستراسر، القاهرة، مكتبة الخانكي، مطبعة السعادة، ١٣٥١هـــ/ ١٩٣٢م ، ج١،ص٤٢٣.

(٦) هو: عبد الله **بن كثير** المكي الداري (ت١٢٠هـــ/٧٣٧م)، الذهبي: – معرفة القراء، الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار معروف ورفاقه بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م، ج١،ص٨٦.

(٧) هو:**عاصم** بن أبي النجود الكوفي (ت١٢٧هـــ/٧٤٤م)، الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص٨٨.

وأبو عمرو بن العلاء[1] وحمزة[2] ونافع[3] والكسائي[4].

وصنف كتاباً في كيفية أدائهم المتلقي بالإسناد عن قراء الأمصار عــن رســول الله ﷺ واختار بعضهم بعده ثلاثة آخرين فأصبح المشهور عشر قراءات[5].

ويعتبر علم القراءات من أهم العلوم الدينية وذلك لاتصاله بقراءة القرآن الكريم وتعلم قراءته، وكانت مدينة فاس من أهم المدن في تعليم القراءات في بعض فترات البحث يوضحه المراكشي إذ يقول عن نفسه: (فصلت عن مدينة مراكش وأنا ابن تسعة أعوام إلى مدينة فاس، فلم أزل فيها إلى أن قرأت القرآن وجودته ورويته عن جماعة كانوا هناك مبرزين في علم القرآن) [6].

ويذكر ابن خلدون أن تأثير الأندلسيين في علم القراءات شمل بلاد المغرب؛ وهو أن ما ألفه أبو القاسم بن فيره الأندلسي [7] في هذا العلم استخدمه أهل المغرب والأندلس – ويشمل ذلك بلا ريب: مدينة فاس- فقال ما نصه: (ثم ظهر بعد ذلك فيما يليه من

(١) **أبو عمرو** بن العلاء بن عمار التميمي البصري (ت١٥٤هـ/٧٧٠م)، الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص١٠٠.

(٢) **حمزة** بن حبيب الكوفي الزيات (ت١٥٦هـ/٧٧٢م) ابن الجزري: غاية النهاية، ج١، ص٢٦١.

(٣) هو:**نافع** بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الشجعي (ت١٦٩هـ/٧٨٥م)، ابن الجزري: غاية النهاية، ج٢، ص٣٣٠ـ ٣٣٤.

(٤) هو: علي بن حمزة بن عبد الله **الكسائي** (ت١٨٩هـ/٨٠٤م)، الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص١٢٠ـ ١٢٨، كذلك راجع في القراءات السبع: طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة، ج٢،ص٢٤ـ٤٠.

(٥) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج١، ص٩؛ السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج١، ص٢١١.

(٦) المعجب، ص٤٤٦.

(٧) **الشاطبي** هو: أبو محمد القاسم بن فيره بن خلف الرعيني الأندلسي المقرئ الضرير أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة ٥٣٨هـ مئة وقرأ القرآءات ثم ارتحل وسمع الحديث، وكان إماما علامة محققا ذكيا كثير الفنون واسع المحفوظ له القصيدتان اللتان قد سارت بهما الركبان وخضع لبراعة نظمهما فحول الشعراء وأئمة القراء والبلغاء وكان ثقة في نفسه زاهدا ورعا قانتا لله وانتهت إليه الرئاسة في الإقراء، توفي سنة ٥٩٠هـ. الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٤/ص٢٧٣، وتذكرة الحفاظ، ج٤/ص١٣٥٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٢/ص١٦١، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٥/ص١٨٣.

ولقد ترجم له الذهبي بأن القاسم اسمه، وذكره ابن خلدون وابن تغري بردي والصفدي باعتبارها كنية ولم يذكروا له اسماً.

العصور والأجيال أبو القاسم بن فيره من أهل شاطبة، فعمد إلى تهذيب ما دونه أبو عمرو وتلخيصه، فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها أسماء القراء بحروف أ ب ج د، على ترتيب أحكمه ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار، وليكون أسهل للحفظ لأجل نظمها، فاستوعب فيها الفن استيعاباً حسناً، وعني الناس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلمين، وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس)(1).

وقد كان معظم أعلام القراءات الأندلسيين في فاس من الذين وفدوا عليها، حيث كان لهم دور في تعليم أبناء المدينة، وأذكر منهم: محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي، (ت٥٥٣هـ/١١٣٨م) من أهل إشبيلية، وكان إماماً في صناعة الإقراء على الرواية مشاركا في علم العربية والآداب، خرج من إشبيلية بلده واستوطن مدينة فاس وتصدر للإقراء بمسجد الحوراء منها إلى أن توفي بها، من مؤلفاته: "الإيماء إلى مذهب السبعة القراء"، وأرجوزة أسماها: "لؤلؤة القراء"(2). علي بن عبد العزيز بن محمد بن مسعود القيسي (كان حياً ٥٥٤هـ/١١٥٩م)، من أهل بسطة، واستوطن مدينة فاس وتصدر للإقراء بها، وكان من أهل المعرفة بالقراءات وله كتاب الاستدلال على رفع الإشكال في جمع القراءات وتبيين المعاني المبهمات(3). فتح بن محمد بن فتح الأنصاري (ت٥٧٤هـ/١١٧٨م): من كبار علماء اشبيلية في علم القراءات، نزل مدينة فاس، وكان مقرئاً عارفاً بالقراءات ضابطاً أحكامها ذاكراً أصولها وخلفها، أقرأ القرآن بقرطبة دهراً، ثم انتقل إلى شلب وأقرأ بها، ثم تحول إلى فاس وأقرأ بها(4). علي بن أحمد بن علي الأنصاري (كان حياً ٥٨٢هـ/١١٨٦م)، أصله من طليطلة وسكن مدينة فاس، تصدر بفاس للإقراء(5). أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي، أصله من الثغر الأعلى من سرقسطة (ت٥٥٩هـ/١١٦٣م)، كان محدثاً ضابطاً مقرئاً مجوداً، أقام بفاس

---

(١) ابن خلدون: المقدمة،ج٢، ص٢٥١.

(٢) ابن الأبَّار: التكملة، ص٤٨٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٢٦؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٦٢.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة ، ٣، ص١٩٦؛ ابن الزبير: صلة الصلة، ص ٩٢.

(٤) ابن الأبَّار: التكملة ، ج٢ ، ص٥٣٢؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٥، ص٥٣٢؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٥١١.

(٥) ابن الأبَّار: التكملة ، ج٣ ، ص٢١٦؛ ابن الزبير: صلة الصلة ، ص١٠٣.

ثم مراكش وبث علمه بهما[(١)]. إبراهيم بن إبراهيم بن محمد الأنصاري المقريء المعروف بالعشَّاب (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م)، من علماء أشبونة، ونزل مدينة فاس، كان عالماً بالقراءات، والنحو، ويبيع العشب[(٢)]. أحمد بن موسى بن عبد الله اللخمي من أهل شلب يكنى أبا العباس أخذ القراءات ببلده، ونزل مدينة فاس وتصدر بها لإقراء القرآن، والتأديب بالعربية (ت بعد٦٠٠ه/١٢٠٣م)[(٣)]. محمد بن يوسف الأنصاري القرطبي (ت٦١٠ه/ ١٢١٣م)[(٤)]، ابن القديم، يعيش بن علي بن مسعود بن يعيش (ت ٦٢٦ه/ ١٢٢٨م)، من أهل شلب، وكان من أهل المعرفة بالقراءات له مؤلف في علم القراءات سماه: "الشمس المنيرة في القراءات السبع الشهيرة"[(٥)]. محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري، (ت٦٤٥هـ/١٢٤٧م) من أهل غرناطة كان مقرئاً جليلاً، دخل فاساً وتوفي بغرناطة[(٦)]. محمد بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله الأموي الشريشي، (ت٧١٨ه/١٤١٥م)، من أشهر أعلام القراءات في العصر المريني، قطن فاساً أدرك أشياخاً جلة من أئمة علم القراءة والضبط وعلم القراءات، ومن تآليفه في علوم القرآن رجز بعنوان: "مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن"، وله نظم آخر في رسم القرآن سماه: "عمدة البيان"، وله تأليف آخر في رسم القرآن مثل "مورد الظمآن"، و"الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع"[(٧)].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص١٨٢-١٨٧؛ ابن فرحون: الديباج، ج١، ص١٨٤-١٨٥.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٨٩-٩٠؛ ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص١٥٨.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٩٥؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٤٠؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٢، ص٥٥٢؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٧١.

(٣) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٤٨٣؛ ابن الزبير : صلة الصلة،ص ٢٣٨؛ محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، ص١٠٣.

(٤) السيوطي: طبقات النحويين والنحاة، ج١، ص٢٠١-٢٠٢.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص٣٥٥.

(٦) ابن الأبَّار: التكملة، ج٢، ص١٤٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ، ج١ ، ص١٥٥.

(٧) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص١١٤؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص ١٠٢؛ إبراهيم الوافي: الدراسات القرانية بالمغرب خلال القرن الرابع عشر الهجري، كلية الآداب، جامعة ابن زهر، أكادير، ص٣٨.

ومن أهم المؤلفات العلمية التي كانت تدرس في المدينة كتاب محمد بن عبد الله اللخمي: "الإيماء إلى مذاهب السبعة القراء"[١]، وكتاب: "تبين المعاني المبهمات"[٢]، و"الإشارة في قراءة الأئمة السبعة المختارة"[٣]، و"الشمس المنيرة في قراءة السبعة الشهيرة"[٤].

ومن علماء فاس النابغين في هذا العلم: قاسم بن محمد الزقاق الأموي (ت٥٥٩هـ/١١٦٣م)، كان مقرئاً فاضلاً، تصدّر لإقراء علم القراءات بفاس وأخذ الناس عنه[٥]. أحمد بن عبد الله بن أحمد الحطيئة اللخمي (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، كان عالماً بالقراءات السبع[٦]. يوسف بن عبد الصمد بن يوسف بن علي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)، من أهل فاس لقي أبا العباس بن مضاء فأخذ عنه تأليفه الذي سماه تتريه القرآن عما لا يليق من البيان، دخل الأندلس وأقرأ بإشبيلية[٧]. أبو العباس أحمد بن فرتون السلمي (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)، من مؤلفاته في علم القراءات كتاب سماه: "الاستدراك والإتمام"، استدرك فيه على السهيلي في كتابه: "التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام" [٨].

ب ــ علم التفسير، وعلوم القرآن: التفسير هو علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها، وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومشتبهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها وأمرها ونهيها، وأمثالها[٩].

---

(١) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٤٨٨؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٦٤.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٤٧٩.

(٣) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٦٣.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٢٦٥.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٥١٣.

(٦) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١١٦ ؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص٧٧، ص٩٠.

(٧) ابن الأبّار: التكملة ، ج٤ ، ص٢٢٧.

(٨) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٨٨.

(٩) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص١٦٩.

اهتم العلماء بدراسة القرآن الكريم؛ باعتباره المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، **وينقسم التفسير إلى قسمين:**

الأول: هو تفسير نقلي مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، ومقاصد الآيات، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين، وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا.

الثاني: هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب(١).

وللارتباط بين علمي القراءة والتفسير، فإنه يمكن اعتبار القراء من المفسرين أيضاً، إذ كل من العلمين يدلي للآخر، فالمقريء لابد أن يعرف وجوهاً في التفسير ، ولاسيما في تفسير الأحرف التي تختلف طرق أدائها من قراءة لأخرى، كما أن المفسر لابد أن يكون ملماً بالقراءات التي تكون من باب تفسير القرآن بالقرآن، ولذلك أثر عن التابعي الجليل مجاهد(٢) وهو من أئمة التفسير من أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما قوله: (لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود، لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت)(٣).

وقد حظي علم التفسير في الأندلس باهتمام بالغ من العلماء، فقد نشأ في القرن الثالث للهجري كعلم بارز من بين العلوم، ثم نما وترعرع في القرن الخامس الهجري، ثم بلغ عظمته في القرن السادس الهجري، ثم نضج في القرنين السابع والثامن الهجريين(٤).

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٥٢.

(٢) **مجاهد** : ابن جبر أبو الحجاج المكي، شيخ القراء والمفسرين، كان آية في التفسير، أخذ التفسير عن ابن عباس، وصار علماً فيه ، وتتلمذ على يديه كبار القراء كابن كثير، وأبي عمروبن العلاء، وابن محيصن، والأعمش ، وغيرهم، توفي وهو ساجد سنة أربع ومائة، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤/ص٤٤٩؛ محمد عبد الله الخضيري، تفسير التابعين، ج١، ص٨٣، وما بعدها، رسالة دكتوراة ، بقسم القرآن وعلومه ــ كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٥هـ .،ج١، ص ٨٣.

(٣) الترمذي : محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي. الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ج٥،ص٢٠٠.

(٤) مصطفى إبراهيم المشني: مدرسة التفسير في الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٨٢.

والمتتبع لعلم التفسير في الأندلس وفاس يجد أن هناك عدداً من العلماء اهتموا بهذا الفن، وأذكر بعض العلماء الأندلسيين من الذين نشروا هذا العلم في فاس:

فمن علماء التفسير القاضي الأندلسي أبو بكر بن العربي المعافري (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)، وقد رحل إلى فاس وله كتاب (أحكام القرآن)، وقد وافته المنية خارج مدينة فاس[١]. أحمد بن عبد الصمد بن عبيدة الأنصاري الخزرجي (ت٥٨٢ه/ ١١٨٦م)، وله كتاب في هذا العلم سماه: "نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه"[٢]. علي بن أحمد بن علي الأنصاري (كان حياً ٥٨٢هـ/١١٨٦م)أصله من طليطلة، تصدر بفاس للتحديث [٣]. محمد بن علي بن العربي (ت٦٣٦ه/١٢٣٨م)، له كتاب "الجمل والتفصيل في معاني التنزيل".

ومن علماء فاس الذين نبغوا في هذا العلم:، محمد بن يوسف بن عمران المزدغي (ت٦٥٥ه/١٢٥٧م)، له كتاب في "التفسير" انتهى فيه إلى سورة الفتح[٤]. أبو العباس أحمد بن فرتون السلمي (ت٦٦٠ه/١٢٦١م)، من مؤلفاته "الأعلام المبهمة في القرآن"[٥].

*** الفقه**

يعرف ابن خلدون علم الفقه بقوله: (أنه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيها بينهم، ولا بد من وقوعه ضرورة. فإن الأدلة من النصوص وهي بلغة العرب)[٦].

---

(١) ابن قنفذ: الوفيات ، ج ١ ، ص ٩.

(٢) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٨٥؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٤١؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج١، ص٢٣٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٨٨-١٨٩؛ محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب، ص٤٤.

(٣) ابن الأبّار: التكملة ، ج٣ ، ص٢١٦؛ اابن الزبير: صلة الصلة ، ص١٠٣.

(٤) الكتاني: سلوة الانفاس ، ج٢، ص ٣٨، ٣٩، أحمد بابا: نيل الابتهاج ، ص٢٢٩.

(٥) ابن القاضي، جذوة الاقتباس ، ص١٨٨؛ المنوني، العلوم والفنون والآداب، ص٤٤.

(٦) المقدمة،ج٢، ص٢٥٥.

فالفقه: هو العلم بالأحكام الشرعية العلمية من أدلتها التفصيلية، وفائدته حصول العمل به على الوجه المشروع(١).

انتشر الفقه المالكي في بلاد المغرب الإسلامي بواسطة تلامذة الإمام مالك الذين رحلوا إليه منها، فكانوا حجر الأساس الراسي في هيكلة الفقه الإسلامي بالمغرب، ولذلك اختص المغرب بمذهب الإمام مالك، ولم يتخذوا غيره مذهباً إلا في النادر، والسبب هو قصور رحلتهم العلمية غالباً على أداء الفريضة بالحج إلى الحجاز، فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة أصحاب المذهب المالكي(٢)، مع ذلك نرى أن بعض الباحثين يذكر أن جامعة القرويين كانت مناراً وهاجاً بدد الخلافات المذهبية التي سادت في فاس قبل القرن (ق٤هـ/ق١٠م)، حيث انتشر فيها المذهب الحنفي والحنبلي والشافعي(٣)، ولذا فيحتمل أنه كان يوجد القليل من المذاهب الأخرى كما ذكره.

و اشتد التمسك بمذهب الإمام مالك، نتيجة لقيام دولة المرابطين ــ وهي التي قامت على منطلق ديني لا سياسي ــ حيث احتلت المؤلفات الفقهية التي دونها رفاق الإمام مالك المكانة الأولى في الدراسة بالقرويين ومساجد فاس الأخرى، واستمر الفقه المالكي في ازدهار طيلة أيام المرابطين(٤)، لذلك انتشرت المؤلفات والكتب في جميع الأصول الفقهية، يقول في ذلك الونشريسي: (أن مدينة فاس احتوت من الكتب الغريبة شيء لا يشاركها من بلاد المغرب فيه غيرها، وخاصة ما اختص به مذهب الإمام مالك من التشعب والتفرق، واختصاص كل أفق بما ينقلون عنه دون غيره... ولا يبعد أن يكون

---

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني: إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية نشر دار الكتاب العربي، ط. ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص١٧؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٢٥٨.

(٢) ابن خلدون: لمقدمة، ص٣٧٥؛ محمد الحجوي. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة النهضة، تونس، بدون تاريخ، ج٣، ص٦٤-٦٥.

(٣) عبد العزيز بنعبد الله. العلوم الكونية التجريبية في المغرب، كيف تطورت خلال ألف عام، مكتبة منار العرفان، الرباط ، ص٣٥.

(٤) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج١، ص١٢٧.

بفاس الكتب التي أمر بعض أمراء الأندلس بجمع ما وقع لمالك من الأقوال) [1].

ومن الجدير بالذكر أن الشخصية العلمية الفقهية كانت بمدينة فاس بارزة، فكان العلماء الذين درسوا في فاس يرحلون إلى المشرق والمغرب والأندلس لبذل العلم على الأسلوب الذي تلقوه في فاس، إذ كان لمدرسة فاس أسلوب خاص في الفقه المالكي قائم على تحليل المدونة، بطريقة تعتمد على المناقشات اللفظية، وضبط الروايات وتصحيحها[2].

والآن جاء أوان الحديث عن العلماء الأندلسيين الذي اعتنوا بالفقه في فاس، فمنهم: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو بكر بن العربي المعافري (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)، من أهل إشبيلية؛ الإمام العالم الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها ولاسيما الفقه، وتوفي رحمه الله بالعدوة ودفن بمدينة فاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة[3]. محمد بن أحمد بن إبراهيم البغدادي من أهل جيان (ت٥٤٦هـ/١١٥١م)، أقام يدرس الفقه وأصوله ومسائل الخلاف، نزل فاساً، ولم يزل مقبلاً على نشر العلم بها إلى أن توفي[4]. محمد بن أحمد بن لواء الأنصاري (ت ٥٤٦هـ/١١٥١م)، كان فقيهاً حافظاً عارفاً بأصول الفقه، قام بتصنيف مسائل الخلاف في سبعة أسفار، وقد ذكر أنه حين قدم إلى فاس بعث بشيء منها إلى أبي موسى عيسى بن الملجوم[5].

واشتهر من علماء فاس في الفقه: أبو موسى عيسى بن يوسف الأزدي المعروف بابن الملجوم (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)، كان عارفاً في الفقة ذكراً للمسائل، متقدماً في علم

(١) الونشريسي: المعيار المعرب، ج١، ص٢١١.

(٢) سامية مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد الخلافة الأموية، ص ٢١١.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج١ ، ص٤٣١.

(٤) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٤٧٤؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج١، ص٢٦٢-٢٦٣ ؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٥) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٥، ص٥٨٣.

الفرائض، تولى قضاء فاس[١]. أبو عمرو عثمان بن عبد الله بن عيسى السلاجي (ت٥٤٧هـ/ ١١٥٢م)،انقطع لبث العلم مخلصاً النية لوجه الله تعالى، وأخذ عنه الكثير من شيوخ فاس[٢]. علي بن الحسين بن علي بن الحسين اللواتي من أهل فاس، (٥٧٣هـ/١١٧٧م)، دخل الأندلس، وكان فقيها حافظا مشاورا مفتيا فارضا مقدما في عقد الشروط عدلا فاضلا[٣]. أبو عبد الله، محمد بن عبد الكريم الفندلاوي (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م)، من تلاميذ السلاجي، قال عنه ابن الأبّار: (كان إماماً لعلم الكلام وأصول الفقه، مدرساً لذلك حياته كلها، وكانت له أرجوزة "أصول الفقة")[٤]، إسحاق بن إبراهيم بن يعمر الفاسي (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م)، كان متبحراً في الفقة المالكي، حتى قيل إنه يحفظ "المدونة"[٥]. عبد الرحمن بن يوسف بن زانيف الفاسي (ت٦١٢هـ/١٢١٥م) الذي شُدّت إليه الرحال لأخذ مذهب الإمام مالك عنه، حيث كان يقوم على "المدونة" قياماً تاماً [٦]. علي بن أحمد بن محمد الخزرجي الفاسي (ت٦١٠هـ/ ١٢١٣م)، من مؤلفاته كتاب: "المدارك"، كما أن له عقيدة في أصول الدين شرحها في أربعة أسفار[٧]. أبو محمد، صالح بن جنُّون الهكسوري (ت٦٥٣هـ/١٢٥٥م)، عرف بالعدالة واختصاصه بالأحكام، أخذ عن أبي محمد فقيه فاس، وأخذ عنه الفقيه أبو الفضل راشد الوليدي صاحب كتاب "الحلال والحرام"، والشيخ أبو إبراهيم الأعرج صاحب كتاب "الطُّرر على

---

(١) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص٨٩-٧٠.

(٢) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، ج١، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة ، ج٣ ، ص٢٤٤؛ اابن الزبير: صلة الصلة، ص١٤٧.

(٤) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، ج١، ص١٥٠.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٦٥؛ عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب، دار المعرفة، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م، ص٣١٣.

(٦) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٣٩٦؛ المنوني: العلوم والفنون والآداب، ص٥٥.

(٧) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٤٧٠.

المدونة"[1]. أبو سالم، إبراهيم بن عبد الرحمن التسولي التازي (ت٧٤٧هـ/١٣٤٦م)، قيّد على المدونة بمحضر شيخه أبي الحسن كتاباً مفيداً، وشرح "الرسالة" شرحاً عظيماً، لازم أبا الحسن الصغير، وكان قاريء كتاب الفقه بين يديه، يقول فيه ابن الخطيب: (حضرت مجالسه بمسجد عدوة الأندلس من فاس، كان فصيح اللسان، سهل الألفاظ، وكان مجلسه وقفاً على "التهذيب" و"الرسالة"، وكان مع ذلك شيخاً كبيراً)[2]. أحمد بن عمر المزكلدي (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، من علماء فاس وآخر حفاظ المدونة بها، وأحد فقهائها، كان يحفظ المدونة حفظاً يضرب به المثل في حفظها[3].

ب- علم الحديث

علم الحديث يحده ابن خلدون بأنه: (معرفة الناسخ والمنسوخ، والنظر في الأسانيد، ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط، لمعرفة صدقه على الرسول ﷺ، كذلك معرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط، وإنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة، ويكون لنا ذلك دليلاً على القبول أو الترك، ومعرفة مراتب النقلة من الصحابة والتابعين، وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحداً واحداً، وكذلك معرفة الأسانيد التي تتفاوت باتصالها وانقطاعها، بأن يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه، وبسلامتها من العلل الموهنة لها)[4].

ولعلماء الحديث في ذلك ألفاظ اصطلحوا على وضعها لهذه المراتب مثل: الصحيح، والحسن، والضعيف، والمرسل، والمنقطع، والمعضل، والشاذ، والغريب، وغير ذلك من ألقابه المتداولة بينهم. وبوبوا على كل واحد منها[5].

---

(١) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص١٤٦-١٤٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٣٨٠؛ ابن القاضي: درة الحجال، ج١، ص١٧٩؛ جذوة الاقتباس، ج١، ص٨٥-٨٦.

(٣) ابن القاضي: درة الحجال، ج١، ص٨٦؛ جذوة الاقتباس، ج١، ص١٢٧.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص٢٥٣.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص٢٥٣.

فعلم الحديث : علم يعرف به أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأحواله(١)، وهو على قسمين علم الحديث رواية(٢)، وعلم الحديث دراية(٣).

نشأ هذا العلم مع العهد النبوي، واعتنى الصحابة به، وحدثوا بعد وفاة النبي ﷺ، ثم حمله لنا جيلاً بعد جيل علماء الأمة، ووضعوا القواعد والضوابط في قبول الحديث والرواية، وغير ذلك.

وقد انتقل علم الحديث من الأندلس إلى حاضرة القيروان، فلما اضطرب أمرها بعبث العرب فيها، واضطربت قرطبة وهلك آخر ملوك بني أمية رحل من هذه وتلك من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فراراً من الفتنة، فنزل أكثرهم مدينة فاس(٤).

أما عن علماء الحديث الأندلسيين المشهورين في فاس، والذين قاموا بتدريس هذا العلم، فأذكر منهم: يوسف بن عبد العزيز بن عبدالرحمن الأنصاري (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م)، كان من أهل العلم وله معاني في علم الحديث(٥). أحمد بن محمد بن علي العامري الغرناطي (ت٥٣٩هـ/١١٤٤م)، كانت له رواية في علم الحديث(٦). محمد بن

(١) محي الدين محمد الكافيجي: المختصر في علم الأثر، تحقيق: علي ذوين، دار الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١١٠.

(٢) **علم الحديث رواية**: علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول عليه الصلاة والسلام من حيث أحوال رواتها ضبطاً وعدالة، ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً. السيوطي: تدريب الراوي، ج١؛ صبحي الصالح: علوم الحديث، ص١٠٧.

(٣) **علم الحديث دراية**: علم يبحث في المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المراد منها مبنياً على قاعد العربية وقواعد الشريعة، ومطابقاً لأحوال النبي صلى الله عليه وسلم. السيوطي: تدريب الراوي، ج١، ص؛ صبحي الصالح، علوم الحديث، ص١٠٧

(٤) معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى ، مركز البحوث في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٩٩.

(٥) ابن بشكوال: الذيل والتكملة، ج٢، ص٦٤٤؛ الضبي: بغية الملتمس، ص٤٦٧.

(٦) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٩٨؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٣٧٣.

مسعود بن خصال الغافقي (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م)، كان من أهل المعارف الجمة، والإتقان للحديث، والمعرفة برجاله[١]. محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو بكر بن العربي المعافري (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)، من أهل إشبيلية؛ الإمام العالم الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها وتوفي رحمه الله بالعدوة ودفن بمدينة فاس[٢]. عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، إمام الدنيا في زمانه، عرف بكثرة جمعه من الحديث، وتقييده والعناية به، كان من أهل التفنن فيه، وقد أخذ عنه الكثير من الطلبة في فاس[٣]. محمد بن عمر بن الكاتب المالقي (ت٥٦٣هـ/١١٦٧م)، كان بصيراً بعلم الحديث، ومقيداً ضابطاً له[٤]، أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي (ت٥٨٢هـ/١١٨٧م)، وكان معنيا بالحديث وروايته وكف بصره في آخر عمره وله تأليف في أحكام النبي ﷺ وسماه "آفاق الشموس وإعلاق النفوس"، وتأليف آخر سماه "مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان"، التزم إسماع الحديث والتكلم بجامع القرويين، وتوفي بمدينة فاس عقب ذي الحجة[٥]. ابن القديم، يعيش بن علي بن مسعود بن يعيش (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، من أهل شلب، رحل عن بلده في الفتنة فنزل بمراكش ثم انتقل إلى مدينة فاس، وكان من أهل الإكثار من رواية الحديث ولقاء الشيوخ مع الضبط والثقة والعدالة وله تأليف في شرح في حديث بادية بنت

---

(١) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص٥٤٠؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٠٤-١٠٥؛ الضبي: بغية الملتمس، ص١٢١؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ص٧١٦؛ البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٨٩.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج١ ، ص٤٣١.

(٣) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٤٩٨-٤٩٩؛عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص٨٧-٨٩.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٥) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٨٥؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٤١؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر الأول، ص٢٣٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص١٨٨-١٨٩؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص٢٤٢؛ محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب، ص٤٤.

غيلان [(١)]، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتاني الفاسي المعروف بابن القطان (ت٦٢٨ه/١٢٣١م)، وهو قرطبي الأصل، برع في علم الحساب وله مقالة في الأوزان[(٢)]. محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري، (ت٦٤٥هـ/١٢٤٧م) ويعرف بالطراز من أهل غرناطة كان رحمه الله تعالى مقرئاً جليلاً ومحدثاً حافلاً وبه ختم بالمغرب هذا الباب، دخل فاساً وتوفي بغرناطة[(٣)]، أبو عبد الله محمد بن عمر السبتي الأندلسي (ت٧٢١ه/ ١٣٢١م)، من أشهر المحدثين في المغرب، لقب بالأندلسي؛ وذلك لإقامته في غرناطة بالأندلس حيث تولى الخطابة والصلاة في جامعها الأعظم بناءً على استدعاء صديقه الوزير أبو عبد الله ابن الحكيم (ت٧٠٨ه/١٣٠٨م)، وذلك لإجادته في فن الخطابة، ثم بعد اغتيال صديقه خرج من غرناطة[(٤)]، وفي ذلك يقول ابن الخطيب: (تعرض إليه قوم يوم قَتْل صديقه أبي عبد الله بن الحكيم بإذاية قبيحة، وأسْمِع كلّ شانئ من القول على ألسنة زعانف ممن وَتَرَهم القتيل، فتخلّص ولا تسأل كيف؟، وأزمع الرحيل فلم يلبث بعد) [(٥)]. ثم رجع ابن رشيد إلى فاس تحت رعاية أبي سعيد بن يعقوب المنصور المريني، الذي كان معروفاً بحبه للعلم والعلماء وتعظيمهم واحترامهم[(٦)]، يقول في ذلك ابن القاضي: (رحَل عن غرناطة، ولحِق بحضرة فاس، فحلّ بها تحت عناية وفي كَنَف رعاية، وجعل له الأمر السلطاني الاختيار، أين يُحب الاستقرار، فاختار التحوّل إلى مراكش، إذْ كان قبل قد سكنها، فاستحسنها، فورد عليها، وقُدّم للصلاة والخطبة بجامعها العتيق، ثم

---

(١) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص٣٥٥.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس ، ج٢، ٢٩٨ ؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٥: ١٢٨.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة ، ج٢ ، ص١٤٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ، ج١ ، ص١٥٥.

(٤) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣، ص٢٨٠؛ ج٤، ص١١؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص١٩١؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ص١٨٠؛ درة الحجال، ج١، ٢٠١؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص٨٥؛ ابن مخلوف: شجرة النور، ص٢١٦؛ عبد الله كنون: موسوعة مشاهير المغرب، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ، ص١١.

(٥) الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٤٤١.

(٦) عبد الله كنون: ذكريات مشاهير المغرب، ص١١.

استدعاه المَقامُ السلطاني إلى حضرة فاس، فورَدها، وصار من خواصّ السلطان بها، وأقام على ذلك إلى أن توفي بفاس)[1].

وكان فريد عصره جلالة وعدالة وحفظا وأدبا وسَمْتا وهَدْيا، واسع الأسْمِعَة، عالي الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية بصناعة الحديث، قيماً عليها بصيراً بها، محققاً فيها، ذاكراً للرجال، جمّاعة للكتب، محافظا على الطريقة مضطلعا بغيرها من العربية واللغة والعروض[2]، له كتاب في رحلته التي سماها: "ملء العيبة في ما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلي مكة وطيبة"، وقد ملأها بمسائل الحديث، وفوائد علمية وأدبية وتاريخية[3]، ويعتبر من أهم كتبه، وأعظمها قيمة علمية[4]، ويذكر ابن القاضي أنه كانت له دراية كبيرة بعلم "الجرح والتعديل" المتصل بعلم الحديث، يقول في ذلك: (وكان له تحقق بعلوم الحديث، وضبط أسانيده، وميز رجاله، ومعرفة انقطاعه واتصاله)[5]، محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسي (ت٧٧٨هـ/١٣٧٦م) من علماء الحديث، وتوفي بفاس، له كتاب: "المغرب في جملة من صلحاء المشرق والمغرب" و"اختصار المقدمات" لابن رشد، و"الأسئلة والأجوبة" و"تحفة الناظر" في غريب الحديث، و"تنبيه الغافل وتعليم الجاهل" و"الجامع المفيد" و"الاعتماد في الجهاد"[6].

ومن أبرز علماء فاس في علم الحديث: علي بن الحسين بن علي بن الحسين اللواتي من أهل فاس، (٥٧٣هـ/١١٧٧م)، دخل الأندلس وأخذ عنه العربية واللغة والحديث، حدث عنه جماعة[7]. محمد بن القاسم التميمي (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م) كان من

---

(١) ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ص ١٨٠.

(٢) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص١٩١.

(٣) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص١٩٣.

(٤) عبد الله كنون: ذكر مشاهير المغرب، ص١٣-١٤.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٨٠.

(٦) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص٢٧٧- ٢٧٨؛ابن معصوم: سلافة العصر ، ص٢١٨.

(٧) ابن الأبَّار: التكملة ، ج٣ ، ص٢٤٤؛ ابن الزبير: صلة الصلة، ص١٤٧.

رجال الحديث والتراجم بالرجال، حدّث بالمشرق والمغرب، من مؤلفاته: "الإنابة في ذكر طريق أهل الاستجابة"، و"المستفاد من مناقب العباد والزهاد في مدينة فاس وما يليها من البلاد"، و"اللمعة في ذكر أزواج النبي ﷺ وأولاده السبعة"[(١)]. محمد بن عبد الله بن طاهر الحسني الشريف (ت٦٠٨هـ/١٢١١م)، كان معتنياً بعلم الحديث، ذاكراً لأسانيده ومتونه[(٢)]، محمد بن حماد العجلاني (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م)[(٣)]. يوسف بن عبد الصمد بن يوسف بن علي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)، من أهل فاس لقي أبا العباس بن مضاء فأخذ عنه تأليفه الذي سماه تتريه القرآن عما لا يليق من البيان وكان إماما في علم الكلام وأصول الفقه قائما على ذلك متحققا به متقدما في الحفظ والذكاء وجودة القريحة مع مشاركة في فنون من العلوم ودخل الأندلس وأقرأ بإشبيلية، وعاد إلى بلده سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م) وقعد لإسماع الحديث والسير بالجانب الشرقي من جامع القرويين[(٤)]. علي بن أحمد القطاني الكتاني الفاسي (ت٦٢٨هـ/١٢٢٩م)، كان من أبصر الناس بصناعة الحديث، وأحفظهم لأسماء رجاله، وأشدهم عناية بالرواية مع التفنن في المعرفة والدراية، جمع "برنامجاً" قيد فيه أسماء شيوخه، كما أنه رأس طلبة العلم بمراكش، وتوفي بسجلماسة عن ثلاث وتسعين سنة [(٥)]. إبراهيم بن الكماد المرادي الفاسي (ت ٦٦٣هـ/١٢٦٤م)، أحفظ أهل زمانه لحديث رسول الله ﷺ، ذكرت المصادر التي تناولت ترجمته أنه كان يقوم على كتب الحديث قياماً حسناً، ويتكلم عن أسانيده ومتونه، ويستوفي خلاف الفقهاء ويوعظ الناس كل جمعة، ويتكلم عن الحديث وفهمه كل يوم[(٦)].

---

(١) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص١٤٨.

(٢) ابن الأبَّار: التكملة، ج٢، ص٦٨٣.

(٣) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٦٨٣.

(٤) ابن الأبَّار: التكملة ، ج٤ ، ص٢٢٧.

(٥) الذهبي: تذكرة الحفاظ ، ج٤، ص١٣٢٧؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص١٤٩.

(٦) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٨٤-٨٥ ؛ مخلوف: شجرة النور الزكية، ج١، ص٢٠٠.

*** أصول الدين:**

المراد بأصول الدين: أركان الدين وقطعياته، فأصول الدين هي كل ما ثبت وصح من الدين، من الأمور الاعتقادية العلمية والعملية،والغيبيات الثابتة بالنصوص الصحيحة، وأصول الدين ليست محصورة بـــ (أركان الإيمان وأركان الإسلام)، فأركان الإيمان الستة وأركان الإسلام الخمسة ، جاءت مجملة وجاءت مفصلة ، وكل ذلك بنصوص قطعية ، وكل هذه القطعيات لابد للمسلم الذي تبلغه أن يعتقدها جملة وتفصيلاً ، ولا يشك فيها أو يعارضها ، ولا يردها أو يضيق بها.(١)

وقد صار هذا الاسم علماً على العلوم التي تبحث في الاعتقاد، والرد على المخالفين وغير ذلك، وصار يطلق على بعضه: (علم الكلام)، وقد حده ابن خلدون بقوله: (علم الكلام: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة)(٢).

وقد دخلت الفلسفة في كثير من مباحث هذا العلم، حتى صار لا يعرف إلا بهذه الألفاظ الفلسفية من الجزء والعرض ودليل الجواهر والأعراض، وغيرها، مما جعله من العلوم المذمومة.

و لم أقف على عددٍ من العلماء الذين برزوا في أصول الدين فترة البحث ممن نزل **فاساً**، سوى: أبو عبد الله، محمد بن عبد الكريم الفندلاوي (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م)، من تلاميذ السلاجي، وممن كان يدرس كتاب الإرشاد لأبي المعالي الجويني في علم الكلام، قال عنه ابن الأبّار: (كان إماماً في علم الكلام وأصول الفقه، مدرساً لذلك حياته كلها، وكانت له أرجوزة "أصول الفقه")(٣)، يوسف بن عبد الصمد بن يوسف بن علي (ت ٦١٤هـــ/١٢١٧م)، من أهل فاس، كان إماما في علم الكلام وأصول الفقه قائما

(١) ناصر بن عبد الكريم العقل : حراسة العقيدة، ج١ ، ص٣١.

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ص١١٨.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة، ج٢، ص١٦١؛ عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، ج١، ص١٥٠.

على ذلك متحققا به متقدما في الحفظ والذكاء وجودة القريحة مع مشاركة في فنون من العلوم ودخل الأندلس ودرس بإشبيلية[١].

ومن دراسة تأثير العلوم الدينية على العلاقات العلمية بين فاس والأندلس، يلاحظ ما يلي:

أولاً: برز الكثير من العلماء في علوم القرآن والفقه والحديث، في حين لم يبرز إلا النادر في أصول الدين. وقد تعزى الكثرة في علوم القرآن إلى طبيعة العلم الذي يفتقر إلى التلقي، ولا يعتمد على الاستنباط.

أما الفقه فلأنه كان العلم الذي يلتزم به الفقهاء في أكثر فترات البحث.

والحديث كانت له الغلبة في دولة الموحدين، حيث قام أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بالإعراض عن المالكية، وأحرق ما لا يحصى من كتب الفروع، قال في المعجب: (كنت بفاس، فشهدت الاحمال يؤتى بها، فتحرق، وتهدد على الاشتغال بالفروع، وأمر الحفاظ بجمع كتاب في الصلاة من (الكتب الخمسة)، و (الموطأ)، و (مسند ابن أبي شيبة)، و (مسند البزار)، و (سنن الدار قطني)، و (سنن البيهقي)، .. ثم كان يملي ذلك بنفسه على كبار دولته، وحفظ ذلك خلق، فكان لمن يحفظه عطاء وخلعة[٢].

وأما الكلام في أصول الدين فكان قد شابه الكثير من الفلسفات، ولم يكن ذلك مقبولاً عند المغرب الإسلامي، بل لما اشتملت كتب الغزالي على شيء من ذلك أحرقت كما مر معنا.

ويعززه أن جل المغاربة والأندلسيين كانوا مالكية، وإمام المذهب كان ينهى عن الكلام، ويذمه، ثم لما قامت دولة المرابطين تعزز هذا الأمر.

ثانياً: لم تحفل هذه الفترة بالكثير من المؤلفات التي تعزز العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس، وقد مر أنه لم يكن اهتمام بالتصنيف من قبل الفاسيين في كثير من فترات البحث، واشتغالهم بالتقييدات على كتب السابقين، ولاسيما كتب الفقه المالكي.

---

(١) ابن الأبّار : التكملة ، ج٤ ، ص٢٢٧.

(٢) المراكشي: المعجب، ص ٣٥٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج٢١ ، ص٣١٣.

علوم اللغة

ويطلق عليها علوم العربية ومعرفتها ضرورية لأهل الشريعة، إذ أن الأحكام الشرعية مأخوذة من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، فلابد على من أراد علم الشريعة معرفة العلوم المتعلقة باللسان العربي أولاً [١].

واللغة العربية: إحدى اللغات السامية، والتي تحدث بها سكان شبه الجزيرة العربية، وإليها تنسب، فهي أقرب اللغات السامية إلى أصلها، لأن العرب لم تخالط غيرها كثيراً، و لم تدخل تحت حكم أمة أعجمية مدة طويلة[٢].

ثم شرف الله تعالى العرب واللغة العربية فأنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فأضحت لغة العرب جزءًا من الدين انتشرت بانتشاره، وقدر لها الخلود لارتباطها بقرآنه.

وقد تعددت فروع اللغة العربية بعد تدوين العلوم، وصار علم اللغة: هو علم يبحث عن مدلولات الألفاظ والمفردات، وعليه الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني والوقوف على ما يفهم من كلمات العرب، ومنفعته: طلاقة العبارة وجزالتها، والتمكن من التفنن في الكلام وإيضاح المعاني بالبيانات الفصيحة[٣]، قد قام العلماء الأندلسيون في مدينة فاس بجهود كبيرة وملحوظة في ميدان اللغة العربية، و شرح مؤلفاتها، الأمر الذي ساعد في تطور اللغة العربية وعلومها، وكافة فنونه، وهذا ما سنوضحه من خلال الدراسة، ونذكر من العلوم:

أ- علم اللغة العربية

يقوم هذا العلم ــ كما يذكره ابن خلدون ــ ببيان الموضوعات اللغوية، وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي، في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب، واستنبطت القوانين لحفظها، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم، حتى تأدى

---

(١) محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب، ص٥٦.

(٢) أحمد الإسكندري وَ مصطفى عنان: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف، مصر، ب ت،ص٥.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٤٦٧؛ علي بن محمد بن سعيد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، ص ٣٦٨.

الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم(1).

ولقد درس في جامع القرويين ومدارس فاس الأخرى العديد من علماء اللغة العربية الذين أثروا في نهضة هذا العلم(2)، ونذكر من أشهر أئمة اللغة الأندلسيين في فاس الذين قاموا بتعليم اللغة العربية: محمد بن أغلب بن موسى المرسي (ت ٥١١هـ/١١١٧م)(3). محمد بن حكم بن أحمد بن باق السرقسطي (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، كان إماماً في اللغة، أخذ عنه الكثير من فنون اللغة حيث قام بتدريسها في فاس(4). أحمد بن عبد الجليل التدميري(ت٥٥٥هـ/١١٦٠م)، من أعماله في مجال اللغة كتاب: "نظم القرطين وضم أشعار السمطين"، جمع فيه أشعار "الكامل" للمبرد، و "النوادر" لأبي علي البغدادي، وكتاب: "التوصية في اللغة العربية"، وشرح على كتاب "الفصيح"، وله شرح في أبيات الجمل أسماه: "شفاء الصدور"(5).

- ومن **علماء فاس في اللغة:** أحمد بن محمد بن سعيد بن معاذ اللخمي (ت٥٩٢هـ/ ١١٩٥م)(6). محمد بن يحيى العبدري الفاسي (ت ٦٥١هـ/١٢٥٣م)، إمام في العربية، ذاكر للغات والآداب، أخذ علم العربية والآداب عن النحوى أبي الحسن بن

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٤٨١.

(٢) جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص٢٨٥.

(٣) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٤١٢-٤١٣؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥٤؛ الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات، ج٢، ص٣٥١.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج، ص٣٦٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٤؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٦٩.

(٥) ابن الأبَّار: التكملة، ج١،ص٦٥؛ المعجم، ص٤١؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج١، ص١٣٨؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٣٨؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج١، ص ٦٥.

(٦) ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٨٩؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٣٢٣؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٤٢-١٤٣.

خروف، وعن النحوى الأديب الضابط أبي ذر الخشني ، وأكثر عنهما ، وأكمل الكتاب على ابن خروف تفقهاً وتقييدً وضبطاً[(١)].

ب – علم النحو

يمكن القول أنه انتقلت العلوم وبالأخص الدراسات النحوية إلى فاس التي كانت سبب الوحدة الفكرية بين الأندلس والمغرب ابتداءً من القرن الهجري الرابع، فدخل الغرب الإسلامي مرحلة النضج والتفتح الفكري، حيث أخذت مساجد قرطبة بصفة خاصة، تعج بأعلام العلماء، ومكتباتها تزخر بمختلف المؤلفات اللغوية والنحوية والأدبية، أيام عبد الرحمن الناصر، وابنه الحكم المستنصر.

وتأكدت شخصية هذه المنطقة في القرون التالية مع المرابطين والموحدين، الذين تمكنوا طوال قرنين ونيف من إقامة دولة كبيرة انتظمت في سلكها أقطار شمال أفريقيا والأندلس، فكان العلماء ينتقلون في أرجائها الفسيحة، يملون ويؤلفون، وينالون من ضروب الإكرام والتشجيع ألواناً.

وفي هذه المدة بالذات نالت الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية أوفى نصيب، وراج كتاب سيبويه أعظم رواج، وفي فاس عاصمة المرينيين، كان احتضانها للعلماء خاصة بعد سقوط غرناطة، ثم كانت زوابع ومحن في الغرب الإسلامي خلال القرن الهجري السابع كادت تعصف بثقافته، لولا جهود المرينيين الضخمة فيما بعد، والمتمثلة في تشيد المساجد والمدارس الفخمة، وتشجيع المعلمين والمتعلمين في كل جهات المغرب، وفي تقديم العون المادي

والمعنوي لمملكة غرناطة، فكان ذلك الأثر المحمود في إحياء العلم بالعدوتين، وأعطى الدراسات اللغوية والنحوية فيهما، وبخاصة كتب سيبويه نفساً جديداً[(٢)].

كما احتضنت فاس مهاجري الأندلس بعد سقوط غرناطة الذين حملوا معهم علومهم فإنه (لما حُم القضاء، وحلت النكبة الكبرى بالمسلمين في الأندلس في نهاية القرن

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص١٥٤-١٥٦؛ السيوطي: بغية الوعاة ، ج١، ص٢٦٦؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٢١.

(٢) محمد مختار ولد أبّاه: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، مراجعة. د. محمد توفيق أبو علي و نعيم علوية، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢٦٩

التاسع آوت العدوة الجنوبية مختلف المقومات الحضارية مع آخر المهاجرين الأندلسيين، وأصبحت مدينة فاس دار مقام لعديد من الأسر النبيلة، وفي مقدمتها أسرة أبي عبد الله النصري آخر ملوك بني الأحمر... وبذلك امتزجت الحضارة الأندلسية بالحضارة المغربية امتزاجاً نهائياً، و لم تنطفئ ذبالة تلك الثقافة الأصيلة، ومعها الدراسات النحوية، وكتاب سيبويه) [١].

وعليه فيمكن القول إن علم النحو الذي كان بفاس إنما جذوره أندلسية، وهذا ما أكده ابن خلدون في زمانه، حيث قال: (لم يتصدر من الفاسيين من يقرئ "الكتاب" كما هو متناول بين أهل الأندلس، مثل ابن أبي الربيع والشلوبين وغيرهما، لوجود ملكة النحو في قطر الأندلس، بسبب رحلة علمائها إلى تلقيه من أربابها بالمشرق)[٢].

وأذكر من أشهر العلماء في فاس الذين تصدروا تدريس علم النحو: خلف بن يوسف بن قرمون النحوي (من القرن ٦هـــ/١٢م)، كان من أئمة النحاة الأدباء الثقات الأخيار، أخذ عنه كثير من الناس علم الأدب والنحو بالأندلس والمغرب، وانتقل إلى فاس ودرّس فيها علم النحو[٣]. أحمد بن عبد المؤمن القيسي (ت٥١٩هـ/١١٢٥م)، كان بارزاً في علم النحو، حافظاً للغات[٤]. وأبو جعفر بن باق (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) حيث أقرأ (كتاب سيبويه) فيها[٥]. عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عيسى، أبو القاسم الأموي الإشبيلي النحوي المعروف بابن الرماك (ت٥٤١/١١٤٦م)، كان أستاذا في العربية، مدققا بكتاب سيبويه، وقام بتدريسه بفاس[٦]. محمد بن أحمد بن طاهر الخِدَبّ الإشبيلي(ت٥٨٠هـــ/

(١) محمد مختار ولد أبّاه: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب ، ص٢٦٩- ٢٧٠ .

(٢) المقري: أزهار الرياض ، ج١ ، ص٢٤٤.

(٣) القاضي عياض. فهرس شيوخ القاضي عياض، تحقيق. محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٨م، ص٢١١.

(٤) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر الأول، القسم الأول، ص١٨٥.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ٣٦٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٤ ؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٦٩

(٦) السيوطي: بغية الوعاة ، ج٢/ص١٨.

١١٨٤م)، أخذ العربية عن أبي القاسم ابن الرماك وغيره وساد أهل زمانه في العربية ودرس في بلاد مختلفة وكان قائما على كتاب سيبويه ودرسه بفاس، وله عليه تعليقة سماها الطرر لم يسبق إلى مثلها وكان يعاني التجارة، أخذ عنه أبو ذر الخشني وأبو الحسن ابن خروف[١]. إبراهيم بن إبراهيم بن محمد الأنصاري المقريء المعروف بالعشاب (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م)، من علماء أشونة، ونزل مدينة فاس، وكان عالماً بالنحو[٢]. مصعب بن محمد بن مسعود أبو ذر الخشني (ت ٦٠٤ه/ ١٢٠٧م)، ويعرف كأبيه، بابن أبي الركب: والخشني: نسبة إلى خُشَيْن قرية بالأندلس، وهو قاض، من العلماء بالحديث والسير والنحو، ومن كتبه في اللغة شرح الإيضاح وشرح الجمل، واستوطن مدينة فاس وأقام بها يقرئ العربية حتى وفاته[٣]، علي بن محمد بن خروف الحضرمي النحوي (ت٦٠٩ه/١٢١٢م)، أقرأ العربية بإشبيلية وبفاس له شرح على كتاب سيبويه سماه: "تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب"، وله "شرح" على كتاب الجمل، كما أن له رد في العربية على أبي يزيد وابن مضى[٤]. محمد بن علي بن أحمد الخولاني، توفي (٧٥٤هـ/١٣٥٣م) بابن الفخار وبالألبيرى، وسيبويه العصر، وآخر الطبقة من أهل هذا الفن، كان فاضلاً، تقياً منقبضاً، عاكفاً على العلم، ملازماً للتدريس، جدد بالأندلس ما كان قد درس من لسان العرب، من لدن وفاة أبي على الشلوبين، واستعمل في السفارة إلى العدوة مع مثله من الفقهاء فكانت له حيث حل الشهرة، وعليه الازدحام[٥].

و من أعيان علماء النحو الفاسيّن: علي بن حسن أبو الحسن الصديني، (توفي بعد سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م) من أهل فاس أخذ كتاب سيبويه عن أبي بكر بن طاهر الخدب، ولي قضاء غرناطة وأقرأ بها العربية والأصول وغير ذلك، كان بارعاً في معارفه

---

(١) السيوطي: بغية الوعاء ج١/ص٢٨؛ ابن الأبَّار: التكملة، ص٢٤٩، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٩٧.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٨٩-٩٠؛ ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص١٥٨.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٩؛ ابن الأبَّار: التكملة، ص٣٨٥ ؛ الحميري: الروض المعطار، ص٧١-٧٢؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص١٠٣٧.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٢٨٤، ابن الأبَّار: التكملة ، ج٣، ص٢٢٦.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج٣ ، ص٢٣؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١/ص١٣١.

جليلاً في علومه[١]. أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف المغيلي (ت٦١٩هـ/١٢٢١م)، من أهل فاس وبها نشأ ثم سكن غرناطة يكنى أبا القاسم ويعرف بابن السراج، كان على معرفة بالقراءات والعربية ومشاركة في الأدب[٢]. عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، إمام النحاة في فاس، وهو آخر من درس كتاب "سيبويه" بها، وبعده صار العمل على "ألفية ابن مالك"، ومن مصنفاته: "شرح مقدمة ابن أجروم"، و"البسط والتعريف في علم التصريف"، و"شرح المقصود والممدود" لابن مالك، و"نظم المعرب من الألفاظ"، و"شرح ألفية ابن مالك"، و "المقصورة في مدح النبي ﷺ"[٣].

محمد بن يحيى العبدوسي الصدفي (ت٦٥١هـ/١٢٥٣م)، أخذ العربية عن ابن خروف وأبي ذر الخشني، وكان ذاكراً للغة حسن الإقراء جيد العبارة[٤]. أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن آجروم (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، ولد بفاس وتوفي بها، وكان من أشهر علماء عصره في علم النحو، صاحب "مقدمة النحو"، تصدّر للتعليم في جامع الأندلس، درس على يديه الكثير من علماء النحو، أوردهم الكتاني في كتابه حين ترجم له[٥]، النحوي أبو الحسن علي بن محمد بن عمر الصنهاجي، ويعرف بالقصار[٦].

ومن أهم المؤلفات العلمية النحوية التي كانت تدرس في فاس: كتاب "سيبويه"، و كتاب "الإيضاح"، وقام بتدريسها في فاس رئيسا النحويين في المغرب وهما أبو القاسم

---

(١) ابن الزبير: صلة الصلة، ص١٤٩.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٣٩٧؛ ابن الأبّار: التكملة ، ج٣، ص٥٥؛ محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب، ص٦٣

(٣) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص٢٥٩.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٢١ .

(٥) ابن الأحمر: أعلام المغرب والأندلس، ص٤١٦-٤١٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٢١-٢٢٢؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ١٣٨، ص٢٣٨-٢٣٩؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص١١٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٦ ، ص٦١؛ عبد الله كنون: مشاهير المغرب ، ص٩-١٢.

(٦) ابن الأحمر: أعلام المغرب والأندلس، ص٤٢٧

بن الرماك ومحمد بن طاهر الخدب[1]، وألّف محمد بن أحمد الخدب الأنصاري كتاب "الطرر" وهو تعاليق على كتاب "سيبويه"[2]، و كان يدّرس أيضاً في فاس مصنف العلامة اللغوي النحوي أبي ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني ومصنفه هو "شرح كتاب سيبويه"، و"شرح الإيضاح"، و"شرح الجمل"[3]، وكتابي "الرد على النحاة"، و"المشرق في النحو" لابن مضاء أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حارث اللخمي[4].

ج- علم الأدب

ويقصد به الإجادة في فني المنظوم والمنثور، على الأساليب والمناحي العربية، جامعاً من خلاله مسائل في اللغة والنحو، تستقري منها بعض قوانين اللغة العربية، كذلك ذكر بعض أيام العرب والمهم من أنسابهم الشهيرة وأخبارهم العامة[5]. وكان ميدان الأدب التراسل والمراسلات الرسمية و قد تأثر الأندلسيون بالمشارقة في تفضيل البلاغة في الرسائل السلطانية، والميل المتزايد للسجع وغيره من المحسنات اللفظية فحذوا حذوهم[6].

واشتهر **أهل فاس** بالذكاء كما وصفه بعض المؤرخون، كما وصفوا مدينتهم بأنها قلعة لرجال الأدب والمثقفين أكثر من أي مدينة أخرى، حيث تعد مركزاً عظيماً، يجتمع فيه عدد كبير من الحكماء والعاملين بالأدب والشعر[7].

ومن العلماء **الأندلسيين** الذين تابعوا نشاطهم العلمي في فاس: أبو بكر محمد بن أغلب بن أبي الدَّوس (ت٥١١هـ/١١١٧م)، كان عالما بالعربية والآداب مشاركا في غير

(١) ابن دحية الكلبي: المطرب في أشعار أهل المغرب، ص٤٣؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٥، ص٦٤٨-٦٤٩؛ ابن الأبَّار: التكملة، ج٢، ص٥٣٢.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٧١.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٤٨١.

(٤) الضبي: بغية الملتمس، ص١٩٣؛ ابن الأبَّار: التكملة، ج١، ص٨٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٤٢.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص٣٥٧.

(٦) مونتغمري وات. (في تايخ اسبانيا الإسلامية) ، ترجمة ، محمد رضا المصري ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٤، ص٨٧.

(٧) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٦؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص٣٩؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٤٢.

ذلك، ومن أحسن الناس خطا وأصحهم نقلا وضبطا، وكان من المعلمين المتجولين، وأدب ولدي المعتمد محمد بن عباد الراضي (يزيد والمأمون)، وسكن المرية وقتا وأجاز البحر إلى المغرب فنزل مدينة فاس، وكانت وفاته في مراكش [(١)].

وقد تولى البعض منهم الكتابة للحكام منهم: عبد الملك بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي (ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م)، الذي تولى الكتابة بفاس ومراكش في عصر المرابطين، لأنه كان أديباً حافلاً، كاتباً بليغاً فصيحاً[(٢)]، لسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، وقد سبق الحديث عنه في السفارات بما يغني عن إعادته، في بيان بلاغته وأدبه [(٣)]، أبو القاسم عبد الله بن يوسف البخاري المالقي (ت ٧٨٣هـ/١٣٨١م)، صاحب القلم الأعلى بالمغرب، ارتسم بفاس على كتاب الإنشاء بالباب السلطاني لما عُرف عنه في إجادته في فقه الوثائق والبلاغة والترسل عن السلطان، وإجادته في كتابة الشعر، إلا أنه عاد بعد ذلك إلى الأندلس، وكاتب السلطان الذي استدعاه للاستقرار في فاس لما عرف عنه إتقانه لجميع العلوم[(٤)].

ومن الفنون الأدبية النثر، فقد تعددت فنون النثر العربي في الأندلس، فتناول الأندلسيون ما كان معروفاً في المشرق من خطب ورسائل ومناظرات ومقامات، وزادوا عليها بعض ما أملته ظروف حياهم وبيئاهم، وقد شاع فيهم تصنيف كتب برامج العلماء، التي تضمنت ذكر شيوخهم ومروياهم وإجازاهم. وكان للكتاب مزية الجمع بين الشعر والنثر والإجادة فيهما.

---

(١) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٤١٢-٤١٣؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥٤؛ ابن الخطيب: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات، ج٢، ص٣٥١.

(٢) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص٥٤٠ ؛ السيوطي: بغية الوعاة، ص١٠٤-١٠٥؛ الضبي: بغية الملتمس، ص١٢١؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ص٧١٦؛ البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٨٩.

(٣) المقري: أزهار الرياض، ج١،ص٦١ -٧٩؛ نفح الطيب، ج٥، ٧٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣،ص ٤٦٩-٤٧٢؛ ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٦، ص٢٤٤-٢٤٧.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج٦، ص١٠٦-١١٢.

ومن فنونه فن الكتابة الإخوانية وممن اشتهر بهذا الفن من الأندلسيين الذين استقروا في المدينة وكان من أهل غرناطة عبد الرحمن بن أحمد الأزدي (ت٥٧٦هـ/١١٨٠م)[١].

وظهر فن المقالة على يد محمد بن أحمد بن جبير الذي استوطن فاساً في عصر الموحدين، وكانت له أسفار كثيرة في فضل مناسك الحج منها مقالة سماها: "رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكثيرة والمناسك"، كتبها إلى وليه أبي الحسن بن مقصر من فاس بعد عودته في المشرق سنة (٥٩٣هـ/١١٩٧م)[٢]، ومنهم: لسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، من أهم مؤلفاته في الأدب كتاب "كناسة الدكان بعد انتقال السكان"، الذي ألّفه أيام لجوئه لسلطان المغرب مابين (٧٦٠هـ/١٣٥٨م) و (٧٦٣هـ/١٣٦١م)، "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب"، وغلب عليه في كتابته أسلوب الرسائل الديوانية والأدبية في الأندلس، جمع فيه رسائل في شتى الأغراض السياسية والدينية والاجتماعية لسلاطين المغرب، وصاغها بأسلوب من أقوى الأساليب وأجزلها، دلّت كتابته على النفس الطويل، والإنتاج الأدبي الغزير القادر على التنويع، في لغة عذبة رغم الزجالة والقوة الظاهرة في كتابته[٣].

ونضيف نوع من الرسائل التي أوردها ابن الخطيب في كتابه، وهي **الرسائل السطانية،** وهي الرسائل التي كان يكتبها ابن الخطيب للجهات السلطانية المختلفة، والتي زادت من توثيق العلاقات بين الأندلس والمغرب الأقصى، وهذا ما تميزت به المكاتبات الأندلسية وما تميز به ابن الخطيب من إبداع خاص في هذا الشأن[٤].

وقد ساعدت هذه الرسائل التي أوردها ابن الخطيب في كتابه "ريحانة الكتاب"، والتي تولى هو كتابتها، إلى التواصل الدبلوماسي بين الأندلس والمغرب الأقصى، وحرص أغلب الكتاب من بعده على العناية بظاهرة الزينة اللفظية، وإن كان بعضهم قد تصدّوا لظاهرة سيطرة

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٤٨٢-٤٨٣؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص٤٢٩-٤٣٠ ؛ المقري: أزهار الرياض، ج٣، ص١٥، ص٦٣.

(٢) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، ص٥٩٥.

(٣) المغراوي: التواصل الدبلوماسي بين الأندلس النصرية والمغرب المريني من خلال رسائل ابن الخطيب الأندلسي ، ص٧٣-٧٦، ص٨٢

(٤) المغراوي: التواصل الدبلوماسي بين الأندلس النصرية والمغرب المريني، ص٩٥.

البديع على النثر، أو استقبحوا الإكثار منه كما فعل ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، فحين تولى ديوان الإنشاء أيام أبي سالم المريني (ت٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م)، فضّل الكلام المرسل على انتحال الأسجاع في الكتابات الرسمية.

ومن أهل فاس الذين اشتهروا في فن الكتابة أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد الأنصاري الخزرجي الشهير بالدباغ ، يقول فيه ابن الأحمر: (هو فارس هذا الميدان وإنسان عين الزمان، له نظم رائق جمع فيه بين الجزالة والحلاوة، ونثرٌ فائقٌ عليه رداء الطّلاوة، وباع عظيم في نقد الأدب، ومشاركة في فنون شتى من الطَّلب...) (1).

د- الشعر

نظم الأندلسيون الشعر في الأغراض التقليدية كالغزل والمجون والزهد والتصوف والمدح والهجاء والرثاء، وقد طوروا موضوع الرثاء فأوجدوا رثاء المدن، والممالك الزائلة، والشخصيات، وتأثروا بأحداث العصر السياسية فنظموا شعر الاستغاثة، وتوسعوا في وصف البيئة، ولاسيما الأندلسية، واستحدثوا فن الموشحات(2) والأزجال(3).

وقد لقي فن الموشحات استحساناً كبيراً لدى أهل فاس إذ: (ولعوا به، ونظموا على طريقته... وكثر شياعه بينهم، واستفحل كثير منهم...) (4).

---

(١) ابن الأحمر: أعلام المغرب والأندلس ، ص٣٩٩ـــ ٤٠١.

(٢) **أصل الموشحات أغان**، وقد تقدم التعريف بها وأنها أغنية شعبية في (العوامل الاجتماعية) والمشهور أن أهل الأندلس هم المخترعون لهذا الفن، والموشح من فنون النظم الخارجة عن بنية القصيدة، انظر: السيد أحمد الهاشمي: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب. مكتبة عباس الباز، مكة، ١٣٩٩هـــ.، ص١٤٤، محمد زغلول سلام زغلول: الأدب في العصر المملوكي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ب ت، ج٣، ص١٠٣.

(٣) **الزجل نوع من أنواع الأدب الشعبي**، وهو الصورة العامية الخالصة للموشح، وسمى زجلاً لأنه يلتزم به، ويفهم مقاطيع أوزانه ولزوم قوافيه حتى يغني ويصوت، فإنه لما كان هذا الفن من وضع العامة اتبعوا فيه النغم دون مراعاة الوزن، وربما نظموا في سائر البحور الشعرية لكن بلغتهم العامية انظر: الهاشمي: ميزان الشعر، ص١٤٧؛ زغلول: الأدب في العصر المملوكي، ج١، ص٤١٥.

(٤) عبد الإله بنمليح: مدينة فاس في ذاكرة ابن خلدون، مجلة التاريخ العربي، العدد الخامس والأربعون، الرباط، ١٤٢٩هـــ/ ٢٠٠٨م، ص ٢٧٩.

فمن أغراض الشعر التقليدية عند الأندلسيين بفاس: الشوق والحنين إلى الوطن، واشتهر خاصة في العهد المريني حينما لجأ بعض رجال الأندلس إلى مدينة فاس لظروف سياسية أبعدتهم عن بلادهم، ومنهم: ابن الخطيب الذي تشوق لمعاهده بالأندلس حين خُلع السلطان النصري الغني بالله محمد بن يوسف، فيقول في ذلك:

أُحبك يا مغني الحقوق بواجبٍ   وأقطع في أوصـــــافك الغُرّ أوقاتي
تقسّم منك الترب أهلي وجيرتي   ففي الظهر أحيائي وفي البطن أمواتي(١).

وممن تشوق إلى الأندلس أيضاً إسماعيل ابن الأحمر؛ لما أُخرج هو وأهله من الأندلس وأقاموا في فاس في حضرة ملوك بني مرين، فيقول:

فؤادي يشتكي داءً دفيناً   لبُعدي عن مزار الظاعنيـــنا
وأكبادي من الأشواق ذابت   وَوَجْدي فاقَ وَجْدَ العاشقينا
ولي جسمٌ أضرَّ به سقامٌ   وقلبي بعدهم أَلِفَ الشجونا
وربَ البيت لا أنسى هواهم   وكيف؟ وهم بقلبي ساكنونا
يهيج زفرتي تذكار أرضي   ويفجعني ويستهمي الجفونا
حنيني ما حَيِّيتُ لها عظيم   ومـــا بسوى محبتها بُلينـــا(٢).

ومن أغراض الشعر عندهم: وصف الطبيعة، وهو التغني بمعالم الطبيعة الموجودة في مدينة فاس، كما تغنوا بجمال الأندلس في أشعارهم، وممن وصف فاساً في شعره: المغيلي الفاسي (ت٦١٩هـ/١٢٢١م) في قصيدة يقول فيها:

يا فاسُ حيَّا اللهُ أرضَكِ من ثرى   وسقاكِ من صَوْب الغَمام المسبلِ(٣).

ومن الشعراء الأندلسيين الذين تغنوا بجمال فاس خلال إقامتهم فيها ابن الخطيب يقول:

وبلدٌ أعارته الحمامة طوقها   وكساهُ حُسْنُ جناحه الطاوُوسُ
وكأنما الأنهارُ فيه مُــدَامةٌ   وكأن ساحاتِ الديار كـــؤوس(٤).

---

(١) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص٨٢؛ ابن الأحمر: أعلام المغرب والأندلس، ص٢٥.

(٢) ابن الأحمر: أعلام المغرب والأندلس، ص٢٥.

(٣) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج٣، ص٧٢٧-٧٢٨.

(٤) ابن القاضي: درة الحجال، ج٢، ص٢٧٣.

ولم يكن وصف الطبيعة منتشراً نسبياً للظروف العسكرية التي كانت تعيشها البلاد في فترات كثيرة، ولاسيما في عهد بني الأحمر، حتى إن الشعراء كان يسيطر عليهم هاجس الحرب والسلاح، أثناء حديثهم عن الطبيعة والرياض وما فيها(١).

ومن أغراض الشعر شعر الاستغاثة، ويقوم على استنهاض عزائم ملوك فاس والمغرب والمسلمين؛ لنجدة إخوانهم في الأندلس، ولقد برز هذا في عصر بني الأحمر، حينما أرسل ابن الأحمر سلطان غرناطة إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق يستعطفه على لسان شاعره أبي عمرو بن المرابط، بقصيدة يقول في مطلعها:

هل من معيني في الهوى أو منجدي   من متهم في الأرض أو منجد

هذا الهوى ذاع فهل من مسعف   بـــإجابـــة وإنابـــة أو مسعـــد.

وقد صدّر السلطان المريني جوابه بنظم شاعره عبد العزيز الملزوري، يقول في طلعه: لبيك لا تخشى اعتداء المعتدي(٢).

وقد أدخل الأندلسيون للشعر فن التوشيح، والسبب في ذلك هو وفود العديد من الوشاحين إلى بلاد المغرب(٣)، ويذكر مونتغمري وات أن الموشحات الأندلسية كانت أسرع في الانتشار وأقدر على التكيف سواء في إسبانيا النصرانية أو في المغرب فيقول: (كان الأدب الأندلسي كذرية رجل استقراطي يعيش في المنفى، وله زوجان واحدة حرة من عرقه وبيئته وحضارته، والأخرى جارية من أهل البلاد التي أقام فيها، فتألق أولاد الأولى في البلاط، وكان أولاد الجارية أكثر قدرة على التكيف، حتى عندما قضى التحول السياسي على امتيازات أبيهم)(٤).

---

(١) بن عيسى بويوزان: صورة الطبيعة في الشعر الأندلسي على عهد بني الأحمر، مجلة العرب، ج١٠،٩، س ٤٢، الربيعان ١٤٢٨هـ/ابريل- مايو ٢٠٠٧م، ص٦٩٤.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص ١٩٩ــ ٢٠٠.

(٣) محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين (٦هــ/ ١٧م)، إفريقيا الشرق، ١٩٩٨م، ص٣٨.

(٤) مونتغمري وات: في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ترجمة، محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ص١٧١.

كما أدخلوا إليه الزجل الأندلسي حتى أصبحت مقروءة بالمغرب، ومن الزجالين الأندلسيّين سهل بن مالك الغرناطي(1).

يقول ابن خلدون في نشأة هذا الفن في الأندلس وسهولة انتشاره بين أهلها: (ولمّا شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجُمهور لسلاسته وتنميق كلامه وتصريع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموه في طريقتهم بلغتهم الحضريّة من غير أن يلتزموا إعراباً، واستحدثوا فناً سموه بالزجل) (2).

ويوجد صنف ثالث من الموشح وهو ما يسمى بعروض البلد(3)، ويبين ابن خلدون دخوله فاساً فيقول: (...ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فناً آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح، نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضاً، وسموه عروض البلد، وكان أول من استخدمهم فيه رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير، فنظم قطعة على طريقة الموشح، ...فاستحسنه أهل فاس، وولعوا به، ونظموه على طريقته...)(1).

ومن فنون الشعر الأندلسي المتطورة في فاس: الشعر التعليمي، ويراد به الأراجيز والمنظومات التاريخية والعلمية، وهو لا يلتقي مع الشعر الفني الذي يغلب عليه عنصرا الخيال والعاطفة إلا في صفة النظم، ويستقل في الرجز كل شطر بقافية.

فمن الأراجيز العلمية: أرجوزة في القراءات: للشاطبي، القاسم بن فيّرة (ت٥٩٠هـ/١١٩٣م) وعنوانها "حرز الأماني"، أرجوزة في التاريخ: للسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦ه/ ١٣٧٤م) "رقم الحلل في نظم الدول"، وأرجوزة في الصيدلة المسماه: "المعتمدة في الأغذية المفردة"، وأراجيز الكيمياء: التي نظمها أبو الحسن علي بن موسى الأنصاري الجياني (ت٥٩٣ه/١١٩٦م)، نزيل فاس، مؤلف كتاب "شذور الذهب في صناعة الكيمياء"، قيل عن كتابه أنه: إن لم يُعلمك صنعة الذهب علمك صنعة الأدب وإن فاتك ذهبه لم يفتك أدبه' وقيل فيه: إنه شاعر الحكماء، وحكيم الشعراء(4).

---

(١) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص١٢٩-١٣٠.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٤٠٤.

(٣) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص١٢٩-١٣٠.

(٤) المقري: نفح الطيب ، ج٣ ، ص٦٠٦؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص ٣١٧.

ومن الشعراء الأندلسيين في فاس: أبو بكر محمد بن عبد الغني الفهري، المعروف بابن الجنان من أهل جيّان، سكن مدينة فاس؛ وله:

قالوا المشيب نجومٌ والشَّباب دُجًى ... لو يَحْسُنُ القبحُ أو لو يقبحُ الحَسَنُ
ما كانَ أغناكَ يا ليلَ الذوائبِ عن ... نجوم شيبك ذي لو أنصفَ الزمنُ

وله أيضاً:

لَمَن كلمٌ كالسِّحر من غُنج أحداقِ ... سقاكَ بكأسٍ لم تُدرْها يدُ السَّاقي
ولم أرَ شعراً فصَّلَ السحرَ لؤلؤاً ... على غير لبَّاتٍ ومن غير أعناقِ
سِوى نَفَثاتٍ للرُّصافيِّ رُصّفت ... شراباً لظمآنٍ وكنزاً لإملاقِ[(١)]

وأبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن خلف الأنصاري الجياني (ت٥٣٩هـ/١١٩٧م)، والملقب بـــ (شاعر الحكماء وحكيم الشعراء)، ألف ديوان شعر في الكلام عن الكيمياء مرتب على الحروف أسماه "شذور الذهب في صناعة الكيمياء"[(٢)].

- وانتقل إلى فاس الشاعر يحيى بن عبد الجليل اللخمي اليكي (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م)، واستوطن فيها، كان من عيون الأدباء، وفحول الشعراء، اشتهر في شعر الهجاء كما اشتهر أيضاً بهجائه أهل فاس[(٣)].

وأبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، الرحالة المعروف بابن جبير، ولد في مدينة بلنسية، ثم عاش في مدينة فاس فترة من الزمن للتدريس، حيث روى عنه "الموطأ" إبراهيم بن يوسف الأوسي، وقد باع أملاكه في فاس ثم طاف في البلاد، وتوفي بعدها في الإسكندرية، له نظم كثير، قال ابن عبد الملك: (وقفت منه على مجلد متوسط يكون على قدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس، ومنه جزء سماه "نتيجة وجد

(١) ابن الأبَّار: تحفة القادم، ص١٢٣؛ ابن القاضي، جذوة المقتبس، ج١، ص٢٦٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١،ص٤٠٤، وليس عندهم تحديد وفاته.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤،ص٣١٧.

(٣) مجهول: الإستبصار، ص١٨٢؛ ابن الزبير: صلة الصلة،ص٣٥٠.

الجوانح في تأبين القرين الصالح" في مراثي زوجه أم المجد. ومنه جزء سماه "نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان" وله ترسيل بديع، وحكم مستجادة) [1].

والأديب مالك بن عبد الرحمن بن فرج ابن المرحل المالقي (ت٦٦٩ﻫ/ ١٢٧٠م)، سكن سبتة طويلا، ثم مدينة فاس، ثم عاد إلى سبتة مرة أخرى، ثم رجع إلى فاس وبها توفى، وقيل بل مات بسبتة، قال عنه الذهبي: العلامة شيخ الأدب أبو الحكم، توفي عن خمس وتسعين سنة و لم يختل عليه من علم ولا من نظم حتى مات، وآخر ما قال يوم موته وأمر أن يكتب على قبره

زر غريباً بمغرب ... نازحاً ماله ولي

تركوه مجد لا ... بين ترب وجندل

ولتقل عند قبره ... بلسان التذلل

رحم الله عبده ... مالك بن المرحل [2].

ولمع في البلاط المريني عدد كبير من الشعراء الأندلسيين الذين وفدوا إلى فاس وذلك بفضل تشجيعهم للأدباء والشعراء، وإجزالهم العطاء لهم[3]، ومن هؤلاء الشعراء: محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي (٧٥٧ﻫـ/١٣٥٦م) من أهل مالقة، وسكن غرناطة وتردد إليها، كان لبيباً لوذعياً، جامعاً لخصال؛ ارتسم بالعدوة طبيباً، وتولى النظر على المارستان بفاس [4]، ابن الحاج النميري الغرناطي (ت ٧٦٨ﻫ/١٣٦٦م)[5]، الذي غذى البيئة الأدبية في المدينة بكثير من ألوان الشعر، روى عنها المقري في كتابه نفح

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٢ ، ص١٥٢؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج٥، ص٥٩٥.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٣٠٤-٣٠٥؛ الذهبي: غاية النهاية في طبقات القراء، ج١، ص٢٩١.

(٣) محمد الحريري: المغرب والأندلس، ص٣٥٠.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج٢ ، ص٣٦٧.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٣٥٠ ذكر ولادته و لم يذكر تاريخ وفاته؛ ابن الأحمر: نثير فرائد الجمان، ص٣١٣؛ المقري: نفح الطيب، ج٧، ص١٠٨؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٩١-٩٢.

الطيب ومن ذلك قصيدة من خمسة وثلاثين بيتاً، يهنيء فيها الشاعر السلطان أبا عنان المريني عند شفائه من مرض ألم به يقول فيه:

قضى الله أن تقضى فنعم المطالب   مطالب إلا أنهن مواهب

شفـــاء أمير المؤمنين وإنه   لأكرم من تحدى إليه الركائب[1].

ولسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، الذي عاش أمداً طويلاً في فاس، وكانت قريحته تتجاوب مع الأحداث والمناسبات التي تمر بها الدولة المرينية في الفترة التي أقام بها في فاس، ومن ذلك نونيته المشهورة وهي قصيدة طويلة مدح فيها السلطان أبا سالم المريني حين فتح تلمسان، والقصيدة تزيد على المائة بيت يقول في مطلعها:

أطاع لساني في مديحك إحساني   وقد لهجت نفسي بفتح تِلمسانِ[2].

ولسان الدين شاعر مجيد وقد وصفه ابن خلدون بأنه شاعر الأندلس والمغرب بقوله: (صاحبنا الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصره)[3]. وعبد الله بن يوسف البخاري المالقي ثم الفاسي أبو القاسم بن رضوان، (توفي آخر ق٨هـــ/ق١٤م) الشاعر الناثر المؤلف كاتب الإنشاء بديوان السلطان أبي الحسن المريني، ووالي خطة العلامة لولده السلطان أبي عنان، وله ألف بأمر منه كتابه "الشهب اللامعة في السياسة الملوكية والسير السلطانية" وهو يشتمل على خمسة وعشرين باباً تتخللها عدة فصول، وهو يدل على اطلاع واسع[4]

وقد أورد له لسان الدين بن الخطيب العديد من الأشعار والمنثور، ومن ألطف ذلك أنه قال: (خاطبته من مدينة سلا بما نصه ، حسبما يظهر من غرضه :

مرضتَ فأيامي لذاك مريضـــة . . .   وبرؤك مقرون بِبُرْءِ اعتلالهـــا

فما راع ذاك الذات للضر رائع . . .   ولا وسمت بالقسم غر خلالها

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج٧، ص١٠٧، ١١٩.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٥، ص٣٢-٣٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٥٨٦.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس ص ٢٤٦ ــــ ٢٤٧؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص ٣٤٧.

وينظر باقي الرسالة في خبر التعريف بمؤلف الكتاب فراجعني عن ذلك بما نصه:

متى شيت ألفي من علايك كل ما. . . ينيل من الآمال خير منالها

كبر اعتلال من دعايك زارني . . . وعادات بر لم ترم عن وصالها

أبقى الله ذلك الجلال الأعلى متطولاً بتأكيد البر، متفضلاً بموجبات الحمد والشكر. وردتني سماة سيدي المشتملة على معهود تشريفه، وفضله الغنى عن تعريفه ، متحفياً في السؤال عن شرح الحال، ومعلناً ما تحلى به من كرم الخلال، والشرف العال، والمعظم على ما يسر ذلك الجلال، الوزاري ، الرياسي، أجراه الله على أفضل ما عوده، كما أعلى في كل مكرمة يده، ذلك ببركة دعايه الصالح، وحبه المخيم بين الجوانح. والله سبحانه المحمود على نعمه، ومواهب لطفه وكرمه، وهو سبحانه المسئول أن يسنى لسيدي قرار الخاطر، على ما يسره في الباطن والظاهر بمن الله وفضله، والسلام على جلاله الأعلى ورحمة الله وبركاته، كتبه المعظم الشاكر، الداعي المحب، ابن رضوان وفقه الله)(١).

ومن أشهر الشعراء الفاسيين: أبو عبد الله، محمد بن حبوس الفاسي (ت٥٧٠هـ/١١٧٤م)، قال فيه المراكشي: (كانت طريقته في الشعر على نحو طريقة محمد بن هانئ الأندلسي في قصد الألفاظ الرائعة، والقعاقع المهولة، وإيثار التقعير؛ إلا أن محمد بن هانئ كان أجود منه طبعاً، وأحلى مهيعاً)(٢)، وأبو فارس عبد العزيز الملزوزي ، له أرجوزة بارعة سمّاها: "نظم السّلوك في أخبار من نزل المغرب من الملوك"(٣). ومنهم أبو العباس، أحمد بن شُعيب الجزنائي الفاسي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، كان متضلعاً في فنون الأدب، حافظاً للجيد من الشعر، ذُكر أنه كان يحفظ عشرين ألف بيت للمحدثين(٤)، واشتهر بشعره في الرثاء، وخاصة لجاريته (صبح)، التي أدبها وعلمها العربية، إذ كانت

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج٣ ، ص٣٤٤ـــ ٣٤٥.

(٢) المراكشي: المعجب، ص٦٠.

(٣) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص٢٢٦.

(٤) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، ج١، ص٢٢٧.

رومية الأصل، وذات جمال، أخذت بجمالها لُبّ عقله فهام بها عشقاً، فما لبث أن ماتت فأسف أسفاً شديداً على وفاتها، وصار ينظم فيها الرثاء، ومن رثائه لها:

يا قبر صُبْح حلّ فيـــ ك بمهجتي أسنى الأماني
وغـــدوت بعد عيناهـــا أشهى البقاع إلى العيانِ
أخشـــى المنيـــة أنها تقصي مكانك عن مكانِ
كم بين مقبـــور بـــفـــا سٍ وقـــابـــر بالـــقيـــروان[1].

وكان بينه وبين الشيخ أبي جعفر بن صفوان في الأندلس صداقة، فكانوا يتشوقون إلى اجتماعهم في ضيعة بخارج مالقة للشيخ فيقول:

رعـــى الله وادي شينـــانـــة وتلك العشايا وتلك الليالي
ومسرحنا بين خضر الغصون وودق المياه وسحر الظلال
ومرتعنـــا تحت أدواحـــه ومكرعنا في النمير الزلال[2].

ومن شعراء فاس: أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن المكودي الفاسي (ت٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)، وهو من الذين يعنون بالوصف وتصوير العواطف النفيسة الدقيقة، والتعبير عن الإحساسات القلبيّة العميقة، وكان قد غلب عليه الشراب واللهو، فحطّ ذلك من قدره، ولم يُلحظ له ولم يبرز من بين الشعراء الذين برزوا في العصر المريني، ولم يرتفع من بينهم، وقد ذكر ابن الخطيب أنه دخل غرناطة فلم يُوبّه له، ولم يُحتفل به[3].

وكان من سلاطين بني مرين وأمرائهم شعراء موهوبون، ينظمون الشعر ومنهم:

- السلطان أبو عنان المريني ، له شعراً في الغزل يقول فيه:

جسمي أَضَرّ به السِّقام والجَفْنُ قد عدِمَ المَنَام
يا هـــاجري مِنّي على أنـــوارِ غُرّتكَ السلام.

(١) ابن الأحمر: نثير فرائد الجمان، ص٣٣٥؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٢٨٠؛ ابن القاضي: درة الحجال،ج١، ص٤٥؛ جذوة الاقتباس، ج١، ص١١٩-١٢١؛ أحمد بابا: نيل الإبتهاج، ص٦٨.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٢٠.

(٣) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص٢٢٧-٢٢٨.

السلطان أبو العباس أحمد المريني، كانت له ميول أدبية، وولع بالشعر، كان أديباً شاعراً مجيداً مدركاً بديع التشبيه[1].

كما كان الأمير أبو مالك بن أبي يوسف يروي كثيراً من الشعر، ويأخذ نفسه بنظمه، فينظم منه البيتين والثلاثة، فمن شعره في الافتخار بنفسه:

أجـــود بمالـــي لكـــل العُفـــاة   واقتحم الهول في المعضلات
أقود الجيوش وأصلي الحروب   واقتطف إلهـــام بالمرهفـــات
وأحمي ثُغـــري من أن تنـــال   وأغزو وأنهب أرض العُدات[2].

ومن شعره أيضاً:

فَرّقتُ في المَيْدان كُلّ مَليك   وجمعتُ بين جَراءَة ونُسُوك
وجعَلْتُ للإسلامِ حَدّاً مالِكاً   كي لا يُعَيّـــِرَه العِدَا بِسُلُوك.

وللسلطان أبي الحسن المريني شعر يقول فيه:

أُرضِي الله في ســــــر وجَهْرٍ   وأحمِي العِرْضَ عن دنـــسٍ ارْتياب
وأُعْطِي الوفر من مالي اختياراً   وأضرب بالسيوف طلي الرقاب.

---

(١) الكتاني: سلوة الأنفاس،ج٣، ص١٦٦؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١١٣.

(٢) الشنتريني: الذخيرة السنية، ص١٤٠.

العلوم البحتة

ويقصد بها **العلوم العقلية** التي هي طبيعية للإنسان، من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها، ويبني بعضهم على ما انتهى إليه الآخر، وتسمى هذه العلوم علوم الحكمة[1]، وتشمل على الطب والرياضيات والهندسة والكيمياء والفلك.

أ- علم الطب

يعرفه ابن خلدون بأنه: (صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلامات المؤذية بنضجه وقبوله للدواء)[2].

ويؤكد رينو ارتباط تاريخ الطب بالمغرب والأندلس فيقول: (وكيف إذن يمكن أن نفصل بين دراسة الطب بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذين أنجبتهم الأندلس، أول الذين تكونوا في مدارسها ثم ساروا في أعقاب ملوك المغرب من إشبيلية أو قرطبة إلى فاس ومراكش وأغمات، فللمغرب الحق إذن في أن يتبنى ابن باجه وابن طفيل وابن رشد...)[3].

وقد أدى تقدم علم الطب في الأندلس إلى نقله إلى بلاد المغرب، التي تأثرت به، وعملت على تطوير الطب في مدنها المختلفة، يذكر ذلك لوكلير: (أن الطب ازدهر في المغرب الأقصى منذ القرن (٤هـ/١٠م)[4].

وقد أكد (رينو) أن علم الطب كان يدرس في جامعة القرويين بواسطة كتب (أبقراط) و(جالينوس) و(ديوجينوس) المعربة، واحتوت خزانة القرويين على جملة مؤلفات

(١) ابن خلدون: المقدمة،ج٢،ص٢٩٠.

(٢) ابن خلدون: المقدمة،ج٢، ص٣٠١.

(٣) عبد العزيز بنعبد الله: العلوم الكونية التجريبية في المغرب، ص١٣-١٤.

(٤) عبد العزيز بنعبد الله: الطب والأطباء بالمغرب، ص١٤.

لأطباء مسلمين دون أخرى يدل على نوعية الدراسات الطبية المنتقاة في القرويين، وإن كان الكثير من مخطوطات الجامعة قد ضاع أو نقل إلى الاسكوريال منطلق التعليم الطبي بالقرويين [١]. ومن الكتب الطبية الموجودة في خزانة القرويين هي: "عمل من طب لمن حب" لابن الخطيب وهو في جزأين يعدد الأمراض من الرأس إلى القدم الخاصة ببعض الأعضاء، مع تعريف لكل مرض وأعراضه وأنواع العلاج، وله أيضا: "الوصول لحفظ الصحة في الفصول"، "الأدوية المفردة" لأحمد أبي جعفر الغافقي (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، "التيسير في المداواة والتدبير" لابن زهر، "الأرجوزة في الطب" لابن طفيل المتوفى بمراكش (ت٥٨١هـ/١١٨٦م)، "مختصر في الطب" لابن حبيب (ت٢٣٨هـ/ ٨٨٦م) [٢].

وقد احتلت أسرة بني زهر مكانة مرموقة في ميدان الطب والعلوم الطبيعية والكيميائية في عصري الطوائف والمرابطين في مراكش[٣].

وممن اتصل منهم بالمرابطين أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الإيادي (ت٥٥٧هـ/ ١١٦٢م)، الذي برع في الطب، وذاع صيته في الأندلس والمغرب، وصنف للأمير أبي إسحاق بن يوسف بن تاشفين كتابه المسمى: "الاقتصار في فن الأجساد"، وكان كتاب "التيسير" من أعظم مؤلفاته، وأهم مرجع في الطب في العصور الوسطى[٤]. كما دخل في خدمة المرابطين الطبيب إبراهيم بن أبي الفضل ابن صواف المجري (ت٥٠٦هـ/١١١٢م)، من أهل شاطبة الذي قعد للعلاج في طنجة ومن بعدها رحل إلى فاس فاستقر بها ليمارس مهنته إلى أن مات فيها[٥]. وكذلك أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ التُجيبي السرقسطي (ت ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) المعروف بابن باجه، استوزره أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين عاماً، وبرز في مجال الطب خاصة، حتى أثار حفيظة زملائه في تلك الصنعة، فدسوا له السم فقتل مسموماً بفاس[٦]، ومن تأليفه في

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله: كيف تطور الطب والصيدلة بالمغرب، مجلة التاريخ العربي، العدد السابع والعشرون، الرباط، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٩٥.

(٢) عبد العزيز بنعبد الله: العلوم الكونية التجريبية في المغرب، ص٧٦ –٧٧.

(٣) السامرائي: علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، ص٣٥٧–٣٥٨.

(٤) ابن بسام: الذخيرة، ق٢، ج١، ص١٨٧–١٨٨؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٥١٧.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٨٨؛ ابن الأبَّار: التكملة، ص ١٤٠، ١٧٢.

(٦) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٤٠؛الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص٢٦٢.

الطب: "كلام على شيء من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس"، وكتاب "التجربتين على أدوية بن وافد"، وكتاب "اختصار الحاوي" للرازي، و "كلام في المزاج بما هو طبي"، وأذكر من الأطباء أيضاً في مدينة فاس الطبيب أحمد بن عبد الله بن موسى القيسي الإشبيلي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، وهو تلميذ أبي بكر بن العربي[١]. علي بن عتيق بن أحمد بن عبد الله الخزرجي القرطبي (ت٥٩٨هـ /١٢٠١م)، جال بالأندلس والمغرب والمشرق واستوطن بعدها في فاس، كان عالماً بالطب، موفق العلاج، بارعاً في التعليم، له مصنفات في الطب[٢]. أبو يحيى بن هانئ بن الحسن اللخمي الغرناطي (ت٦١٤/١٢١٧م)، كان طبيباً بارعاً، فقد تتلمذ على يد ابن فرتون الفاسي[٣]. الطبيب الشاعر محمد بن قاسم الأنصاري الجياني، أخذ عن علماء سبته وفاس؛ لأنه تنقل بينهما مثل ابن باجه[٤]. موسى بن ميمون اليهودي (ت٦١٠هـ/ ١٢١٤م) والذي اشتهر بالطب بعد قضائه خمس سنوات في فاس، ويقال إنه كان قد أسلم بالمغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه، ثم انتقل إلى مصر، واستقر بالفسطاط، وأصبح من أطباء البلاط الأيوبي[٥]. وفي العصر الموحدي برع الطبيب أبو جعفر أحمد بن حسان الغرناطي، وذاع صيته، وقد ألف للمنصور الموحدي كتاب "تدبير الصحة"[٦].

وبقيام دولة بني مرين في فاس واتخاذها العاصمة لبلادهم ازدهر فيها الطب بسبب اهتمام سلاطينها ببناء المارستانات المستشفيات لعلاج المرضى[٧]، فقد بنى السلطان أبو الحسن المريني بفاس مارستانات لمداواة المرضى والاعتناء بهم، ثم بنى أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بيمارستان بالقرب من سوق العطارين وسوق الحناء وجعله لإقامة المرضى بأمراض عقلية، وكان بناؤه قديما، وعهد إدارته إلى أشهر الأطباء ومنهم: الطبيب محمد بن

(١) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج١، ص١٨٥؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٤٠-١٤١؛ محمد المنوني: العلوم والفنون، ص١٢٤.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٣٠٦.

(٣) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص٣٣٥.

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٩٢.

(٥) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء،ج٤ ، ص٣٠٥ ؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ج٤/ص١٧٥؛ أحمد شحلان: من الفكر الفلسفي اليهودي، ص١٤٣.

(٦) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ص٥٣٧.

(٧) محمد الحريري: المغرب والأندلس، ص٣٢٦.

قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) من أهل مالقة، وسكن غرناطة وتردد إليها، كان لبيباً لوذعياً، جامعاً لخصال؛ ارتسم بالعدوة طبيباً، وتولى النظر على المارستان بفاس عام (٧٥٤هـ/١٣٥٣م)، وهو صاحب كتاب: "تحفة الأريب عند من لا يحضره طبيب"[(١)]، وخصص له الأوقاف الكثيرة من العقار للصرف عليه، ولما عظم أمر البيمارستان واتسعت أعماله أدخل عليه السلطان أبو عنان زيادات عظيمة[(٢)].

ولما أقام أهل الأندلس من المسلمين في فاس تولى رئاسة هذا المارستان طبيب من بني الأحمر يسمى فرج الخزرجي ولذلك سمي بيمارستان فرج، فأصلح فيه ونظم أحواله[(٣)].

وزاول غالب الشقوري (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م) العلاج في دكان بفاس[(٤)]، وهو غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري، من أهل غرناطة، يكنى أبا تمام، وكان من أهل الفضل والدماثة، قرأ الطب بالمارستان من القاهرة المعزية، وحذق العلاج على طريقة المشارقة[(٥)].

وبرز ابن الخطيب بمؤلفاته الطبية أهمها: "مقنعة السائل عن المرض الهائل"، وهو رسالة في الطاعون الجارف الذي نكبت به الأندلس سنة (٧٤٩هـ /١٣٤٨م)، ذكر فيها أعراض ظهوره، وطرق الوقاية منه، وله "عمل من طب لمن أحب"، وهو مصنف طبي أثنى عليه المقري في كتابه، وهو في جزئين يعدد الأمراض من الرأس إلى القدم الخاصة ببعض الأعضاء، مع تعريف لكل مرض وأعراضه وأنواع العلاج، وله كتاب "الوصول لحفظ الصحة في الفصول"، وهي رسالة في الوقاية من الأمراض بحسب الفصول.

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج٢ ، ص٣٦٧.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص١٩١؛ عبد العزيز بنعبد الله: العلوم الكونية التجريبية في المغرب، ص٧٤، ص٧٤.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص ٤١٥.

(٤) عبد العزيز بنعبد الله: العلوم الكونية التجريبية في المغرب، ص٧٦.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج٤ ، ص٢٠٣.

ومن أعلام فاس الذين اشتهروا في علم الطب: أبو العباس، أحمد بن شُعيب الجزنائي الفاسي (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، وقد برع الجزنائي في اللسان والأدب والعلوم العقلية والطب وغيرها. ونظمه السلطان أبو سعيد (المريني) في جملة الكتاب وأجرى عليه رزق الأطباء لتقدمه فيه، فكان كاتبه وطبيبه[١]. أبو الحسن علي بن عبد الله بن هيدور التادلي (ت٨١٦هـ/١٤١٣م)، كان مشاركاً في فنون كثيرة، أهمها الطب، ومن مؤلفاته في هذا العلم "المقامة الحكيمة في الأمراض الوبائية"[٢].

ب- علم الحساب (الرياضيات):

الرياضيات علم مجرَّد، ذو طابع استنتاجي، تبنى بالبرهان انطلاقاً من عدد من المسلمات، ويمكن القول بأن الرياضيات أساس العلوم بحيث أن فهمها لا يمكن تحقيقه بدون هذا العلم الرائد[٣].

من أعلام الحساب في مدينة فاس: أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون القرطبي (ت٦٠١هـ/١٢٠٤م)، الذي أقرأ الحساب في فاس، وله كتاب: "اللباب في مسائل الحساب"[٤].

ومن فروع الحساب **علم الجبر والمقابلة** الذي اشتهر فيه: أبو بكر بن خلف الأنصاري (ت٥٩٠هـ/١١٩٣م)، من أهل قرطبة، له مقالات مفيدة في المكاييل والأوزان، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتاني الفاسي المعروف بابن القطان (ت٦٢٨هـ/١٢٣١م)، وهو قرطبي الأصل، برع في علم الحساب وله مقالة في الأوزان[٥].

---

(١) المقري: نفح الطيب ج٥، ص٢٤٨؛ جذوة الاقتباس: ٤٧؛ ودرة الحجال، ج١، ص٢١؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص٢٢٧.

(٢) أحمد بابا: نيل الابتهاج، ص٢٢٨.

(٣) د. مُوريس شربل: موسوعة علماء الرياضيات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٥

(٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج٢، ص٤٨٣؛ محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون، ص١٠٣.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس ، ج٢، ص ٢٩٨ ؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٥، ص ١٢٨.

ومن العلماء أيضاً وهو غير فاسي إلا أنه أثر بشكل كبير في هذا العلم: أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، وصفته المصادر التي تناولت ترجمته بأنه: العالم الرياضي والفلكي الكبير، الذي جاوزت شهرته حدود بلاده، وأصبح مفخرة للعرب والمسلمين، وكان له تأثير ملحوظ في النهضة العلمية في أوربا، لما أخذ الأوربيون يقتبسون من الحضارة العربية ويترجمون كتب العرب إلى لغاقم[1]، درس في بلده مراكش ومنها أخذه علم العروض عن أبي بكر القالوشي في مراكش، وقرأ عليه كتابه الكبير، وهو "الختام المفضوض عن خلاصة العَرُوض"، وأرجوزته العروضية "النّكات العلمية في مشكلات الغوامض الوزنية"، كما أخذ عنه أرجوته الفرضية المسماه بـــ "إثارة المسائل الغوامض من مُغلقات مشكلات الفرائض"، وأكمل دراسته بعد ذلك في فاس عاصمة العلم والمعرفة الزاخرة بالعلماء، وصقل شخصيته العلمية بدارسته على علمائها[2]، ومن مؤلفاته في علم الرياضيات كتاب "التلخيص في علم الحساب ورفع الحجاب عليه"[3]. ومن تلاميذه في الحساب، وكان له دور في نشر علمه في فاس من بعده أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الربيع اللجائي الفاسي (ت٧٧٣هـ/ ١٣٧١م)[4].

د– علم الهندسة

الهندسة من العلوم القديمة التي لعبت دورها في جميع الحضارات. وحدثت فكرة الهندسة عند الإنسان القديم عندما اعتبر أن المسافة بين نقطتين هي الخط المستقيم، وأن المساقة بين ثلاث نقاط تحدد سطحاً متساوياً، والهندسة فرع من فروع الرياضيات، وهي الوسيلة الوحيدة لقياس الطول والعرض والارتفاع[5].

(١) عبد الله كنون: مشاهير المغرب، ص٥.

(٢) عبد الله كنون: مشاهير المغرب، ص ٦– ٩.

(٣) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص٧٦–٧٧.

(٤) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص٢١٤–٢١٥.

(٥) علي عبد الله الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات، دار جون وايلي وأبناؤه، ١٩٧٨م، ص٥١–٥٢.

وقد استفاد الأندلسيون من هذا العلم، واستخدموا أساليب الهندسة الرياضية في العمارة، وظهرت براعتهم في الحفاظ على الهندسة الأندلسية، والعمل على نشرها في كافة المدن التي هاجروا إليها، ونراه في المنازل والمساجد وكافة أنواع العمارة في فاس، ولبراعتهم استعان الأمراء بهم في إنشاء المساجد والمدارس وغيرها من العمارة.

ونرى ذلك واضحاً في قول عبد العزيز بن عبد الله إذ يرى أنه: (قد برزت براعة الفكر الأندلسي المغربي في بادرات رائعة ضمن المعمار الهندسي والموسيقي أو الآلة الذين امتازوا بأصالة ما زالت معالمها تثير إعجاب العالم، فالفن المعماري بتصميماته وترخيماته وتجبيساته وتسطيراته وترصيعاته وتلويناته، وكذلك الآلة الأندلسية بطبوعاتها ونوباتها وترانيمها وتلحيناتها، كل ذلك مظهر لعبقرية نادرة)[١].

وظهر جلياً استعانة المغاربة بمهندسي الأندلس وذلك رغبة منهم بهندسة المساجد التي لم يخلو منها ربض ولا زقاق، كما اهتموا ببناء القلاع على غرار الحصون الأصيلة مع الاقتباس في آن واحد من الأندلس، وأول ما تجلى هذا الاقتباس في فاس فيما فعله يوسف بن تاشفين حينما استقدم من قرطبة جملة من الصناع طوروا مساجد المدينة وسقاياتها وحماماتها وخاناتها[٢]، وكذلك استقدم الموحدون صناعاً من الأندلس لإعجابهم بالفن الأندلسي[٣]، يوضح مونتغمري وات هذا السبب وهو أن حضارة المرابطين والموحدين كانت بسيطة عكس ما كانت علية حضارة الأندلس التي برزت في زخرفتها الهندسي[٤].

وفي عهد المرينيين ظهرت الهندسة الأندلسية بشكل ملحوظ وذلك بسبب اتصالهم ببني نصر في غرناطة، يظهر ذلك في إقامتهم للمدارس والمساجد قباب الأضرحة التي أضافت لمدينتهم تصميمات هندسية رائعة لها طابع خاص من الروعة والبهاء، فتبلور الفن الأندلسي بالمغربي فأعطانا الفن المريني في فاس والمغرب[٥]. ويظهر ذلك بوضوح خاصة بعد تزايد الهجرة

---

(١) عبد العزيز بنعبد الله: العلوم الكونية، ص٣٦.

(٢) عبد العزيز بنعبد الله: العلوم الكونية، ص١٥٩؛ الأندلس والمغرب، ع٢، ص٧٤.

(٣) عبد العزيز بنعبد الله: العلوم الكونية، ص١٥٩.

(٤) مونتغمري وات: في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص١٥٥.

(٥) عبد العزيز بنعبد الله: العلوم الكونية، ص١٦٣.

الأندلسية عليها ويذكره ابن خلدون إذ يقول: (.....وأما أهل الأندلس، فافترقوا في الأمصار، عند تلاشي ملك المغرب بها ومن خلفهم من البربر، وتغلبت عليهم أمم نصرانية، فانتشروا في عدوة المغرب وافريقية، من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد، وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع، وتعلقوا بأذيال الدولة....)(١).

ويمكن أن تعتبر مدينة فاس أول مركز عربي هندسي تفتّق في البلاد المغربية(٢) وأصبحت بعد ذلك مظهر إعجاز في ميدان التكييف بالطابع الشرقي، ذلك أن الفن الهندسي المعماري فيها استوحاها من المهاجرين الأندلسيين الحاملين معهم ماجمعوه من تراثهم الهندسي الأموي الشرقي والأندلسي، وهناك عوامل عدة جعلت العرب في الأندلس والمغرب وكذلك بمصر يميلون إلى الاستيحاء في زخارفهم من معطيات الهندسة، وهذه العوامل هي إهمالهم للأشكال والصور المستمدة من الطبيعة وتعمقهم في دراسة الرياضيات،وسعة مذاهبهم وأذواقهم(٣).

لذلك عندما أراد السلطان يعقوب المريني بناء فاس الجديدة في سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٥م) ذهب إلى ضفة وادي فاس ومعه أهل المعرفة بالهندسة والبناء فوقف على المدينة البيضاء فاس الجديدة حتى حدد وشرع في حفر أساسها(٤).

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن ابن باجه كانت له تعاليق في الهندسة وعلم الهيئة تدل على بروعه في هذا الفن(٥).

ومن أبرز علماء الهندسة الأندلسيين ممن نزل فاساً: محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج، (٧١٤هـ/١٣١٤م)، من مدينة إشبيلية من العارفين بالحيل الهندسية، وكان بصيراً باتخاذ الآلات الحربية الجافية، والعمل بها، وانتقل إلى مدينة فاس على عهد أبي

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٧٥٠-٧٥١

(٢) عبد العزيز بنعبد الله: الأندلس والمغرب، ع٢، ص٧٤.

(٣) عبد العزيز بنعبد الله: الأندلس والمغرب، ع٢، ص٧٤.

(٤) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص١٤٥.

(٥) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ص٣٤٠.

يوسف المنصور بن عبد الحق، واتخذ له الدولاب المنفسخ القطر البعيد المدى، ملين المركز والمحيط، المتعدد الأكواب، الخفي الحركة، توفي بفاس[1].

ج- علم الكيمياء

وهو علم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية، وجلب خاصية جديدة إليها على ما كان يعرف به أهل ذاك الزمان[2].

وقد شعر العرب في القرن (٢هـ/٨م) بأهمية علم الكيمياء، وذلك لأساسيته في بحوث الصيدلة والطب[3].

وبرز من الأندلسيين ممن نزل فاساً من الكيماويين: أبو الحسن علي بن موسى الأنصاري الجياني (ت٥٩٣هـ/١١٩٦م)، نزيل فاس، وولي خطابتها، ولم ينظم أحدٌ في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معانٍ، وفصاحة ألفاظٍ، وعذوبة تراكيب، مؤلف كتاب " شذور الذهب في صناعة الكيمياء"، قيل عن كتابه: إنه إن لم يُعلمك صنعة الذهب علمك صنعة الأدب وإن فاتك ذهبه لم يفتك أدبه وقيل فيه: إنه شاعر الحكماء، وحكيم الشعراء[4].

د- علم الفلك

الفلك علم قديم ظهر منذ وجد الإنسان على هذه الأرض، ويعرف أيضاً بعلم الهيئة[5]، وهو علم يبحث في تعيين الأشكال للأفلاك، وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة والثابتة، والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها، ومن رجوعها واستقامتها وإقبالها وإدبارها[6]. ويتصل علم

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج٢ ، ص٨٠ ــ ٨٢.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٤٤٢.

(٣) عبد العزيز بنعبد الله: العلوم الكونية، ص١٣.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج٣ ، ص٦٠٦؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص ٣١٧، الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج٧ ، ص٨٢.

(٥) نانسي فيصل حسن الرواشده: الحياة العلمية في مرسية الإسلامية من القرن الخامس الهجري إلى القرن السابع الهجري، ٢٠٠٤هـ، ص١٥٠.

(٦) ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص٢٩٠.

الفلك بفروع كثيرة هي فصول في هذا العلم كآلاته وأصوله من الإسطرلاب والجداول والتوقيت...إلخ[1].

وقد كان علم الفلك من العلوم المحببة عند المغاربة، فكانوا يشجعون على دراستها، ومن علماء الفلك: أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجّة (ت٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) لم يكن له نظر في علوم الفلك، كان له باع علم أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم، وتوفي بفاس[2]، محمد بن عبد الرحمن الشلبي (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م)، فقيه وخطيب جامع القرويين، عارفاً بالأوقات والنجوم، ابن البناء العددي (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، واشتهر في علم الفلك، حيث كان ينظر في أحكام النجوم وعلم الهيئة، ومن مؤلفاته في هذا العلم كتاب "تنبيه الفهوم على مدارك العلوم"، ورسالة في الرد على مسائل مختلفة نجومية وفقهية، وكتاب "منهاج الطلاب في تعديل الكواكب"، و"المستطيل والسيارة في تعديل الشارة"، وله "مقالة" في الإسطرلاب، و "رسالة العمل بالصفحة الزقالية"، وأخرى في "السكازية"، وله تأليف في "أحكام النجوم"، و"مداخل ثلاثة إلى صناعة الأحكام النجومية"[3]. عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الربيع اللجائي (ت٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) تلميذ ابن البنا، اخترع اسطرلاباً ملصقاً بجدار والماء يدير شبكته على الصحيفة، فيأتي الناظر فينظر ارتفاع الشمس والكوكب بالليل[4].

---

(١) عبد العزيز بنعبد الله: العلم الكونية، ص١١١.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج١/ص٣٤٠.

(٣) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٢، ص١٥٧-١٥٨؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ص.٢١٣

(٤) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج١، ٢١٤-٢١٥.

والإسطرلاب هو: آلة فلكية لقياس ارتفاع الشمس والنجوم. عبد العزيز بنعبد الله: العلوم الكونية، ص١٢٥.

العلوم الاجتماعية

أ- علم التاريخ والتراجم

علم التاريخ: هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك، وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية، وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن، ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار ويستجلب نظائرها من المنافع(١).

ويقول ابن خلدون: (اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو وقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم)(٢).

وقد ظهر علم التاريخ مرتبطاً بعلم الحديث، ثم بسيرة النبي ﷺ ومغازيه، ونتيجه لتوسع الدولة العربية الإسلامية، واحتوائها على ولايات وأقاليم متباعدة، فقد ظهرت الحاجة في هذه الأماكن الجديدة إلى كتابة تاريخ خاصة بها(٣).

وقد تركزت اهتمامات الأندلسيين في كتابة التاريخ على الاهتمام بالتاريخ العام للأندلس، والتأريخ للمدن والرجال، وهذا ما نقلوه معهم للمغرب خلال فترة إقامتهم فيها، فنجد الكثير من المؤلفين المغاربة قاموا بالتأليف لتاريخ الأندلس ورجالها، كما ألفوا لتاريخ مدينة فاس ورجالها(٤).

ومن المؤلفات التاريخية التي ظهرت في فاس واهتم بها الأندلسيون ما كان عن سيرة النبي ﷺ، ومنها كتاب: أبي عبد الله محمد بن القاسم التميمي الفاسي (ت٦٠٣هـ/

---

(١) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنتال، ترجمة صالح العلي، بغداد، ص٦ـ ٧؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٢٥٥.

(٢) المقدمة، ج١، ص٧.

(٣) عبد الواحد ذنون طه: نشأة التاريخ العربي في الأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م ، ص٥، ص٧.

(٤) أحمد بن ياسين: علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مكتبة المتنبي، الدمام، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ٢٠٠٢م، ص٢٢٣-٢٢٤.

١٢٠٦م) وهو: "اللمعة في ذكر أزواج النبي ﷺ وأولاده السبعة"، وكان إماماً بمسجد جامع الخيل المعروف بالجامع الأزهر بفاس، وتوفي بها[١].

وممن اعتنى بالتاريخ: عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري (ت ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م)، ومن مصنفاته: "مختصر السير والمغازي"، و"مختصر تاريخ أبو جعفر الطبري"، و"منتخب سير المصطفى" لأبي سعيد بن عبد الملك الخرساني[٢]. محمد بن عبد الرحيم التجيبي (ت٦١٠هـ/١١٩٧م)، كان له اهتمام بعلم التاريخ، عكف على تأليف المعاجم العلمية حين قدم فاساً، منها: معجم في تلاميذه الذين تلقوا عنه، وكذلك معجم شيوخ شيخه الحافظ السلفي، عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز القرطبي (ت٦٢٤هـ/١٢٢٦م)، وقد استوطن فاساً، وبها توفي، كان من أهل التاريخ والأخبار وأسماء الرجال[٣].

كما قد يقع التأليف للكتب التاريخية مع الترجمة لرجال الدولة مثل ما ألفه: ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م) في تاريخ دولة بني مرين "روضة النسرين في دولة بني مرين"، و "النفحة النسرينيّة واللمحة المرينيّة"[٤]، كما ألّف ابن الخطيب في تاريخ الأندلس وتاريخ دولة بني الأحمر وبعض الكتب في التراجم وهي: "الإحاطة في أخبار غرناطة"، و"اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية"، و كتاب "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب"، و"كناسة الدكان بعد انتقال السكان"، و"الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة"، و"أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام"[٥].

---

(١) الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات تحقيق إحسان عباس، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. ٢، ١٩٨٢م، ج٢/ص٦٨٦.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٣٣.

(٣) ابن الأبّار: التكملة ، ج٣، ص١٠١.

(٤) أحمد بابا: نيل الابتهاج، ص٩٨، ٩٩، البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، تحقيق: دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٣ – ١٩٩٢ ، ج١، ص ١٧٢.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص١٨٤؛ السلاوي: الاستقصا، ج٢، ص١٣٢؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣، ص ٤٦٩؛ البغدادي: هدية العارفين ج٣، ص١٩٠.

أما عن كتب التراجم فيقصد بها: التعريف بالرجال والحكام والعلماء، وقد عقد العلماء تراجم لشخصيات علمية توفيت في فاس: فقد ألف أبو العباس أحمد بن يوسف ابن فرتون السلمي الفاسي (ت٦٦٠ھ/١٢٦٢م) كتاب "ذيل الصلة البشكوالية"[١]، وصنّف أبو عبد الله بن عبد الكريم الفندلاوي الكتاني (ت ٥٩٦ھ/ ١١٩٩م)، كتاب "المستفاد في ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس ومايليها من البلاد"[٢]. وأحمد بن محمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الزناتي، أبو العباس بن القاضي، مؤرخ، من أهل مكناس (بالمغرب) ولي القضاء في سلا، واشتهر، وركب البحر حاجاً سنة (٩٩٤ھـ/١٥٨٥م) فأسره قرصان الإسبان وعذبوه، فافتداه أبو العباس أحمد المنصور السعدي أمير المسلمين بمبلغ كبير من المال، وكانت مدة أسره أحد عشر شهراً، توفي بفاس، له نحو ١٥ كتاباً، منها "جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس" [٣].

ومن علماء فاس الذين برزوا مع مؤلفاتهم التاريخية: أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي (ت٧٤١ھـ/١٣٤٠م)، صاحب كتاب: "الأنيس المطرب وروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة في أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس"، وهو مطبوع وترجم إلى كثير من اللغات الأوربية، وله "زهرة البستان في أخبار الزمان"، ويرجح أن من تصنيفه كتاب "الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية"[٤]. وكذلك ابن خلدون (ت٨٠٨ھ/١٣٣٢م) وكان صديقاً لابن الخطيب خلال فترة إقامته في فاس، له العديد من المؤلفات التاريخية، مثل كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" [٥].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص ٨٣.

(٢) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص ١٦١.

(٣) المحبي: محمد. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعه الوهابية، ١٢٨٤ھـ، ج١، ص٢٩٦.

(٤) الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٤٧٥، ٤٧٦؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١/١٩٩؛ البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٧٦٦؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٧/ص١٨١.

(٥) مصطفى الشكعة: المغرب والأندلس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص٢٠٥.

ب- علم الجغرافيا

الجغرافيا: كلمة يونانية معناها صورة الأرض، وهو علم يتعرف منه على أحوال الأقاليم وعروض البلدان وعدد مدنها وجبالها وبراريها وبحارها وأنهارها إلى غير ذلك(١).

وتعرف القواميس علم الجغرافيا بأنه: العلم الذي يختص بوصف سطح الأرض من ناحية تكوينه وأشكاله الطبيعية، ومن ناحية أقسامه الطبيعية والسياسية، ومن ناحية المناخ والإنتاج و السكان... الخ(٢).

ويعرفها آخرون بأنها دراسة الاختلافات الإقليمية على سطح الأرض وخاصة الاختلافات الناتجة عن العلاقة بين العناصر المناخية والتضاريس والتربة والنبات والسكان، واستغلال الأرض والصناعات، أو هي الإقليم الذي يصف سطح الأرض، مع الإشارة إلى الاختلاف والتشابه بين مناطق سطح الأرض المختلفة(٣).

وقد ازدهر علم الجغرافيا في الإسلام بعد ما أوجبه الدين على المسلمين من إقامة الصلاة والتوجه إلى القبلة ومعرفة جهتها والحج إليها من سائر الأمصار كما ساعدت حركة الفتوح الإسلامية على تعزيز هذا العلم بمعرفة البلدان التي فتحت أو التي في سبيلها إلى الفتح، ووضع الخطط اللازمة لذلك، والتراتيب الإدارية في جباء الجزية وطبيعة الأقاليم وحالتها الاقتصادية، وما إلى ذلك، ولاسيما بعد تنظيم أعمال البريد بين مراكز الدولة والبلدان المفتوحة.

ونظراً لاتصال الجغرافيا بالتاريخ والفلك والجيولوجيا والحديث، فقد نشطت الجغرافيا حيث نشطت هذه العلوم.

فالتاريخ مثلاً لا يدرس إلا على أساس جغرافي، وبعبارة أدق فالتاريخ هو دراسة الزمان، والجغرافيا دراسة المكان، ولا تستغني أحداث الزمان عن المكان(٤).

---

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٤٦٤؛ انظر : محمد محمود الصياد: مدخل إلى الجغرافيا الإقليمية، ب ت، ص٥.

(٢) فؤاد محمد الصّفّار: دراسات في الجغرافية البشرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ٣، ١٩٧٥م، ص٥،٦.

(٣) فؤاد محمد الصّفّار: دراسات في الجغرافية البشرية، ص٥.

(٤) انظر: البلوي: خالد بن عيسى(ت ٩٣٨هـ). تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السايح، ص١١٣، ١١٦.

ومع التوجه إلى الحج نشطت (جغرافيا الرحلات) وما رحلة ابن رشيد إلا تسطير للجغرافيا البشرية، وجغرافيا البلدان في طريق الرحلة المباركة.

ويذكر بعض الباحثين أن المؤلفات الجغرافية في الأندلس والمغرب لم تظهر بشكل واضح إلا بعد الوحدة الثقافية بين البلدين يقول في ذلك: (إن النشاط في هذا الميدان – يقصد به الجغرافية – بدأ متأخرا في الوقت الذي كان المغرب والأندلس تحت حكم واحد سواء أكان ذلك في عهد المرابطين أم في عهد الموحدين، وحتى في عهد سلاطين بني الأحمر في الأندلس والمرينيين في المغرب كان هناك ما يشبه الوحدة الثقافية بين البلدين) [1].

ومن أبرز العلماء الجغرافيين: ابن رشيد السبتي الأندلسي (ت٧٢١هـ/ ١٣٢١م) الذي خرج من المرية لأداء فريضة الحج ماراً بالشمال الأفريقي، واشتغل بالتدريس في غرناطة بعد عودته، ثم استقر في فاس في عهد المرينيين وتوفي بها، وألف مصنف في رحلاته أسماه: "الرحلتان"، وصف فيه طريق رحلته الأولى التي في أفريقيا، وعنوانها "ملء العيبة في ما جمع بطول الغيبة في الوجهة الواجهة إلى الحرمين في مكة وطيبة"، أما الرحلة الثانية تناول فيها الكلام عن أهل الحديث والفقهاء الأندلسيين[2].لسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، أقام فترة في فاس، ومن مصنفاته في هذا الميدان "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب"، في وصف مدن الأندلس وعلمائها، "خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف"، وهو وصف رحلته في المغرب، و"معيار الاختيار"، وهو مؤلف في مناقب بعض مشاهير الرجال، ووصف أشهر مدن الأندلس[3]. وكان ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٣٣٢م)

---

(١) مصطفى الشكعة: المغرب والأندلس ، ص٢٠٤.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٢، ص٣٥٢؛ كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م، ص٢٤٥-٢٤٦؛ اغناطيوس يُوليانوفتش كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم ، مراجعة: ايغور بليايف، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، مصر،ب ط، ، ج١، ص٣٨٢-٣٨٣.

(٣) اغناطيوس يُوليانوفتش: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص٢٠٥؛ وقد جمعهما أحمد مختار العبادي في مصنف أسماه "مشاهدات ابن الخطيب".

من المؤرخين العرب الذين تركوا في الفكر العربي والإسلامي أثراً عميقاً(١)، كان صديقاً لابن الخطيب خلال فترة إقامته في فاس، له العديد من المؤلفات، وصل إلينا منها: "شفاء السائل لتهذيب المسائل"، و كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، و"مقدمة" هذا الكتاب مع الجزء الأول هو ما عرف بمقدمة ابن خلدون الشهيرة، وكتاب "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً"، وهو عبارة عن قصة حياته كتبها هو بنفسه(٢)، ويتضمن كل من الكتابين الأخيرين الكثير من المعلومات الجغرافية، والتعريف بكثير من علماء الرحلة والجغرافية(٣).

الحسن بن محمد الوزّان الزياتي المعروف بـــ(ليون الأفريقي)، ولد في غرناطة سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م)، قبل فترة وجيزة من سقوطها، ونزح أهله إلى فاس بعد سقوطها، ويعتبر من آخر الجغرافيين الكبار في بلاد المغرب، وذلك لأن مصنفه الجغرافي في وصف أفريقيا ترجم إلى اللغات الأوروبية، إذ ألف كتاب يصفها فيه وصفاً دقيقاً سماه: "وصف فاس"(٤).

ومن دراسة تأثير العلوم على العلاقات بين فاس والأندلس، يلاحظ ما يلي:

أولاً: بالنسبة للعلوم الدينية وجدت بروز الكثير من العلماء في علوم القرآن والفقه والحديث، في حين لم يبرز إلا النادر في أصول الدين.

قد تعزى الكثرة في علوم القرآن إلى طبيعة العلم الذي يفتقر إلى التلقي، ولا يعتمد على الاستنباط.

أما الفقه فلأنه كان العلم الذي يلتزم به الفقهاء في أكثر فترات البحث.

---

(١) عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، ص٥٨٠.

(٢) عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، ص٥٨١، وكتابه (التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً) هذا حققه الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي، وطبع في لجنة التأليف، عام١٩٥١م، كما في مقدمة محقق الكتيبة الكامنة ص١٧.

(٣) مصطفى الشكعة: المغرب والأندلس، ص٢٠٥.

(٤) اغناطيوس يُوليانوڤتش: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص٤٥٠.

والحديث كانت له الغلبة في دولة الموحدين، حيث قام أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بالإعراض عن المالكية، وأحرق ما لا يحصى من كتب الفروع، قال في المعجب: (كنت بفاس، فشهدت الاحمال يؤتى بها، فتحرق، وهدد على الاشتغال بالفروع، وأمر الحفاظ بجمع كتاب في الصلاة من (الكتب الخمسة)، و(الموطأ)، و(مسند ابن أبي شيبة)، و(مسند البزار)، و(سنن الدار قطني)، و(سنن البيهقي)، .. ثم كان يملي ذلك بنفسه على كبار دولته، وحفظ ذلك خلق، فكان لمن يحفظه عطاء وخلعة[1].

وأما الكلام في أصول الدين فكان قد شابهه الكثير من الفلسفات، ولم يكن ذلك مقبولاً عند المغرب الإسلامي، بل لما اشتملت كتب الغزالي على شيء من ذلك أحرقت كما مر معنا.

ثانياً: بالنسبة لعلوم اللغة، فرواجها كان في اتجاه واحد، وليس في الاتجاهين، بمعنى أن بروز اللغويين الأندلسيين كان أظهر من الفاسيين، وقد مر مناقشة أسباب، وسبق عن ابن خلدون وغيره من أئمة التاريخ أن أهل فاس أخذوا اللغة والعربية من أهل الأندلس، وأنه: (لم يتصدر من الفاسيين من يقرئ " الكتاب" كما هو متناول بين أهل الأندلس، مثل ابن أبي الربيع والشلوبين وغيرهما، لوجود ملكة النحو في قطر الأندلس، بسبب رحلة علمائها إلى تلقيه من أربابها بالمشرق)[2].

ثالثاً: على الرغم من أهمية العلوم البحتة في حفظ الدنيا، إلا أنه لم يبرز في العلاقات العلمية بين فاس والأندلس إلا أفراد على مر السنين، وقد يعزى ذلك إلى أن هذه العلوم لا وطن لها، فإذا احتيج إليها، فيستفاد من أقرب الناس تميزاً فيها، وهي أيضاً ليست من العلوم التي كانت تجذب الطلاب على مر التاريخ، مقارنة بعلوم الشريعة واللغة.

رابعاً: لم تكن العلوم الاجتماعية أوفر حظاً من العلوم البحتة في العلاقة بين فاس والأندلس، لنفس الأسباب، ثم إن الكتابة التاريخية والجغرافية تحتاج إلى جهد كبير في جمع المادة وتحليلها، والحكم عليها، ولا يسلم أيضاً من ابتلي بها من النقد والتخطئة.

---

(١) المراكشي: المعجب، ص ٣٥٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج٢١ ، ص٣١٣.

(٢) المقري: أزهار الرياض ، ج١ ، ص٢٤٤.

خامساً: لم تحفل هذه الفترة بالكثير من المؤلفات التي تعزز العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس، وقد مر أنه لم يكن اهتمام بالتصنيف من قبل الفاسيين في كثير من فترات البحث، واشتغالهم بالتقييدات على كتب السابقين، ولاسيما كتب الفقه المالكي، وإلا فنحو سبعة قرون كان من المتوقع أن يكون الناتج عنها أكثر مما وجدت.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

لقد عشت في بحثي هذا في رياض غناء، أقتطف من ههنا ومن ههنا، وقد توصلت إلى عدة نتائج:

الفصل الأول: تناولته في مبحثين، المبحث الأول: سبل التبادل العلمي بين الأندلس ومدينة فاس، تبين لي أن ثمة عدداً من السبل التي أدت إلى النشاط العلمي بين هذين المركزين:

ـ كانت الرحلة في طلب العلم تأخذ الاتجاهين معاً، فقد نرى العالم الفاسي يرحل للأندلس، وإن كان أغلب ما وقفت عليه، إنما هو من علماء أندلسيين رحلوا إلى فاس طلباً للعلم، وقد يعزى هذا إلى عوامل لعل من أهمها أن كثيراً من هؤلاء إنما يقصد المشرق للحج أو للأخذ من علماء حواضر الدنيا كبغداد ودمشق والقاهرة فيكون دخوله إلى فاس في ضمن رحلته العلمية.

في حين لم يكن أمام الفاسي المرتحل في طلب العلم إلى الأندلس أن يبتعد أكثر من الجزيرة، ولذا فقد فضل كثير منهم الرحلة للمشرق عنها إلى الأندلس.

أضف إلى ذلك ما رمي به أهل فاس من التقصير في الرحلات العلمية الأمر الذي عزلهم عن الناس عامة.

ـ وقد تبين لي أن أكثر الرحلات من فاس إلى الأندلس كانت في القرن السادس الهجري، لأن الحياة بالأندلس في القرن السادس كانت مهيئة لاستقبال طلاب العلم الفاسيين، مما سهل لهم البقاء بها.

وفي مطلب الهجرة والانتقال توصلت إلى:

ـ أن أكثر من كان متنقلاً بين هذين المركزين، إنما كان انتقاله لتولي الوظائف الدينية من تصدر للتعليم والإقراء، فإن هذا لا يكاد يخلو في سنوات فترة البحث، وهذا من المتوقع لأن التدريس غالباً لم يكن يحتاج إلى إذن من السلطات، وما كان إلا أن يجلس العالم ولو في بيته، فيجلس الناس له، بخلاف القضاء والحسبة والخطبة الذي يفتقر إلى تنصيب من الحاكم.

ـ كما لم أجد فيما بين يدي من المراجع عدداً ممن تولى الحسبة من الأندلسيين بفاس، ولا من الفاسيين بالأندلس، وقد يرجع ذلك إلى أن الحسبة ولاية تحتاج إلى معرفة عميقة بأوضاع الناس، فكان يولى غالباً فيها من أهل البلد نفسه.

ـ توصلت أيضاً إلى أن الخطابة من أهم سبل التبادل العلمي والهجرة، وأن منهم من اشتهر بهذا اللقب (الخطيب)، ومنهم من استمرت خطابته بفاس عقداً ونصف العقد من الزمان، لكن لم أجد من تولى الخطابة من الفاسيين بالأندلس، وقد يعزى ذلك إلى أن الرحلة في اتجاه فاس أكثر منها في اتجاه الأندلس.

وفي مطلب دور السفارة كسبيل من سبل التبادل العلمي بين فاس والأندلس تبين لي ما يلي:

ـ استمر التواصل الدبلوماسي بين الموضعين مدة، وكانت له آثاره الإيجابية على الطرفين، كما يشهد على ذلك التاريخ المستند إلى الوثائق والآثار التاريخية المتنوعة، وكما تشهد كثافة الوثائق بين هذين القطرين دون باقي الأقطار المغاربية الأخرى على قرب المكان.

ـ يمكننا أن نعد فترة التواصل الدبلوماسي بين بني مرين بفاس وملوك الطوائف بالأندلس أغزر تواصل دبلوماسي عرف في تلك الفترة من الزمان، حيث وصل معدل التواصل إلى اتصال واحد كل شهر تقريبا ما بين مراسلة عادية وبعثة دبلوماسية عالية المستوى، مع التنبيه على أن كتاب "ريحانة الكتاب" لم يجمع كل المراسلات التي كتبت(1)، وهذا ما يؤكد على التأثير المتبادل بين القطرين، والذي يستند على مقومات سياسية واجتماعية وثقافية وحضارية وإستراتيجية قوية تمتع بها الطرفان.

وأما مطلب التجارة كسبيل من سبل التبادل العلمي بين فاس والأندلس، فلم أجد وفرة كافية من العلماء الذين مارسوا التجارة بين البلدين، وقد يرجع هذا لأمور منها:

ـ كان لتأسيس مدينة فاس وطريقة بنائها، وأسواقها، أثره في احتراف جمع من أهلها التجارة، مما لم يكن لغيرهم حاجة في هذه التجارة، فانصرف العلماء عنها.

(1) رابح المغراوي: التواصل الدبلوماسي، ص ٩٢.

ــ وبالنسبة لخصوص قلة المشتغلين بالوراقة فأهل فاس لم يمتهنوا الوراقة لقلة تصنيفهم أصلاً، بل قد بين المقري أنهم انصرفوا عن التصنيف بالعبادة والزهد.

وفي المبحث الثاني في تأثير الأحوال السياسية على العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس تبين لي:

ــ أنه قد تأثرت العلاقات العلمية بين فاس والأندلس بالأحوال السياسية بصورة كبيرة، ويمكن أن ندرك أن ذلك إما بسبب الهجرة القسرية الناجمة عن هجمة الصليبيين على الأندلس، أو ما كان من تشجيع الساسة للعلماء للقدوم على بلادهم وتولي المناصب بدولهم.

وعند بحث تأثير الأوضاع الاقتصادية كعامل مؤثر في الاتصال العلمي لم أجد الكثير من الأمثلة، لأسباب منها:

ــ أن هذا التأثير قد لا يذكر صراحة في ثنايا التراجم، فمثلاً من المعلوم أن الحالة الاقتصادية الحسنة للفقهاء بفاس، كانت مثار جذب للعلماء في عهد المرابطين والموحدين، وقد مر في المبحث الأول كيف كانت الهجرة الأندلسية لفاس قد كثرت بغرض تولي المناصب الدينية، ولابد أن حالة الفقهاء الحسنة كانت عاملاً من عوامل هذا الجذب.

وعند بحث تأثير المظاهر الجغرافية على العلاقات العلمية بينهما تبين لي:

ــ أن سهولة الانتقال والسكنى من الفاسيين بالأندلس، أو من الأندلسيين بفاس، بحيث إذا نزل أحدهم الموضع الآخر لا يشعر بالغربة والوحشة، وهذا مما يزيد العطاء العلمي ولا شك.

ــ مع ما عرف أن تخطيط مدينة فاس المشابه لتخطيط الأندلس كان بناء على عمل مهندسين قاموا بذلك، سواء كانوا من أهل فاس، ونزلوا الأندلس ليبنوها مشابهة، أو كانوا من الأندلسيين الذين استعين بهم في بناء فاس.

أما العوامل الاجتماعية فقد تبين لي أن تأثيرها على العلاقات العلمية أشد من غيرها من العوامل، من خلال ما يلي:

ـــ قد يصبر العالم على شظف العيش، وضيق ذات اليد وباقي تأثير العامل الاقتصادي، في حين أن تأثير العوامل الاجتماعية تكون أشد عليه، بل من المعلوم أن أكثر العلماء لم يكونوا في رغد من العيش.

وعند بحثي للفصل الثاني: مظاهر العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس، خلصت إلى النقاط الآتية:

في مطلب أعلام أندلسيون في فاس، لاحظت ما يلي:

ـــ كانت فاس محطة جذب للعلماء الأندلسيين طيلة فترة البحث، فلم يخلُ زمان إلا وقد نزلها عالم أندلسي، ونشر علمه فيها، ومن هؤلاء من كان مقرئاً، ومنهم من كان محدثاً، وكثير منهم من الفقهاء وعلماء اللغة، ومنهم الطبيب والعشاب، ومن كان من أهل السياسة والحكم وغير ذلك، مما يدل على اتساع الخريطة العلمية في فاس فترة البحث.

كل هذا وغيره يصب في متانة العلاقات العلمية بين مدينة فاس والأندلس فترة البحث.

وفي مطلب علماء فاسيين بالأندلس توصلت لأمور منها:

ـــ كان عدد الفاسيين الذين نشروا علومهم بالأندلس أقل من الأندلسيين الذين نشروا علومهم بفاس، وقد يرجع هذا إلى أن اتجاه الرحلة من الأندلس إلى فاس كان أقوى تدفقاً من الاتجاه المضاد.

وفي مطلب الإجازات تبين لي أن قلتها يرجع لأمور:

ـــ أن العادة أن أكثر الإجازات التي يُحرص عليها تكون في القراءة والحديث خاصة، ولم تكن هذه العلوم هي الرائجة في فاس أكثر فترات البحث، بل كانت هممهم منصرفة إلى الفقه خاصة.

ـــ كما ارتبطت الإجازات كثيراً بالرحلات العلمية، ولم يكن ينشط أهل فاس في بعض فترات البحث لها .

وفي مطلب القضايا العلمية المتبادلة، تبين لي أن قلتها يرجع لأمور منها:

ـــ تشابه المساحة الثقافية بين الأندلس وفاس في الجملة، حيث لم يكن ثمة ما يدعو لوجود تفاضل في العلوم بحيث يتم انتقالها من جانب لآخر، فالمذهب الفقهي السائد هو المذهب المالكي، وشيوخ محدثي فاس والأندلس هم من المشارقة، وهكذا.

ـــ ما ذكر من انحسار في ملكة التعليم عند الفاسيين، لقصورهم عن الرحلة، ثم إن في فترات زمنية من البحث كانت همة الفاسيين لم تَعدُ الفقه، في حين تعدت همة الأندلسيين لعلوم أُخر من الحديث والعربية وغيرها، فما كان من تبادل لقضايا علمية في هذه العلوم لانفراد الأندلس بها

وفي مطلب تداول الكتب والبعثات، لم أجد مادة وفيرة لوجود تداول للكتب أو البعثات الدراسية بين الأندلسيين وفاس، وقد يعزى هذا لأمور:

ـــ اتساع المساحة العلمية في كل من البلدين مما أغنى عن البعثات الدراسية، أو الرحلة العلمية نسبياً، مع ما عرف عن كثير من أهل فاس من القعود عن الرحلة العلمية للأندلس، واقتصارهم على الفقه في غالب فترة البحث، دون غيره من العلوم التي تدعو للرحلة والبعثة، ومر ذكره في أول هذا المطلب، ثم إن العلماء الأندلسيين كانوا لا يفدون على فاس إلا فرادى، وكانت وجهتهم غالباً للحج، أو ربما للاستيطان، والانتقال مدة طويلة، وليس هذا داخلاً في نطاق البعثات.

وفي مطلب المراكز العلمية، تبين أن ثمة عوامل ساعدت على ازدهار النهضة العلمية في فاس وجعلتها من أهم المراكز العلمية منها:

ـــ استقرار المهاجرين من أهل العلم والأدب من القيروانيين والأندلسيين في المدينة، الذين ساهموا بدورهم في نهضة العلوم فيها.

ـــ دور حكام المرابطين والموحدين ومن بعدهم بني مرين في نشر الأمن في بلادهم، ومنها مدينة فاس.

ـــ تشجيع المرابطين والموحدين لشعراء الأندلس الذين كانوا في عاصمتهم مراكش.

ـــ ازدهار النهضة العلمية في فاس باعتبارها عاصمة بني مرين، الذين اشتهروا بحبهم للعلم والعلماء ومجالستهم، بحيث لم يضعوا أمام العلماء المهاجرين إلى فاس سواء من

المغرب أو الأندلس أي عوائق تعوق إقامتهم في ربوع الدولة المرينية، والتمتع بكل المميزات التي يتمتع بها أقرانهم من العلماء المرينيين[1].

ـــ تشجيع سلاطين بني مرين لحركة التأليف، بتقديم الهبات والعطايا للعلماء على مؤلفاتهم، تشجيعاً لهم على مواصلة العمل، حيث كان العلماء يعرضون عليهم إنتاجهم العلمي والأدبي.

وفي الفصل الثالث: أهم التأثيرات العلمية المتبادلة بين الأندلس وفاس، ومن دراسة تأثير العلوم على العلاقات بين فاس والأندلس، توصلت إلى ما يلي:

ـــ بالنسبة للعلوم الدينية نجد أنه برز الكثير من العلماء في علوم القرآن والفقه والحديث، في حين لم يبرز إلا النادر في أصول الدين، إذ الكلام في **أصول الدين** فكان قد شابه الكثير من الفلسفات، ولم يكن ذلك مقبولاً عند المغرب الإسلامي، بل لما اشتملت كتب الغزالي على شيء من ذلك أحرقت كما مر معنا.

ـــ وبالنسبة لعلوم اللغة، فرواجها كان في اتجاه واحد، وليس في الاتجاهين، بمعنى أن بروز اللغويين الأندلسيين كان أظهر من الفاسيين.

ـــ وعلى الرغم من أهمية العلوم البحتة في حفظ الدنيا، إلا أنه لم يبرز في العلاقات العلمية بين فاس والأندلس إلا أفراد على مر السنين، وقد يعزى ذلك إلى أن هذه العلوم لا وطن لها، فإذا احتيج إليها، فيستفاد من أقرب الناس تميزاً فيها، وهي أيضاً ليست من العلوم التي كانت تجذب الطلاب على مر التاريخ، مقارنة بعلوم الشريعة واللغة.

ـــ ولم تكن العلوم الاجتماعية أوفر حظاً من العلوم البحتة في العلاقة بين فاس والأندلس، لنفس الأسباب، ثم إن الكتابة التاريخية والجغرافية تحتاج إلى جهد كبير في جمع المادة وتحليلها، والحكم عليها، ولا يسلم أيضاً من ابتلي بها من النقد والتخطئة. والله تعالى أعلم

وختاماً فإني أحمد الله عزَّ وجل كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الذي شرح صدري للبحث في هذا الموضوع، ومنحني القدرة على خوض غماره، ويسَّر لي كلَّ ما أعانني على إخراجه بهذه الصورة، وأسأله سبحانه أن يجعل كلَّ ما بذلته فيه جهاداً في سبيله، أجده في ميزان حسناتي يوم القيامة.

---

(١) محمد الحريري: المغرب والأندلس، ص٣٣٧.

والفضل لله وحده في كلِّ صوابٍ وخيرٍ جاء به البحث، وأمَّا الخطأُ والزللُ والنسيانْ، فمن نفسي، ومن الشيطانِ، وأستغفر اللهّ منه وأتوب إليه، وأسأله سبحانه أن يغفر لي ذنبي كلَّه، دِقهُ وجُله، علانيته وسِرَّه.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إيمان العصيمي

مكة المكرمة ١٤٣٠هـ.

الملاحق

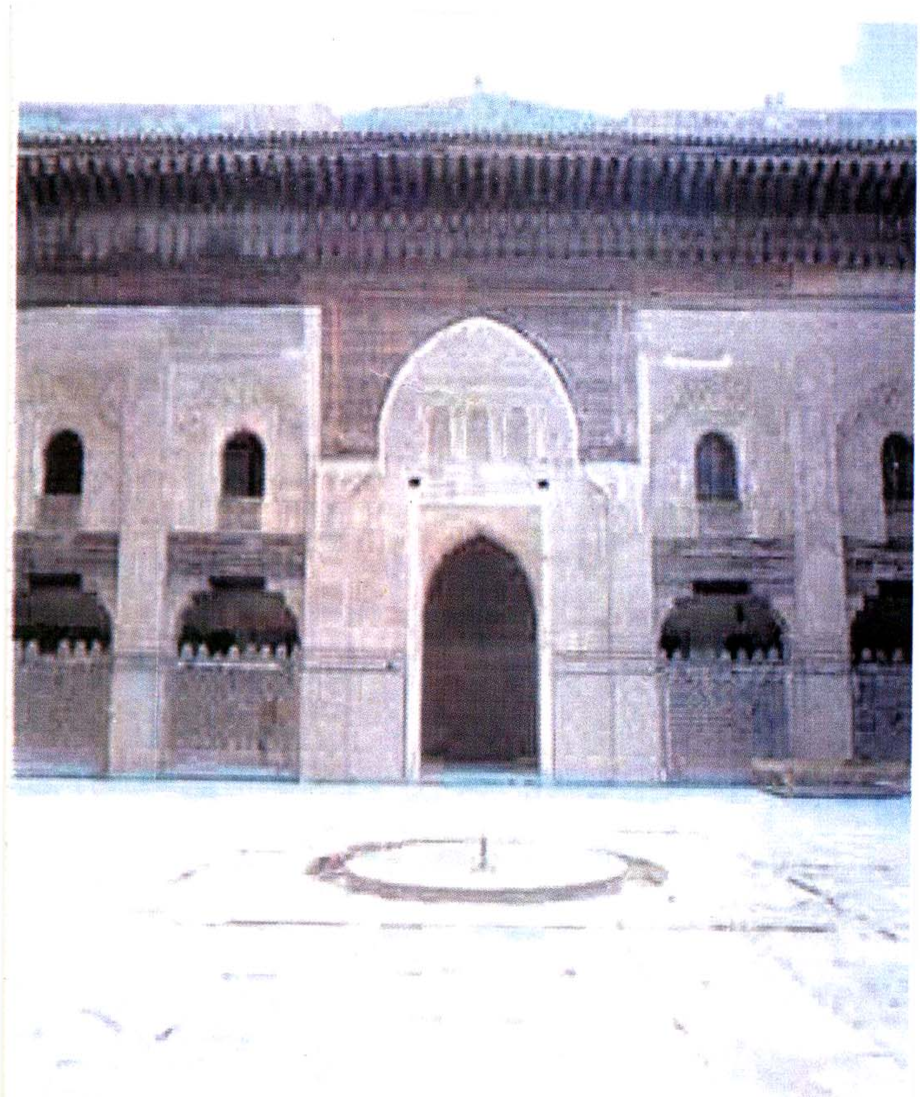


خريطة الأندلس والعدوة المغربية



مدرسة الصفارين وتعرف باسم المدرسة اليعقوبية

أسست عام (٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م)



وتسمى بالمدرسة المتوكلية

أسست عام (٧٥٦ هـــ / ١٣٥٥ م)



حي الملاح - الخاص باليهود في مدينة فاس



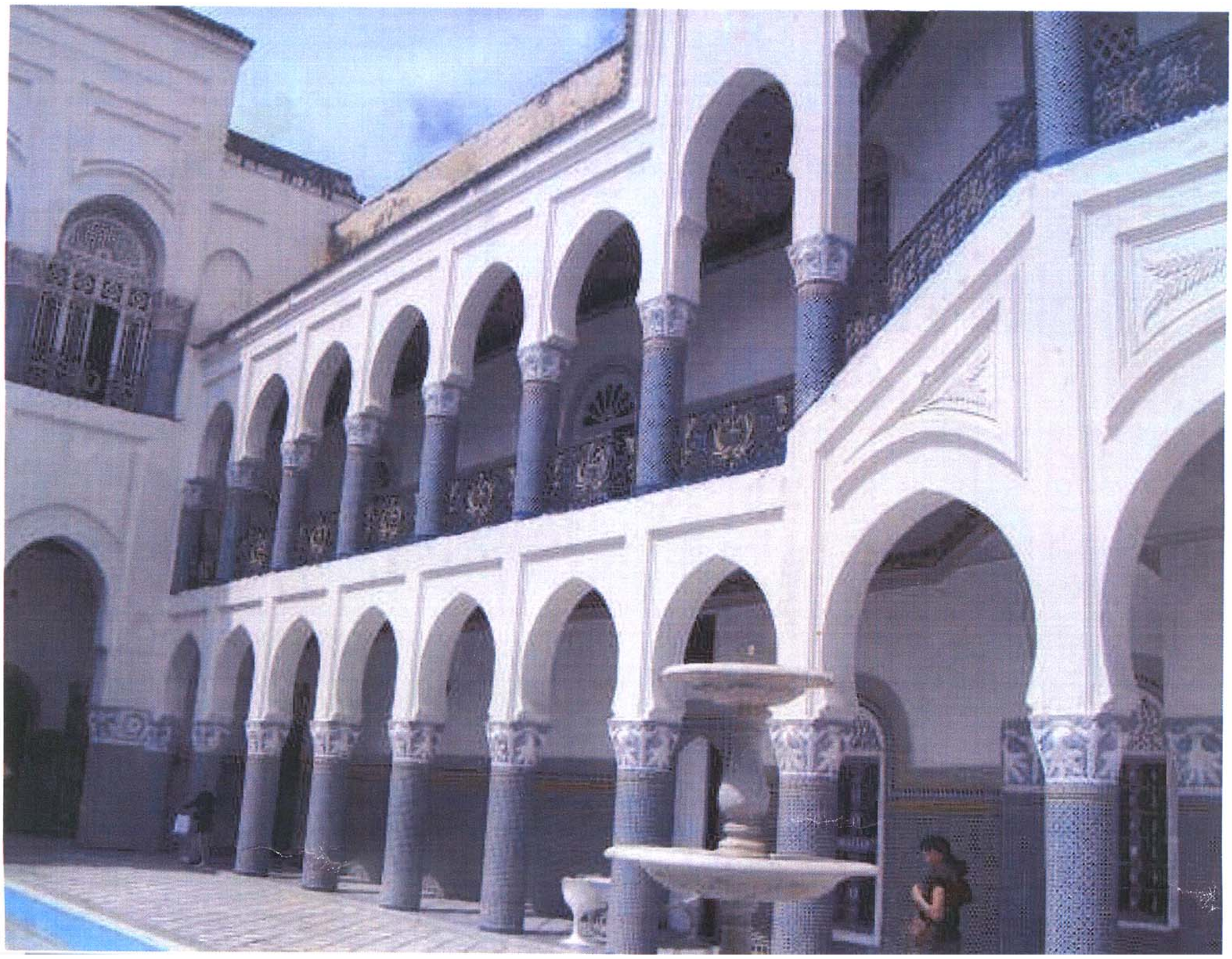
ويعتبر من أهم المعالم الأثرية في مدينة فاس وهو عبارة عن قصر العلامة شهاب الدين محمد التلمساني المقّري ت ١٠٤١ هـ مؤلف كتاب نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب مع ذكر وزيره لسان الدين ابن الخطيب ، ويُلاحظ فيه التصميم الأندلسي في الزخرفة والبناء .



رياض المقري ٢



رياض المقري ٣



رياض المقري ٤



رياض المقري ٥

الفهارس

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الغريب و المصطلحات الغريبة.
- فهرس أسماء المدن.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهـــرس الآيـــات

الآيـــــة	رقمـــها	الســورة	الصفحـــة
ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ	٢٤	محمد	٢٦٨
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ	٨٢	محمد	٢٦٨
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ	٩	الحجرات	٢٦٨
نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ	١– ٢	القلم	٢٤٢
ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ	٣ — ٥	العلق	٢٤٢

فـــهـــرس الأحــــــاديـــث

فــهـــرس الأعــــــلام

فهرس الغريب والمصطلحات والتعريفات

فهـــرس المـــــدن

المـــــديـــــنـــــة	الصفحـــة
الأرك Alarócós	١٢٤، ١١٩
الجزيرة الخضراء Algacíras	٨٢،١٢٥،١١٤-١٢٧
القيروان	١٠٤،٢٠٤،١٩٤،١٦٧،١٦٦،١٦٢،١١١،١٠٧
المرية Alméría	٥٨-٦٠، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٨٧، ، ٩١، ١١٨، ١٢١، ١٢٧، ١٣٦ ، ١٥٠، ١٥٣، ١٦٠، ١٨١، ٢٠١، ٢١٠، ١٩٤، ٢٢٣، ، ٢٢٩، ٢٤٤، ٢٦٤، ٢٩٤، ٣٢٠
المَنكَّب Almuñécar	١٢٦
المهدية	١١٩
اليسانة Lucéña	١٧٦
باجة	١٥٥، ١٦٨، ٣١٥
بجاية	٦٠، ٨٠، ١٦٣، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٦، ٢٢٥
برجة	١٦٨
برشلونة Barcélóña	٩٠،١٢٧
برقة	١٦٠
بَسْطة Baza	٩٣، ١٥٣، ١٩٣، ٢٠٥، ٢٢٢، ٢٧١
بَطَلْيَوس Badajóz	١١٤، ١٧١،٢٠٢،١٧٤
بلنسية Valé ñcía	٥١، ٥٢، ٨١، ٨٥، ٧٣، ٨٨، ٩٣، ١١٩، ١٤٢، ١٦٠، ١٦٨، ١٨١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢٤٢، ٢٦٤، ٣٠٠
بياسة Baéza	٩٤
تاهرت	١٠٧،١٦٠
تدمير Tdmér	٥٩، ٢٠٥، ٢٦٣
تطوان	١٦٦،١٩٢
تلمسان	٤٤، ٥٩، ٦١، ٧٥، ٨٢، ١٣٥ -١٣٨، ١٨٤ ٢٠٢، ٢٢٥، ٣٠٢
تنس	٨٠ ، ١٣٥

المـــــديـــــــة	الصفحـــة
لِيون Léóñ	١٧٧
مالقة Málaga	٤٧، ٦٠، ٦٨، ٧٦، ٨٧، ١٢١، ١٢٥، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٧، ١٧١، ٢٠٦،٢١١-٢١٤، ٢٢٣، ٢٣٩، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٩
مراكش	٣٥، ٤٣، ٥١، ٥٨، ٦١، ٨٤، ٩٧، ١١٢، ١٣٩، ١٦٣، ٢٠١، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٥٧، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨١، ٢٩٤، ٣٠٦، ٣٠٧
مرسية Murcía	٤٦، ٨٢، ٨٧، ٩٣، ٩٥، ١٢١، ١٤٢، ١٥٠، ١٥٣، ١٦٠، ١٦٨، ١٨٢، ٢٠١، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢١، ٢٥٥، ٢٦٢
مكناس	٤٥، ٥٤، ٦١، ٨٤، ٩٧، ٢١٣، ٣١٨
ميورقة Mallórca	٩٥
موقعة العِقاب Ñavas dé Tólósa,las	١١٩، ١٢٥، ١٢٩
وادي آش Guadíx	١٢٧، ١٦٧
وادي الحجارة Guadalajara	٩٤
وادي فرتونه	١٢٧
وادي لُكة	١٧٠
وشقة Huésca	٣١،٨٨
وهران	،٨٠١٣٥

المرجع :

ـ محمد عبدالله عنان : (الأعلام الجغرافية التاريخية والأندلسية باللغتين الاسبانية والعربية) ، المعهـــد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٧٦م.ـ

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	قائله	الصفحة
وما سمى الملجوم إلا لعلةٍ وهل تُلجم الأفراس إلا لتركبا؟	ابن سهل اليكي	١٧٣
فؤادي يشتكي داءً دفيناً ** لبُعدي عن مزار الظاعنيـــنا	إسماعيل ابن الأحمر	٢٩٧
مرضتَ فأيامي لذاك مريضـــة ** وبرؤك مقرون بِبُرْءِ اعتلالهـــا	لسان الدين ابن الخطيب	٣٠٢
متى شيت ألفي من علايك كل ما ** ينيل من الآمال خير منالها	لسان الدين ابن الخطيب	٣٠٣
زر غريب المغرب ** نازحا ماله ولى	مالك بن عبد الرحمن بن فرج المالقي	٢١٤
أُرضِي الله في سر وجَهْرٍ * * وأحمِي العِرْضَ عن دنسٍ ارْتيابِ	أبي الحسن المريني	٣٠٥
انظـــر إلى القبـــةِ الحمراءِ لمـــا ** رأت مُضـــر الحمـــراء من كثبِ	ميمون بن الخبازة	١٣٩
مطالب إلا أنهن مواهب ** قضى الله أن تقضى فنعم المطالب	ابن الحاج النميري الغرناطي	٣٠٢
أجـــود بمالـــي لكـــل العُفـــاة ** واقتحم الهول في المعضلات	أبو مالك بن أبي يوسف	٣٠٥
يا قادماً وافي بكل نجاح ** أبشـــــر بما تلقاه من أفراح	ابن مرزوق	٧٢
أبكاني بشاطي النهر نوح الحمام على ** الغصن في البستان قريب الصباح	ابن عمير	١٨٠
راحت تذكرني كؤوس الراح * * والقرب يخفض للجنوح جناح	ابن الخطيب	٧٣
هل من معيني في الهوى أو منجدي ** من متهم في الأرض أو منجد	أبي عمرو بن المرابط	١٩٨
مما يزهـــــــــدني في أرض أندلسٍ ** أسماء معتمدٍ فيها ومعتضدِ	ابن رشيق القيرواني	١١١

البيت	قائله	الصفحة
وبلدٌ أعارته الحمامة طوقها ** وكساهُ حُسْنُ جناحِه الطاوُوسُ	ابن الخطيب	٢٩٧
فَرّقتُ في الَميْدان كُلّ مَليك ** وجمعتُ بين جَراءَة ونُسُوك	أبو مالك بن أبي يوسف	٣٠٥
يا فاسُ حيَّا اللهُ أرضَكِ من ثرى ** وسقاكِ من صَوْب الغَمام المسبلِ	المغيلي الفاسي	٢٩٧
أمسيت بعد الملك في غرفةٍ ** ضيقة الساحة والمدخل	أبا يحيى ابن الرميمي	٢٤٤
جسمي أَضَرّ به السِّقام ** والجَفْنُ قد عدِمَ المَنَام	أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن المكودي الفاسي	٣٠٤
أهل الرياء لبستمو ناموسكم ** كالذئب أدلج في الظلام العاتم	أبي جعفر أحمد بن محمد	٢٣٠
و كم من عائب قولا صحيحا ** و آفته من الفهم السقم	الونشريسي	٢٥٠
أما الوِرَاقة فهي أنكدُ حِرفة ** أغصانُها وثمارُها الحرمانُ	أبي محمد بن سارة	٢٤٤
أطاع لساني في مديحك إحساني ** وقد لهجت نفسي بفتح تِلمسانِ	لسان الدين ابن الخطيب	٣٠٢
قالوا المشيب نجومٌ والشَّباب دُجًى ** لو يَحْسُنُ القبحُ أو لو يقبحُ الحَسَنُ	أبو بكر محمد بن عبد الغني الفهري	٣٠٠
يا أهل فاسٍ لقد ساءت ضمائركم فأصبحت فيكم الآراء متفقة	ابن سهل اليكي	١٧٢
أُحبك يا مغني الحقوق بواجبٍ ** وأقطع في أوصافك الغُرّ أوقاتي	ابن الخطيب	٢٩٧
أيا عجباً كيف تهوى الملوك ** محلي وموطن أهلي وناسي	إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم النميري	٢١٦

البيت	قائله	الصفحة
لَمن كلمٌ كالسِّحر من غُنج أحداقِ ** سقاكَ بكأسٍ لم تُدرِها يدُ السَّاقي	أبو بكر محمد بن عبد الغني الفهري	٣٠٠
رعى الله وادي شينانة ** وتلك العشايا وتلك الليالي	أبو عبد الله، محمد بن حبوس الفاسي	٣٠٤
يا قبر صُبْح حلّ فيـ ** ك بمهجتي أسنى الأماني	أبو عبد الله، محمد بن حبوس الفاسي	٣٠٤
وما سمى الملجوم إلا لعلةٍ وهل تُلجم الأفراس إلا لتركبا؟	ابن سهل اليكي	١٧٣

فهارس المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة:

ابن سلمون الكناني، أبو القاسم سلمون بن علي.

- العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام. مخطوط خ.ع، الرباط، تحت رقم ٦٧٠د،م.س. (نسخة مصورة من الرباط موجودة عند الباحثة).

مجهول.

- كتاب في خطط مدينة فاس، دار الكتب القومية، رقم (٦١) بلدان، تيمور، القاهرة.

المصادر المطبوعة:

ابن الأبّار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت ٦٥٨هـ).

١. تحفة القادم، أعاد بناءَه وعلق عليه: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م

٢. التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣. الحُلّة السيراء، تحقيق: عبد الله أنيس الطبّاع، دار النشر جامعيين، بيروت، ١٣٨١هـ /١٩٦٢م.

٤. المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م.

ابن أبي أصيبعة : أبو العباس أحمد بن القاسم(ت ٦٦٨هـ)..

٥. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المطبعة الوهابية، ط١، ١٢٩٩هـ.

ابن أبي دينار: أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني.

٦. المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية،ط١، ١٢٨٦ه

ابن أبي زرع: علي الفاسي.

٧. الأنيس المُطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م، والدار البيضاء، ط.٢، ١٩٩٩م

٨. الذخيرة السَّنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م.

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ).

٩. الكامل في التاريخ، مراجعة أصوله والتعليق عليه: نخبه من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م. و ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ابن الأحمر: أبو الوليد اسماعيل (ت٨٠٧هـ).

١٠. روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

١١. بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور لطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.

١٢. مُستودع العلاَمة ومُستبدع العلاّمة، تحقيق: محمد التركي التونسي، مراجعه وتعليق. محمد بن تاويت الطنجي، منشورات كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، الرباط.

١٣. نثير فرائد الجُمان في نظم فحول الزمان، دراسة في حياته وأدبه، دراسة وتحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة لطباعه والنشر.

ابن الأخوة: ضياء الدين محمد (ت٧٢٩هـ).

١٤. معالم القربة في أحكام الحسبة، روبن ليفي، كبمبردج، ١٩٣٨م.

ابن بسّام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ).

١٥. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت٥٧٨هـ).

١٦. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، عنى بنشره وتصحيحه ومراجعة أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي (ت٧٧٩هـ).

١٧. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار (رحلة ابن بطوطة)، بيروت، دار صادر، مؤسسة الرسالة تحقيق: علي الكتاني، ١٩٨٥م.

ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(٨٧٤هـ).

١٨. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م. وطبعة الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

ابن الجزري: محمد بن محمد الدمشقي.

١٩. النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه ومراجعته. علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د ت.

٢٠. غاية النهاية في طبقات القراء، نشر بعناية برجستراسر، القاهرة، مكتبة الخانكي، مطبعة السعادة، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد (ت ٨٥٢هـ).

٢١. إنباء الغمر بأبناء العمر، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

٢٢. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، د ت.

٢٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ب ت.

٢٤. نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، دار السلطنة السنية العثمانية، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي.

٢٥. جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣ م.

٢٦. طوق الحمامة في الألفة والالآف.تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مطبعة الاستقامة، القاهره، د ت.

ابن حنبل: أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ).

٢٧. المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

ابن الحوت: أبو ربيع سليمان (ت ١٢٣١هـ).

٢٨. الروضة المقصورة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة، دراسة وتحقيق: عبد العزيز عبد القادر تيلاني، مطبوعات مؤسسة أحمد بن سودة الثقافية، فاس، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

ابن حوقل: أبو القاسم النصيبي (ت ٣٨٠هـ).

٢٩. صورة الأرض، القسم الأول، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٣٨م

ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف،(ت٤٦٩هــ).

٣٠. المقتبس في أخبار بلد الأندلس، جزء منه نشر: م ملشور، م انطونيه، باريس، ١٩٣٧م، وجزء آخر تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، مصر، ١٣٨١هـــــ ١٩٦١م.

ابن خاقان: أبو النصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت٥٢٨هـ/ ١١٣٤م).

٣١. قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق وتعليق: حسن يوسف خليوش، مكتبة المنار،

الأردن، ط١، ١٩٨٩م

٣٢. مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس)، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة،ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني (ت٧٧٦هــ).

٣٣. أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الأندلسي، تحقيق: ليفي برفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط٢، ١٩٥٦م.

٣٤. الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هــ/ ٢٠٠٣ م.

٣٥. ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، دراسة وتحقيق: محمد الشريف ماهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ١٩٧٣م.

٣٦. ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت.

٣٧. الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة عيتاني، بيروت، د ت.

٣٨. كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانه، مراجعة: حسن محمود، دار الكتب العربي، مصر، د ت.

٣٩. اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ببيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هــ/١٩٨٠م.

٤٠. مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس. مجموعة رسائل جمعها: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٨٣م.

٤١. نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق: محمد رضوان الدايا، دار حسان، دمشق، ١٩٨٤م.

٤٢. نفاضة الجراب في علالة الإغتراب. تحقيق: أحمد مختار العبادي، مراجعة: عبد العزيز

الأهواني، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، د ت.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ).

٤٣. التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، نشر: محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة، ١٩٥١م.

٤٤. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩ه/١٩٧٩م.

٤٥. المقدمة، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

ابن خلدون: يحي.

٤٦. بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: د. عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبو بكر (ت٦٨١هـ).

٤٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

ابن الزبير: ابن أبي جعفر أحمد.

٤٨. صلة الصلة. القسم الأخير من كتاب صلة الصلة، وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس، تحقيق لافي بروفانسال، الرباط، المطبعة الاقتصادية، ١٩٧٣م.

ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت٦١٧ه/١٢٢٠م).

٤٩. التشوف لمعرفة رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٧م.

ابن رزين التجيبي: أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم (عاش في القرن ٧ه).

٥٠. فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق. محمد بن شقرون، بيروت، ١٤٠٥ه/ ١٩٨٤م.

ابن رشد: أبو محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي.

٥١. فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق: المختار الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن السراج: الوزير أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحاج محمد التونسي (ت ١١٤٩هـ).

٥٢. الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تونس سنة ١٢٨٧هـ.

ابن سعيد: عبد الملك ابن سعيد المغربي (ت٦٨٥ه):

٥٣. كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.

٥٤. رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق: النعمان عبد المتعال القاضي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٣هـ.

٥٥. المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٥٣م.

ابن سهل:

٥٦. الإعلام بنوازل الأحكام، المعروفة بالأحكام الكبرى، تحقيق: نورة التويجري

ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي.

٥٧. المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

ابن الشباط: محمد بن علي بن الشباط المصري، التوزلي.

٥٨. وصف الأندلس، قطعة من كتاب "صلة السمط وسمط السمط" لابن الشباط، تحقيق: محمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد ١٤، ١٩٦٧ـ ١٩٦٨م.

ابن صاحب الصلاة: عبد الملك.

٥٩. تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي التازي، بيروت، ١٩٦٤م.

ابن عبد الرؤوف: أحمد بن عبد الله (ت النصف الأول من القرن ٦هـ/١٢م).

٦٠. رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي برفنسال، القاهرة، ١٣٧٥ه/ ١٩٥٥م.

ابن عبد الملك: أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي المراكشي.

٦١. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٥م.

ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد.

٦٢. العقد الفريد، شرحه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة،١٣٨٥هـ/١٩٦٥.

ابن عبدون:

٦٣. ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، ليفي بروفنسال، ط١٩٥٥م،

ابن عجيبة: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الفاسي.

٦٤. البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢ م /١٤٢٣ هـ

ابن عذاري: أبو عبد الله محمد المراكشي (من كتاب القرن ٧هـ).

٦٥. البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ومراجعة: ج.س كولان وَ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت،١٩٧٦م، و١٩٨٥م.

ابن غالب: أبو عبد الله محمد بن غالب البلنسي (ت٧٦٧ه).

٦٦. فرحة الأنفس في أخبار الأندلس، قطعة من كتابه، د. لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، المجلد الأول، الجزء الثاني، ربيع الأول، ١٣٧٥ه/ نوفمبر، ١٩٥٥م.

ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا.

٦٧. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر الطبعة. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد (ت٧٩٩هـ).

٦٨. الديباج المُذَّهَب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣.

ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ).

٦٩. تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

ابن القاضي: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي.

٧٠. جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٤م. وطبعة الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٣٧١هـ.

٧١. درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس، د ت.

ابن القطان: أبو الحسن علي بن عبد الملك بن يحي الكتامي الفاسي (ت٦٢٨هـ).

٧٢. نظم الجمان، تحقيق: محمود علي مكي، الرباط، منشورات كلية الأداب، والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، د ت.

ابن قنفذ: أبو العباس أحمد بن الخطيب القسنطيني (ت ٨٠٩هـ).

٧٣. أنس الفقير وعز الحقير، نشره: محمد الفاسي، أودلف فور، الرباط، المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبوعة أكوان، ١٩٦٥م.

٧٤. الوفيات. تحقيق عادل نويهض، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ).

٧٥. تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، بيروت، دار نشر الجماعيين، ١٩٥٧م.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ).

٧٦. البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د ت.

٧٧. تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

ابن مخلوف: محمد بن محمد.

٧٨. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٣٤٩هـ.

ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري.

٧٩. لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، د ت.

ابن الوردي: زين الدين عمر (ت ٧٤٩ هـ).

٨٠. تاريخ ابن الوردي (خريدة العجائب وفريدة الغرائب)، القاهرة، ١٢٩٢ هـ.

أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ).

٨١. المختصر في تاريخ البشر، المطبعة الحسنية المصرية، القاهرة، ط١، د ت.

أبو حامد الغرناطي: محمد بن عبد الرحيم.

٨٢. تحفة الألباب، بإعتناء جبريل فيراند، باريس، ١٩٢٥م.

أبو زكريا الأندلسي: يحيى بن عمر بن يوسف الكناني(٢٨٩هـ).

٨٣. أحكام السوق، أو "النظر والأحكام في جميع أحوال السوق"، اعتنى بضبط النص: جلال علي عامر، عن الطبعة: التونسية، تقديم: الأستاذ أبو سلمان محمد العمراوي السجلماسي، تحقيق: محمود علي مكي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الرابع، ١٩٥٦م.

أبو عبيد: القاسم بن سلام.

٨٤. غريب الحديث، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.

أحمد بابا: التنبكتي (١٠٣٢هـ).

٨٥. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، القاهرة، دار التراث، ١٩٧٢

الإدريسي: الشريف أبو عبد الله محمد السبتي (ت حوالي ٥٦٤هـ).

٨٦. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت عالم الكتب، ط١، ١٤٠٩هـ

الأزدي: ابن ظافر (ت٦١٣هـ).

٨٧. أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: علي عمر. مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط١،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد.

٨٨. تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.

الإشبيلي: أحمد بن محمد بن حجّاج (من أعيان القرن الخامس الهجري).

٨٩. المقنع في الفلاحة، تحقيق: صلاح جرار، جاسر أبو صفية، تدقيق وإشراف. د.عبد العزيز البدوي، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي(ت٣٥٠هـ).

٩٠. المسالك والممالك، تحقيق: محمد عبد العال، مراجعة، محمد شفيق غربال، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

الأصفهاني: أبو الفرج.

٩١. الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢، د ت.

الأصفهاني: جمال الدين محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ).

٩٢. خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، الدار التونسية للنشر، تونس، ط٢، ١٩٨٦م.

الأنصاري: شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب (ت٧٢٧هـ).

٩٣. نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر، مكتبة المثنى، بغداد ، د ت.

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي.

٩٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

البغدادي: إسماعيل باشا.

٩٥. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، تحقيق: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٩٦. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول سنه ١٩٥١م. أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، د ت.

البكري: أبو عبيد (ت ٤٨٧هـ).

٩٧. جغرافية الأندلس وأوروبا، من كتاب "المسالك والممالك"، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٨م.

٩٨. المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د ت.

البلوي: خالد بن عيسى(ت ٩٣٨هـ).

٩٩. تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السايح،، د ط، د ت.

الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي.

١٠٠. الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.

الجزري: أبو السعادات المبارك بن محمد.

١٠١. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى وَمحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.

الجزنائي: أبو الحسن علي (كان حياً سنة ٧٦٦هـ).

١٠٢. زهرة الآس في بناء مدينة فاس، نشره ألفرد بل، مطبعة جوردان، الجزائر، ١٩٢٢م.

الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ).

١٠٣. الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين- بيروت.، ط٤، ١٩٩٠م.

حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت١٠٦٧هـ).

١٠٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

الحكيم: أبو الحسن علي بن يوسف.

١٠٥. الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق. حسين مؤنس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السادس، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

الحميدي: أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت٤٨٨هـ).

١٠٦. جذوة المُقتبس في ذكر ولاة الأندلس،تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٣٧١هـ.

الحميري: محمد بن عبدالمنعم السبتي (ت٩٠٠هـ).

١٠٧. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٧٥م، ط٢، ١٩٨٤م.

١٠٨. صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب روض المعطار في خبر الأقطار، جمعه سنة ٨٦٦هـ)، عني بنشره وتصحيحه: ليفي بروفينسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م.

الخالدييان: أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابني هاشم .

١٠٩. كتاب التحف والهدايا، مجموعة نصوص عربية ودراسات إسلامية، العدد ١١، دار المعارف، مصر، د ت.

الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ).

١١٠. تاريخ الإسلام، حيدر آباد، دار المعارف النظامية، ط١، ١٣٣٧هـ.

١١١. تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، ١٣٤٧هـ.

١١٢. سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

١١٣. معرفة القراء، الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار معروف ورفاقه بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر.

١١٤. مختار الصحاح. تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٩م ؛ و طبعة عام ١٤١٥ هـ/١٩٩٥م.

الرندي: محمد بن إبراهيم بن عباد.

١١٥. الرسائل الكبرى، تصحيح: أحمد بن محمد البوعزاوي وَ محمد التكناوتي، مطبعة المعلم العربي الأزرق، طبعة حجرية، د ت.

الزبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبوالفيض، الملقّب بمرتضى.

١١٦. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهدى، د ت.

الزركشي: محمد بن إبراهيم بن لؤلؤ (ت بعد ٩٣٢هـ).

١١٧. تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٢، ١٩٨٤م.

الزهري: محمد.

١١٨. كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج الصادق، مجلة الدراسات الشرقية، دمشق المعهد الفرنسي، د ت.

السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ).

١١٩. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنتال، ترجمة صالح العلي، بغداد، د ت.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت.

السقطي: أبو عبد الله محمد المالقي.

١٢٠. رسالة في آداب الحسبة، نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، ليفي بروفنسال، دار إبرنيست، باريس، ١٩٣١م.

السلاوي: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري.

١٢١. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، وً محمد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

السمعاني: أبو سعد.

١٢٢. الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن المُعَلِّمي اليماني، حيدر أباد الدكن، ١٩٦٢م.

السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت٩١١هـ).

١٢٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق:محمد أبو الفضل،المكتبة العصرية، بيروت، د ت.

١٢٤. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

١٢٥. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهر، ط١، ١٣٨٧هـ.

١٢٦. طبقات المفسرين، تحقيق: على محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٢م.

١٢٧. نظم العقيان في أعيان الأعيان، بعناية فيليب حتي، المطبعة السورية، نيويورك، ١٩٢٧م.

الشوكاني: محمد بن علي.

١٢٨. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية نشر دار الكتاب العربي، ط. ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٢٩. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د ت.

الشيرازي: عبد الرحمن بن نصر.

١٣٠. نهاية الرتبة في طلب الحسبة، دار الثقافة، بيروت،ط٢، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك.

١٣١. الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار النشر فرانز شتايز بفسبادن، ط٢، ١٣٩٤هـ .

صفي الدين البغدادي: عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ).

١٣٢. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، وهو مختصر من معجم البلدان لياقوت، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط.١، ١٣٨٤هـ/١٩٥٥م.

الصنهاجي: أبو بكر.

١٣٣. أخبار المهدي ابن تومرت، تحقيق: ليفي برفنسال، باريس، ١٩٦٤م.

الضبي: أحمد بن يحى بن أحمد بن عميره القرطبي (ت٥٩٩هـ).

١٣٤. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى.

١٣٥. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار الكتاب العلمية، ط١، بيروت، د ت.

الطالقاني: الصاحب إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس.

١٣٦. المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ /١٩٩٤.

الطبيب: محمد بن الكتاني.

١٣٧. التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، د ت.

الطرطوشي: أبو بكر.

١٣٨. سراج الملوك، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٣١٩هـ.

العذري: أحمد بن عمر بن أنس (ت٤٧٨هـ).

١٣٩. نصوص عن الأندلس. من كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار"، تحقيق: د. عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د ت.

العذري: أحمد بن عمر بن أنس.

١٤٠. ترصيع الأخبار وتنويع الآثار،تحقيق: د.عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.

العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت١١١١هـ).

١٤١. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، د ت.

العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ).

١٤٢. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ، د ت.

الغساني: أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم.

١٤٣. حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق: محمد العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

الفيروزأبادي: محمد بن يعقوب.

١٤٤. البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٧.

١٤٥. القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ.

الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري.

١٤٦. المصباح المنير، دراسة و تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ب ت.

القاضي عياض: بن موسى بن عياض السبتي (ت ٥٤٤هـ).

١٤٧. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، خرجه وعلق عليه وقدم له: محمد بن داود الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، د ت.

١٤٨. فهرس شيوخ القاضي عياض، تحقيق. محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٨م.

القزويني: زكريا بن محمد محمود (ت ٦٨٢هـ).

١٤٩. آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.

القلقشندي: أحمد بن علي.

١٥٠. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: د.يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧.

١٥١. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

القنوجي: أبو الطيب السيد صديق حسن.

١٥٢. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٧٨.

١٥٣. الحطة في ذكر الصحاح الستة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

القونوي: قاسم بن عبد الله.

١٥٤. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، نشر دار الوفاء، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ.

الكافيجي: محي الدين محمد.

١٥٥. المختصر في علم الأثر، تحقيق: علي ذوين، دار الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير.

١٥٦. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات تحقيق إحسان عباس، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢م

الكتاني: محمد بن جعفر.

١٥٧. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، دار الثقافة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ).

١٥٨. فوات الوفيات، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٥١م.

الكلبي: ابن دحية.

١٥٩. المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٧٨م.

الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف.

١٦٠. الولاة والقضاة، تصحيح رسن كفت، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٨٠م

الماوردي: علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ).

١٦١. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب.ط. ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

مجهول.

١٦٢. أخبار مموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها رحمهم الله والحروب الواقعة فيها، طبع في مدينة مجريد، بمطبعة مربدميل، ١٨٦٧م.

مجهول.

١٦٣. ااسر في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، ١٩٥٨م.

مجهول: (من أهل القرن الثامن الهجري).

١٦٤. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: د.سهيل زكار، د ط، د ت.

مجهول.

١٦٥. ذكر بلا الأندلس، تحقيق: لويس مولينا، معهد ميجل آسين،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣م.

مجهول.

١٦٦. كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحقيق: أمبروزيو أويثي ميراند، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد ٩- ١٠،١٩٦١- ١٩٦٢م.

المحبي: محمد.

١٦٧. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعه الوهابية، ١٢٨٤هـ.

محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبد الله.

١٦٨. طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم الخيف. دار المنهاج – جدة، ط١، ١٩٩٧.

المراكشي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي.

١٦٩. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٥م.

المراكشي: العباس بن إبراهيم.

١٧٠. الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

المراكشي: عبد الواحد.

١٧١. المُعجِب في تلخيص أخبار المَغرب، القاهرة، ١٩٤٩م.

المرداوي: علي بن سليمان.

١٧٢. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر دار إحياء التراث العربي، د ت.

مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجج القشيري (ت٢١٦هـ).

١٧٣. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الفيصلية، مكة، د ت.

البكري: أبو عبيد (ت ٤٨٧هـ).

١٧٤. المسالك والمماليك، تحقيق وتقديم: أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، قرطاج، بيت الحكمة، الدار العربية للكتاب، د ت.

المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ).

١٧٥. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وَإبراهيم الإبياري وَ عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م

١٧٦. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب مع ذكر وزيره لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ).

١٧٧. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، مصر، ط٢، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م.

النباهي: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي.

١٧٨. تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٥، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م، و طبعة: دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٨م

النووي: أبي زكريا محيي الدين بن شرف (ت٦٧٦ هـ).

١٧٩. تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا، د ط، د ت.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ).

١٨٠. نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٤م.

الوزان: الحسن (ت بعد ٩٥٧هـ).

١٨١. وصف أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

الوزاني: أبو عيسى سيدي المهدي (ت١٣٤٢هـ).

١٨٢. المعيار الجديد المُعرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب، تصحيح: عمر بن عبّاد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٨٣. النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من القرى. المسماه بـ "المعيار الجديد المُعرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب"، تصحيح: عمر بن عبّاد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الونشريسي: أحمد بن يحيى.

١٨٤. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من العلماء بإشراف: محمد حجي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.

اليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي (ت٧٦٨هـ).

١٨٥. مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ياقوت الحموي: أبو عبد الله.

١٨٦. معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د ت.

يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن حسين (ت٨٩٣هـ).

١٨٧. بهجة المحافل وبغية الأماثل، تصحيح وتعليق:محمد ناجي العمر، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

المراجع العربية.

إبراهيم حركات.

١. مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن (٩هـ/١٥م)، الجزء الأول، العلوم الإنسانية والعقلية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.

إبراهيم القادري بوتشيش.

٢. مباحث التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د ت.

إبراهيم الوافي.

٣. الدراسات القرآنية بالمغرب خلال القرن الرابع عشر الهجري، كلية الآداب، جامعة ابن زهر، د ت.

أحمد الإسكندري وَ مصطفى عنان.

٤. الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف، مصر، د ت.

أحمد جمال طه.

٥. مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين٤٤٨-٦٦٨هـ/١٠٥٦-١٢٦٩م، دار الوفاء، الإسكندرية.

أحمد سعيد.

٦. أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، بيروت، دار الشرق الجديدة.

أحمد شلبي.

٧. التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٦م.

أحمد الطاهري.

٨. الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.

أحمد عبد الرحمن السحاوي.

٩. رحلة مصورة إلى بلاد الأندلس المفقود، دار الفكر، بيروت، د ت.

أحمد مختار العبادي.

١٠. دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

١١. الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مدريد، المجلد ١٥، ١٩٧٠م.

أحمد بن ياسين.

١٢. علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مكتبة المتنبي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٢م.

أحمد هيكل.

١٣. الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

آمال رمضان عبد الحميد.

١٤. الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، قرطبة للنشر، القاهرة، ١٤٢٢هـ.

جمال طه.

١٥. الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي-عصري المرابطين والموحدين- دار الوفاء، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٤م

١٦. الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي- عصري المرابطين والموحدين-، دار الوفاء، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٥٥ في سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م.

جواد علي.

١٧. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الحبيب الجنحاني.

١٨. المجتمع العربي والإسلامي – الحياة الاقتصادية والاجتماعية،الخلفية الاقتصادية للصراع الفاطمي- الأموي في بلاد المغرب. عالم المعرفة، من منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٥م.

حسن أحمد محمود.

١٩. قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ب ت.

الحسن السائح.

٢٠. الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

حسن علي حسن.

٢١. الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس – عصر المرابطين والموحدين-،مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٩٨٠م.

٢٢. الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى، د ط، د ت.

الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي.

٢٣. المحاضرات في اللغة و الأدب، نشرة محمد الحجي وأحمد الشرقاوي إقبال، بيروت ١٩٨٢م.

حسين مؤنس.

٢٤. أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٥. تاريخ الجغرافية والجغرافيين، مكتبة مدبولي، مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٦. رحلة الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.

٢٧. فجر الأندلس، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٨. معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

حمدي عبد المنعم محمد حسين.

٢٩. التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٧م.

خلاف محمد عبد الوهاب.

٣٠. قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر ميلادي/الخامس الهجري، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

خليل إبراهيم السمرائي وَ عبد الواحد ذنون طه.

٣١. تاريخ المغرب العربي، دار الكتب، الموصل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

زكي محمد حسن.

٣٢. أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٣. فنون الإسلام، دار الفكر العربي، د ت.

سامية مصطفى مسعد.

٣٤. الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين (من ٤٨٤إلى ٦٢٠هـ/ من ١٠٩٢إلى ١٢٢٣م)، مكتبة الثقافة الدينية، د ت.

سعد البشري.

٣٥. الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ٤٢٢-٤٨٨هـ/ ١٠٣٠-١٠٩٥م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

السيد أحمد الهاشمي.

٣٦. ميزان الذهب في صناعة شعر العرب. مكتبة عباس الباز، مكة، ١٣٩٩هـ.

السيد عبد العزيز سالم.

٣٧. تاريخ مدينة المرية الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨١م.

٣٨. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٣٩. تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ت.

٤٠. قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م.

٤١. المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٦م.

٤٢. المغرب الكبير العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠٠٢م.

السيد عبد العزيز سالم وَ أحمد مختار العبادي.

٤٣. تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ت.

شكيب أرسلان.

٤٤. الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

٤٥. خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

أحمد مختار العبادي.

٤٦. دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

٤٧. الصقالبة في أسبانيا، مدريد، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، د ت.

شوقي أبو خليل.

٤٨. مصرع غرناطة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٣م.

الشيخ الأمين محمد عوض الله.

٤٩. العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي والسنغال، دار المجمع العلمي، جَدّة، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٩

صبحي الصالح.

٥٠. علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٩٨٤م،

عباد كُحيلة.

٥١. تاريخ النصارى في الأندلس، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

عبد الإله بن مليح.

٥٢. الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

عبد الرحمن حميدة.

٥٣. أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٤م

عبد الرحمن علي الحجي.

٥٤. التاريخ الأندلسي منذ الفتح إلى السقوط دار القلم، دمشق، ط٥، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م.

٥٥. هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة، ظروفها وآثارها، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

عبد العزيز بن عبد الله.

٥٦. العلوم الكونية التجريبية في المغرب، كيف تطورت خلال ألف عام، مكتبة منار العرفان، الرباط، د ت.

٥٧. مظاهر الحضارة المغربية، دار السلمى للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٥٧م.

عبد العزيز فيلالي.

٥٨. العلاقات السياسية بين الدوله الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م.

عبد الفتاح مقلد الغنيمي.

٥٩. موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

عبد الكريم التواتي.

٦٠. مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، د ت.

عبد الكريم عفيفي.

٦١. موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

عبد الله علي علام.

٦٢. الدولة الموحدية بالمغرب، دار المعرفة، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م

عبد الله كنون.

٦٣. موسوعة مشاهير المغرب، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ.

٦٤. النبوغ المغربي في الأدب العربي،ط٢ ،١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

عبد المرضي محمد عطوة زايد.

٦٥. العلاقات بين المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي للأندلس إلى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب (٩٢-٢٩٦هـ)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

عبد الهادي التازي.

٦٦. التاريخ الدبلوماسي لبلاد المغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطبعة فضالة، المحمودية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦٧. جامع القرويين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.

٦٨. الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط١، ٢٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

عبد الواحد ذنون طه.

٦٩. تحالف الممالك الإسبانية في الأندلس وأثره على سقوط غرناطة، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٧٠. التنظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة من كتاب دراسات أندلسية المجموعة الأولى، مكتبة بسام، بغداد،العراق، ط١، ١٩٨٦م.

٧١. الفتح والاستقرار العربي في شمال أفريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، ١٩٨٢م.

٧٢. نشأة التاريخ العربي في الأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

عثمان عثمان إسماعيل.

٧٣. تاريخ رسالة الإسلامية، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

عز الدين عمر موسى.

٧٤. الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٧٥. النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس عشر الهجري، دار الغرب الإسلامي، ب. ط، ٢٠٠٣هـ.

علي عبد الله الدفاع.

٧٦. نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات، دار جون وايلي وأبناؤه، ١٩٧٨م.

علي محمد حموده.

٧٧. تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، دار الكتاب العربي، مصر، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٧٥م.

علي محمد بن سعيد الزهراني.

٧٨. الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (٢١٢ -٤٨٤هـ/ ٨٢٦ -١٠٩١م)، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٠م.

علي محمد الصلابي.

٧٩. دولة الموحدين، دار البيارق، عمان،ط١، ١٩٩٨م.

عمر مصطفى لبيب.

٨٠. تاريخ الصقالبة في الأندلس، مركز البرنس للطباعة، ط١، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٣م.

فؤاد محمد أرزقي.

٨١. القوى المغربية في الأندلس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت.

فؤاد محمد الصّفّار.

٨٢. دراسات في الجغرافية البشرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ٣، ١٩٧٥م.

فوزي عيسى.

٨٣. الهجاء في الأدب الأندلسي، دار الوفاء للطباعة، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٧م.

كمال السيد أبو مصطفى.

٨٤. تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسلامي (٩٥ــ ٤٩٥هــ / ٧١٤ ــ ١١٠٢م)، مكتبة مطبعة الإشعاع، الإسكندرية، د ت.

٨٥. شخصيات مغمورة من البيت الأموي في الأندلس في عصر الدولة الأموية (١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٦-١٠٣١م)- جزء من كتاب دراسات مغربية وأندلسية في التاريخ والحضارة"، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ٢٠٠٧م.

لطفي عبد البديع.

٨٦. الإسلام في أسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٦٩.

محمد أحمد أبو الفضل.

٨٧. شرق الأندلس في العصر الإسلامي (٥١٥-٦٨٦هـ/ ١١٢١-١٢٨٧م)، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٦م.

محمد الحجوي.

٨٨. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة النهضة، تونس، د ت.

محمد المنوني.

٨٩. التيارات الفكرية في المغرب المريني، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، ١٣٩١ه/فبراير ١٩٧٢م.

٩٠. العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، طبعة دار المغرب، الرباط، ط٢، ١٣٩٧ه/ ١٩٧٧م.

محمد جمال الدين القاسمي.

٩١. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

محمد حقي.

٩٢. البربر في الأنلس، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، د ت.

محمد رزوق.

٩٣. الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين (٦هـ/ ١٧م)، إفريقيا الشرق، ١٩٩٨م.

محمد روّاس قلعه جي.

٩٤. الموسوعة الفقهية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

محمد زغلول سلام زغلول.

٩٥. الأدب في العصر المملوكي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ب ت.

محمد صالح منصور.

٩٦. العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف بالأندلس، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٥م.

محمد طاهر حمادة.

٩٧. الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي أفريقية ٦٤- ٨٩٧هـ/٦٨٣- ١٤٩٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت،لبنان،ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

محمد عبد العزيز مرزوق.

٩٨. الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، المجمع العراقي، بغداد.

محمد عبد الله عنان.

٩٩. دولة الإسلام في الأندلس (تراجم إسلامية شرقية وأندلسية)، دار المعارف، مصر،ط١، ١٩٤٧م.

١٠٠. نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م

محمد عبده حتاملة.

١٠١. الاعتداءات الإفرنجية على ديار العرب في الأندلس والمشرق، المكتبة الوطنية، عمان، الأردن،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٠٢. الأندلس، التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، مطابع الدستور التجارية، عمّان، الأردن، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

محمد عيسى الحريري.

١٠٣. تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

محمد كمال شبانه.

١٠٤. يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، مطبعة الرسالة،ب ط،١٩٦٩م.

محمد لقمان السلفي.

١٠٥. اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

محمد مجيد السعيد.

١٠٦. الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، بيروت، ١٩٨٥م.

محمد محمود الصياد.

١٠٧. مدخل إلى الجغرافيا الإقليمية،د ط، د ت.

محمد مختار ولد أبّاه.

١٠٨. تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، مراجعة. د. محمد توفيق أبو علي و نعيم علوية، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

محمد ناصر الدين الألباني.

١٠٩. السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، د ت.

محمود الطحان.

١١٠. أصول التخريج ودراسة الأسانيد، مكتبة المعارف، الرياض، د ت.

محمود محمد شاكر.

١١١. التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٤، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

مريزن سعيد مريزن عسيري.

١١٢. الحياة العلمية في العرق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

مزاحم علاوي الشاهري.

١١٣. الأوضاع الاقتصادية في المغرب على عهد المرينيين ٦٦٨- ٧٥٩هـ/ ١٢٦٩- ١٣٥٨م، دار الشؤون الثقافية العامة"آفاق عربية"، بغداد، ط١، ٢٠٠١م.

مصطفى إبراهيم المشني.

١١٤. مدرسة التفسير في الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٨٦م.

مصطفى الجيوسي.

١١٥. موسوعة علماء العرب والمسلمين وأعلامهم، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠٠٥م.

مصطفى الشكعة.

١١٦. المغرب والأندلس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت.

١١٧. معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى، مركز البحوث في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٥ه/١٩٨٥م

منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي.

١١٨. علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، دراسة في أوضاعهم الاقتصادية وأثرها على مواقفهم السياسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،د ط، ١٤٣٢ھ/٢٠٠٢م.

ناصر بن ماجد الهاجري.

١١٩. أوضاع المسلمين في بلنسية في عهد الملك الأراغوني خايمي الأول (٦٠٤- ٦٧٤ھ/ ١٢٠٧- ١٢٧٦م)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٥ھ/٢٠٠٤.

نانسي فيصل حسن الرواشده.

١٢٠. الحياة العلمية في مرسلية الإسلامية من القرن الخامس الهجري إلى القرن السابع الهجري، ٢٠٠٤هـ.

نعيم زكي فهمي.

١٢١. طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

وفاء المزروع.

١٢٢. جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، دار القاهرة، ط١، د ت.

وهبة الزحيلي.

١٢٣. الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط.١، ١٤٠٤هـ/١٩٨١م.

يوسف بن علي بن إبراهيم العريني.

١٢٤. الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

المراجع المعربة:

أرشيبالد. ر. لويس.

١. القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠هـ / ١١٠٠م)، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

اغناطيوس يُوليانوڤتش كراتشكوڤسكي.

٢. تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة: ايغور بلبايف، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، مصر،ب ط.

أمبروسيوهويثي ميراندا.

٣. التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تعريب: عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٤م.

ج.س. كولان.

٤. الأندلس. لجنة ترجمة دار المعارف الإسلامية إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٨٠م.

دوزي.

٥. ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة: كامل كيلاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٥١هـ.

٦. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة. أكرم فاضل، طبعة وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧١م

الدوميلي.

٧. العلم عند العرب، ترجمة: عبد الحليم النجار،القاهرة،١٩٦٢م

روجيه لوترنو.

٨. فاس في عصر بني مرين، ترجمة: نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ١٩٦٧م، ١٩٧٧م.

رينهرت دوزي.

٩. المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم: حسن حبشي، المصرية العامة للكتاب، ١٩٣٢م.

شارل أندريه جوليان.

١٠. تاريخ إفريقيه الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي ٦٤٧م، تعريب: محمد مزالي وَالبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، النشرة الرابعة، ب ت.

ضياء باشا:

١١. الأندلس الذاهبة، ترجمة: عبد الرحمن أرشيدات، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الأردن، ١٩٨٩م.

غوستاف لوبون.

١٢. حضارة العرب، ترجمة: عادل ذعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ب ت.

الفرد بل.

١٣. الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.

كارل بروكلمان.

١٤. تاريخ الأدب العربي، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.

١٥. تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت،ط٤، ١٩٦٥م.

ميكيل دي إيبالزا.

١٦. المستعربون. أقلية مسيحية مهمة في الأندلس المسلمة، ترجمة: يعقوب دواني، مقالة في كتاب الحضارة العربية العربية الإسلامية في الأندلس، الجزء الأول، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.

ليفي بروفنسال.

١٧. أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة: عبد الهادي شعيرة، راجعه. عبد الحميد العبادي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م.

١٨. حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ب ط، ب ت.

ليوبولدو تورِّس بالباس.

١٩. الحواضر الأندلسية، ترجمة: محمد يعلى، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٠. المدن الأسبانية الإسلامية، ترجمة: إليو دورودي لابنيا، مراجعة: نادية محمد جمال الدين، عبد الله بن إبراهيم العمير، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

مانويل جوميث مورينو.

٢١. الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة: عبد العزيز سالم، ب. ط، ب ت.

محمد الطالبي.

٢٢. الدولة الأغلبية، تعريب: المنجي العبادي، مراجعة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

مُوريس شربل.

٢٣. موسوعة علماء الرياضيات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

مُوريس لومبار.

٢٤. الإسلام في جده الأول من القرن ٢ إلى القرن ٥هـ (٨ ــ ١١م)، ترجمة وتعليق: إسماعيل العرسي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب.

مونتغمري وات.

٢٥. فضل الإسلام على الحضارة العربية، ترجمة: حسين أحمد أمين، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٦. في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ترجمة: محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

واشنطن ايرفنغ.

٢٧. أخبار سقوط غرناطة، ترجمة: هلاني يحي النصري، مؤسسة الإنتشار العربي،ب ت.

يوسف أشباخ.

٢٨. تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر.

الرسائل الجامعية:

أحمد زكي بن حاج إبراهيم بن أوانج سعيد.

١. العلماء في الدولة الإسلامية بالأندلس وأثرهم في السياسة والحضارة عصر الإمارة من سنة (١٣٨ ــ ٣١٦هـ ــ ٧٥٦ ــ ٩٣٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامع القاهرة، كلية دار العلوم، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م،

حسن علي حسن.

٢. الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى في القرن الخامس والسادس من الهجرة، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية دار العلوم، القاهرة، ١٩٧٣.

حسن بن يحيى بن حسن الشوكاني.

٣. تجارة الأندلس في العصر الأموي ١٣٨-٤٢٢ه/٧٥٥-١٠٣٠م، رسالة دكتوراة غير منشورة،كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٠ه.

داليا عبد الهادي طلبة.

٤. الاتجاهات المذهبية في بلاد المغرب حتى نهاية القرن الثالث الهجرم (٩٦-٢٩٦هـ /٧١٤ - ٩٠٩م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٣هـ.

ريم حمد إبراهيم العيدي.

٥. الحياة العامة في إشبيلية من الفتح الإسلامي وحتى نهاية الخلافة الأموية (٩٢-٤٢٢ه)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود،١٤١٠ه/ ١٩٩٠م.

سامية مصطفى محمد مسعد.

٦. العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (٣١٧ــ ٣٩٩هـ / ٩١٨ــ ١٠٠٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

عبد المرضي محمد عطوة زايد.

٧. العلاقات بين المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي للأندلس إلى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب (٩٢ــ ٢٩٦هـ)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

عبده عواجي عبد القهار.

٨. علاقات مملكة غرناطة بالدول الإسلامية،رسالة دكتوراة غير منشوره، جامعة أم القرى،مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

عبده محمد عواجي.

٩. الخلافات السياسية في الدولة النصرية ودورها في سقوط الأندلس،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

محمد زغروت.

١٠. العلاقات بين الخليفة الناصر الأموي ومعاصريه الفاطميين في الشمال الإفريقي، رسالة دكتوراة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

محمد عبد الله الخضيري.

١١. تفسير التابعين، رسالة دكتوراة، بقسم القرآن وعلومه ــ كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٥هـ.

محمد محمود عبد الله بن بيه.

١٢. الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

نهي عادل أحمد العدوي.

١٣. التعليم في العصر المريني (٦٦٨ــ ٨٦٩هـ/ ١٣٦٩ ــ ١٤٦٥م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر

ولاء علي عارف علي.

١٤. التعليم في المغرب في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر

الدوريات

أحمد شحلان.

١. من الفكر الفلسفي اليهودي العربي أبو عمران موسى بن ميمون وكتابه دلالة الحائرين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، العدد ٥ و٦، ١٩٨١م.

أحمد مختار العبادي.

٢. الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد، ١٥، ١٩٧٠م.

إدريس الكتاني.

٣. الأسرة المغربية التقليدية- تكوينها-عاداتها وتقاليدها-بنياتها الاجتماعية، مجلة البحث العلمي، الرباط، العدد٧، السنة ٣، رمضان- محرم/ يناير إبريل، ١٣٨٥-١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

ابن عيسى بويوزان.

٤. صورة الطبيعة في الشعر الأندلسي على عهد بني الأحمر، مجلة العرب، ج١٠،٩، س ٤٢، الربيعان ١٤٢٨هـ/ابريل- مايو ٢٠٠٧م.

بوتشيش.

٥. أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الأمارة، مجلة المناهل، الرباط، عدد٣٢، السنة ١٢، جمادى الثانية.

حياة عبود محمد العامودي.

٦. الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى زمن المرابطين والموحدين، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، محرم ١٤٢٧هـ/ يناير ٢٠٠٦م، العدد ١٣، السنة السابعة.

خليل السامرائي.

٧. أثر العراق الحضاري على الأندلس في القرنين الثاني والثالث للهجرة ١٠١-٣٠٠هـ/ ٧٢٠-٩١٢م، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد ٢٧، السنة الثانية عشرة، ١٩٨٦م.

رابح عبد الله المغراوي.

٨. التواصل الدبلوماسي بين الأندلس النصرية والمغرب المريني من خلال رسائل ابن الخطيب الأندلسي (٧٥٠-٧٧٠هـ)، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، العدد السادس والعشرون، ربيع ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

سحر السيد عبد العزيز سالم.

٩. ملابس الرجال في الأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، ج٢٧، ١٩٩٥م

سليمان عبد الغني مالكي

١٠. بعض ملامح الحياة الاجتماعية في مدينة مراكش في عصر المرابطين والموحدين، الدارة، الرياض، العدد ٣، السنة ١٢، ربيع الآخر ١٤٠٧هـ/ديسمبر ١٩٨٦م.

السيد عبد العزيز سالم.

١١. العمارة المدنية بالأندلس، مقال بدائرة معارف الشعب، العدد٦٤.

شوقي ضيف.

١٢. الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد ٢٣،سنة ١٩٨٥-١٩٨٦م

صالح بن يوسف بن قربة.

١٣. مقدمة لدراسة الملابس المغربية – الأندلسية في العصر الإسلامي من خلال المصادر التاريخية والأثرية، مجلة التاريخ العربي، العدد١٤، ربيع ١٤٢١ه/٢٠٠٠م.

صباح إبراهيم.

١٤. العناصر السكانية بمدينة فاس من خلال كتاب بيوتات فاس الكبرى، مجلة آداب المستنصرية، العدد الثاني، ١٩٨٤م.

عبد الأحد الرايس.

١٥. الفوائد التاريخية لتصنيف النباتات بفاس من خلال كتاب حديقة الأزهار لأبي القاسم الغساني، مجلة التاريخ العربي، العدد الثامن عشر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

عبد الإله بنمليح.

١٦. مدينة فاس في ذاكرة ابن خلدون، مجلة التاريخ العربي، العدد الخامس والأربعون، الرباط، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم.

١٧. المهجّرون الأندلسيون "الموريسكيون" من خلال وثائق محكمة الإسكندرية في العصر العثماني في مصر، الدارة، العدد الأول، السنة العاشرة، شوال١٤٠٤ه/ يونيه١٩٨٤م.

عبد السلام بن ميس.

١٨. نموذج من رسالة الكندي في اللثغة... المنطق في الفكر المغربي الوسيط، مجلة التاريخ العربي، العدد، السنة.

عبد العزيز بنعبد الله.

١٩. الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل؟، التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، العدد الثاني، ربيع ١٤١٧ه/١٩٩٧م

٢٠. كيف تطور الطب والصيدلة بالمغرب، مجلة التاريخ العربي، العدد السابع والعشرون، الرباط، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠١م.

٢١. وحدة الفكر العربي من الخليج إلى المحيط. فصحى العاميات مظهر لهذه الوحدة، مجلة التاريخ العربي، العدد.

عبد الله العمراني.

٢٢. فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمي، الرباط، العدد ١١، ١٢، ١٩٦٧م،

عبد المجيد محمود.

٢٣. تعامل المسلمين مع مخالفيهم في الدين، مجلة أضواء الشريعة، كلية الشريعة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض

علي بن عبد الله الزيدان.

٢٤. سياسة الدولة العباسية تجاه أفريقيا والمغرب، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، الآداب١، المجلد ١٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٥. مجلة الفيصل: العدد٣٢٨-شوال ١٤٢٤هـ، نوفمبر – ديسمبر ٢٠٠٣م.

محمد الصادق عبد اللطيف.

٢٦. الخط الأندلسي، تاريخ وفكر ومسيرة، مجلة التاريخ العربي، العدد ١٥، الرباط، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

محمد القاضي.

٢٧. طليطلة ومدرسة المترجمين المدرسة الأولى للاستعراب الإسباني، مجلة التاريخ العربي، (المكتبة الشاملة).

المغراوي:

٢٨. التواصل الدبلوماسي بين الأندلس النصرية والمغرب المريني، مجلة التاريخ العربي، (المكتبة الشاملة).

نعيمة الحضري.

٢٩. المدارس المرينية بفاس (دراسة تاريخية ومعمارية)، مجلة التاريخ العربي، العدد ٣٨، الرباط، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

نورة بنت محمد بن عبد العزيز التويجري.

٣٠. الصراع بين أبناء يوسف الأول وأثره في إضعاف مملكة غرناطة، مجلة جامعة أم القرى، العدد١٥، السنة١٠، ١٤١٧هـ.

وفاء بنت عبد الله سليمان المزروع.

٣١. نفوذ الصقالبة في الأندلس في عصر الإمارة والخلافة (١٣٨- ٣٦٦هـ)/(٧٥٥ - ٩٧٨م)، السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة، الرياض، القسم الأول، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة